



تَجْرِيدُ الْعَرَبِ

في

القرن العشرين

طيحة جزيرة العرب وحالتها الاجتماعية المأسورة . دعوة الرومانيين وتاريخهم
ومبادئهم . الحكومات العربية التي تخالفت على الجزيرة في السور الحديثة . الثورة
العربية . آل سعود وتاريخهم وأعمالهم . مؤتمرات الصلح والعامات .
الوثائق الرسمية التي دارت بين الأشراف وآل سعود وبريطانيا . . الخ

تأليف

مايكل ديفيس

سفير الملكة العربية السعودية بـ لندن



٩٩/١١٩٤٨	رقم الإيداع
977-5797-46-4	I.S.B.N التوزيع الدولي

مكتبة

الطائفة ٥٥ / ٥ / ٥١٧ هـ
رقم ٥٥ / ٧٨ / ٥ - ٥

اهداء الكتاب

إلى شباب العرب الناهض ؛ عدة المستقبل
ومناطق الأمل .

مايكل وهبه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة الطبعة الأولى

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على رسوله الأمين .

في يوم الخميس ٢٣ ربيع الثاني سنة ١٣٤٣ هـ - ٢٧ نوفمبر سنة ١٩٢٤ م وصل جريد الحجاز إلى عظمة السلطان عبد العزيز . وكنا على المألووم^(١) أحد المياه النجدية ، في طريقنا إلى الحجاز ، فرأى عظمة السلطان أن نتقدم زكبه . فتركنا المسكر السلطاني في طريقنا إلى مكة . وكنا : الدكتور عبد الله الدهموي بك وأنا . والشيخ عبد الله السليمان « كسكرتير » وكان الفرض من تقدمنا : أن ندرس أحوال مكة وحاجات أهلها ولقائهم معهم ، وإزالة سوء الأثر الذي تركته حملة الطائف .

كنا نتردد على دار الإمارة ومقر الحكم ، الذي أقام فيه الشريف خالد بن منصور ابن لؤي ، أمير مكة من قبل السلطان عبد العزيز . وكنا نتذاكر معه ونبادل وإياه الرأي فيما يجدر من الشؤون الإدارية . ولقت نظري ما رأيت من أكذاس الورق المهمة في فناء دار الإمارة . فدفعني حسب الاستطلاع إلى معرفة ما نحوها . وما كنت أعتقد أن من بينها أوراقاً ذات أهمية تذكر ، غير أني وجدت الأمر على خلاف ما ظننت .

وجدت السجلات الإدارية للحكومة الهاشمية ، كما وجدت كثيراً من الأوراق السياسية الهامة التي لما علانة بالثورة العربية والحركة العربية في أطوارها المختلفة .

فأريت - خدمة للتاريخ العربي - أن أضع كتاباً أضمت أم الحوادث في جزيرة العرب من سنة (١٣٣٣ - ١٣٥٣ هـ) - (١٩١٥ - ١٩٣٤ م) أضمت هذه الوثائق ومعلوماتي

(١) دعانا عظمة السلطان إلى خيته ليأخذنا في البريد الواسل إليه من مكة من قنصل الدول ومن الأمير خالد بن لؤي . فرأى عظمة جد البحث أن يحمم الركب إلى مكة .

الخاصة في الانقلابات الخطيرة التي حدثت في هذه الحقبة من الزمن . فأكون بذلك قد
فت بشيء من الواجب الحقيقة والتاريخ .

واقدر رأيت — بعد استعراض كثير من الآراء — أن أضرب إلى هذه الفصول التاريخية
السياسية بعض الفصول الجغرافية ، وبضعة فصول أخرى عن عوائد السكان — البدو
والحضر — وطرق معاشهم ، والملاحة والمعارف في جزيرة العرب ، والنهضة الدينية التي
قام بنشرها الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ، وأحيائها في العصر الحديث الملك عبد العزيز
وأحفاده الشيخ محمد بن عبد الوهاب .

كما رأيت أن أضرب إلى ذلك فصولاً أخرى عن الحكومات العربية ، وحكم الأشراف
في مكة ، وآل صباح في الكويت ، وآل خليفة في البحرين ، والصراع بين آل سعود
والأشراف قديماً وحديثاً . لاتصال الحوادث ببعضها ، ولشرح بعض الحوادث الأخرى .
وإني أعترف أن تدوين التاريخ من أصعب الأشياء . فالإنسان قد يتأثر كثيراً بالخيال ،
وقد يكون حبه أو سخطه ذا أثر عظيم فيما يكتب .

ومع هذا فيجب أن أقرر أني لا أرى بتدوين هذا السفر القيام بأية دعوة لأي
شخص ، ولا النيل من أحد . فرائدي الأسمى : خدمة التاريخ والحقيقة ، وكل شيء سيقضي
سوى الحق .

وإني — وإن لم أصل إلى درجة الكمال في البحث ، انقص بعض المستندات التاريخية —
نقدت بما يليه على الواجب نحو الشعب العربي الذي وقفت حياتي لخدمته ، وأبرات
ذمتي نحو الجيل القادم الذي له في رقابنا الشيء الكثير من الواجبات .

وفي الحديث : « من كتم علماً ألجمه الله يوم القيامة باجرام من نار » .
ويجب عليّ أن أذكر هنا مزيد الشكر على ما أسداه إلى أصدقائي من العرب والإنجليز
من المعونة ، سواء بالصور ، أو بإعانتهم كثيراً من الكتب القيمة .
وأسال الله أن يسدد خطانا وبمعصنا من الزلل ؟

مقدمة الطبعة الثانية

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله الأمين



لقد استقبل العالم العربي في مختلف الأقطار (جزيرة العرب في القرن العشرين) استقبالا حماسياً محموداً ، يفوق ما كنت أفدرله . استقبلته الصحف والمجلات — عربية وغير عربية — بالترحيب والإطراء ، وقدرت الجهود المصنفة التي بذلت في جمع الحوادث وتنسيقها ، والمعدل في الأحكام ، وعدم التحيز في التعليق على الحوادث ، والقصد في البناء والنقد .

لقد شغلت جميع النسخ التي طبعت في وقت أقصر مما كان ينتظر لكتاب مثله ، لم يتناول سوى موضوعات تاريخية واجتماعية ، أو قضايا سياسية لا يهتم بها إلا فريق خاص من قراء العربية .

ولكن الحقيقة الظاهرة الباهرة : أن العالم العربي — في العشرين سنة الأخيرة — أخذ يظهر اهتماماً عظيماً بكل ما ينشر أو يكتب عن العرب والعربية ، من شئون سياسية ، أو اجتماعية أو تاريخية أو أدبية ، وساعد على ذلك ازدياد القراء ازدياداً مطرداً بكثرة المدارس وازدياد عدد المتعلمين .

ولقد شجعتني هذه الروح الناعضة وكثرة الرسائل — من الكتاب والساسة — على إعادة طبع الكتاب ، مع إضافة بضعة فصول أخرى في موضوعات لها صلة وشيجة بموضوعات الكتاب . وتسجيل ما جد من الحوادث الجسام في السنوات التي تلت الطبعة الأولى . وأرجو أن أكون قد وفقت لأداء واجبي نحو الأمة العربية التي وهبتها أمز ما أملك ، وهي حياتي .

هنا وأسأل الله الهداية إلى السبيل القويم .

مقدمة الطبعة الثالثة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين . وصلى الله وسلم وبارك على خاتم المرسلين
وبعد ، فإنه ليس لي ما أضيقه على ما كتبته لمقدمة الطبعة الثانية ، فإن نفاذ الطبعة
الثانية وكثرة الطلبات على الكتاب ، اضطررت لإعادة طبعه المرة الثالثة ، وهو إقبال يرجع
إلى الوعي القومي ، ودراسة القراء من الأمة العربية في الوقوف على حالة البلاد العربية واليهودية
وإمارات الخليج الفارسي ، وتطورها في المشر السنوات التي تلت الحرب الأخيرة .
وسأضيف إلى هذه الطبعة فصلا في قصة الزيت العربي . وتسجيل ماجد من الحوادث
في السنوات التي تلت الطبعة الثانية .

وأسأل الله التوفيق والسداد

ما فظ وهبه

القااهرة { جادى الآخرة سنة ١٣٧٥ هـ .
يناير سنة ١٩٥٦ م .

فهرس الكتاب

صفحة

- ١ جزيرة العرب :
 موقها - أجزاءها - مناخها - سكانها - التقديرات الإدارية
 ١٤ الحجاز :
 طبيعة البلاد - الجو - السكان - التجارة والصناعة - مواشها - الأقاليم الشمالية -
 المنطقة الوسطى - القسم الجنوبي - مكة - وصف شامل لها - تاريخ تشييد الكعبة
 ٣٦ هجر :
 موقها - وديانها - سكانها - الزراعة - التجارة - أشهر مدنها - خلاصة
 تاريخية عن حكومتها
 ٤٥ نجد :
 موقها - مناخها - سكانها - الأدوات المحلية والصناعات - إبلان نجد -
 العارض - أشهر بلدان الناض - وادي الدواسر - بلدان الوادي - القصيم -
 أشهر مدنها - جبل فمر - سكانه - المحمولات والتجارة - البلاد المشهورة
 ٦٨ الاحساء :
 الوصف الطبيعي - الجو - أشهر البلدان - لطفوف - البرز - سكان البرز -
 أم عفار المنطقة - نبذة تاريخية - القصيم - أشهر بلدان القصيم
 ٧٦ الكويت :
 حدود الإمارة - الوصف الطبيعي - الجو - السكان - الصناعة والتجارة -
 مقاطعات الكويت - جزر الكويت - بلدان الكويت - خلاصة تاريخية
 ٨٩ إمارة البحرين :
 موقها - الجو - السكان - الصناعات والتجارة - جزيرة البحرين - بلدات
 البحرين - نبذة تاريخية - آل خليفة - الحكومة البريطانية والبحرين
 ١٠٥ الهوامم والوقوع :
 الألقاب - السادة - الكرم - الأكل
 ١١٣ المرأة في بلاد العرب :

الطب في بلاد العرب	١١٨
المعوم والمعارف في جزيرة العرب :	١٢٤
علماء الدين — الصناعات	
قصة البترول	١٣٥
<u>الحكومات العربية :</u>	١٣٨
السياسة الخارجية	١٤٦
أشراف مكة	١٤٨
العرب والترك :	١٥٢
الجمعية الوطنية — جمعية المهد — حزب اللامسكرة — المؤتمر العربي بباريس	
الثورة العربية :	١٥٦
مقررات النهضة — الوثائق المتبادلة في سبيل ذلك	
مؤتمرات الصلح :	١٦٨
موقف الملك حسين من مؤتمر الصلح — الأمير فيصل بباريس — الأمير فيصل في لندن — إعلان الملكية في دمشق	
أثر الثورة العربية في الحرب العامة	١٨٦
الماهدة البريطانية مع الملك حسين	١٩٢
السألة الفلسطينية	١٩٥
العرب واليهود	١٩٨
الملك حسين وجيرانه	٢٠١
ابن سعود والملك حسين	٢٠٢
سياسة الملك حسين الداخلية	٢١٧
وفاة الإمام عبد العزيز — صفات الإمام — سعود بن عبد العزيز — به الخلاف مع المصريين والأتراك — وفاة الإمام سعود — عبد الله بن سعود — أسباب سقوط الدولة السعودية — رأي علماء نجد — أثر الدولة السعودية في نجد — الدولة السعودية الثانية — تركي بن عبد الله — فيصل بن تركي — صفاته — وفاته — الحرب الأهلية بين عبد الله وسعود — اندور الثالث لآل سعود — عبد العزيز بن عبد الرحمن	

- ٢١٥ آل سعود :
- ٢٤٤ ابن سعود والحكومة البريطانية
- ٢٥٠ ابن سعود وجيرانه :
- ابن سعود والكويت - ابن سعود والأشراف - مؤتمر الكويت - دور المؤتمر الأول - الدورة الثانية للمؤتمر
- ٢٥٧ مؤتمر الكويت
- ٢٦٢ غزوة الحجاز والمؤتمر الإسلامي
- كيف نشأت فكرة النزوة - الدول من المؤتمر - فصل المؤتمر - ابن السعود وإمام صنعاء
- ٢٧٧ حياة الملك عبد العزيز الشخصية
- ٢٨١ أعماله الإصلاحية
- ٢٨٥ الإخوان :
- أول مؤتمر للإخوان - فتوى علماء نجد - ابن بجاد يرسل رسالة إلى ابن سعود - الثورة - الدويش يطلب المصلح - مؤتمر خباري واضحة - الدويش في حضرة ابن سعود
- ٣٠٢ الدعوة الإصلاحية في نجد :
- الشيخ محمد بن عبد الوهاب - نجد في أيامها الأولى - ساهم الدعوة الوهابية ؟ - ما ينسب إلى التجديد وم أمراءه - أثر التمسك بالشريعة الإسلامية في الحياة العامة
- ٣١٦ المراجع العربية
- ٣١٧ المراجع الإنجليز
- ٣١٨ ذيل خاص بالوثائق والمعاهدات التي جاء ذكرها في الكتاب
- ٣١٩ الخاتمة

جزيرة العرب

بلاد العرب أو جزيرة العرب كما تعرف عند علماء العرب هي الأراضي المحاطة بحر الهند ، والبحر الأبيض المتوسط ، ثم دجلة والفرات ^(١) . أما علماء التبرج فيجعلون النفود الشالي الدسل بين نجد الشامية ، وسمراء سوريا هو الحد الطبيعي لجزيرة العرب من الشمال يبلغ متوسط عرض الجزيرة ٧٠٠ ميل ، ومنتهاى طولها ١٢٠٠ ميل ، وتزيد مساحتها عن مساحة الهند ، وبلاد العرب من البلاد القليلة التي حاطت على تنالدها وعاداتها وطرق معاشها منذ أقدم عصور التاريخ ، وإن ما انتابها من التغير لا يكاد يذكر ، وذلك بسبب العزلة التي يفصلها العرب على كل شئ سواها

وحزيرة العرب مشهورة بصحاريها الواسعة ورمالها التي يقصر الطرف عن مداها ، وتشغل هذه الصحاري قسماً كبيراً من مساحتها

وأهم هذه الصحارى : الدهناء ، النفود ، الصحراء الجنوبية أو سمراء الربع الخالي ، وهذه الصحارى وإن كانت رملية إلا أن تربة بعضها حصبة بحيث تصبح بعد الأمطار من أفضل المراعى للحيوانات ، وقد احترقا الدهناء بضع مرار من الشمال فقطعاها في ١٣ ساعة على الإبل ، ومن جهة الأحياء فقطعاها في ست ساعات ، كما أنى قطعت النفود من بعض نواحيه من جنوب الزلفى إلى شقراء وهو أشق من عور الدهناء ، وقد قطعت الدهناء بالسيارة في ثلاث ساعات

أما اليوم فالجزيرة العربية تقطع من حدة على البحر الأحمر إلى الطهران على الخليج الفارسي في نحو أربع ساعات بالطائرة

وليت طبيعة التربة في الدهناء والنفود متجدة من كل وجه ، نهك بعض الجهات لا ترى فيها غير الرمال المرتفعة التي تركاد تبطل مرة لموتها وعدم تماسكها ، فيتجنبها المسافرون ابتقاء سلامة أرواحهم وأموالهم

ويوجد ببلاد العرب هضاب يبلغ ارتفاع بعضها أكثر من ثمانية آلاف قدم في شمال

(١) يسميه العرب بحر الشام . بالقوت : جزيرة العرب ، والقاموس : مادة جرر

وجنوبي منطقة البحر الأحمر - مدين والين - أما قلب الجزيرة فالارتفاع فيه تدريجي - فسوى البلاد في نجد يبلغ حوالى ٢٥٠٠ قدم . فيما يصل في بعض الجهات كأجا في الشمال إلى حصة آلاف قدم ، وفي نهاية الجيوب الشرقى توجد هضبة عالية يسكون منها الجبل الأحمر ، وفي الوسط الشرقى يوجد مرتفع طويل يقابل الغرب يسمى جبل طويق ، ويبلغ ارتفاعه نحو ٦٠٠ قدم

الوديان

لا يوجد في بلاد العرب أسهار بالمعنى المعروف ، ولكن بعض بحار أو هيرات صغيرة دائمة في عسير والين وجهات عدن والأحساء ، وعُمان ومجد ، ووديان لا عداد لها مما تجرى فيها المياه إنان المطر ، وهي في السلب طويلة وغير حميئة . وأطول هذه الويان وادى الرمة الذى يبدأ قريباً من المدينة ويمر في القسم ، ثم إلى شط العرب . وادى حنيمة الذى يبدأ من منحدرات جبل طويق الغربية إلى انحاء الخليج الفارسى (وهو لا يصل إليه) فهذان الوديان يمكن أن يُحسّر محراهما أثناء فيضاتها الواسع . والوسط بدون صموية ، وهما يحفظان الماء في باطن محراهما ؛ حيث يمكن الوصول إليه عن طريق آبار تختلف أعماقها باختلاف المكان ، وفي بعض الأماكن كما في القسم (وادى الرمة) والمخرج وودى حنيمة تعلو المياه سطح الأرض ، وهالك تتكون سلسلة من الواحات

أما الوديان التى تتبعه نحو البحر الأحمر ، فإنها ذات مجرى أعمق وأكثر انحداراً ، وهي نكاد تكون مدمومة الفع وهي عميقة في سبيل المرور من الشمال إلى الجنوب ، وهي لا تكون واحات مثل مياه الأودية الأخرى بسبب ما تجلبه المياه في انحدارها من الأتربة وغيرها مما يترام بعضه فوق بعض بسرعة ، بحيث لا تستطيع حرارة الشمس أن تؤثر في صلابته . ووديان غربي الين ومنطقة قسم البحر الأحمر من هذا النوع - من مدين إلى حضرموت

المناطق الداخلية الخصبة

بين الصحارى المترامية الأطراف ، وبين الأودية والمنحدرات توجد مناطق خصبة عاصرة بالسكان ، وتجدد بقسط من حاجات السكان الضرورية وأهمها :

١ - جبل ثمر :

هو إلى جنوبى المدود الشمالية ، وتمحدر إليه المياه من جبل طى الشيرين « أجا
وسلى » اللذين يمتدان من الجنوب الغربى إلى الشمال الشرقى
وتشغل مدينة حابل ، ومدينة قيد^(١) القديمة ، وعدة قرى أخرى صغيرة وكبيرة فى
المنطقة المجاورة لسلطى الجبال

٢ - القصيم :

واقعة إلى ما بعد المحدثات فى جنوبى حل ثمر ، فانقسم المنخفض تررع خصوبته
إلى المياه الموحدة فى باطن الأرض باستمرار ، وإلى المياه التى تفيض عليه أحيانا من
وسط بحرى وادى الرمة . وتمتد منطقة القصيم فى خط يبلغ طوله أكثر من مائة ميل ،
تتحاله بعض أئنة المدود وتتصله عن بعضه . وفى هذا الخط تقع أكبر مدينتين تحاريتين
فى قلب الجزيرة ، وهما : عنيزة ورَبِدة ، وهما هاتين المدينتين يوجد أكثر من حين
بلدة كبيرة وصغيرة

والقسم المرتفع غنى بمراعيه الواسعة ، ويعتمد على الآبار التى توجد فى أكثر من
أربعين بلدة

٣ - نجد :

وهذه بلا نزاع أكبر مجموعة من المناطق المحصنة ، وتبلغ مساحتها بما فى ذلك بعض
المحدثات أكثر من عشرة آلاف ميل ، وهى تتكوّن من سلسلة مناطق واقية عند
أطراف جبل طويق ، وتمتد سلسلة من البلدان والقرى من سدير فى الشمال وتنقعى فى
الجنوب إلى وادى الدواسر ومحرومة المناطق المحصنة تحيط بها الدهناء شرقا وجنوبا ،
والنفود ، والمحدثات من الشمال ، ومحدثات من الغرب . ومنطقة الحصوية أوسع على
جانب شاطئ البحر الأحمر وفى الجنوب الشرق ، وفى الشرق تجدان هذه الحلقة رقيقة

(١) انظر ياقوت

وتفصلها حواجز واسعة ، ثلاث شاطى* الخليج الفارسي من الكويت إلى القطيف أرض
حرراء ، وبعد ذلك تبدأ سلسلة عيون في الساحل حيث منطقة الأحساء ؛ ولا يوجد على
الشاطى* إلا مناطق صغيرة قليلة المحصورة . ومن نقطة رأس الجبل تبدأ عُمان التي تنحدر
إليها المياه من مرتفعات الشاطى* الشرق وجبال عُمان عرماً ، كما يرل الطرفها في وصول
معينة . كذلك الجبل لأحصر أمد على الشاطى* تجاه رأس الحد . وكذلك في المنطقة
الواقعة شمالاً خلف شاطى* البيطة توجد وديان حصنة وغنية وسلسلة عريضة من الأراضي
الخصبة ؛ وفي الجنوب توجد الصحراء ممتدة على طول الشاطى* حتى رأس الحد . ولكن
لما كانت الأرض تأخذ في الارتفاع تدريجياً تجاه خط تقسيم المياه الفري ، فإن ودياناً
وأرضاً خصبة تبدأ في الظهور ولكنها غير متصلة . وبعد عبور مدخل وادي حضرموت تأخذ
الأرض الخصبة في الظهور بشكل متقطع

ومن مدخل وادي حضرموت فصاعداً يعتبر القسم الفري من شبه الجزيرة ، ونجد
أما هنا عند ما ندور حول الزاوية الجنوبية الغربية للجزيرة منطقة ساحلية منخفضة خصبة
في المواضع التي تنحدر منها الوديان من المرتفعات . ويوجد وراء هذه المرتفعات مرتفع
خصب (مُتَعَمِّمًا ٧٥٠٠ قدم) ، تكتنفه جبال عالية هي خط تقسيم المياه ، وتمتد هذه
الناطق الخصبة إلى ٢٠٠ ميل من الشاطى* الفري . ثم تأخذ المنحدرات تتلانى حتى
تخفى في الربع الخالي . وهذه المنطقة هي ما كان يطلق عليها قديماً العربية السعيدة ، والتي
يطلق عليها الآن اسم اليمن ، وعدن والمكلا من جهة ، وعسير من جهة أخرى . وعلى
أية حال فإن المحصورة تنتهي عند مدينة البث على شاطى* البحر الأحمر . ومن هذه النقطة
شمالاً لا تشمل رياح المونسون هذه المنطقة ؛ ومن هنا تبدأ مناطق الواحات المنخفضة عن
بعضها وعليها قوام حياة السكان . وفي بعض المنطقة الواقعة بين مكة والمدينة يوجد بعض
مناطق خصبة صغيرة في باطن بعض الوديان ، وإلى مائة ميل شمالاً من المدينة تنتهي سلسلة
الناطق أو الواحات المنخفضة بمنطقة خيبر والملا . أما بالنسبة للشاطى* من حدة فليس فيه
إلا مداخل الوديان التي عند ما تنحدر فيها المياه وتختل باطن الأرض تمكن بعض
السكان من حفر آبار للارتواء

الجو

يعتبر الجو في الجزيرة على العموم ، ما عدا بعض نقاط على الشواطئ صالحاً للحياة — فالحرارة التي تشتد سهاراً والبرودة التي تشتد ليلاً تقتل أغلب الميكروبات التي تحارب بنى الانسان في جهات أخرى ؛ والحياة على وجه العموم في الجزيرة ، وبالأخص في المناطق النخضة طويلاً ، ولكن حياة البدو الرحل الذين يعيشون على المحدثات شائعة تقصر الأهل ، وكذلك الحال في هصة اليمن التي يبلغ ارتفاعها ما بين ٧ — ٨ آلاف قدم والشيء الذي يميز الجو في الجزيرة هو الجفاف ، فإن بلاد العرب واقعة بين البحار . ومع هذا فليس لها أى أثر في جو الجزيرة ، وتستمد اليمن من رياح الموسون في الصيف ويبرز في عمان قدر كاف من الأمطار بينما المنطقة الواقعة إلى غربي خط تقسيم المياه لا ينزل فيها المطر إلا نادراً

أما باقي الأقسام فإن أكبرها سطا من المطر يعود الشمال وجبل شمر ، والأمطار تهطل في الشتاء ، وكذا رياح البحر الأبيض المتوسط تسبب المطر فتنبت أعشاب الربيع . وأما الصحراء الجنوبية فرعاً لا يصيبها الرّذاذ ساعة واحدة كل ثلاث أو أربع سنوات . ومن طواهر الجو أيضاً في الجزيرة الحرارة : فالنصف الجنوبي من الجزيرة تبلغ الحرارة فيه نهايتها في شهرى يوايو وأغسطس . أما تأثيره في الإنسان فيحسلف تبعاً لارتفاع المنطقة التي يعيش فيها

وأشد المناطق حرارة شاطئ عمان ونهامة اليمن ، ولكن الجو في شاطئ الخليج والمحيط الهندي ليس طيباً

السكان

عديم — الحضرة والبدو

لم يصل إحصاء السكان في جزيرة العرب ، ولذا لا يمكن معرفة عديم بالضبط ، وإذا قلنا إن عدد السكان لا يقل عن سبعة ملايين ، فربما كما إلى تصواب أقرب . وهم موزعون في مناطقهم كما يلي :

ثلاثة ملايين في منطقة البحر الأحمر من مدين إلى اليمن ، ومليون ونصف في المنطقة الحبوبية والساحل البحري ، بما في ذلك حضرموت وعمان ومليونان ونصف في وسط الجزيرة

الحضر

إن كثرة ارتحال القبائل وغزواتها العديدة ، ترك عند الناس فكرة خاطئة عن عدم وجود مدن وبلاد في جزيرة العرب ومناطق زراعية ، وكثير من الناس لا يعلم بوجود مدن سوى مكة والمدينة وجدة وصنعا

إن المناطق الساحلية في الجنوب والشرق والجنوب الغربي من الجزيرة أراض زراعية أهلة بالقرى والمدن ، والأهالي يشتغلون بالزراعة والتجارة ، ويوجد علاوة على ذلك مستعمرات أو واحات عديدة في وسط الجزيرة ، يتجاوز سكان الواحدة منها سبعة آلاف نسمة ، وهذا عدا الأماكن الأخرى المبعثرة الملوثة بالسكان . وبما لا شك فيه أن حياة الحضر في داخل الجزيرة متأثرة إلى درجة ما بحياة البدو الرحل لانتقال التريقين في كثير من المراتق ، فإن التريقين كثيراً ما يتصلان بالمعاصرة والتجارة

والحضر تختلف طبائعهم باختلاف المناطق التي يعيشون فيها ، وظروف الحياة التي تحيط بهم ، فأهل حائل أقرب مظهرًا إلى البداوة ، وأهل مكة والمدينة واليمن النائية أبعد مظهرًا عن البداوة من البلاد الأخرى العربية ، وأهل القصيم ألين عريكة من أهل العارض ، لأنهم كثيرو الأسفار ، كثيرو الاختلاط والتعامل مع البلاد الأخرى كالشام وفلسطين ومصر ، ولذا نرى موطنى ديوان الملك المسكنين بالمقالات والتشريدات من أهل القصيم أو حائل

وأهل الرياض أرق بكثير من أهل الدواسر الذين لم يعارقوا بلادهم ، ولم يعرفوا شيئًا من أحوال العالم الخارجي

والحضر في تناسل وتفاخر دائم ، فأهل القصيم يفضلون أنفسهم على ساكني نجد بالعلم والمعرفة وسماحة الخلق والإحاطة بأحوال العالم . وأهل العارض يفضلون أنفسهم

بالشجاعة والعبر على السكرة والمخاطبة على شياثل العرب وأهم جند التوحيد الموالون
لأهله في أوقات الشدة

وأهل البحرين يغاحرون أهل الكويت بكرمهم فيقولون : إذا حضر عندنا الكويتي
دعواؤه ودعائه ولم يقل له عذراً ؟ ودعواؤه معه أصداؤه ومعارفه . أما الكويتي فإذا
قالك في بلده قال لك مرحباً ! متى الوصول ؟ كيف حالتك ؟ في أمان الله ! ثم انصرف .
وإذا لم يجد مفرّاً من لدعوة لرواط العمل والصدقة المينة فإنه يدعوك ويشتري اللحم
من السوق ، أي لا يذبح لك الحروف

وأهل الكويت من حمة أخرى يرمون أهل البحرين بالسلطة ؛ وحصر محمد
ودوم يتلون من أهل الكويت والإحساء والبحرين ، ويقولون تمد أصابعاً مفسرة
العرب ، لا يعرفون الخيل والجل ولا السكر ولا الهر ، ولا يحسنون إلا قيادة الحرس
والخضر يبيع بعضهم مصفاً بآلاتهم ، وربما كانوا يحمين على الليل من لحة أهل
الإحساء والبحرين لما فيها من الرخاوة وليل إلى الأمانة

ويقلب على الحصر الخلق التجاري ، وبعض الجهات يماز عن بعض في هذا الخلق ،
وأهل الذهب والراي وشقرا أنشط من أهل نجد في التجارة ، فقوامهم تقصد سائر الجهات
العربية ، وتجارهم كثيراً ما يسافرون إلى الهند ومصر في سبيل التجارة ، والتجار النجديون
المروءون في الهند ومصر والعراق من أهل هذه البلاد . أما أهل الكويت فنشاطهم في
التجارة البحرية ، وقد كانت لهم أساطيل بحرية في سبيل نقل الحاصلات العربية إلى الهند
ومرض سواحل الخليج الفارسي وحلب السبع الهندية ولأوروية إلى بلاد العرب ؛ وقد
نفت السفن البحرية على هذه الأساطيل وثقت من أهميتها ، ومع ذلك فلا تزال للكويت
بعض السفن تشل عليها تمر العراق في الهند ، وفي من الهند حاملة الأرز وأدوات السفن
وسائر الحاحيات الأخرى . أما في فصل الصيف فتكاد السفن تقتصر على النوص
لاستخراج اللؤلؤ

ويبرز الحضر أولادهم على التجارة من الصغر : يمنح الوالد ابنه الصغير مبلغاً من المال
لتعامل به تحت إشراف أبيه وإرشاده ، وكثيراً ما يشارك الوالد ابنه في بعض السلع التي يراها

رابحة ، فشبب الفتى وقد مرى على الأعمال التجارية وشعر بكثير من المسؤوليات ووقف على الطرق التي تدر عليه القود وعرف المشقات والصعوبات التي قد ستعرض التاجر والتي عاهاها أهوم ، فإذا مات رب العائلة حل محله ابنه الذي لم يصحح غرباً في محيطه الجديد ويصاب إلى حضر الجزيرة — وعلى الأخص أهل خليج فارس — التعاون التجاري سواء بين الأهالي بعضهم مع بعض أو بين الأسراء والأهالي ، فمن التعاون المألوف في الكويت أنت يدع تحار لؤلؤ يعودهم بعد يمه عند أصدقائهم في التجارة لاستناره على مسئوليتهم الخاصة . وحكام الكويت : جابر وسالم والشيخ الحلبي له مبالغ طائلة عند رعاياه التجار لا يتقاضى من ورائها ربحاً أو فائدة ؛ وقد كان حكام البحرين كاحسانهم حكام الكويت عند ما كانت يدم مطلقاً في شئون البحرين الداخلية والمالية . وحكام نجد وتطر لم مثل هذه الأيادي على رعاياهم البدو

أما البدو فهم القبائل^(١) الرحل المنفلون من حبة إلى أخرى طلباً للرعى أو الماء ، والطبيعة هي التي تجبر البدوى على الملاحظة على هذه الحياة

وحياة البدوى حياة شاقة مضنية ، ولكنه وهو متنع بأ كبير قسط من الحرية يفضلها عن أى حياة مدبنة أخرى

هذه الحياة الخشنة هي التي جعلت القبائل يتقاتلون في سبيل الرعى ولقاء ، وهي التي جعلت سوء الظن يغلب على طبائعهم ، فالبدو يطر إلى غيره نظرة العدو الذي يحاول أخذ ما بيده أو حرمانه من الرعى

إن البدوى في الصحراء لا يسه إلا المطر والرعى ، فأزته الحقيقية المحباس المطر وقلة الرعى ، ولا يزال بما يصيب العالم في الخارج ما دامت أرمه محضرة ، وبميره سميماً وغنمه قد اكتنزت لحماً وقد طبقت شعاً

أما إذا نما السكان وضائق بهم الأرض أو لم نجد أراضيهم بالرعى ، فليس هناك سبيل إلا الزحف والقتال ، أو الهجرة إن كان هناك سبيل إليها ، وكذلك القبيلة التي غلبت على أمرها وحرمت من سراعها وأراضيها ، ليس أمامها سبيل آخر سوى الهجرة ،

(١) سكب صلا في الجزء الثاني عن القبائل العربية وأسابها وأماكن إقامتها .

وهذا يفسر الهجرة من وقت لآخر إلى العراق وسوريا ومصر واستعمار الجزء الشالى العربى من أفريقيا ، وتدفق شمر إلى ما بين النهرين ، وقبائل عيرة إلى العتاد ، فكلها نتحة تغلب غيرهم عليهم من القبائل ، واضطراهم إلى ترك أراضيهم التى لم يعد لهم مدبل فى الإقامة بها لضيق وسائل الحياة .

ومن الحوادث النادرة فى القرون الأولى ، التى نشه ما يجرى فى بلاد العرب من وقت لآخر إغارة الساميين على مابل ، والكشمايين على سوريا ، والفكسوس على مصر والمبرانيين على فلسطين .

لقد كان الدوقبل أربعين سنة فى غارات وحروب مستمرة ؛ كل قبيلة تنتهز الفرص للإغارة على جارتها لسهب مالها ، وتعدد الإمارات وتناحى الأمراء وتخاصمهم مما يشجع البدوى ولهذا كان المصيبة قيسنها فى بلاد العرب — فالإنسان يقوى بأبنائه وأبناء عمومته الأخرين والأعدىين ، وإذا كانت المصيبة صمينة أمكن تقوية القبيلة بالتعاضد مع سواها حتى يقوى الفريقان ويأمنوا شر غيرهما من القبائل القوية .

وقد جرى العرف أن القبائل تعتبر الأرض التى أعادت رعيها ، والياه التى اعتادت أن تردعها ملكا لها ، لا تسمح لشعبها من القبائل الأخرى بالدخول منها إلا بإذنها ورضاها ، كثيراً ما نأس إحدى القبائل من نفسها القوة فتتهجم بلا سابق إنذار على قبيلة أخرى ، وتنتزع منها مراعيها ومياهها .

إن قبائل العرب ليسوا كلهم سواء فى الشر والتعدى على السابلة والقوافل ، فبعضها قد اشتهر بأسره بالكرم والسماحة والترفع عن الدنيا ، كما اشتهر بعضها بالتعدى وسفك الدماء بلا سب سوى الطمع فى فى أيدي الناس .

ومع أن الدين الإسلامى أطل كثيراً من المصنيات القديمة وأحل محلها الأخوة فى الدين (لا تحذ قومًا يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حادَّ الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم) فقد عادت المصنيات بشروطها فى بلاد العرب مرة أخرى . والتفضل الآن فى استنباط الأمن والضرب على أيدي المفسدين يرجع إلى المرحوم الملك عبد العزيز وسهره وإقامة أحكام الشريعة ، وسرعة تنفيذها .

ليس للبديوي قيمة حربية تذكر؛ ولذا كان اعتماد الأسراء على الحصر، بهم الذين يصعدون لقتال ويصبرون على بلائه ولوائه . وكثيراً ما كان البدو شرّاً على الأمير المصاحين له ، فإن ذلك الأمير إذا ما دلت منه المزية كانوا هم الباذئين بالهيب والسلب ؛ ويحسون بأنهم هم أولى من الأعداء المحاربين ؛ ولقد جرى كثير مثل هذا في الحرب الأنجليزية العراقية مما كان يدهش له الصباط الإنجليز ، لأنهم لم يعرفوا أن صديقاً يهيب صديقاً ؛ واسكن الدية لا تعرف شيئاً غير الهيب والسلب ، وعندها العيبة مقدمة على كل شيء . - والبدوي لا يرى حياة أسعد من حياة النادية ، ويرى المحاصرة حبساً لحريته ونقله حيث يريد ، كما أن أهل الحاضر يرون الدواة شقاء لا يبعد لها شقاء ، ويصفون البدو بأنهم حفاة غلاط القلوب .

والبدوي إذا لم يجد سلطة تردعه أو تضرب على يده يرى من حقه هب النفاذ والرائع ، فاللق عندده هو القوة يجمع لها ، ويجمع غيره بها . على أن لمزلاء نواعد له دية معتبرة عسدهم كقوانين يجب احترامها ، فالتوائل التي تمر بأرض قبيله وليس منها من يحميها من أراد هذه القبيلة معرضة للهيب ، ولذا فقد اعتادت التوائل قديماً أن يصحبها عدد غير قليل من القبائل التي ستر بأرضها ، ويسمون هذا رقيقاً .

والبدوي يحقر الحضري مهما أكرمه ، كما أن الحضري يحقر البدوي ، وإذا وصف البدوي الحضري فإنه في العتاب يقول . حُصيرى تصغيراً لشأنه .

ومن عادة البدوي الاستغناء عن كل شيء ، واعتقاد ما يراه مخالفاً لقوته أو امادته بكل هراقة ، فإذا صررت بالبدوي في الصحراء استوفتك وسألتك من أين أتت قادم ؟ وعن وراك من المشايخ والحكام ؟ وعن المياه التي صررت بها ؟ وعن أخبار الأمطار والرمحي ؟ وعن أسرار الأغذية والتهوة ^(١) ؟ وعن في البلد من القبائل ؟ وعن العلاقات السياسية بين الحكام بعضهم وبعض .

ومع أن البدو قد اعتادوا الهيب والسلب ، فإنهم كثيراً ما يفنون عن أهل العلم خوفاً من غضب الله عليهم ، وبعض البدو لا يخلف كاذباً مهما كانت النتيجة .

لقد شاهدت كثيراً من القضايا في الأحساء وغيرها كان البدوي ينكر إذا وجد مخلاً للأنكار ، وبفلت بمهارة من الإجابة عما يسأل ، ولكن إذا وجه له البين وكان لا مفر له اعترف بحرمه إذا كان مذنباً ولا يحلف بالله كاذباً ، وهذا أمر يدعو إلى القرامة والإكبار أيضاً ، فإنه يدل على شعور عميق بالخوف من الله ، وإن هذا الشعور إذا أحيط بالساية والرعاية ، فإنه ربما يوجه إلى الخير ، أو على الأقل إلى الاقتلاع عن الشر

وقبائل نجد على العسوم لا يزال فيهم الكثير من الصفات الطيبة التي اشتهر بها العرب الأقدمون : يعرفون حقوق الصحة والرفقة ويشرب معهم على المعروف ، فلا تسع في نجد أن جمالا قتل رفيقه في السفر كما اعتاد الناس أن يسموا في الحجاز

وليس أعدل من البدوي في تقسيم النعمة حتى قد يتلفون الشيء تحريماً للعدل يقسمون السجادة بينهم كما يقسمون القميص أو السرورال ، كل هذا إرضاء لضيائهم ودفعاً للطم . إنهم يعرفون الحيام حق المعرفة لأنها بيوتهم التي يعيشون فيها ، ومع ذلك فهم يقسمونها مراعاة للعدل — أما الإبل والضم فإنهم يقسمونها إذا أمكن القصة ، أو يقومونها بشئ إذا لم يكن هناك سبيل لقصة

والدولا يفهمون الحياة حق الفهم كما يفهمها الحضري ، لا يفهمون البيوت وهندستها ، ولا يفهمون فائدة الأبواب والنوافذ الخشبية ، حتى إن البدو الذين كانوا في جيش الملك حسين في الثورة العربية كان علمهم بعد الاستيلاء على الطائف نزع خشب النوافذ والأبواب ، لالبيها والانتعاع بشئها بل لاستعمالها وقوداً إما للقهوة أو الطبخ أو التدفئة ، وبدو نجد قد فعلوا مثل ذلك تماماً ، فعندما أسكت الحكومة بعض القبائل شكة حرول ، اكتشفت الحكومة أن النوافذ الخشبية والأبواب تنقص بالنفديج ، وأنها اسملت للطبخ وتحضير القهوة فأخرجهم جلالة الملك توا من الشكة وأسكن الحضري فيها ، والحضري بطبيعتهم يفهمون ما لا يفهمه حملة البدو عن النوافذ والأبواب

والبدو مهارة عظيمة في اختفاء الأثر ، وكثيراً ما كانت هذه المعرفة سبباً في اكتشاف كثير من الجرائم ، ولا نكاد نخلو قبيلة من طائفه منهم ، وأشهر القبائل براعة قبائل آل مرة ، ولم تقصص كثيرة لا تخلو من المبالغة ، فانهم يزعمون أن الخليفة من الخيرة

ما يمكنه من معرفة الذكر والأنثى ، والبكر والتب ، والحامل والحائل

والقبائل العريقة المشهورة من حصر وبادية تحاط على أساسها تمام الحفظه وتحصر عليها كل الحرص ، فلا تصاهر إلى من يساويها في النسب ، والقبائل المشكوك في نسبها لا تصاهرها أحد من القبائل المعروفة

أما حكام العرب فيترفعون عن سائر الناس حضرم وندوم ، لا يزوحون بناتهم إلا لقرابهم . أما هم فيتروحون ممن يشاءون ، وطلقات الحكام يترفع بعضها عن بعض : الأشراف يرون أنفسهم أربع الخلق بنسبهم ، وآل سمود يرون أنفسهم أربع من الأشراف ، وأربع من سوام من حكام العرب الآخرين ، ومع أن العرب المحفوظة أساسهم كلهم أكفاء لبعض ، فلا تزال أمثال هذه العادات متصلة في البادية أكثر من الحاضرة

وهنا ترى الروح الصحيحة البدوية التي لا تمك شروى تغير ثرنس الزواج من غنى لأنه ابن صاح أو أمه من سلالة السيد ، أو لأن نسه القبل يحوطه شيء من الشك ، فسلطان المال لا قيمة له عند العرب . ومع وجود هذه الروح الاستقرائية التي تتجلى فقط في الزواج ورعاية القبيلة والحكم ، فإنه لا يكاد يوجد مارق في طرق المعيشة الأخرى ، فالعرد وشيخ القبيلة والأمير يأكلون جميعاً الأرز والقمح واللب والتمر ، ويلبسون جميعاً الثوب والمباعدة والمقال والنمتر (الكوفية) ، ويتمتع أفرادهم بحرية لاحد لها ، فالبدوى تقف أمام الحاكم فيجادل في سبيل حقه (ويستعمل كل الأساليب التي يراها موصلة إلى ما يريد

التقسيمات الإدارية

يجمع العرب وحدة اللغة والدين والنسب أيضاً ، وهم إن اختلفوا في بعض العوائد وفي نظام المعيشة ، فهالك صفات عامة وسجايا تكاد تكون مميزة للشعب العربي

أما اصطلاح القدماء على تقسيم البلاد العربية إلى خمس ولايات أو مناطق : الحجاز . نجد . اليمن . تهامة . الحجازة . . . ولكن حدود هذه الولايات موضع اختلاف الباحثين بين القدماء ؛ وكما قدمنا أن العرب بالرغم من تعدد إماراتهم وتنازعهم فيما بينهم ، فإن

هذا كله لا يقضى على ما بين الشعب العربى من مميزات الوحدة ولا سيما اللغة والدين
وكثيراً من الصفات الأخرى

أما الحوادث التى ستعرض لها هى خاصة بالحجاز ونجد وملحقاتها ، أو ما يطلق عليه
اليوم البلاد العربية السعودية ، والكويت والبحرين على التلخيص القارسى . والحوادث
التي وقعت في هذه البلاد في الأربعين سنة الأخيرة هي أهم الحوادث في التاريخ العربى
الحديث ، فقد غيرت الحالة العربية عما كانت عليه تماماً قبل الحرب العامة الأولى ، ووجدت
للغرب شخصية دولية محترمة يرعاها الآن الملك سعود بن عبد الله العظيم المرحوم الملك عبدالعزيز

الحجاز

يقع الحجاز من جزيرة العرب في ناحيتها الشمالية والغربية ، وهو يمتد من معان ماراً برأس خليج العقبة إلى نقطة بين أليت والتفدة^(١) على شاطئ البحر الأحمر . أما حدوده من الجهة الشرقية فلم تكن معروفة تماماً ؛ بل كانت تمتد وتتقلص تبعاً لقوة الأتراك والأشراف ، ومبلغ سيطرتها على البلاد

وفي البداية يطلقون الحجاز على المنطقة الجنوبية الطائف ، فإذا قالوا : إن هذا البدوي حجازي ؛ يمتنون أنه من جنوبي الطائف ، وهذه التسمية لها وجه ؛ فإن جبال السراة الممتدة من اليمن إلى الشمال هي حجاز ؛ بمعنى أنها فاصلة بين المأور وهو تهامة وتجد والمساحة التقريبية للحجاز تبلغ زهاء ٧٠٠ ميل طولاً (من الشمال للجنوب) و ٢٥٠ ميلاً عرضاً (من الشرق للغرب)

طبيعة البلاد

تشكون الحجاز من عدة مناطق طبيعية محاذية بعضها البعض وهي :

١ - المنطقة الساحلية : الممتدة بمحاذاة شاطئ البحر الأحمر (تهامة) ، وتحفها شعاب مرجانية

٢ - منطقة جبلية ، البية : تأخذ في الانخفاض التدريجي حتى تصل إلى ما بين جدة ومكة ، إذ لا يزيد ارتفاعها هناك عن ألفي قدم

٣ - منطقة صحيرية : (واقعة بين جبال) مرتفعة جداً في الشمال ؛ ومغطاة بالحجر (الساتل البركاني) من التويز ، ولكنها تأخذ في الانخفاض في اتجاهها للجنوب ؛ فيصل ارتفاعها في غربي مكة والطائف إلى نحو ألف قدم^(٢)

(١) في الحرب المجازية الأخيرة خست البقية ومعان إلى شرق الأردن ، ولكن الحكومة العربية السعودية لم تنترف بهذا القسم ، واعتلت مع الحكومة البريطانية ساحة الانتداب على شرق الأردن على حل هذه المشكلة بالتفاوضات السياسية .

ولم تتر الحكومة العربية السعودية موضوع العقبة ومعان بعد إعلان استقلال الأردن فإن وجود إسرائيل كآلة لإزالة أي خلاف بين العرب فإن خطر إسرائيل يهدد الجميع على السواء .

٤ — الأمنود الرئيسي : الأجزاء المرتفعة منه مغطاة بالحتم كما هو الحال في الحزمة الموزيخ ، حَيَّزَ (٦٠٠٠ — ٨٠٠٠) ، ولكنه لا يزال محفوظاً يرتفع لا يقل عن خمسة آلاف قدم خلف مكة

٥ — المنطقة الرئيسية : وهي أعلى حافة السحدر الشرق في اتجاه قلب الجزيرة ، في المنطقة الأولى والثالثة تقع المدن الآهلة بالسكان ، فيفاء السقية والمُويلج والوجه ، وأملج ، ويَنْجُج ، ورابع ، وجدة ، واللبث واقعة في المنطقة الأولى وميلاء الملا ، والمدينة ومكة واقعة في المنطقة الثالثة

ويوجد في الجبار واحات خصبة متفرقة هنا وهناك ، وهي على الأغلب واقعة على حط بين المنطقة الرابعة والخامسة ، ومنها الحائط ، والخويط فذلك وخير والحيّاكينة ، والطائف ، ووادي قاطمة (مر الظهران) ، وأصفراء

الجو

إن كميات المطر التي تنزل في الجباز قليلة وغير كافية بالمرة ؛ ولهذا فإنه يكاد حمية يكون قاحلاً ؛ إلا حيث توجد الواحات . وفي الطائف بحاسة في الجيوب لا توجد أمطار دورية تنزل فيه ، كما هو الحال في عسير واليمن

ودرجة الحرارة في أجزاء الجباز الواطئة أخف سها في تهامة اليمن ؛ ومتوسطها هو من ٨٠ — ٩٠ ° ف ، والهواء رطب ، وطراً لأن مكة منخفضة الارتفاع (٧٠٠ — ٨٥٠ قدماً) ومحاطة بمرتفعات صحيرية حرداء ؛ فهي شديدة الحر صيفاً ، بخلاف المدينة ؛ فإن درجة الحرارة فيها لا تزيد عن ٧٠ وهي الدسح

والطائف أحسن بلاد الجباز قاطبة ، جاف الهواء — والمرتفعات فيها وراء مكة والطائف جوها بارد

السكان

يمكن تقدير عدد سكان الجباز : بدو وضر بنيون نسمة ونصف ؛ منهم يشتغلون بتراعة أو يقيمون المدن ، والثلاثان قبائل متقلة

التجارة والصناعة

تكاد تنحصر التجارة في الحجاز بما يحتاجه القاصدون للبلاد المقدسة من الحاجيات ، وكلها ترد إلى الحجاز من الخارج . ويصدر الحجاز بعض حاصلات من التمر والخلود والحناء والصنع والسكها قليلة جداً بالنسبة للواردات وتزد المصانع من كل الجهات إلى مكة التي تعتبر أهم مركز تجارى في قلب الجزيرة ؛ نظراً لموقعها الجغرافى والدينى

وتعتبر جدة اقربها من مكة أهم موانى الحجاز . وفي غير موسم الحج تستغل جدة بالتجارة مع سوريا والمند ومصر ؛ وأمريقيا وبريطانيا ، ومما لك جنوب أوربا . وإلى جدة يصل أكبر عدد من الحاجج ، ومنها يقضون أغلب ما يلزمهم في سفرهم إلى مكة وشركات البواخر التي تمر بميناء جدة في الوقت الحالى هي شركة مصر للملاحة البحرية ، والخليوية ، والإيطالية ؛ وهناك شركات أخرى تمر بواخرها كلما مست الحجة ينبع :

هي الميناء الثانية للحجاز ، ومنها يصدر للداخل جزء غير قليل من التجارة مع أواسط الجزيرة . وهي الميناء الطبيعية للمدينة المنورة وما جاورها ، وتمر على الميناء الدواخر السابقة المدينة :

وتسمى طيبة أيضاً ، هي العاصمة الأولى للمسلمين في عهد الرسول وخلفائه الثلاثة ، وهي معقل الإسلام ، وبها قبر النبي صلى الله عليه وسلم ، وثرائها لمدينة ومركزها في الحركة الإسلامية الأولى فصلها بعض الدماء على مكة تبعد المدينة عن ينبع ١٣٠ ميلا ، وعن مكة ٣٠٠ ميل تقطع بالليل في عشرة أيام ، وبالسيرة في نحو ثلاثين ساعة وتقطع الساعة بين جدة والمدينة في ساعة وربع باطائرة يبلغ طول المدينة ميلاً واحداً ، وهي قسيان : المدينة القديمة ويحيط بها سور ، وهي في الشمال الشرقى ؛ والبلدة الحديثة ، وتفصل الماشخة بينهما ، والمدينة حمة أبواب

والمدينة محاطة بالمرارح من جهاتها الأربع إلا الجهة الغربية ، وتمتد المزارع حولها إلى عدة أميال ، وبها عين الزرقاء ، سبعا من قباه على ميلين من المدينة .
 يبلغ سكان المدينة عشرين ألفاً ، وقد بلغ سكانها قبل الحرب المظلي عدد اتصال السكة الحديدية بها ٨٠ ألفاً ، ولكن مصائب الحروب أضررت المدينة من السكان ومن العمران ، وبالمدينة كثير من قنور الصحابة وآل البيت ، وأئمة الحديث والفقه ؛ وقد كان مشيداً على قنور هؤلاء القناب والناي ، تهدمتها الحكومة الحالية في السنة الأولى من فتح المحار سنة ١٣٤٤ هـ — سنة ١٩٢٦ م تبعذاً لوصايا الرسول وأوامره بتسوية القنور ، ولقد أثار هذا العمل ثائرة المتمصين للقنور ، ولكن الحكومة لم تأبه لاحتجاجاتهم ، ولقد عرّس كثير من الأسراء والحميات الإسلامية في المد وغيره استعداداً لإرجاع القناب وبناء القنور ، ولكن الحكومة في سبيل رضا الله رصمت جميع الاقتراحات الخاصة بهذا الموضوع .

مسجد الرسول :

هو أهم ما في المدينة من المساجد ، وقد بنى على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم بالبن ، وسقفه الجريد ، وعمده جدوع النحل ، وقد كانت مساحه سبعين ذراعاً في ستين ، وزاد فيه عمر ، وبناء على نياحه في عهد النبي بالبن والجريد وأعاد عمده جدوعاً ؛ ثم غيّر عثمان فراد فيه زيادة كبيرة ، وبني جداره بالحجارة المقوشة والمقشّة (أي الجص) ، وحمل عمده من حجارة مقوشة وسقفه بالساج ؛ واستدت لربادة حتى دحلت فيه بيوت أرواج النبي ، ومنها بيت عائشة لدى دين فيه النبي وصحابه ، بنوا على القبر حيطاً مرتفعة مستديرة حوله ثلاثاً يظهر في السجد .

وزاد فيه الوليد بن عبد الملك من ٨٨ — ٩١ هـ ، والهدى (سنة ١٦٦ هـ) من جهة الشمال ، ودمّون (سنة ٢٠٢) ، وفي سنة ٦٥٤ هـ إحرق المسجد ، فأهت الخليفة العباسي المعتمد بالله بن المنصور بالله ، وبدأ تجديد المسجد سنة ٦٥٥ هـ .

وما زال المسجد موضع عناية ملوك وأسرار المسلمين بناء وترميم وتجديداً . والبناء الحالي هو بناء السلطان عبد الحميد الثاني ، بدأ بنائه سنة ١٢٦٥ هـ وانتهى البناء

سنة ١٢٧٧ هـ ؛ وهو بناء بديع جمع بين الفن والحل ، وهو يفضل شاء المسجد الحرام بمكة كثيراً ؛ وقد حدث باليه الحلى تصدع ، فاهتم المرحوم الملك عبد العزيز بالأمير وأمره أن يعاد ساؤه على مقتضى الخاصة كما أمر الملك سعود بتوسيعه أيضاً .

واقعد كان بالحجرة النبوية والمسجد الحرام كثير من الهدايا الثمينة ، تقدر ثلاثة ملايين من الجنيهات ، نقابها فائد المدينة أخرى ناشأ إلى الأستة خشية أن تقع في أيدي الملك حسين .

وفي مباحثات مؤتمر لوزان طلب التوردد كروان بالبابية عن الملك حسين رد الأمانات التي وصع الأتراك يدم عليها ؛ ولكن الأتراك أجازوا بأن هذه المألة من المسائل الإسلامية الخاصة بالمسلمين .

ولم تعرف أن الملك حسيناً بعد ذلك دخل في مفاوضات مع الأتراك لاسترداد هذه الأمانات الخاصة بالحرم السوي والهداة إليه من ملوك المسلمين .

الاقليم الشمالية

ينحصر هذا القسم الواقع في شمال المعازما بين خط العرض ٣٠ شمالاً ، وهو قسم جبلي ، لا يقم به من السكان إلا نفر قليل ممن يعيشون في أكوخ صغيرة ؛ وخط سكة الحديد الحجازية المار في هذا القسم لا يوجد به مدن في المحطات الواقعة عليه ، فمن معان إلى دار التفرأه (٢٥٠ ميلاً تقريباً) لا يوجد فيه مدينة أو قرية إلا في تبوك ، فإن بها نحواً من ٨٠٠ ساكن .

والساحل في هذا الجزء عبارة عن أرض منسطة يباع عرضها من ٧ أميال إلى ١٥ ميلاً ، وليس به مزروعات إلا في م الوديان ؛ ولكن به بعض الآمار القديمة التي كان يردها حجاج مصر قديماً .

وأهم المدن والنرى هي :

١ - العقبة :

تقع على الشاطئ الشرقي من خليج العقبة ، قريباً من رأس الخليج الذي يشبه نصف دائرة قطرها ثلاثة أميال ، وبها قلعة قديمة على شكل مربع ، وهي تحمى على ١٠٠ منزل ، وبها بساتين ومزارع نخيل

٢ - المويبع^(١) :

قرية وقلعة على بعد ١٦٠ ميلاً إلى الجنوب ، وبها سوق للحبوب ، ومحمدة عائلة يسكنون الأكواخ ، وبها بساتين ومزارع نخيل ، ومياهها من الآبار . ومن المويبع توجد طريق قوافل لتبوك والمدينة المنورة

٣ - ضُبا :

تقع إلى جنوب المويبع وهي المحل الرئيسى لقضية الخواريطات ، اتخذها لتكون قديماً مركز دفاع عن الشاطئ ، بها آبار ومزارع نخيل

المنطقة الوسطى

يضم ضمن هذا الجزء جميع البلاد الواقعة بين خطى عرض ٢٧° و ٢٤° شمالاً ويمتد هذا الجزء نحو مائتى ميل ، وجميع تودى البحر فيها فى هذه المنطقة تنفذ إلى البحر الأحمر بواسطة سفن واحدة ، وروادى الخمس ندى يقع فيه إلى حدود الوجه ثلاثين ميلاً وروادى الخمس نفسه ينحدر إلى البحر من الجنوب من حبيير والبلاد الرئيسية فى هذه المنطقة هي :

الوجه :

وهي بلدة صغيرة تسمى على نبعة بيوت مبنية من الحجر ، سكانها نحو أثنى نسمة ، بها قلعة وسوق ، ومياهها تنحدر إلى الوجه

(١) إليها ينسب صاحب سيرة ابن هشام

أُمْلُج :

قرية بها نحو مائة منزل ، بها قلعة صغيرة ، وأما ما تقع جزيرة حَسَّان التي من رملها يصنع الزجاج ، بها مزارع نخيل ، ومنها تمتد طريق في الداخل إلى اصطبل عَنَقَر ، إحدى محطات سكة حديد الحجاز (١٢٠ ميلا) ؛ وإلى المدينة المورة (١٤٠ ميلا) والأرامى ها خصبة وبجاسة في وادى عين الواقع إلى شمال جبل رَحْوى

يقبع البحر :

مبنية على سهل واقع بين البحر والجبل ، وهي مسورة من جهة الداخل ؛ بيوتها مبنية من الحجر الجيري ، سكانها نحو ٥٠٠٠ نسمة ، والمسافة بينها وبين المدينة تقطع بالسيارة في ست ساعات ، ويحلب إليها الماء من مياه تسمى السَّيْحِل تبعد عن البلدة نحو أربع ساعات . وقد أنشأت الحكومة الحالية (كَنَدَانَا) لتقطير المياه من البحر محافظة على صحة الحجاج وتوفير وسائل الراحة لهم
وفي ضواحيها كان الاجتماع التاريخي ١٩٤٥ بين الوجود الملك عبد العزيز وبين ملك مصر السابق فاروق

ينبع النخل :

هي واحة نخيل مياهها كثيرة ، وهي مقر عرب حبينة وحَرْب ، ويقعها نحو عشرين قرية آهلة بالسكان

الغَلَا :

تقع في شمال سكة حديد الحجاز وسكانها نحو ٣٠٠٠ نسمة ، والمدة معها صغيرة وضيقة ؛ ولكن الواحة تمتد حولها إلى ثلاثة أميال ، وبها هير صغير درجة حرارة المياه فيه ٩٢ ف . ومحاصيلها كثيرة يشترها البدو الرحل في الشمال ، وبها بساتين قليلة

خير :

هي قرية أو مجموعة قرى في واحة تسمى باسمها ، واقعة في حرة على مرتفع يبلغ ٢٨٠٠ قدم فوق سطح البحر ، وهي على بعد ستين ميلاً من شمالى المدينة المدورة والبلدة نفسها تقع في وادى رَيْدَة أكبر وديان خير ، وبها قلعة قديمة تسمى الحصن ، وبها عيون ماء جارئة كثيرة

وخير اسم مشهور من قديم في الإسلام ، فقد وتمت فيها معارك . وسكانها ٣٠٠٠ نسمة أكثرهم ولدون ، والعرب لا يحسون الإمامة فيها خوفاً من الحى والواحة غير مهيمة ، وقد كانت خير موطن اليهود في صدر الإسلام

الحصانة :

موطن صبر في جنوب خير ، وعلى مقربة من رأس وادى الخفص ، وقد كانت قديماً نامة لقلعة الرؤاة ؛ ولكنها الآن أصبحت موطناً للموالى ، وبها نحو حشرين مراً ، وبها مزارع للخبث . وهي واقعة على إحدى الطرق ما بين المدينة وبريد

القسم الجنوبي

يمتد هذا القسم من خط عرض ٢٤° إلى خط عرض ٢٠° شمالاً حيث تبدى حدوده غير من هذا الخط . وأهم مدنه :

رايح :

وهي عبارة عن مجموعة من البيوت الصغيرة ، ولكن بها مزارع نخيل واسعة تمتد في الداخل إلى بضعة أميال

جدة :

هي مدينة كانت مسورة . ولكن سورها قد أربل وانصلت البلدة القديمة بالمباني الحديثة التي زاد عددها عن دور المدينة القديمة وتقع ميناؤها في منتصف طول البحر الأحمر

تقريباً ، وهي مياه مكة ، والمسافة بينهما حصة وخمسون ميلاً ؛ ويبيع سكانها الآن بموامة وخمين ألفاً

أسس حدة الخليفة الثالث عثمان . ومدخلها خطر على السفن لكثرة الشعوب الوحودة فيها وقد شيدت الحكومة السعودية سراً حديثاً للواغر زودته بمحيط الآلات الحديثة لتبريغ السفن بسرعة

وكان بمحطة تبر يسب إلى حواء أم البشر ، وقد كان المحتاج يروون هذا القبر ويتبركون به ، كما أن أهل جدة أنفسهم كانوا يقصدون هذا المكان للتنظيم ، وتقدمت الحكومة الحاصرة القبة الموصوعة على القبر ، كما أرادت البيان الذي على القبر ، ومنعت الناس من التمسح به أو إتيان أى عمل لا يتفق مع الشريعة الإسلامية

واقدر زار العلامة ابن حبيب الأندلسي حدة في حجة (سنة ٥٧٩ هـ) فذكر بعض آثار جدة ، ومنها الموضع الذي شيد عليه « قبة عتيقة » يقال إنه كان منزل حواء أم البشر عند نوحها إلى مكة ، ولم يذكر ابن بطوطة شيئاً عن قبة حواء عند مروره بمحطة في طريقه إلى اليمن (سنة ٧٣٠ هـ) ولم نقف على تاريخ تشييد القبة ؛ وعلى كل حال فليس هناك حجة تاريخية على صحة هذه السببة

ويحيط بمحطة قرى صغيرة في الجنوب والشمال ، وأكثرها مؤلف من بيوت صعيدية أو أكواخ يسكنها البدو ، والجانون وكثير من الزوج

وحدة ليس بها جبر أو عين لشرب السكان ، ولكن بها آبار كثيرة خارج البلد ، يملك أكثرها الأشراف والأهالي ، وهي تملأ بماء الأمطار ؛ كما أن البساتين بها صهاريج تملأ بماء ينحدر إليها من سقوف البيوت ، وهذه المياه عبر محمية ؛ ولذا فقد كان الأغنياء يحملون ماءهم من الآبار البعيدة

وقد شيدت الحكومة التركية آفة على البحر لاستخلاص الماء الملو ؛ يساعد أهل جدة والأوربيين المقيمين بها على الحصول على ماء صحي نقي ؛ وقد اشترت الحكومة السعودية في سنة ١٩٢٦ ما كيتين كبيرتين لهذه الغاية بالنظر إلى قدم العهد على الآلة الأولى ، تتوفر المياه العذبة للسكان وللحجاج ؛ وقد مدت الحكومة الحاضرة ماءً من وادي فاطمة إلى جدة في أماييب ويسرت على السكان أمراً كان عائقاً في زيادة السكان وقد ازدادت حركة البناء

زيادة تدعو إلى الدهشة كما زيت أكثر البيوت بالحدائق الفناء وإذا كانت البيدة زبيدة قد حلت اسمها باليمن المشهورة بل المرحوم لثالث عبد العزيز قد خلدا اسمه بهذه المين وهذا العمل الجليل . وقد كانت حدة في القرن الماضي مركزاً تجارياً هاماً ، تجلب الصانع إليها من الهند وغيرها ؛ ومنها تورع إلى بلاد العرب ومصر والسودان وغيرها ، ولكن شأنها صعب بعد أن وضع محمد علي باشا يده على الحجار ، وفتح السويس للتجارة . وقد أصعب شأنها كثيراً فتح مينا . ور سوانس ، فأصبح هو الميناء الأول في البحر الأحمر . ولكن حدة بعد وصول الماء إليها وبعد سنة لمرة قد عاد إليها ثلثها وأكثر مرور الموانع بها

البيت :

قرية تبعد عن الميناء بحوميل ونصف ، بيوتها من الطين ، شطحها منحفض ورمل ؛ وفي الداخل تبدأ الأرض في الارتفاع إلى الشمال حيث تتحول إلى حمال عالية بعد مسافة .

مسكة :

وتسمى بككة وأم التري ، أشهر مدن الحجار ، بها بيت الله والمسجد الحرام ؛ وتقع مكة في واد ضيق عميق ينبع شمالاً مع ميل قبيل إلى الشرق ، والللال المحيطة به ترتفع إلى مئات من الأقدام ، وتسيطر بالودي إحاطة كاملة ، أغمت السكان ولأشياء عن بناء سور لحائنها ؛ وقد شهدت حدة ضوايح شمال مكة .

يبيع سكانها نحو ٢٠ ألف نس ، وقد عل إحصاء مكة (سنة ١٣٥١ هـ — ١٩٣٢ م) ولكن (١) لم يرحل في الإحصاء ، وعلى كل حال فالإحصاء تقريبي ، وهو مكة حار جداً وجاف ولكنه حي .

وأم ما في مكة من المس والأكابر الكعبة مشرفة ، والمسجد الحرام . فالمسكة أو بيت الله والبيت الحقيق ، به مريم تقريباً ، في في أوسع نقطة من الوادي ، ولأن يسيطر بها المسجد ، والمسجد من حيث المسكة والمسكة والفن المعماري لا يعوق غيره

(١) وذكرنا حوادث استفاء الماء من الإحصاء . كما حاولت إدارة المسكة من وحوم الكعبة على الأموات قبل الذي ، فخرج أهل مكة على مريد من عديون على نفسه وساعدتم علماء نجد على وأبهم من استطاع الحكومة تقديم الكشف ، ومطرب أحياناً لاستخدام من السبيل اللغات بأصول الطب فمما الغرض وبعض الأغراض الأخرى الخاصة بالبيوتات .

من المساجد الأخرى الموجودة في الشرق ، ولكن الاحترام والتقدير إنما هو للكعبة .
 يبلغ ارتفاع الكعبة ١٥ متراً ، وطول حدارها الشمالي ٩,٩٢ متراً ، والجنوبي
 ١٠,٢٥ متراً ، والغربي ١٢,٢٥ متراً ، والشرقي ٨٨ ، ١١ ، وفي الحسار الشرقي
 بابها ، ويرتفع عن الأرض مقدار مترين وعتبه مصفحة بصماح القصة ، وكذا ك مصرعاً
 الباب ، إلا أن صفائح النضية مطاية بالذهب .

ويلاصق حدار الكعبة من أسفلهاء من الرعام ، يسمى بالشاذروان ، أقيم تقوية
 للحدود ، وهو محيط بها من جميع جوانبها ، ولا يعلم بالضبط متى بديء البناء على أصل
 الشاذروان ، وقد جدد البناء عليه مراراً ؛ وفي الركن الجنوبي الشرقي للكعبة من الخارج
 الحجر الأسود ، وهو مبدأ الطوائف ، ويرتفع عن الأرض متراً ونصفاً ، وهو كاسه أسود ،
 وقد حمل له غطاء من الفضة (سنة ١٢٩٠ هـ) بسبب التشقق الذي حدث فيه ؛ وقد
 قال سيدهما صوفي في تقبيل الحجر : إنيك حجر لا تضر ولا تنفع ، ولولا أنني رأيت رسول الله
 يقبلك ما قبيلتك .

أما تاريخ تشييد الكعبة والنرض الأساسي من بنائها ، فإنه يشغل قسماً هاماً من
 النعالم الإسلامية ، والتاريخ العربي والديني ؛ غير أن الروايات الكثيرة التي وردت في
 ذلك يحتاج أكثرها إلى بحث علمي دقيق ؛ فإن الروايات الخاصة بهذا الموضوع كثيرة
 ومتناقضة ، وبعضها لا يتفق مع قواعد العلم ^(١) .

إذ أن المكان الذي شيدت عليه الكعبة قد أرحمه الرواة إلى آدم أي الشر ،
 ومع أن هذا لا يستند إلى خبر صحيح ، فإنه يدل على أن بناء الكعبة قديم يرجع إلى
 ما قبل التاريخ .

والتاريخ الحقيقي للكعبة يتبدى من عصر إبراهيم عليه السلام ، ومنخلص فيما يلي
 ما رواه البخاري لما له من المركز الممتاز عند مؤرخي المسلمين ولذاته التي كان يتوحيها
 في تمحيص الروايات :

قال البخاري : أول ما أخذ النساء المطلق من قبل أم إسماعيل ، اتخذت منطقاً اتفق
 أثرها على سارة ، ثم جاء بها إبراهيم وابنها إسماعيل ، وهي ترضه حتى وضعا عند البيت ،

عند دوحه فوق رمزم في أهل المسجد ، وليس في مكة يومئذ أحد ، وليس بها ماء ، فوضعهما هالك ، ووضع عندهما جراباً فيه تمر ، وسقاء فيه ماء ؛ ثم قتل إبراهيم مسلطاً ، سميت أم إسماعيل ، فقالت : يا إبراهيم ! أين تذهب وتركنا هذا الوادي الذي ليس به أيس ولا شيء ؟ وقالت له ذلك سراراً ، وجعل لا يلتفت إليها ، فقالت : آله أسرك بهذا ؟ قال : نعم ، قالت : إذن لا يصيما ، ثم رحمت . فاطلق إبراهيم حتى إذا كان عند التنية حيث لا يرويه ، استقل بوجه البيت ثم دعا هذه الدعوات ، ورفع يديه فقال : (ربنا إني اسكنتُ من دريتي وادي غير ذي رزق عند بيتك المحرم) حتى بلغ (يشكرون) . وجعلت أم إسماعيل ترصع إسماعيل وتشرب من ذلك الماء ، حتى إذا بعد ما في السقاء عطشت ، وعطش أسما ، وجعلت تنظر إليه يتلوى ، فاطلقت كراهية أن تنظر إليه ، فوجدت الصفا أقرب حل في الأرض بليها ، فقامت عليه ، ثم استقبلت الوادي تنظر : هل ترى أحداً ؟ فلم تر أحداً ؛ فهبطت الوادي ، ثم أنت المروة فقامت عليها فنظرت هل ترى أحداً ؟ فلم تر أحداً ، فعلمت ذلك سبع مرات ؛ لذلك سعى الناس بينهما ، فلما أنشرفت على المروة سمعت صوتاً ، بإداهي مالك عند موضع رمزم ، فمحت بقمه أو قال بجماحه حتى ظهر الماء ، فجعلت تحوضه ^(١) ، وجعلت تنرف من الماء في سقاها وهو يغور بعد ما تنرف ، فشربت وأرضعت ولدها ، فقال لها الملك : لا تخافي الصبة فإن هاهنا بيتاً لله بينه هذا السلام وأبوه ، وإن الله لا يضيع أهله . وكان البيت مرتفعاً من الأرض كالراية تأتيه السيول فتأخذ من يحينه وشماله . فكانت كذلك حتى مرت بهم رفقة من جرم ، أو أهل بيت من جرم ، مقلين من طريق كداه ^(٢) ، فبرلوا في أسفل مكة ، وأرسلوا إلى أهلهم فبرلوا معهم ، حتى إذا كان بها أهل أيات منهم ، وشب الغلام وتعلم العربية منهم ، وأعجبهم حين شب ، فلما أدرك زوجوه امرأة منهم ، ثم طلقا وتزوج من أخرى ، ثم جاء إبراهيم وإسماعيل يبوي بيلاً له تحت دوحه من رمزم ، فلما رآه قام إليه وصنعا كما يصنع الوالد بالولد . ثم قال : يا إسماعيل ! إن الله أمرني أن أبني هاهنا بيتاً ، وأشار إلى أكمة مرتفعة على ما حولها ، فعند ذلك رفعوا التواهد من البيت ، فجعل إسماعيل يأتى بالحجارة ، وإبراهيم يبني ، حتى إذا ارتفع البناء جاء بهذا الحجر فوضعه له ، فقام عليه وهو يبني وإسماعيل يباركه بالحجارة ، وهما يقولان : ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم

• ولما بيا القواعد وبعث مكان الركن ، طلب ابراهيم من ابنه حجراً فأظهر كله ، فأطلق إبراهيم يطلب الحجر ، فجاء حبريل بالحجر الأسود من الهند ، وكان أبيص من بقوة بياض ، وكان آدم يخط به من الحبة فأسود من خطايا الناس

وقد تمت قریش سبع الكعبة سنة أن بلغ رسول الله خمساً وثلاثين سنة ، ولسكنهم كانوا يهاون هدمها ، وإعنا كانت رحماً فوق القامة ، فآرادوا رتمها وتقيعها ، فلما أجمعوا أمرهم في هدمها وبنائها ، قام اس وهب ، أو أبو وهب بن محروم ، أو المنيرة بن محروم ، وقال : يا معشر قریش ! لا تدخلوا في «بنائها من كسكم إلا طيباً ، ولا يدخل فيها مهر نفى ولا بيع رباً ، ولا مظلة أحد من الناس

فأحدث قریش تجمع الحجارة كل قبيلة على حديثها ، حتى بلغ البنيان الحجر الأسود ، فاحتصموا فيه : كل قبيلة تريد أن تمتاز بهذا الشرف ، حتى كاد الأمر يفضى بهم إلى القتال ، وأخيراً أشار عليهم أبو أمية ابن المنيرة أن يتركوا التصل في هذا النزاع إلى أول داخل من الباب ، فكان أول داخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالوا : هذا الأمين ، رضينا ، هذا محمد

فلما انتهى إليهم وأخبروه الخبر ، قال صلى الله عليه وسلم : «لم إلى ثوباً ، وثقي به ، فأخذ الحجر الأسود فوضعه فيه بيده ، ثم قال : لتأخذ كل قبيلة بتاحية من التوب ، ثم ارموه جميعاً ، ففعلوا حتى إذا بلغوا موضعه وضعه هو بيده ، ثم نبى عليه .

ولم تزل الكعبة على بناء قریش حتى احترقت في أول إمارة عبد الله بن الزبير ، وفي آخر ولاية يزيد بن معاوية لما حاصر ابن الزبير في مكة ودمارها بالمشيقي ، فحبش قصبها ابن الزبير إلى الأرض ، وبنائها على قواعد إبراهيم ، وأدخل فيها الحجر وحمل لها مائاً شرقياً ومائاً غربياً ماضتين بالأرض ، كما سمع ذلك من حالته عائشة عن رسول الله . ولم تزل كذلك مدة إمارة حتى قتله الخوارج ، فردها إلى ما كانت عليه بأمر عبد الملك بن مروان . وقد أراد هارون الرشيد أو أبوه المهدي ردها إلى بناء عبد الله بن الزبير ، فاستنوا الإمام مالك في ذلك ، فقال : يا أمير المؤمنين ، لا تحمل كعبة الله لمصلحة للولوك ، لا يشاء أحد أن يهدمها إلا هدمها ، فترك ذلك الرشيد .

• هذه الزيادة ليست من رواية البخاري ، وإنما ذكرها المؤرخون والمصرون ، وهي لا تشبه بالأسانيد . (صحيح مسلم)

وتد عمت ترميمات عديدة في أيام الخلفاء العباسيين ، وسلاطين مصر المماليك ، وسلاطين آل عثمان ، سبب السيول والأمطار ، وتجد في داخل الكعبة وخارجها ما يشير إلى ذلك .

وتصل الكعبة من الداخل مرتين في السنة : في رجب وذى الحجة ، يقوم بهذا العمل الشيخ الشنقي سادن الكعبة ؛ ويدعو لحضور هذا العمل الذي يعد من حملات مكة الهامة لحكام البلد وأعيانها ، وبعض البارزين من الحجاج ، ويزدحم الناس حول الكعبة في ذلك اليوم ازدحاماً يدل على ذلك الأثر الذي العميق في النفوس ، على أن هناك بعض أشياء تحدث من العامة وغير الواقفين على العقيدة الإسلامية الصحيحة ، من شرب ماء النمل والاعتقال به ، ولكن الجهل آفة كل شيء ؛ وقد حضرت هذا الاحتمال مراراً أثناء إقامتي بالحجاز .

ويجمع الشيخ الشنقي ماء العسل ويضعه في قوارير يهديها مع الكاس للحكام وكبار الحجاج ، وتكسى الكعبة كل سنة ؛ وليس من موضوع الكتاب التوسع في وصف الكسوة وتاريخها في الجاهلية والإسلام ، فقد أفردت كتب كثيرة في الترية والعمات الأخرى في وصف مكة والدينة وكل ما يتعلق بهما .

مقام إبراهيم :

لا يعلم بالضبط هل موضع المقام الحالي هو موضعه الأصلي أو كان ملصقاً بمحذاً الكعبة ، ثم نقل إلى موضعه الحالي .

فمن الرواة يرجحون أن المقام كان ملصقاً بمحذاً الكعبة ، ونقل من مكانه في خلافة عمر ، وروى الأزرقي أن موضعه الحالي هو موضعه في الجاهلية وفي عهد أبي بكر وعمر ، إلا أن السيل ذهب به في خلافة عمر ، فبطل في وجه الكعبة ، لا أن عمر رده إلى موضعه من الناس ؟ ويدكر ابن خبير أن الذي صرفه إلى موضعه الحالي هو النبي صلى الله عليه وسلم .

والناس يصلون خلف مقام إبراهيم ركعتين بعد الانتهاء من الطواف ، وكثير من الحجاج من يقبل الحجو المسمى مقام إبراهيم ويتبرك به ، حق المنتسبين إلى العلم منهم ؟

قالرحالة ابن حبير الأندلسى الذى حج فى (٥٧٩ هـ) يذكر مقام إبراهيم ويعصفه ويقول :
عائنا وتبركنا بدمه وتقبيله وصب لنا فى أثر القدمين الماركين ماء زمزم نثربناه
نفسنا الله به .

وقد فعل فعلته اليد السوسى سنة ١٣٤٤ هـ — سنة ١٩٢٥ م ، فقامت
عليه قياة الإحوان البجديين ونهره الملك ابن السعود على فعلته رحمه الله ، لأن الملك
عبد المزيى سبيل التوحيد والأمر بالمعروف لا يراعى أحدا ؛ بأن مداه الدين قبل كل
شئ ، ورضاه الله مقدم على رضاه الخلق .

المسجد الحرام :

إن ساحة البيت وهو المسجد كان فضاء الطائفتين ، ولم يكن عليه حدر أيام النبى صلى
الله عليه وسلم ، وأى بكر من بعده ، ثم كثر الناس فاشتري عمر دوراً هدمها وزادها فى
المسجد ، وأدار عليها جداراً دون القامة ، وفعل مثل ذلك عثمان ، ثم ابن الزبير ، ثم
الوليد بن عبد الملك وبناه بئس الرخام ، ثم زاد فيه المنصور ، وانه المهدي ؟ وما زال
السجد موضع عتابة الحكام والملوك والسلاطين من عباسيين ومماليك وأتراك وعرب
وغيرهم ، يتولونه بالتصغير والترميم من وقت لآخر كلما مست الحاجة إلى ذلك .

بئر زمزم :

قد تقدم فى قصة بناء الكعبة أن الملك فخرها لإسماعيل بقمه ، وقد طمرها الحارث
ابن مصاض ، وجددها عبد المطلب جد النبى صلى الله عليه وسلم ؛ ويردون فى ذلك قصة
تشبه القصص الأخرى التى تروى عن أمثال هذه الأماكن التى لها ما لزمن من الاحترام
فى نفوس الناس . ويقولون : إن عبد المطلب رأى رؤيا منامية^(١) ، فسمع هاتفاً يهتف فى
أذنه أن احفر طيبة ، فاستيقظ من نومه ، ثم غلب عليه النوم فسمع للمرة الثانية أن احفر
برة ، فاستيقظ ثم غلب عليه النوم فسمع للمرة الثالثة ، احفر المضونة ، فحنت بها على

الناس إلا عليك ، بقرّة التراب الأعسم ، وإنها بين القَرث والدم ، وعند قرية النمل ،
إنها لا تنضب أبداً

لما قام ليخبرها رأى ما رسم له من قرية النمل ، وقرّة التراب ، ولم ير القَرث
والدم ، فأسببها هو كذلك نذت بقرّة لجارها فلم يدركها حتى دخلت المسجد الحرام فمحرها
في الوصع الذي رسم له ، فقال هلاك القَرث والدم ، فحفر عبد المطلب حيث رسم له ،
وقد عثر على غرائين من الذهب كانا مهادتين من القرس للكعبة ، وكان قد دسهما
الحارث بن مضاض

وذكر الزهرى أن عبد المطلب اتخذ حوضاً لزرم يستقى منه ، وكان يحرم بالليل
حوله ، فلما غم ذلك ، قيل له في النوم ، قل : لا أحلها لتقتل ، وهي شارب حل وبل ،
وقد كفيهم ، فلما أصبح قال : نعم ، وكان بعد من أرادها بمكره روى بدءاً في جسده حتى
اتسها عنه ، واللسون يعتقدون في ماء زرم البركة ، وقد كانوا يحملونه إلى بلادهم بعد
الحج ؛ لإحداثه إلى أصدقائهم وأقاربهم ويعدون ذلك من أغر الهدايا ، ولكن إدارة
(الكورنيتات) تمنع دخول ماء زرم إلى البلاد التي يفدها الحاج

ولا يزال الماء يستخرج من زرم بالدلاء الجلدية حسب السوائد القديمة . ولقد فكر
جلالة الملك عبد العزيز (سنة ١٣٤٥ هـ ١٩٢٧ م) في الاستمالة بالآلات الحديثة لتكثير
الماء وتوزيعه بطريقة صحيحة ، وصيانة الحرم مما يتعرض له في موسم الحج من الازدحام
والخماصة ، وما يتبع ذلك من فقدان النظافة ، فأمر جلالاته في تلك السنة بتركيب آلة
رافعة للماء ، وأحضر مهندساً من مصر لهذه الغاية . ولكن لما كان هذا العمل يؤثر في
كس طائفة الزامزة والسقائين ، وعملهم محصور في إخراج الماء بالمطوس النر وتوزيعه
على الحاج ، ولا يرضى الحامدين الذين لا يرضون بمديد ولو كان ناماً ، قامت قيامتهم
ضد هذا المشروع . ولقد ابتدأ العمل بأكمل وجري الحفر بالحرم لوضع الأنابيب ،
وأرسل إلى مصر لشراء الآلة والأنابيب والأحواض الكبيرة التي يوزع منها الماء ، وأحيراً
أنار الزامزة أهل نجد وأبشرا عليهم الأمر ، وأن يتر زرم سينضب ماؤها بعد تركيب
هذه الآلة الرافعة ، ولا شك أن هذا العمل سيجلب عليهم سخط المسلمين ، فأتع أهل

تعد القيمون بمكة على الملك يالما هذا المشروع ، وإبقاء القديم على قدمه ، حتى لا تجري هذه المصيبة في أيامهم . فلم ير الملك من المصلحة إغصافهم في هذا الوقت الذي بدأت فيه حركة الإخوان ، فأمر بإعاف المشروع والمدول عنه . وامل الحكومة تبث المشروع من جديد لنصن توزيع ماء ومزم بطريقة صحيحة .

بيوت مكة :

واقعد كان في مكة كثير من الآثار التاريخية مثل : مولد النبي ، بيت حديجة ، بيت أبي بكر ، وغيرها من الآثار . ولكن الإحواز هدموا هذه الآثار مع ما هدموه من القباب والقبور ، لأن هذه الأماكن اتخذت مصدراً لابتزاز أموال الحجاج ، فهداً لتذرية أزلا كل أثرها . ويقول المؤرخون للحركة السعودية الأولى : إن مكة والمدينة في أثناء الحكم السعودي في القرن التاسع عشر الماضي ، قد أزيل منها كل الآثار التاريخية التي كان يتبرك بها الحجاج .

وبيوت مكة من الحجازة ، وهي في نطاقها خير من سائر بيوت جزيرة العرب ؛ غير أن نظام المراحيض لا يتبع النظام الصحي . وقد عمل سلاطين الأتراك بحري كالحجازي التي تعمل في المدن ، ولكنه ليس عائناً من جهة ، وغير واف نسباً من الوجهة الفنية .

ونظام الشرب على الطريقة القديمة ؛ فالسقاءون هم الذين ينقلون الماء إلى البيوت ، إما بالقرّب أو صفائح الناز .

ومكة كالبصرة والتفطيف في كثرة البموض ، ولكنه من النوع الذي لا يحمل جرائم الملايا كما هو الحال في بعض المدن الحجازية الأخرى ، ولم تعمل إدارة الصحة أو البلديات حتى الآن عملاً جدياً لإباده ؛ فقلل هذه الإدارات تشرع عن ساعد الجبد وتقوم بحملة عنيفة لتلخيص البلاد من هذا العدو الخبيث ؛ ولا شك أن جلالة الملك سعود المهة القماء سيكون أكبر معوان للعاملين

ومكة محلوطة بالتمام لحمة صيده وتجد في الحرام منه أسراباً أسراباً ، وهو يشبه في

إنه الناس أنواع الطيور التي توجد في الحدائق العامة في أوروبا . وكثير من الحجاج يعتقد أن مكشلات الحج تقديم الحبوب لحم الحرم ؛ كما أن الكثير من الناس اعتقاداً بأن الحمام لا يملو الكدية ، ولا يقف على سطحها ، ولا يقذرها . أما المسجد ولا سيما الأروقة المحيطة به ، فكلها أعشاش الحمام ، ولا يحلو حاج من أن يصل إليه شيء من أذى الحمام ؛ ويعتقد بعض الجهلة أن من أصابه شيء من أذى الحمام سيكسب كسوة جديدة ، وهي تعزية لطيفة !

وأهل مكة والمدينة يمسون ببطانة بيوتهم ، كما يمنون بنظافة أبدانهم وملابسهم أكثر من سوامم من سكان حاضرة العرب . ويعيش أهل مكة على ما يكسبونه من وعود الحجاج ، وهو مصدر خير عظيم إذا كثرت الحجاج ، أما إذا قلَّ عديم فلا يصور أحد ما يعانيه هؤلاء من صنوف الضيق .

لقد أولى المسلمون عنايتهم بمكة والحجاز وأهله عناية عظيمة في القرون الأولى والوسطى ، فلا تزال عين زكية وغيرها من الميرون ناطقة بذلك المكرمة التي أسداها أهل الخير لسكان البلاد المقدسة والوافدين .

وكان الخلفاء واللاطين يولون الحجاز عنايتهم فكانوا يمدونه بالصدقات والأوقاف على اختلاف أنواعها ، مما لا يزال بعضه باقياً حتى الآن ؛ ولكن بلغ الإهمال بالمسلمين في القرون الأخيرة ما حمل الحجاز في مستوى أقل مما يجب له من العناية والإحلال ؛ فالمسجد الحرام الذي يؤمه المسلمون من كل ناحية ليس في حال مساجد الأستانة والقاهرة والمدن ومدينة مكة في طرقتها ومبانيها وطعامها الصالح ليست كالأهمرة أو دمشق أو بغداد ، وهذا التقصير نفع تدمته على المسلمين عامة ، وعلى الحكومة التركية التي حكمت البلاد قروماً مديدة ؛ ولا شك أن أشرف الحجاز يتحملون قسماً من البسطة ، لأنهم كانوا الحكام الحقيقيين لمكة ؛ فقد كان يوسعهم لو كانوا ذوي بضائر ماندة ، وعقول راححة ، وعلم بتطورات العالم ، أن يحملوا الحجاز وسكانه في مستوى خير من متناهى الحال ؛ ولكن الأشراف سلطوا مطامعهم على الحجاج وعلى سكان بلد الله الحرام ، وحالوا في كثير من الظروف دون ترقية البلاد . ولست أرى فئة خاصة من الأشراف ، فإن الأشراف الذين

حج في أيامهم الرحالة ابن جبير في القرن السادس ، وإن مطرطة بعده ، كانوا مثل أشرف القرون الأخيرة .

الرقيق في مكة :

كانت مكة أكبر سوق الرقيق في جزيرة العرب ، وكان العرب يحرمون على شراء الحواري والسيد منها ، لأن لأهل مكة عناية خاصة بتربية الحواري والسيد ، وتربيتهم على الخدمة المنزلية ، وقد تجاوز قيمة السيد ستين جيباً واثني مائة وعشرين جيباً ، وأفضل السيد والحواري المحلوقون من الحبشة ، لأنهم أخلص في الخدمة وأولى لسادتهم والرقيق الذي يرد للحجاز وجزيرة العرب ، هو السبيمة من العزوات والمارات في بلاد الحبشة الواسعة الأطراف . فالتجار يشترون الرقيق هائلت من الفراء ، ثم يحلبونه إلى بلاد العرب بواسطة السَّامِيَّيْكَ^(١) إلى السواحل العربية ، وبالرغم من مطاردة هؤلاء الثقباء ، وإزال أشد العقوبات بمساعدتهم ، فإن التجار لا يزالون يُعاصرون في هذا النوع من التجارة . والمالب شراء الرقيق للخدمة المنزلية أو الخدمة في البساتين ، وقد تشتري الحواري لأغراض أخرى ، وهذا على الأكثر في عسير . وأسراء العرب يكثرون من الرقيق رجالاً ونساء ، فالرجال للخدمة على اختلاف أنواعها والحراصة الخاصة ، والحواري للخدمة المنزلية وغيرها .

على أن تحرير الرقيق من الأهمال المحبوبة شرعاً ، والتي لا يزال العرب يعدونها من أفضل القربات إلى الله ، فقلما يموت أحد ولا يوصى بتحرير بعض عبيده وحواريه مع شيء من المال يساعدهم . وفي التناوب يفضل الرقيق الذي يحرر أن يبقى في بيت أهله ويأبى أن يفارق من عاش في كنفهم .

لقد جرت محاولات لإبطال الرق في بلاد العرب . ففي سنة ١٢٧٢ هجرية أمرت الدولة العثمانية بمنع الرقيق ، فحصل هرج ومرج بمكة ، حمل الحكومة التركية تعدل على أمرها .

(١) نوع من السفن الصراعية .

وفي أيام الملك حين حرت مخارات بينه وبين الحكومة البريطانية لإبطال سوق الرقيق في الحجاز ، ولكن ذلك حسيباً كان يحسب أن الرقيق ليس مصدره مكة ، بل امتنع وروده إلى الحجاز بطل بالتدريج .

وفي سنة ١٣٤٥ هـ ١٩٢٧ م امتت الحكومة البريطانية وذلك عند التعرير على التعاون على القضاء على الرقيق ، فوضع الملك عند العزيز بعض القبول للتجارة فيه فضعفت هذه التجارة .

ولأنه في لوقع اقتصادية ، ولو أن يخدم يتوحدون في مكة وملاذ العرب ما لجأ الناس إلى الرقيق ، ولكن أهل مكة يفضلون خدمة الحجاج ، لأنها تدر عليهم من المال تدره عليهم الخدمة الأخرى ، ولما تجد خادماً في مكة للخدمة المحلية .

واعتقد أنه ليس في إمكان أية حكومة أن تأمر بإلغاء الرقيق ، وتحرير العبيد في جزيرة العرب دفعة واحدة ، فإن ذلك قد يؤدي إلى ثورة أهلية ، ولكن إذا قضى على التجارة في السواحل العربية ضعفت في الداخل . وعلى كل حال فإن الرقيق يستقص عدده في كل سنة ، وسيبقى عليه لا محالة . ومن التريب أن بعض الأوروبيين في إقامتهم في ملاذ العرب تصل إليهم عدوى الرقيق ، فيحوزون الرقيق ، كثيرهم من العرب ويستسلوه في الوجوه التي يستصلها فيه العرب .

منع غير المسلمين من دخول الحجاز :

نقد حرم العرب على ألا يدخل البلدين مكة والمدينة غير المسلمين . ومنشأ هذا ما روى عن ابن عباس أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في مرض موته : أخرجوا المشركين من جزيرة العرب . وأن عمر سمع الرسول صلى الله عليه وسلم يقول : لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب حتى لا أدع فيها إلا مسلماً . وأن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت : آخر ما عهد النبي أنه قال : لا يتركة جزيرة العرب دينان ، وأن ابن عمر قال : إن عمر أسلم اليهود والنصارى من أرض الحجاز ، وإليه أحلى يهود خيبر إلى نيب . وأريخيا وحكي الحافظ ابن حجر في السبع في كتاب الجهاد ، أن

الذى يمنع منه المشركون من جزيرة العرب هو الحجاز خاصة ، وهو مكة والمدينة واليمامة وما والاها ، لا ما سوى ذلك مما يطلق عليه جزيرة العرب ، لانفاق الجميع أن اليمن لا يعمون منها مع أنها من جملة جزيرة العرب . وعن الحنفية يجوز قطعاً ولا المسجد . وعن مالك يجوز دخول الحرم لمجارة . وقال الشافعى : لا يدخلون الحرم أصلاً إلا بإذن الإمام لمصلحة المسلمين .

وذكر فى المعنى أنه لا يجوز لغير المسلمين دخول الحرم لمجارة . وهذا قال الشافعى . وقال أبو حنيفة : لم دخوله كالحجاز كله ، ولا يستوطنون به ، ولم دخول الكعبة والنعم من الاستيطان لا يمنع الدخول والتصرف .

وذكر صاحب الفتى أيضاً أنه يجوز لم دخول الحجاز لمجارة ، لأن التنصارى كانوا يتحرون إلى المدينة فى زمن عمر .

ويؤيده ما ورد فى كتاب أخبار مكة للأزرقي ما نصه :

« وأخبرنى جدى قال : أول من حمل القبة التى بين زمزم وبيت الشراب ، المهدي فى خلافته ، علمها لم أبو بحر المحوسى النجار ، وكان جاء به عيسى بن على بن عبد الله بن عباس رضى الله عنه إلى مكة من العراق » .

وما ورد فى تاريخ المدينة للطبرى :

« وأرسل الوليد إلى ملك الروم فقال : إنا نريد أن نمر مسجد بيننا الأعظم ، فأنما بهمال ونسيفياء . سمعت إليه ثمانين عاملاً : أربعين من الروم وأربعين من القبط ، وثمانين ألف شقال ، وثمانين ألف الفسيفياء وبأعمال من سلاسل القديلى » .

وقد وضعت الحكومة الحالية تشريعاً ، من مقتضاه ألا يدخل الحجاز من يدخل فى الإسلام إلا بعد مضى سنة على إعلان إسلامه ، مما لبعض الأوروبيين ، الذين يدعون الدخول فى الإسلام بقصد زيارة مكة أو المدينة فقط .

الطائف :

هي مدينة مسورة واقعة في سهل رملي محاطة للال منخفضة ، وتقع على بعد ٧٥ ميلاً إلى الجنوب الشرق من مكة ، على ارتفاع خمسة آلاف قدم من سطح البحر ؛ وهي مصيف الأعيان ورجال الحكومة ، وبيوتها مبنية من الحجر ؛ والمدينة تنص بالسكان زمن الصيف فقط ، وحوطها أرد بكثير من مكة ، والياها فيها غزيرة وهي في جوها وترية أرضها تشبه الأراضي العالية في عسير واليمن . والأمطار الغزيرة تسقط هناك في فصل الخريف ، والآبار كثيرة ، ومنها تروى الأراضي الزراعية البعيدة عن مجارى المياه

يبلغ عدد السكان نحو عشرة آلاف نسمة ، وأغلبهم من تهيف وعُتَيْية ، ويشغلون زراعة البساتين والخضر . وفاكهة الطائف مشهورة بمحودتها في سائر البلاد العربية ، ففيها العنب والرمان والخوخ والليمون الحلو والشمس والسفرجل . أما زراعة النخيل في الطائف فلا تجود لشدة البرد .

وينمو الورد في الطائف ، ويستخرج منه عطر فاخر يباع على الخباج في موسم الحج

عسير

يطلق « عسير » على الجهة الغربية من بلاد العرب الواقعة إلى جنوب الحجاز وشمال اليمن . وقد كان هذا القسم أيام حكومة الأتراك غير محدود تحديداً وانحما ، فمع أن الأتراك قد كوّنوا متصرفية^(١) عسير وحملوها تامة لولاية اليمن . فقد كان أشرف الحجاز يدعون تسمية بمص الماطق المحاذرة للحجاز ، كما كان أمراء نجد أيضاً يدعون ملكية بمص الماطق من الجهة الشرقية . أما اليوم فإن عسيرا أصبحت من المملكة العربية السعودية ، حسب معاهدة الطائف الأخيرة

وسطقة الحجاز الرملية الموازية للشاطئ* تمتد إلى بلاد عسير بعرض يختلف من ٢٥ — ٣٠ ميلا ، ثم تتصل بهامة اليمن . أما المنطقة الثانية والثالثة والراية في الحجاز^(٢) فإنها لا تظهر بجلاء في بلاد عسير ، ويكاد لا يكون هناك تمييز بين هذه الماطق الثلاث وعلى بعد نحو ثمانين ميلا من الشاطئ* توجد سلسلة مرتفعات عالية ، يبلغ ارتفاعها نحو ٦,٠٠٠ إلى ٧,٠٠٠ قدم ، ومن هالك تأخذ الأرض من جانبها الشرقي في الانحدار شيئا فشيئا ، حتى تتصل بصحارى نجد

ونظراً لما يعيب بلاد اليمن من المطر الموسمي في الخريف ، وطراً تقرب عسير منها ، فإنه يصعب من هذا المطر غير قليل . ولذا فإن وديانها الكثيرة الشامة تعتبر من الدرجة الأولى في الحصوبة . وأهم هذه الوديان هو :

وادي رايّة — وادي يثشة — وادي شهران — وادي عتيق
وأغلب الوديان الكبيرة تمرى فيها المياه ، إما فوق سطحها أو قريباً منه . وحالة الوديان تختلف عما في الحجاز ، لأن البلاد خالية من التّغود^(٣)
وتمرى الوديان الرئيسية في أعماق وادي الدوّاسير الواقع في جنوبى نجد ، والبلاد

(١) متصرفية : مديرية في عرف مصر

(٢) راجع القسم الطبي لولاية الحجاز

(٣) التمود جبال رملية

الداخية في غاية الحصوة ، وخصوصاً من تنوُّمة إلى مَكِينَة . وهي تضارع أحسن وأحصب البلاد العالية في اليمن . والمرروعات على اختلاف أنواعها من حبوب وبقول وفاكهة تحود في الوديان

والجزء الحاد لشاطىء البحر وإن كان رملياً ، فيه أحسن بكثير من بطيره في المجاز وفي أجزاء كثيرة منه تست المرروعات ، ويبيض كثير من السكان عليها . ويبرل مطر غير غزير في حوى نهامة ونهامة الوسطى في شهرى فبراير ومارس . وفي شهر يونيو تنزل أمطار غزيرة . أما في الشمال سواء في الداخل أو في البلاد الساحلية ، فإن المطر ليس دورياً جليلاً للفائدة .

السكان

يبلغ عدد السكان تقريباً حوالي مليون ونصف . والأهالي كلهم شافئو المذهب ؛ إلا القادر القليل جداً في الشمال الشرق ؛ فإنهم حنابلة سلفيون . ويشغل غالب الأهالي بالزراعة والبدو الرحل قليلون جداً في عسير . والاختلاط في الأنساب قليل فيها ، إلا ما كان منه في المدن الكبيرة ، وحدود القبائل بعضها من بعض معينة معينة دقيقتاً ليس له نظير في غير عسير . وأتوى القبائل وأكثرها عدداً يحتل حلب البلاد ، وروس الوديان الداخية ، والجزء الأعلى من القبايل

الزراعة

تتوقف الزراعة في نهامة على أمرين : الأول نزول الأمطار الحلية ، والثاني سيول المياه من الوديان المسطرة إلى البحر . وفي مجرى أغلب الوديان الكبيرة تمام السدود لحجز المياه ، وتوجهها في اتجاه الأراضي المراد زراعتها . وتخصد الأرض مرتين ؛ في الربيع وفي الصيف . وثلاث مرات في بعض الأحيان

والمزروعات هي الدخن والأذرة والسمسم والقمح . وكل أنواع الخضرة الحلية . وأخصب الأجزاء في نهامة هو الجزء الواقع بين حلي والبيرك . وفي الداخل يزرع القمح والشعير

والأحرة والموكح ؛ وشجر الس ؛ والسكن بكية مليحة لاني بالقر الذي يشتهك في داحل البلاد
والمشية والشم والماعر والجال ثرى مكنرة في عمير ، سواء في نهامة أو في لداحل

التجارة

وموانى الواردات إلى عمير هي : القنفذة ، والبرك ، والسقي ، وجبران الحمايرة ،
والمصبا ، ونفسر ، والموسم ، والفريجة
وواردات عمير قليلة ، وأهمها البصائع القطاينة ، والسكر ، والبقول ، ولأرز وأدوات
الطبخ ، والأسلحة والذخائر
أما الصادرات فإنها أقل وهي : القمح ، والذعن ، والأدرة ، والسسم ، والسك
المقدد ، ويصدر إلى جدة أثناء موسم الحج . كما يصدر إلى مصوع وعدن السن والجلود
والسسم والصوف والتمر والصغ وبعض الدواب

البلاد

بلاد عمير المشهورة هي ما يلي : —

١ — بيشة :

بلدة زراعية مكنوة من جملة قرى ، واقعة في الوادي المسمى باسمها ، وهي على
سد ٣٤٠ ميلا من شرق الجنوب الشرق لمسكة ، وهي نقطة هامة على الطريق من
وادي الدواسر إلى الحرمين ، وأهم مكان بين الطائف وصنماء ، ويستبرها الرب مفتاح
اليمين . وتزوي الواحة بوساطة نهر صغير يسير مسجاً نحو الشمال الشرق حيث ينحدر إلى
وادي الدواسر مع سواء من النهرات الأخرى الصغيرة ، وقد حكم الأشراف قديماً هذه
المنطقة ؛ قبل الحركة الإصلاحية ، في نجد . ففي تاريخ المعاصي ، كثير من أخبار
الأشراف في بيشة ، وللانصال الشديد بين بيشة ووادي الدواسر كانت هذه المنطقة موضع
نزاع بين الأشراف ونجد

٢ — ثُرَيَّة :

تقع على بعد تسعين ميلاً من جنوب شرق الطائف ، وهي على الطريق العام من نجد إلى اليمن ، وهي مدينة مسورة ، وتقع في حِجَم الطائف ، وتحيط بها الأراضي الزراعية ، ومزارع النخيل ، وترى مياه عزيزة . وبحوارها عدة تلال ؛ يزرع على سفوحها الشعير والأذرة . وقد اشتهرت ثُرَيَّة بمقاومتها القيمة لقوات محمد على سنة ١٨١٥ م ، كما اشتهرت بمركبتها الشهيرة بين حمود محمد والملك حسين تحت قيادة الأمير عبد الله (الملك عبد الله) في ٢٤ مايو سنة ١٩١٩ م .

٣ — أَهْبَا :

مدينة بيوتها مبنية من الحجر ، على تل في وسط عسير ، وهي على بعد نحو ١٣٩ ميلاً من قلعة يشة ، وكانت مركزاً للتصرف^(١) زمن حكم الأنراك ، وهي مركز هام للواصلات وطرق القوافل في عسير .

٤ — حَاجِل :

بلدة في داخلية عسير تبعد عن القنفذة بنحو ٧٢ ميلاً ، وهي ملتقى هذه طرق : من أَهْبَا ، ومن القنفذة ، ومن حِجَل ، ومن البرك .

٥ — خَيْس مُشَبِّط :

هي أكبر مدينة في أخصب جزء من جنوبي عسير ، وهي واقعة بين اللؤل إلى جنوب وادي يشة ، وهي على بعد ١٢٥ ميلاً من شرق الجنوب الشرق القنفذة التي تنصل بها بواسطة درب القوافل ، مياهها وفيرة ، وهي مركز لتصرف تجارة التمر .

٦ — أبو عَرِيش :

أشهر بلدة في تهامة ، ولها تاريخ هام في القرن التاسع عشر عصر النهضة المدنية الأولى ، وكانت عاصمة الشريف محمّد الذي لعب دوراً هاماً في ذلك العصر ، وهي على بعد ٧٠ ميلاً

(١) اللدبر في عرف مصر .

شمال اللّحْيَة ، وهى مقر المركزسمى باسمها ، وأكثر بيوتها مسمى بالحجر ، مياهها غزيرة وزراعتها واسعة .

٧ — صَبَا .

على بعد عشرين ميلا فى الداخل ، وهى الجنوب الشرقى من حيران ، وكانت عاصمة الأدارسة ، وسها قلعة قديمة بنيت أيام الحكومة الأولى وقد أصلحتها الحكومة الحالية بعد انقضاء على ثورة الأدارسة الأخيرة (سنة ١٣٥١ هـ ١٩٣٢ م) وسكانها نحو عشرة آلاف نسمة ، مياهها غزيرة ومزروعاتها واسعة .

٨ — القنفذة .

بلدة صغيرة مسورة ومكونة من جملة بيوت وأكواخ على شاطئ البحر الأحمر وهى على بعد ٢٠٠ ميل إلى جنوب جدة ، وسكانها زهاء أربعة آلاف ، وتجب المياه من حَقَّار على بعد ميلين ونصف فى الداخل ، وهى ميناء أنها ، وتقع على بعد ٧٢ ميلا من تحايل .

٩ — حِيلِي .

هى الرأس القربى لخليج تحيى من رياح الشمال والشرق ، وتقع على بعد أربعين ميلا من جنوب الجنوب الشرقى للقنفذة ، وهى قرية صغيرة قرب الشاطئ . وبقرها توجد قف حلي المشهورة وهى على شكل مخروطى .

١٠ — حِيرَان .

مياه صغيرة على بعد ٢٠٠ ميل من جنوب الجنوب الشرقى للقنفذة ، وهى واقعة أمام مجموعة جبال إفريسان ، ويحيط بها من جهة الداخل جبل حيران ، والبلد بعض مبان بالحجر ، ولكن الجزء الأكبر من بيوتها مبنى بالطين ، والمياه فى البلدة قليلة جداً ، ولكن على بعد ثلاثة أميال ونصف من شمال شرق البلدة توجد آبار مياه وحفائر ، وسكانها ييلتون ألف نفس ، وهم يشتملون باستخراج اللؤلؤ ، وبقر حيران جبل ملح حَجَرى .

ميدى :

قرية مكونة من بيوت قليلة وأكواخ ، ومنها تذهب القوافل شرقاً إلى صدّة وصنعا ، وهي الآن من حدود اليمن ، ويقع منطقة عبر جرائر قرسان .

خلاصة تاريخية عن حكومة عسير

كانت مقاطعة عير متصرفية ، تابعة لولاية اليمن أثناء الحكم التركي ، ولكن الحقيقة أن هذه المقاطعة كان يتنازعها نفوذ شريف مكة وإمام اليمن والإدريسى وبعض لأمراء المحليين ، الذين كان يتمتع بعضهم بشبه استقلال ، غير أن الجميع كانوا يعترفون سلطة الحكومة التركية .

فأمير مكة كان نفوذه يمتد إلى قبائل غامد ، وبني شمر وشهران . وكان على أتم صلة عشايح هذه القبائل غير أن هذا النفوذ لم يمتد التأثير المستوى . أما طريقة الإدارة والحكم ، فلم يعرف أنه لأمير مكة أى أثر فى ذلك . وفى سنة ١٣٢٩ هـ ١٩١٠ م انصل بالقبائل الضاربة بين القيت وأبها أثناء الحملة التركية ضد الإدريسى ، تلك الحملة التى كان لشريف يد ظاهرة فيها ، وعلى كل فإن الأتراك أنفسهم لم يكن لهم نفوذ على غير القنطرة على الساحل ، وبحايل وأبها فى الداخل ، وبعض البلدان الصغيرة القريبة منها ، والطرق الموصلة بينها .

أما المنطقة التى كان يمتد نفوذ الإدريسى عليها فتشمل قبائل قحطان فى القسم الجنوبى من عبر ، والقسم الأكبر من تهامة ، من البزك إلى الحدّبة حيث يبلغ طول هذه المنطقة من الشمال إلى الجنوب نحو ٣٥٠ ميلاً وعرضها نحو ٧٠ ميلاً .

وانحد الإدريسى مقاطعة صَبِيّا كما سمى ، وميدى وحيران مياهن . وتبل أن يقوم محمد على الإدريسى بحركة تأبىس حكومته فى عبر كان القسم الأعظم من المنطقة المنحد من ظهران إلى الطائف خاضعاً لنفوذ عائلة بنى مُعيط (Mughe-d) وعاصمتهم مُتَاطِر ، أو أنها كما نرى اليوم . واشتهر من بنى مُعيط فى القرن الماضى عايض بن سمرعى الذى كانت له مواقف مشهورة فى الحملة المصرية فى عير سنة ١٨٣٤ م ، وبقيت

البلاد حرة من هذه السنة حتى سنة ١٨٦٩ م حيث رجع إليها النفوذ التركي ، فغلب نفوذ آل عايش وأصبح سلاطنتهم لا يكاد يمدو منطقة أنها .

أما ما يطلق عليه الحلفاء السلياني ، فكان مستقلا مدة طويلة ، وبقي محافظاً على هذا الاستقلال ضد الحكومة التركية ، والقبائل الجنية من جهة ، وضد القبائل الصارية في الهبال الداخلية من جهة أخرى .

وبين سنتي ١٨٣٠ و ١٨٤٠ م خصصت أبو عريش لشريف علي ، الذي اتفق مع المصريين على التخلص من نفوذ عايش بن مرعي ، وفي أثناء حكمه وصل السيد أحمد الإدريسي القرني — أحد رؤساء الطرق — إلى صنيباً (وكان قبل ذلك قياً بمكة منذ سنة ١٧٩٩ م وأعطاه ومرشداً إلى طريقته) وأقام بها إلى أن تولى سنة ١٨٣٧ م . وفي أثناء إقامته في صنيباً نشر فيها وفي غير الطريقة تلك التي تلقاها في مكة سنة ١٨٢٣ . وقد ترك السيد أحمد لأولاده من بعده ثروة مادية ومعنوية لا يستهان بها ، ظهر أثرها في أيام ولد السيد أحمد وحفيده ، بعد انهزام الشريف حسين ، حاكم أبو عريش ، وقد تصاهر الإدريسي مع العائلة السنوسية المنتشرة في السودان ومصر قرب الأقصر . والحقيقة أن نفوذ الإدريسي لم يقتصر فقط على الحلفاء السلياني ، بل امتد شمالاً وجنوباً حتى إن بعض القبائل الصارية حول صندة انتشرت بينها تعاليم الإدريسي . هذا ما تركه السيد أحمد الإدريسي الكبير من الأثر في غير والذي استلمه من بعده السيد محمد علي الإدريسي حفيده .

ولد السيد محمد علي الإدريسي في صنيباً سنة ١٨٧٦ م وتلقى تعليمه ما بين الأزهر والكوفة مقر السنوسية ، ثم رجع إلى صنيباً وأصبح نصب حينية انتراع غير من يد الأتراك ، والاستقلال بها . وفي سنة ١٩١٠ م طرد الترك من كثير من البلاد ، غير أنه لم يوفق في الاستيلاء على أنها ، حيث لم يقو على الوقوف في وجه الحملة التي سيرها الأتراك بقيادة أمير مكة الشريف حسين بن علي . على أن ذلك لم يقل من عزمه ، بأنه انتهز فرصة اشتغال الأتراك بحمارة الإيطاليين في طرابلس ، فقام محاولاً الوصول إلى غرضه الذي

وصفه نصب عليه ، مستحباً للإيطاليين . إلا أن هذه المحاولة لم تشر الفكرة المطلوبة ، وإن أمير مكة الذي كان له بالمرصاد ، كان أكبر عقبة في سبل الوصول إلى ما يريد ؛ ومع ذلك فإن الإدريسي قد استطاع أن يبدد نفوذه الأدبي وحض نفوذه المادى في أثناء الحرب البقائية ، وقد حاول أن ينال من الأتراك اعتقاداً بحكومته ففشل ، ولم يعترفوا به إلا كفاتحاً^(١) على صيدا ، وأبي عريش ، فأكتفى بذلك صحيحاً القمص الثلاثة ؛ وفي أثناء الحرب العالمية لأزلى انضم إلى الحلفاء ضد الأتراك ، وعقد معاهدة مع القم في عدن في شهر مايو سنة ١٩١٥^(٢) ، وأحد يبرهن الأتراك في المناطق الجنوبية حتى وصل إلى الأحبة ؛ وبعد إقصاء الهدنة تركه الانجليز الحديدة ؛ التي احلوا أثناء الحرب اعتقاداً بحكمته التي قام بها أثناء النضال العالي . وقد استطاع السيد محمد علي الإدريسي أن يقف في وجه الشريف حسين من الشمال ، والإمام يحيى في الجنوب ، مدة حياته بالتحالف مع سلطان نجد سنة ١٣٣٩ هـ (١٩٢١ م) .

توفي محمد علي الإدريسي في شعبان سنة ١٣٤١ هـ ، وولى الأمر بعده ولده السيد علي الإدريسي ، فوشت البلاد في فوضى ، وحاول الملك حسين والإمام يحيى أن يوسع كل منها منطقتهم على حساب الإدريسي فلم ينجح الملك حسين ، لأن الفرصة لم تساعده كما ساعدت الإمام يحيى .

وفي ربيع الأول من سنة ١٣٤٣ هـ (١٩٢٤ م) دخلت جيوش الملك عبد العزيز مكة ظافرة ؛ وظلت الجيوش ستة وثمانية أشهر تتعقب الأشراف لإحلالهم من الحجاز ، فاتهم الإمام يحيى هذه الفرصة السانحة فاحتل الحديدة ، وناع زحفه شمالاً حتى وصل ميدي ؛ فلما وجد الإدارة ما حل بهم عزلوا السيد علي الإدريسي ، ووثوا مكانه عمه السيد الحسن الإدريسي أبا السيد محمد علي .

لم يجد السيد الحسن نفسه قادراً على الوقوف في وجه الإمام يحيى ، فأرسل من يده

(١) تظير ما مور في حرب مصر .

(٢) تجد نص هذه المعاهدة في ذيل الكتاب .

السيد مرغني الإدريسي مندوباً إلى مكة للاستنجاد بالملك عبد العزيز، فاجتمعت بالمرغني ووضعت معاً معاهدة الحماية في سنة ١٣٤٥ هـ (١٩٢٦ م) لإيقاظ ما بقي من ملك الأدراسة. وفي سنة ١٣٤٩ هـ (١٩٣٠ م) طلب السيد الحسن أن تصم البلاد إلى مملكة جلالة الملك عبد العزيز، وأن يكون حكمه فيها مباشراً. ومن ذلك التاريخ أصبح ذلك القسم من عسير ملحقاتاً بمملكة نجد والحجاز؛ التي يطلق عليها الآن المملكة العربية السعودية، وطويت صحيفة الأدراسة كما طويت صحيفة آل عايض من قباهم.

نجد

وهي أكبر قسم من بلاد العرب ، ويشمل صحراء العرب الوسطى ، ومع أن حدود نجد غير معروفة تماماً في الجغرافية العربية لسكثرة الأقوال وتعدد الآراء . فإن مجداً اليوم تشمل الأراضي الممتدة من قُرْنَاتِ المِلْح شمالاً ، إلى وادي الدواسر جنوباً ، ومن حدود الأحساء شرقاً ، إلى حدود الحجاز غرباً

وفيها كثير من الجبال والأودية والصحارى ، وهي ليست قاحلة كما كان ينصور الناس قديماً . فن الشمال ابتداء من حُوَارَن إلى شواطئ القرات ؛ أرض مسطحة تسمى العَمَاد ، ليس بها أنل ارتفاع ، كما أنه لا يوجد بها قرى أو مدن . ويظهر للمار بها أحياناً بعض الأعشاب الضخمة . وهذا القسم لا يزال كما كان منذ ٢٣٠٠ سنة

ويوجد بها من الحيوانات : الحَبَّارَى والنَّعَام ، وابن آوى ، وجر الوحش ، وحمار الوحش . وتقع صحراء الأحقاف جنوبي نجد ، فتجد على هذا محاطة من جميع جهاتها بسهول رملية ، مزارية الأطراف ؛ ونجد مشهورة بمزارعها الجيدة ، وبها كثير من العيون الغزيرة المياه ، وسها كثير من الأطلال القديمة التي لم تمسح حتى الآن يد البحث والتنقيب وأشهر الأماكن نجد من الجنوب إلى الشمال : وادي الدواسر ، الأفلاق ، الحَرِيق . الغَرْج ، العارض ، الوشم ، سُدَيْر ، القَصِيم ، جبل شتر ، الجَوْف ، قُرَيَّاتِ المِلْح . وبلغ امتداد نجد من الشمال إلى الجنوب ، أى من قرىات الملح إلى وادي الدواسر نحو ٨٠٠ ميل ، وبلغ عرضها من العرب إلى الشرق ، أى من الوشم إلى سدبر نحو ٢٢٠ ميلاً

الجو

تعنى الصحراء قديماً بهواء نجد ، وأسهبوا في وصف نسبه ، وهو على العموم جاف معتدل ، غير أن إقليم نجد يختلف هواؤه باختلاف المنطقة ، وموقعها الجغرافي ، فالحريرق كاسمها شديدة الحر . ووادي الدواسر كذلك

أما الأمراضُ فهوَها معتدل جاف في السهل ، شديد البرد في مرتفعات طوبق .
والجو في القصيم حاف بارد في الشتاء ، ومعتدل في الصيف ، وليالي القصيم في الصيف
كليالي الصحراء ، نسيم عليل ، وسما صافية ، ونجوم تسطع في السماء ، لقد رؤيتها للصحراء
والمواوين المندوه الصحراوى البديع

أما هوا . جبل ثمر فشديد البرودة ، ولقد فإن بشرة سكان نجد الشهاية تميل إلى
البياض عكس سكان الجنوب

والأمطار في نجد لها الشأن الأول في الحياة ، وهي قليلة على الصوم إذا قيست ببعض
المناطق الجنوبية ، وكثيراً ما تكون الأمطار محاية ، ولقد تكون عامة . فالأمطار شمال
النفود قلما تمتد إلى جنوبي جبل ثمر ، وحديث الناس ، أسراهم وبدوم وحضرم ، هو
الطر . وسؤال القادم يبدأ بالطر والرعى . ومن يعيش في بلاد العرب يعرف الأثر العظيم
الذى يحدثه الطر ، والحاجة التى يسببها تأخره ، فأهل نجد لا يأبهون بشيء إذا رزقهم الله
الطر ، تحيا به زروعهم وحيواناتهم ، وتسلمهم السمادة بكل معاينها

وأما إذا انقطع الطر ، فلا يمكنك أنت متصور ما يصيب الحيوان من الضعف
والموت أحياناً

والرياح التى يكثر هبوبها ، الرياح الغربية ، وتميل إلى الجنوب في الجهات
الشمالية القصوى

السكان

يبلغ سكان نجد من حضر وبدو ثلاثة ملايين من النفوس تقريباً ، فالحضر هم سكان
المدن . وهم في الأصل من البدو ، وتوطنوا في مساكنهم من قديم

وأم العشائر النجدية آل مرة . وبنو خالد ، والمجشان في الشرق ، وقحطان في
الجنوب ، والجنوب الغربي . وسُبَيْح والسهول في الغرب . ومُطَيَّر في الشمال الغربي وثمر
في الشمال ، وعُتَيْبَة في الشمال الغربي ، وثرَب في الشمال الشرق . وعُزَرة في الشمال
الشرق أيضاً

وأهل حابل ينسب أكثرهم إلى ثمر . وأهل القصيم يرجعون في الغالب إلى بني خالد
وبني تميم ، وأهل الجنوب ينتمون في أساليبهم إلى عُنيزة ، وأهل الوسط إلى الدواسر
وبني تميم ، وأهل الجنوب الغربي ينتمون إلى الدواسر وتحملان .

الأدوات المحلية والمصنوعات

هذه الأدوات قديمة العهد في نجد ، كما هي في باقي بلاد الجزيرة العربية لم يشمها
التحسين والتجديد .

وفي مقدمة السكان حمارة أهل عُنيزة^(١) في القصيم ، ورياض وأحرم حمارة
سكان وادي الدواسر والثليل .

جميع المباني من الخن ، ويقبل سمك الحائط في مرتفعه ، إلا في القرى الموجودة في
الجنوب ، فإنهم يستعملون جذوع النخل . والسقوف مسطحة وهي من الطين الموضوع
على جذوع النخل ، أو فروع الأثل . والتواء عبارة عن فتحات صغيرة على شكل
مثلث لإدخال النور ، وفي كل منزل فناء كبير يستعمل لحفظ الدواب القليلة ولحفظ السَّاد
والمازل ذات الطابقين قليلة جداً ؛ والأثاث في البيوت بالمعنى المعروف في البلاد المتقدمة
غير معروف إلا في بيوت العائلات الكبيرة . فالرجال يلبسون ولباسهم على الحصى
المصنوع من حوص النخل ، ونصف أرضية السكان تبقى عارية ؛ والملاقي والسكاكين
والشوك لا تكاد تستعمل في نجد ، والنور الكهربائي غير معروف إلا في قصر الملك
وعائده ، وأغلب السكان يستعملون مصابيح تضاء بالبترول وهي واردة إليهم من الخليج
أو الحجاز ؛ وأواني الطبخ من النحاس غائبة ، وقد يستعمل الألومنيوم أحياناً ولا سيما في
القصيم ، ويصنع بعض أنواع القمار في نجد ، ويصنع الخبز على شكل مسطح رفيع ،
وهو ما أن يسوى على الحجر ، أو يسوى على لوح من الصاج ؛ أما أواني القهوة فتعد
من الأحشاء والشام ، وتصنع الحياحر والسكاكين في حابل أو الخليج ، أما الأساحة
البارية فتعد من الخارج .

وأما خامات الملابس فكلها ترد من الخارج . إلا ما يصنع من الصوف ، ويستعمل

(١) عُنيزة : اسم قرية ، وعُنيزة : اسم البلدة .

في عمل المياهات والنفالات ، ويصنع من الصوف الخيام ، وأخراج الجبال ، وأحسن أصناف الصبغات ترد من الأحساء ، ويكتمون من الملابس الداخلية بقميص من القطن ، ولا يستعملون النمل كثيراً . وأغلب المصنوعات الحديدية ترد من الخارج إلا ما يلزم لقرب المياه والذلاء ، والسروج ، والنعل ، فإنها تصنع في نجد . ويصنع أيضاً الحصى والبراح من الخوص ، واسكن هذه الصناعة متقدمة نوعاً ما في التقصيم ، ولا سيما عبيرة . ومع ذلك فإن أنواعها أقل بكثير مما يصنع في موافى الخليج العربي

والطعام المادى في نجد هو التمر والخبز والحبر ، وأحياناً لأرور واللحم .

هذا ما كان قبل عشرين سنة أما الآن فقد تطورت الحياة تطوراً سريعاً في المياه والحياة البرية فالحيات في الرياض وجدة لا تميلف من شيلاتها في البلاد الأخرى بل قد تتنازعها في كثير من قراقرق الحياة .

إبالات نجد

العارض :

ويعرف في الجغرافية القديمة ببحو ، والقروض ، والجمامة ، ويقع بين سدير شمالاً ، والخرج والحريق جنوباً ، وهو يكون القسم الأوسط من طويق الشبر .

وواى حنيفة هو قلب العارض ، وفي جنوبه القري يقع سهل ضراً ، وفي شماله المحلل ، والقسم المصور من العارض مساحته ١٠٠ ميل مربع .

وأهل العارض مشهورون بالشجاعة والإقدام ، واحتمال المسكاره ، والحماة الدينية ، وقوة الإرادة ، والدهاء ، وهم شديد الإعجاب بأنفسهم ، يميلون إلى العزلة ، ويفضون عدم الامتراج بسوام ، يغلب عليهم سوء الظن ، ورغم ما كان ذلك سبب القن الكبيرة وما حرته عليهم من المصائب . ولكنهم مع ذلك طيبو القلب لا يحملون حقداً لأحد ، إن وثقوا بأحد صموا آذاهم ما يقال فيه ، وهم عدة آل سعود وجددهم ، برجعون إليهم عند اللوات ويستفدون عليهم عند اشتداد الكروب ، وأغلبية انخلاق الحري عليهم ترى في طابعهم شيئاً من الخشونة والصلف .

أشهر بلدان العارض :

أشهر بلدان العارض في الشمال — الرياض ، وشمالها : بين القريشة عرقة ، الدرعية ، المائق ، الممارية ، أبو السكباش .

وفي الشمال الغربي : الجبيلة ، الميمنة ، الشعيب .

وفي الشرق : صدوح ، منم ، القرية .

وفي الجنوب الغربي : سدوس ، حرنيلة ، المختل ، ناذق ، المحرقة ، رغبة ، الروضة .

الرياض :

عاصمة مدكلها ، اتخذها آل سعود عاصمة لم بعد تخريب الدرعية سنة ١٢٣٣ هـ (١٨١٨ م) ، وقد عمرت الرياض وكثرت مبانيها وسكانها في أيام الإمام فيصل جد الملك الحالي ، ثم أهل أسرها بعد جلاء آل سعود عنها ، فعلاً شأن حائل في الشمال ؛ وقد استقرت الرياض مكانتها ، واشتهر أمرها ، وأصبحت كعبة آمال العرب ، ومقصد الوافدين من جميع الأنحاء العربية ، بعد أن ساد ذلك عند العزيز نمحاً كلها وقص على منافيه فيها ؛ وتنحصر الأرض المشيدة عليها عن المستوى العام بفحو ١٠٠ قدم ، حتى أن القادم من الشمال أو الشرق لا يراها إلا من قريب ويحيط بالرياض بساتين النخيل ، وهي وصواحيها تمتد من الشمال إلى الجنوب نحو ميلين ، حيث تقف عند قاع وادي حنيفة أو الناطن والرياض كثر المدن المحدية : كانت محاطة سور محصن بأبراج عديدة لحماية البلدة من غارات البدو وعدوان الأعداء .

وأكثر مدنى "الخمر" من الطين أو اللبن ، وهي قليلة النراية على الطريق العام ، فإن ذلك مدود من العمير في البلاد العربية . ويشمل قصر ذلك ومازل العائلة الحاكمة قسما عليها من المباحة وهي تشبه في شكلها قصور الفروع التي على من جهة السمة وإقامة الأراج عبيها ؛ وأصدر الملك عبد العزيز على أمقاض القعر القديم .

والرياض هي مقر آل الشيخ ، وأخذته الشيخ محمد بن عبد الوهاب المصالح الديني العظيم ، ومن ممرهم ندى أمه مائة ، المحركة العليا في البلدان الأخرى ، وهم المرحع الأجير في جميع المشكلات الدينية . ويتوهمون في الوقت نفسه بوطيفة تدريس العلوم الدينية والكتاب العربية في يونيو ، التي تمدها طاعة ألم ويحدث فيها ما يساعدهم على الانقطاع لطلب العلم .

والرياض تزخر بالزائرين ، وتصح بالوافدين من الحضر والبدو وقت إقامة جلالة الملك بها ، وقد يبلغ عدد الضيوف عشرة آلاف ، ولا يقل عدد الضيوف عن ٨٠٠ في الأيام العادية ، وكلهم تهيأت لهم سبل الضيافة ، وتوفرت لهم جميع وسائل الراحة على نفقة حلافة الملك

وأهل الرياض أشد أهل نجد صلاحية في الدين وغيره على حرمانه ، وشأنهم شأن أهل نجد في المحافظة على صلاة الجمعة والضرب على أيدي المنهين في أدائها ويبلغ عدد سكان الرياض نحو مائتي ألفاً ، وقد أمر حلافة الملك في سنة ١٩٣٣ بإنشاء بلدية للإشراف على تنظيف البلد وتوسيع طرقاتها ، وقد ربطت بيوت العائلة الحاكمة بعضها مع بعض بأسلاك التليفون ، وأصبحت بعد إنشاء الحطة اللاسلكية فيها سنة ١٩٣١ مرتبطة مع سائر البلدان القريبة ، وأصبحت على اتصال وثيق بالعالم الخارجي بعد ما كانت في عزلة تامة عن العالم

وإذا قورنت الرياض اليوم بالرياض سنة ١٩٢٣ حيث زرتها لأول مرة وجدت الفارق العظيم في كثرة السكان والبناني الشديدة بالمجاعة المزودة بكثيف الهواء وقد ربطت الرياض بالخليج الفارسي بخط حديدي حديث فاقهم صحراء الدهناء الخط الحديدي كما اتصتها السبابة من قبل

الدرعية :

وهي العاصمة الأولى لآل سعود تحربت سنة ١٢٣٣ هـ سنة ١٨١٨ م . أما الدرعية الجديدة فمقابل البلدة القديمة ، وهي في الجهة الشمالية من وادي حنيفة ، تقع في غربي الرياض ، وتبعد عنها نحو ٢١ ميلاً

ويبلغ سكانها الآن نحو ١٥٠٠ نفس ، وبها كثير من أشجار النخيل والتماكة يرونها نحو ٤٠٠ بئر غزيرة المياه ، وأشهر ضواحيها الطريف في الجهة الثالثة من الوادي وتريجة والصبية ، وهي منفصلة عن بعضها بأسوارها الخاصة

سدوس :

بلدة صغيرة في موقع كبير المياه ، خصب التربة ، وفيها كثير من أشجار الفاكهة

والخيل ، وقد اشتهرت سدوس بما فيها من الآثار ، وقد عثر فيها على تمثال يبلغ قطره ثلاث أقدام ، وارتفاعه ٢٢ قدماً ، ويبلغ سكان سدوس نحو ألف نفس حريلة :

في طويق أيضاً ، وفي الشمال الشرق من سدوس ، وتبعد عنها نحو ١٢ ميلاً ، وهي أيضاً في منطقة خصبة كثيرة المياه ، بها كثير من أشجار النخيل والتفاح ، وآبارها عميقة ، وبها قلعة كبيرة محروبة ، بناها المصريون في أوائل القرن التاسع عشر ولكنها تدهأت منذ ذلك . والقسم المحض من البلدة فيه كثير من المنازل المداعية ، ترى كأنها أطلال ، والطريق العام الشمالى إلى سدوس يمر بحريمة ، ويبلغ سكان حريمة ٣٠٠٠ نفس نادق :

بلدة صغيرة في الشمال الغربى من حريمة ، تقع على جانب الوادى في الجهة الغربية من منحدرات طويق ، يبلغ سكانها نحو ٢٠٠٠ نسمة ، وكانت من المدن الشهيرة في الماضى وهذا عليها عادى الدهر الميمنة والجيمنة :

وقد كانت الأولى زاهية زاهرة في أيام النهضة الأولى لآل سعود ؛ وهناك قصص كثيرة عن أسباب خرابها وحر الناس لها ، ليس لها محل ذكرها ، والخبيلة مشهورة بقبور كثير من الصحابة الذين اشتهروا في حرب سيلة الكذاب الخروج :

أشهر بلدان الخروج : الدلم وهي العاصمة ، متفوحة في الجنوب ، تمنجان السليسة ، البامة ، التصاصف ، الصبيبة اليدع ، ورزان تقع هذه المقاطعة في الجنوب الغربى من المارض في وادى حنيفة ، وتمتد من الضفة اليمنى لوادى قرب الرياض إلى الصحراء الكبرى الجنوبية ، ومن حدود الحريق والمحوطة في الجنوب الغربى إلى الصحراء الشرقية .

والمنطقة المكونة من المقاطعة يبلغ طولها من الشمال إلى الجنوب نحو ٨٠ ميلاً ، ومن الغرب إلى الشرق ٥٠ ميلاً ، والخارج من أغنى المقاطعات البجدية^(١) وأخصبها ؛ فيها كثير من الميون الجارية والناطق المزروعة .

وقد اعاد آل سعود من قديم أن يُسموا حيولهم وإياهم في الحرج . وأشهر المدن الخارج هي :

منقوعة :

تقع في أقصى الطرف الشمالي من وادي حنيفة ، ومنزلها بمضها منى بالعُين والبيض الآخر بالحجر . وقد كان لمنقوعة شأن يذكر في نجد في الماضي لما كانت الرياض قرية ، فقد كان سكان منقوعة أكثر من سكانها الحاليين ، إذ كانوا يحاورون الخمة عشر ألفاً . أما الآن فمنقوعة لا يتجاوز سكانها عشرة آلاف ، وبها كثير من أشجار النخيل التي تزيد عن ٤٠ ألف نخلة ، وآبارها يبلغ عمقها من ٢٥ — ٧٠ قدماً حسب بعدها عن الوادي

السلمية :

بلدة صغيرة على مجرى عين فوزان الذي يفيض من السلم على بعد ٥٠ ميلاً من الرياض وهي في بقعة منخفضة كثيرة المياه ، بها كثير من البساتين ، ويبلغ سكانها نحو ألف نفس

اليمامة :

مدينة صغيرة أيضاً تقع على مجرى العين السابقة ، وفي بقعة خصبة أيضاً ، كثيرة المياه ، بها كثير من البساتين ، ويبلغ سكانها الآن نحو ١٢٠٠ نفس وقد كانت اليمامة قديماً تطلق على منطقة واسعة

الدلم :

هي المدينة الرئيسية للمقاطعة في الوقت الحاضر ، وتقع على عين فوزان الشهيرة ، ويبلغ

مكناها نحو ٦٠٠٠ نفس يشغلون بالزراعة ، وأراضيها خصبة وعامرة بزراعة النخيل والحبوب والأرز ، ويبلغ عمق الآبار من ٣٥ — ٥٠ قدماً

الحريق :

تقع منطقة الحريق غربي المخرج وجنوبي العارض ، وتبعد عن الرياض بنحو خمسين ميلاً ، وآبارها بعيدة العور قد تبلغ نحو ١٠٠ قدم ، ويبلغ سكانها نحو ٤٠٠٠ نفس ، وقد اشتهرت الحريق بالثورة التي أنارها أساء عم الملك عبد العزيز عليه سنة ١٩١٠ م في لوقت الذي كان شريف مكة يهدد إمارة نجد من جهة الحجاز

الحوطة :

بلدة صغيرة في جنوبي الحريق ، بها كثير من البساتين يبلغ سكانها ٤٣٠٠ نفس

الأفلاج :

تقع منطقة الأفلاج غربي المخرج وشمالي الحريق ، وهي سهل واسع ، وهي في الجغرافية القديمة قسم من الهامة ، كثيرة المياه والنخيل ، عامرة بالسكان ، وأشهر بلداتها هي :

يَسْلَى :

في القسم الجنوبي من المنطقة ، وهي الآن مقر مركز لاهلاج ، ويبلغ سكانها وسكان القرى التابعة لها نحو ٥٠٠٠ نفس ، منهم نحو ٤٠٠ من لأشراف

البيديع :

في القسم الجنوبي من المنطقة ، ويبلغ سكانها نحو ٣٥٠٠ نفس

الروضة :

شمالي البيديع ، وتبعد عنها ١٠ أميال ، وبها كثير من بساتين التفاح ، والمنطقة كثيرة المياه ، ويبلغ سكانها نحو ١٦٠٠ نفس

وادی الدواسر

يمس الوادی حافة الزام الخالی عند نقطة تمتد نحو خمسين ميلاً من جنوب شرق الثليل ، وعلى بُعد خمسين ميلاً أيضاً من جنوب غرب المسكان نفسه الطريق وبحرى الدواسر بنعندم شرقاً فى الزمال . وإلى الغرب من هذا توجد سلسلة جبال اليمس ، ويوجد على منحدراتها الشرقية كثير من الواحات العاصرة ، ثم ننضم هذه المنحدرات تدريجياً فى الزمال ، بينا وديان التليل وييشة وراينا تتجه شمالاً فى أعلى غير ، حيث اجتماعها فى السهل يكون وادی الدواسر نفسه

منطقة للثليل :

هذا الجزء واقع إلى الجنوب الشرقى لوادی الدواسر ومنخفضات القرن ، وإلى جنوبه فيما وراء المرتفعات تمتد أطراف الصحراء

واحة السليل :

يبلغ طول الواحة حوالى ميلين ؛ فى وادى رملى مكون من التقاء الوديان فى قلب أعلى الطريق^(١) ، وأحد هذه الوديان هو وادی الدواسر الذى شق حاجز النجد إلى شطرين من الغرب إلى الشرق

و مستمرة السليل تتكون من أربع قرى مربعة الشكل ، وكثير من الأكواخ المبنية هنا وهناك ، وبضعة قصور منتشرة على حافة مزارع الخيل على الضفة اليسرى لوادى المجموع . ومساحة المستعمرة ميل طولاً ، وربع ميل عرضاً

وعند طرفها الشمالى الشرقى تقع قرية « فرعة » ، وسكانها نحو ٣٠٠ نسمة

وعلى الطرف الآخر تقع قرى صنبعة أو المحمد ، ودغلا ، والحش

والقرية الرابعة هى آل سويلم ، وسكانها نحو ٣٠٠ نسمة . وهى واقعة فى منتصف الواحة ومجموع سكان الواحة لا يزيد عن ألفى نسمة ، بعضهم أرقاء تمردوا ، وهذا التقدير

(١) طريق : جبل فى نجد الوسطى .

لا يضم العرب الرحل الذين يندون على الواحة زمن موسم التمر لأخذ حاجتهم منها
وما تنتجه الواحة من التمسح والتمر يكفي سكانها مؤونة العام ، وعذا ذلك فنزرع فيها
أغلب أنواع الفواكه ، وبها بزرع القطن أيضاً
ومنطقة السيليل بما فيها « حَمَا » في الشمال ، وواحة « تَمَر » في الشرق هي جزء من
إمارة الدواسر

واحة الوادي :

تقع مزارع نخيل الشَّرَافَة في مدخل الواحة من جهة الشرق ، وهي غنية بشجر الأثل
والسكرام ؛ وسكانها نحو خمسمائة نسمة من الدواسر ، ثم يتلوها إِيحَاف أو مَسْرَة . ويفصلها
عن مزارع نخيل الشَّرَافَة حواجز رملية يبلغ عرض الواحة منها حوالي نصف ميل
وتكثر مزارع النخيل في الجهة الشرقية من الواحة بدرجة كبيرة ، وبها توجد
خمس قرى منها : « بَيْتِيَّة » و « التَّقِيْط » ، وهما قريتان متلاصقتان ، وواحدتان على ضفة
الوادي اليمنى ؛ وسكانها مائة حوالي ثمانمائة نسمة

وعلى بعد نحو ربع ميل من شمالي هاتين القريتين ، وعلى سفح الضفة اليسرى للوادي
تقع قرية « تَزْوَ » وسكانها نحو ٣٠٠ نسمة
على ذلك مستمرة تحاذي مَمْنَلَة ، وهما غنيتان بمزارع النخيل . وسكانهما نحو
ألفي نسمة

يتلو ذلك الدَّام ومَشْرِف ، وهما واقعان على حافة الوادي القبلية ، ويفصلهما عن
بعضهما مسافات صغيرة

وإلى الغرب تقع مزارع نخيل القَرَعَة وكروها ، وهي تكون الحد الغربي للواحة .
وفي هذه الواحة يجري مجرى نهر الدواسر . ويجري الوادي نفسه طينى القرية ، ولكنه
منطى بطبقة خفيفة من الرمل

وإلى الجنوب تمتد صحارى قاحلة لا نبات فيها ، وبها ليل رملية تتلاشى رويداً حتى
تتلاشى في رمال الصحراء ، وتنتج من جهة إلى الجنوب الشرق حيث توجد التَّوْبِيع

بلدان الوادى

دام :

هى عاصمة الإقليم ، وتقع على سفح المنحدر فى الجهة اليمنى من الوادى . وهى على شكل مربع تقريباً ، مبنية على مرتفع تقع على قننه أحسن البيوت والمساكن ، وكانت محاطة بسور ولكن أعلاه اليوم منهدم . وأحسن بناء فيها هو « قصر حسين » وهو على شبه قلعة يملكه أحد الشيوخ . وليس بالبلدة سوق عام ، ولكن خضعة حوانيت ترى هنا وهناك

وسكانها نحو ثلاثة آلاف نسمة من الرُّجَبَان ، وهم قسم من الدواسر أشداء البطش والقوة ، ويمتثلون كل العناية بنخيلهم وكرومهم وفى القضاء الذى يفصل « دام » من نظيرتها « مشرف » يقع « البرزّان » وهو القلعة وقصر الحاكم العام

مشرف :

هى للركز التجارى العام الواحة ، وهى تنافس « دام » فى الأهمية والشهرة ويبلغ سكانها نحو ١٥٠٠ نسمة ويحيط بالبلدة سور فى حالة أحسن من سور مدينة « دام »

ولأمين :

واقعة إلى الشمال الغربى من مشرف ، وسكانها نحو ألف نسمة ، ويفصلها عن مشرف حائط يسمى القَرْيَخ

الجُبُور :

فى الجنوب الشرقى من دام ، ويبلغ سكانها نحو ١٥٠٠ نسمة

عَمَامِيَّة :

فى شرق دام ، ويبلغ سكانها نحو ٢٠٠٠ نسمة

وفي الجهة الغربية من الواحة توجد مزارع نخيل واسعة النطاق يتخللها بعض أشجار الأثل ، وتسمى هذه الجهة « الفرعة » ، وبها عدة قرى بعضها إلى جانب بعض ، ويطلق عليها اسم « الحراء » ، وهي واقعة إلى الجهة اليمنى من الوادى .

ويبلغ مجموع سكان إقليم الدواسر زهاء ثلاثين ألفاً من حضر وبادية ، ويمكن الوصول من وادى الدواسر إلى رَمَيْثَا في خمسة أو ستة أيام بالإبل ، ومنه إلى وادى بيشة في نحو أسبوعين .

الوشم :

أشهر بلدان الوشم : شَقْرَا (العاصمة) ، ثَرْمَدَا ، وَشِيقَر ، الْقَصَب ، غِلَّة ، الوشف ، أُنَيْثَة (بلدة جرير الشاعر) ، القوعدة ، الحُرَيْفَة ، الدَّاهنة .

يحد من الجنوب والشرق المارِض وسُدَيْر ، ومن الشمال القصيم ، وأما من الجهة الغربية فليس هناك شىء يبرز يحدد نهايته ، ويفصله من الجهة الجنوبية الحداد عن ضَرْمَة من المارِض ؛ ويبلغ امتداد هذا السهل من الشمال إلى الجنوب حوالى ١٠٠ ميل ، ومن الشرق إلى الغرب نحو ٩٠ ميلاً — أما خط تقسيم المياه — فهو السهل الرملى الوامى الذى يبلغ عرضه نحو ١٥ ميلاً .

ويتمى النفود إلى جنوب ثَرْمَدَا حيث الحد الفاصل ما بين الوشم والمارِض ؛ والجنوب الشرق من الوشم أهل بالقرى والسكان والمياه ، وفيه تقع أكبر بلدين في الوشم شَقْرَا العاصمة ، وَثَرْمَدَا . أما وسط الوشم وشماله فأرضه غير خصبة ؛ ويبلغ عدد سكان الوشم نحو ١٥٠٠٠ نسمة يمتنون إلى بنى تميم وعنزة وهم يقطنون حوالى عشرين بلدة وتروية هذا القرى الصغيرة . وأشهر البلدان هي :

شَقْرَا :

في الجهة الجنوبية الشرقية ؛ يبلغ سكانها سبعة آلاف وسورها وأبراجها متهدمة منذ الحصار الذى أقامه عليها محمد الرشيد في سنة ١٨٩١ م ، وبساتينها صغيرة بالنسبة إلى

مساحة المدينة، وآبارها عميقة : ٦٠ — ٧٠ قدماً ، ولكن ماءها لا ينضب حتى في أيام الجفاف الشديد .

وقد كان لشقرا في القرن الماضي مكانه تجارية عظيمة مع الهند وسوريا والعراق ؛ ولا يزال أهلها يجوبون مختلف الأنظار في سبيل التجارة .

قَرَمْدَا :

في الجنوب الشرق من شقرا ، وهي تكاد تكون محمية مما حل بها في سنة ١٩٠٣ ، حيث انحازت إلى ابن الرشيد . يبلغ سكانها نحو ١٥٠٠ نفس ، وبها قلعة وسوق ، وكثير من البيوت الجليّة ، وبها كثير من البساتين الواسعة ، وهي تروى من آبار عميقة من ٦٠ — ٧٠ قدماً .

وَشِيْقِر :

في الجهة الشرقية بين وسط حافة النود وواجهة طويق ، وهي على بعد بضعة أميال إلى الشمال الشرق من شقرا . بها عزارع تروى من آبار عميقة من ٥٠ — ٦٠ قدماً .

الْمَدَنَب :

في منتصف الطريق بين شقراء والقصيم ، وهي حلة قرى آهلة بالسكان منضم بعضها إلى بعض ، يبلغ سكانها نحو ٢٥٠٠ نفس ، وآبارها غير عذبة ، وبها كثير من القصور ، واثربها من الوشم عُدّت قسماً منه ، وبعض النجديين يعتبرها قسماً قائماً بنفسه .

صُدَيْر :

هو القسم الواقع إلى شمال نجد الأصلية ، وتقع القصيم إلى شمالها وشمالها الغربي ، وخط الحدود يقع في الصحراء على بعد عشرين ميلاً من وادي الرّمة بين الرّبيعي والمدّنب ، وإلى غربها تقع الزّعم وخط الحدود ، ويمكن تقدير أبعادها بمائة ميل من الشمال الجنوب ، و ٩٠ ميلاً من الشرق إلى الغرب .

وسدير في الواقع هي الجزء الشمالي من « طويق » وتحتوى على أول السلسلة التي تنبج
محو الجنوب الشرقى ، والجزء الرئيسى الذى يكون أغلب سدير هو السهل المرتفع الواقع
فى الشمال فوق السلسلة الممتدة إلى الجنوب الشرقى . والقسم المأهول بالسكان هو المنحصر
من هذا السهل

وهذه الوديان منفصلة بعضها عن بعض بمحاجز صخرية ؛ والفقرى هي فى الواقع واحات
صغيرة منفصلة بعضها عن بعض ، وغير ذلك توجد مزارع مأهولة خارج الحد الشرقى
من المرتفع ، وهي واقعة إلى شمال وشرق الزلفى والمجمعة ، وأيضا يوجد بعضها إلى الجنوب
ولا يمكن تقدير عدد السكان بأكثر من خمسة وعشرين ألف نسمة ، وكل البلاد
ذات الأهمية واقعة على الطريق الرئيسى وأهمها :

المجمعة ، الزلفى ، الفاط ، جباليل ، التوثيم ، الداخلة ، الروضة ، الحصون ،
خوطة ، سدير الجنوبية ، المطار ، المؤدة ، الخطاطمة ، عثيرة ، تمير

المجمعة :

واقعة فى الشمال ، وهي فى الجانب الجنوبى من وادى يجرى فى وادى الشجر ؛ ويبلغ
عدد سكانها نحو ٤٥٠٠ نس ، وهي مسورة ، وفيها قلعة وأبراج ، وعمق آبارها يختلف
بين ٣٥ — ٧٠ قدما ، وبها سوق فيه ٥٠ دكانا ، ويكثر فيها أشجار النخيل ، ويقع
الأمير فى بيت قريب من السور

الزلفى :

واقعة فى نهاية الطرف الشمالى فى سهل واقع بين الطويق فى الشمال الشرقى وأعالى
البحر غربا ، وتنقسم إلى بلدين يحيط بكل واحدة منهما سور . فالأولى واقعة فى عماء
السهل ، والأخرى واقعة بين بساتين كبيرة واسعة على بعد ميل من الأولى . ويبلغ ارتفاع
السور المقام حولها نحو ١٦ قدما ، وعليه ثلاثة أبراج يزيد ارتفاعها عن ارتفاع الحائط بنحو
عشرة أقدام ، والبوابة مرتفعة وواسعة بحيث تسمح لراكب الجمل أن يدخلها وهو
راكب جملة

والقسم الشمالى الشرقى منها دارس ، وفي الجزء الباقى عند الشوارع من الشمال إلى الجنوب ، والبيوت ذات الطبقتين قليلة ، وبها مسجد واحد .
وجموع سكان المدينة يباع نحو ٤٠٠٠ نسمة

الفاط :

سكانها نحو ١٥٠٠ نس ، وبها كثير من المساجد الكبيرة ، وهى على مسافة سير يوم جنوباً من رأى ، ونحو يوم إلى شمال الجمعة

جَلَّاجِل :

تقع على بعد ١٨ ميلا إلى جنوب الجمعة ، وتعلو عنها نحو مائتى قدم ، وهى مدينة مسورة ، وبها قلعة ، وبها بعض البيوت ذات الطبقتين ، وبها سائتين كثيرة جداً قامت سائتين التوسيم التى تبعد عنها نحو خمسة أميال إلى الجنوب الشرقى ، ويبيع سكانها نحو ٣٠٠٠ نس

القَصِيم :

وتقع الوشم فى جنوبها الشرقى ومنحدرات عُتْبِيَّة فى الجنوب الغربى ، ويحدها جبل شمر من الغرب والشمال والصحراء الشمالية ، وتبعد أمادها نحو تسعين ميلا من الشمال إلى الجنوب ، وستين ميلا من الشرق إلى الغرب

ويطلق على القسم الواقع فى الشمال الشرقى القصيم العليا ، وتسرب المياه إلى آثارها من المرتضات المحيطة بها ، ومحامة من جبل شمر ، والقصيم ملائى بالقرى الآهلة بالسكان وزراعتها كثيرة جداً حتى أنها تشبه حديقة تحيط بها صحراء ، وتوجد فى هذه الواحة المروعات على اختلاف أصنافها ، ويقدر عدد المقيمين بها بصفة دائمة بمائة ألف نسمة

وتقع القصيم فى طريق القوافل من مكة إلى بلاد ما بين النهرين ، وسوقها التجارية نافقة ، وتعتبر بلاد القصيم أكثر بلاد العرب الداخلية اتصالاً بالعالم الخارجى ، وأهلها من أذكى أهل نجد ، وأرثم طباعاً ، وأكرمهم خلقاً ، وأسخم بدأ ، وأكثرهم أسفاراً

للخارج ، وأكثر التجار النجديين المعروفين في مصر وسوريا والمند والعراق من أهل
القصب ، وبها بعض المدارس التي تنمي بالعلوم الدينية ، وبها بعض الملاء المتبحرين في
فنون الفقه والعربية .

ويبلغ عدد قرى القصب نحو ٥٠ قرية ، والمدينتان الرئيسيتان للقصب هما ريدة وعُتَيْر ،
وألب القرى تعتمد على ريدة ولذا أنسى بأمر القصب .

بريدة :

تقع في الطرف الشمالي من النصب العليا على الجانب الأيسر من وادي الرمة ، وهي
من أكبر المدن المجدية وأحسنها نظاماً ونظافة ، وطرقها أوسع من الرياض ومن طرق
أكثر البلدان النجدية واسكنها ملتوية ، ومبانيها من اللبن ، وهي كسائر البلدان العربية
محاطة بسور يحمي البيوت والأسواق يبلغ ارتفاعه ١٥ قدماً ، وبساتينها خارج السور
تنتد أكثر من ثلاثة أميال في أنحاء وادي الرمة إلى قرية الخَبَرَا ، واليأس فيها متوفرة
وغزيرة ولكنها ليست خالصة المنوبة ، وعرق الآبار يتفاوت من ٢٠ — ٤٠ قدماً ،
وتعطف الرمال من وقت لآخر على البساتين .

ويقع سوقها في الجهة الجنوبية من البلدة ، وبه نحو ٣٥٠ حانوتاً وهو مقسم إلى أقسام
حسب نوع البضاعة ، وبها أيضاً سوق للجمال والنم وبها ستة مساجد .
وبالشمال الشرق القلعة الرئيسية للبلدة ، يبلغ ارتفاع الجدار ٤٠ قدماً ، بنيت بناء
هندسياً جيلاً قبل ٦٠٠ سنة ، ويسونها القصر أيضاً ، يسكن بها الأمير (العامل)
ويسكن بها أيضاً الملك عبد العزيز وقت إقامته في بريدة وُيرَقي في بريدة وما يليها الإبل
والنم ، وهي تُكوّن جزءاً من ثروة البلاد ، ويصدرون للخارج الزائد عن الاستهلاك
الحلي ، وكذلك نمن فيها بقرية الخيول وتصدر إلى الشرق والشمال .

ويبلغ عدد سكانها ٣٠ ألفاً أكثرهم من بني تميم ، وهم ليسوا كأهل عينة في
الكرم ولين الجانب .

وتقع الدبنة على مرتفع رملي ، وهي صحبة جداً ، وأرضها خصبة ، وبساتينها كثيرة
وتزوي بسهرة .

عنيزة :

تقع إلى يمين وادى الرمة على سد ميلين منه ، وتبعد عن بريدة نحو ١٢ ميلاً في مكان حصيب يحده النود من الشمال ، ويحيط بالقسم الآهل من السكان من البلدة حائط داخل ، وبه بساتين عامرة تمتد إلى الشمال نحو ميلين . وبيوت عنيزة أنطق وأحسن من بيوت بريدة .

وقد اشتهر أهل عنيزة بالن الحلاب ونشاعة الوصه وحسن لقائهم للأجانب وهم مشهورون بالشجاعة والاستعداد التجارى بطرهم .

يبلغ عدد سكانها ٢٠ ألفاً - اشتهرت عنيزة بعض الصناعات للمدينة وتجارتها واسعة ، وبها عدد غير قليل من الأجانب (غير بحدى) .

وقد كانت عنيزة تنافس بريدة في الأولوية والأهمية ، ولكن بريدة سبقت عنيزة الآن .

ومن أشهر مدن القصيم :

الرس :

تقع في القسم الجنوبي من القصيم على بعد ٥٠ ميلاً من بريدة في الجنوب الغربى منها ، وعلى بعد ٤٠ ميلاً من عنيزة ، وفي جنوب غربى عنيزة على الحانة اليمنى لوادى الرمة ؛ تحيط بها البساتين من جميع جهاتها ما عدا الجهة الشرقية ، ولها مزارع واسعة في بطن وادى الرمة وفي جهات أخرى .

ويبلغ سكانها نحو ٤٠٠٠ نفس ، وقد قاومت إبراهيم باشا سنة ١٨١٧ م مقاومة شديدة ، ونجيت مدة طويلة تحت الحصار قبل التسليم .

الخبثا :

تقع على الحانة اليسرى من وادى الرمة على بعد نحو تسعة أميال شمالاً من الرس ، وهى بلدة مسورة نحو ٣٥٠٠ نفس ، وبها سوق يفتد كل يوم جمعة ، وبها ميدان كبير يجتمع به الناس في وسط المدينة ، ويبلغ عمق آثارها حوالى ٥٠ قدماً .

العيون :

في القسم العليا على بعد ٢٨ ميلاً من شمالي غربي ريدة وهي واقعة في منخفض وتمتد نحو نصف ميل من الشمال إلى الجنوب

يبلغ سكانها نحو ٥٠٠٠ نفس ، وهي مكونة من قربتين متجاورتين ، تجارتها واسعة بها كثير من مزارع النخيل ، تروى من آبار يباع بعضها ٣٠ قدماً

قصبة .

تقع في الشمال الشرقي من القسم العليا في مكان منخفض ، وبها مياه غزيرة ولكنها تميل إلى اللوحة ، وبها أيضاً عين حارة ، وبها كثير من البساتين الواسعة المساحة ، وثمرها من أجود الأنواع في نجد . يبلغ عدد سكانها ٣٠٠ نفس يسكنون في أربع محلات متجاورة

جبل شمر :

يطلق اسم جبل شمر على السهل الواسع الممتد بين جبلي أجا وسلمى ، والذي تسكنه قبائل شمر المشتغلة بالزراعة — ففي شهاب هذه الجبال توجد منابع عديدة للمياه ، والأرض خصبة صالحة للزراعة ، وفيها أشجار النخيل بكثرة حيث تنمو هناك نمواً عظيماً .

وفي السهل الكبير المسطح بين هاتين السلسلتين توجد منابع المياه بوفرة تحت طبقة الرمال والصخور ، فتجعل الأرض صالحة لأنواع شتى من المزروعات ، ولكنها في موسم الحر تحتاج إلى ريها باستمرار

وإمارة حل شمر هي مد يملأ عن سطح البحر ٢٢٠٠ قدم ، وهي رؤوس مرتفعات عالية جداً ، والتجد مصدر من الجنوب الغربي إلى الشمال الشرقي ، والمياه تنحدر في أغلب الأوقات إلى وادي الرمة . وأهم القواهر في بلاد الإمارة هي سلسلة الجبلين المخاضيين لبعضهما : جبل أجا وسلمى ، وهما واقعتان في شمالي الإمارة وتمتدان حتى طرف المقاطعة أي أن اتحاهما من الجنوب الغربي إلى الشمال الشرقي ، وهما مكونان من حير الجرانيت وارتفاعهما شاهق ؛ فإن جبل أجا يملأ عن سطح التجد نفسه بنحو ألف قدم . ويبلغ

ارتفاعه الأعلى في أحد الواقع إلى ٥٥٠٠ قدم ، وتبلغ مساحة السلسلة حوالي ١٠٠ ميل طولاً وعشرين ميلاً عرضاً

أما جبل سلى فإنه لا يقل ارتفاعاً عن جبل أجا ، ولكن مساحته أقل ، والمطقة الحامية تسجه غرباً إلى حدود الفود الجنوبية

ويوجد في جبل أجا كثير من الحيوانات البشبية والطيور ، والهواء في الإمارة معتدل وصحى ، وتربل أمطار غزيرة على أعلى الجبال ، ولذا توجد المراعى الخصبة الكثيرة . ويرل أوائل المطر في شهر نوفمبر ، ودرجة الحرارة في فصل الشتاء منخفضة

السكان

م حليط من الحضر والبدو يبلغون نحو ٤٢ ألفاً . ويسع عدد الحضر منهم نحو اثنين وعشرين ألفاً ، والبدو نحو عشرين ألف نفس ، والسكان كأهل التقسيم يميلون إلى الباق ويقلب على طبيعتهم لبن الجلاب وإكرام الأجاب

المحصولات والتجارة

لا ينتج الجبل من المحاصيل الزراعية ما يكفي لقوت سكانه بالرغم من أن أكثر سكانه يشتغلون بالزراعة وتربية الماشية وتصدر الولاية عدداً كبيراً من الخيول الحيدة والجبال والعم التي تسج نوعاً جيداً من الصوف

ويزرع في الجبل الذجيل وبعض أصناف أخرى من القواكة

البلاد المشهورة

هى — كاسيق — الجزء الواقع بين جبل أجا وسلى ، وفيه تقع العاصمة « حايلى » وعلى قرب منها إلى الجنوب الغربى تقع « قنار » ، وهى قرية قديمة مشهورة واقعة على المنحدر الجنوبي لجبل أجا ، وبالتقرب من جبل سلى تقع مجموعة قرى منها : « يمد » العاصمة القديمة . وفي شمال جبل أجا — بينها وبين الفود — توجد بعض واحات متفرقة

ولكنها غير مهمة . وتوجد أحزاء كثيرة في المنطقة الجبلية ولكنها لا تسكن إلا وقت موسم الزراعة ، ولا توجد منطقة مأهولة باستمرار في الجبال إلا منطقة واحدة في جبل أجا نسي « غنقة » ، وهو واد به حملة قري ؛ ومزارع الخيل وبها كثيرة .

حابل :

تقع إلى الشمال الغربي من الوادي بين جبلي أجا وسلمى عند طرفه الشمالي ؛ والقسم الرئيسي من حابل يحيط به حائط من الطين ارتفاعه ١٥ — ٢٠ قدما ، عليه أبراج ذات شكل مستدير ؛ وقد ساء الأمير عبد العزيز الرشيد ، ويبلغ طول محيطه نحو ٣ أو ٤ أميال ، ولكن جزءا كبيرا من الأراضي التي تقع داخل السور مزروعة قمحا ومنروسة تينا ، فيما يوجد جزء آخر ليس مزروعا ولا مقاما عليه أي بناء ؛ ولهذا السور حمة أبواب . وعلى بعد نصف ميل إلى شرق حابل وميلين أو ثلاثة من الجنوب تحت جبل أجا توجد بعض ساتين الخيل والقمح مسورة . وعدا التحصيل يزرع الرمان والليمون الخلو والنارنج والبرتقال والبرتوق والتفاح .

والياه اللازمة للسكان أو للاستعمال نستخرج من آبار عمقها حوالي ٩٠ قدما بواسطة الجبل . وفي شمال المدينة حيث توجد مزارع الخيل تبيل مياه الآبار إلى اللوحة قليلا ؛ وليس لمدينة مصدر آخر غير الآبار للحصول على المياه . وقد حلت الماكينات الزراعية لمياه محل الحيوان في كثير من الأماكن .

ويبلغ عدد السكان نحو ٥٠٠٠ نفس ، ويحلب الأرز وماقي الجنوب إما من الهند أو من العراق .

في — د :

تقع على بعد ٤٥ ميلا من شرق حبوب شرقي حابل على طريق مريدة ، وهي واقعة في جنوب غرب العراق ، على بعد ١٠٠ ميلا من بغداد ، وتبعد ١٠٠ ميلا من الموصل ، وتبعد ١٠٠ ميلا من كركوك ، وتبعد ١٠٠ ميلا من كركوك ، وتبعد ١٠٠ ميلا من كركوك . وتبعد ١٠٠ ميلا من كركوك ، وتبعد ١٠٠ ميلا من كركوك .

قَفَّار :

وهي ثاني مدينة في الأهمية في جبل شُكْر ، وهي مساوية لحايل في عدد السكان ، وواقعة في البطن إلى الجنوب الغربي من العاصمة تحت مسطحات حل أجا . والواحة كبيرة ، وشجر النخيل فيها كثير جداً حتى إنه يفوق بحيل حائل نفسها . وهي مأهولة بنقي نجم ، وهي واقعة على طريق نيباء .

عُقْدَة :

مجموعة قرى منتشرة في مزارع النخيل في وادي واقع إلى الجنوب الغربي من حابل ٤ . يبلغ سكانها ١٨٠٠ نس .

مُتَعَجِّدَة :	بها نحو ١٣٠ بيتاً
مُتَوَقِّق :	بها نحو ١٣٠ بيتاً
سَيِّان :	بها نحو ٧٠ بيتاً
الجُفَّة :	بها نحو ٥٠ بيتاً
الروضة :	بها نحو ٦٠ بيتاً

تَبَاء :

بلدة صغيرة في وسط (واحة) باسمها واقعة إلى الجنوب الغربي من النفود على بعد ٦٥ ميلاً من شمالى التلّاء ، وهي واقعة في منحصر من السهل المرتفع الذى يبلغ ارتفاعه ٣٤٠٠ قدم . والواحة مورة بمحاط من الطين ، وبها أبراج للدفاع مدينة من الأس . والواحة أشهر عين ماء في بلاد العرب ، إذ يباغ اقناع فُوهتها أكثر من حين قدماً ، ومرك عليها سَوَاق من جميع الجواب ، ومياهها غزيرة . وقد أسر حلالة الملك سعود بتركيب آلة كبيرة لرفع المياه توسيعاً للمناطق القابلة للزراعة وتشجيعاً للزراعيين .

وأرض تباء خصبة وصالحة للزراعة وللزراعة النخيل ، ويزرع فيها القمح والشعير والأذرة والدواكه على اختلاف أصنافها ، وترباء جيد ويدبر من أجود أصناف التمر .

عدد سكانها نحو ٢٥٠٠ نسمة ، وأغلبهم من ولد سليمان ، وسها بعض الموالى وبعض
التجار من جبل شمر ، وبعضهم يحضرون لتصريف تجارتهم التى يحملوها من نداد
وساحل الخليج ، والأهالى يبيعون محاصيلهم للبدر الزحل ، والهواء فى تيهام - يسد
جداً وصحى -

الجوف^(١) :

هى المدينة الرئيسية وسط منطقة زراعية كبيرة واقعة إلى شمال الدود على رأس ودى
الشرخان ، ولواسة واسعة فى مساحة من يقع نحو ٥٠٠ قدم تحت سطح الصحراء المحيطة بها
وتوجد واحات صغيرة أخرى تامة لواءة الجوف ، واقعة إلى الشمال الشرق منها
وهى : سيكاكة ، وفادة ، والغويز ، وجاوة ؛ وسكاكة هى الأكبر ، وسزارع الخيل بها
تكثر جداً حتى أنها تفوق تلك التى فى الجوف نفسها

وبلغ طول لواءة الجوف نحو ٣ أميال فى صف ميل عرضاً ، وهى تمتد من الشمال
الغربى إلى الجنوب الشرقى ، وكلها حدائق وبساتين ، وييسها نحو ١٢ قرية وسها نحو
٤٠٠ منزل ، وليس بانقرية شوارع ولا أسواق

ومن مظاهر القرى هـ أن بعض بيوتها يقام إلى جانبه برج يبلغ ارتفاعه حوالى
٤٠ - ٥٠ قدماً و١٢ قدماً عرس حائطه ، وله مدخل صـيرويه مـند صغيرة ، وفى
بعض البيوت يكون العرج جزءاً من البيت نفسه

وموقع الجوف اأمرأى مهم جداً ، لأنه يقع على الطريق المـشر ما بين سوريا ووسط
بلاد العرب ، وهى مـندة لـه إذ تقع فى المنتصف ما بين الفرات وطريق الحجاز الحديدى ،
وبين جبل شمر وجبل الدود ، وعلى بعد نحو ٣٠٠ ميل من كل من هذه المواقع وهى الواحة
الوحيدة الواقعة ما بين القبة وبنداد

(١) الجوف : هو للمسمى قديماً دومة الجندل

الاحساء

كانت هذه المنطقة نسي قديماً البحرين وحمير ، وكانت تطلق على المنطقة الممتدة من البصرة إلى محزن أما اليوم فتطلق الاحساء على المنطقة الممتدة على الساحل الغربي من خليج فارس ، من حدود الكويت الجنوبية إلى حدود قطر وعمان وحمير الحاضرة ، حيث يحدها من الغرب الضفآن

الوصف الطبيعي

القسم الأكبر من الإحساء سهل صحراوي ، يرتفع في الجهة الغربية عن ساحل البحر ، حيث تنشأه البلاد مع نهاية . ويوجد كثير من التلال غير المتصلة بعضها ببعض تستخدم كحدود للمناطق ، وترجع الأرض في القسم الداخلي إلى غربي المنطقة عن باقي السهل

ويوجد خط من التلال على طول وادي المياه وجبل الطقة ، ممتدة إلى الجنوب ، ويمتد مرتفع الضفآن الصخري موازياً لساحل الخليج الفارسي ، متوسطاً بين الاحساء وبين الدفنا حيث يفصل هذا القسم عن نجد

وأم أودية إقليم الاحساء هو وادي قُرُوق في الجنوب الغربي ، وهو قسم من وادي المياه

والمنطقة الساحلية سبخة على العموم ، ويوجد بها عدد عظيم من الآبار ماؤها قريب من سطح البحر ، والمراعي وادرة أيضاً ، والأشجار الصحراوية من المنطقة أهلة بالبدو ، وأغنى شراع المنطقة واحا الاحساء ، والدياري في الجنوب حيث تكثر فيه من آبار وعيون وأنهار صغيرة تشبه البحيرات

جو الاحساء

يشبه جو المناطق المنخفضة ، والقسم الشرقى من الاحساء يشبه جو تهامة ، وتزداد الحرارة فى بعض المناطق كالتطيف منها فى بعض المناطق الأخرى ، وتتراوح درجة الحرارة فى منطقته الاحساء ما بين ٤٠° إلى ١١٠° ف وتبدأ الحرارة فى الارتفاع من إبريل حتى تصل نهايتها فى شهرى يوايو وأغسطس ، ونهبط ابتداء من سبتمبر وموسم البرد ما بين نوفمبر ومارس

والقسم الأكبر من هذه المنطقة غير مزروع ، والقسم المحصب المأهول بالسكان للشمول بالزراعة يبلغ امتداده نحو ١٢ ميلاً إلى شرق المهوف والبرز ؛ غير أن هناك مناطق أخرى مزروعة فى الشمال غير متصلة بعضها ببعض بمحاطة بالميون

ومنطقة الاحساء مشهورة بمياهها الكثيرة فى المناطق المزروعة وعيونها العذبة الدائمة والحارة ، وجميع المنطقة تكاد يعمى بالميون ، والأرض لا تكاد تشكو الطأ من كثرة المياه ، والطرق تمتد على شواطئ الميون ، والأشجار والحصرة أينما سار الإنسان . وقد ساعدت كثرة المياه على زراعة الأرز وغيره من الحبوب .

أما المحصول الرئيسى فى الاحساء فهو النمر : وهو أنواع كثيرة أنصهها النوع المعروف بالخلأص ، ويذبحها أحياناً لحطة والشعير .

وأشهر مواك الاحساء : الفأترينج ، والدمون ، والحوج ، والشمش ، والزمان ، والنسب ، والدين . وفى الاحساء كثير من الخيل العربية ، وأفضل الجير والبقر ، وفيها الإبل والنعم بكثرة . وفى الاحساء يطعمون البقر أنواع من الأعشاب الصغيرة ، كما يعلمون بعض الحيوانات النمر القديم . وأشهر بلدان الاحساء هى :

المهوف :

وهى قاعدة المنطقة فى الزاوية الجنوبية الشرقية من المطقة المزروعة ، وتنقسم البلدة إلى ثلاثة أقسام : الكوت فى الشمال الشرقى ، والزمنة فى الشرق ، السائل فى الجنوب والغرب .

والكُوت^(١) هو مقر الإمارة ، محوط بسور عظيم يبلغ ارتفاعه ٢٤ قدماً ، مشيد عليه أبراج عديدة بناها إبراهيم باشا لحماية البلدة . وقد كان الكُوت مقراً للعمامة التركية حتى سنة ١٣٣٠ هـ سنة ١٩١٣ م . ويبلغ عدد بيوت الكُوت نحو ١٥٠٠ بيت وبيوت الرنثة نحو ٢٣٠٠ بيت ، وهي أهل منطقة وأسمها ويسكن بها أهل الثراء والنبل من أهل الاحياء . أما المَنازل التي فيها نحو ٢٠٠٠ بيت ، فتحتوي على القسم الأكبر من الطبقات الفقيرة ، وتضم أكبر مسجد للشيعة ، وفي الجهة الشرقية من الكُوت السوق وحواليات التجارة ، ويفصل الكُوت عن المائل من جهة الجنوب عاب من النخيل .

ويحيط بباقي البلدة سور آخر يبلغ ارتفاعه ١٢ قدماً . وتسمى بيوت الاحياء في الناب من التجارة والجنس ولكل بيت بئر ، وحائط المرتفع لحبته ، وطرق الاحياء ضيقة . ويوجد خارج البلدة من جهة الشمال سوق الخميس وهو مكان يجلب إليه أهل البلد والبدو حاصلاتهم ومضوغاتهم حيث تعرض فيه يوم الخميس .

يبلغ سكان المَقُوف ٣٠٠٠٠ نفس ، وهم ما عدا البجديين الفسين في الاحياء مزيج من العرب ومن أجاس أخرى فارسية وتركية وكردية ، ويبلغ أهل السَّة ثلاثة أرامع السكان والشيعة نحو الريم

٢ — المَبَرَز :

يقع المبرز على بعد ميلين من شمال المَقُوف ، مزروعة كلها من العرب ، ومحاطة بسور متهدم ، له بامان من جهتي الشمال والجنوب . وتوجد خارج السور لجهة الغرب قلعة صاهود وتشتمل المبرز على خمسة أقسام : أكبرها العيون في الوسط ، وفي الجنوب الغربي السوق والحواليات التجارية ، ومباني المبرز كمباني المَقُوف من التجارة في الغالب . ويبلغ عددها ١٨٠٠ بيت ، يسكنها نحو ٩٥٠٠ نفس . والعمل الرئيسي لأهل المبرز هو الزراعة . وهناك سوق يقصده البدو الجوارون كل يوم جمعة لقضاء حوائجهم الضرورية .

واشتهرت المَقُوف والمبرز بمركزهما العلمي والأدبي مدة طويلة فكانتا مقصداً لطلاب

(١) الكُوت : القلعة (كلمة برتغالية) كثر استعمالها بعد دخول البرتغاليين خليج فارس واستيطانهم على بعض الأماكن

العلم من سائر أعماء الخليج الفارسي ، وأعلمائها مركز ممتاز في جميع بلدان الخليج الفارسي
يقالون بالإحلال والترحيب ، ويكرمون بأحسن أنواع الإكرام أيما حلوا
ومن العائلات التي اشتهرت عالم في تلك المنطقة عائلة آل مبارك ، ولا يزال أفرادها
يعطون على تقاليد العائلة من دراسة العلوم الدينية والأدبية

السكان

يبلغ سكان منطقة الاحساء نحو ٣٥٠ ألفاً ما بين حصر ومادية ، ويبلغ البدو نحو
ثلاثة الأرباع ، والمميز الرئيسي بين السكان هو المذهب ، فالسكان ينتمون إلى المذهب
الشيبي ، وإلى مذهب أهل السنة والجماعة حيث يكونون الأكثرية الساحقة في القطيف
وتاروت وحيث يملكون النصف في الاحساء
ولقد احتار بعض القبائل العربية الإقامة في بعض الأماكن بصفة مسددة ؛ فعند
من قبائل بني خالد يبلغ نحو ستة آلاف يقيمون في جزائر المُسَمَّية وِجَّة وتاروت وفي مصر
القصبيح والكيلانية والحِجَّة في الاحساء ، وفي أم الساهك في القطيف ، وفي وادي المياه
يقوم نحو ١٤٠٠ من قبائل شتي ؛ وأهم العشائر الضاربة في منطقة الاحساء .

البحبان :

ويقوم بهم في منطقة الاحساء نحو ٤٥٠٠٠ ويقيمون في جنوب المنطقة .

٨٠٠٠ آل مرة

١٢٠٠٠ بني خالد

٩٠٠٠ بني هاجر

الموازيم ، الرشايدة - وهؤلاء يقيمون في شمال المنطقة .

أما قبائل الدواسر : السهول ، مطير ، سُبَّع ، عُبَّبة ، حُطْن ، فإنهم ليسوا من قبائل
الاحساء بل يأتون إليها لأغراضهم الخاصة .

فبذة تاريخية

كان يسكن هذه المنطقة قبل الفتح الإسلامي خلق كثير ، من عبد القيس و بكر بن وائل ونجم^(١) ، وكانت إدادك تحت حكم العرس ، فوجه إليها الرسول صلى الله عليه وسلم العلاء بن عبد الله المصري حليف بني عبد شمس ليدعوا أهلها إلى الإسلام أو الخزبة فأسلم أهلها العرب وبعض المحوس ، وصالحه الباهون على الخزبة

وأول من عمر الاحساء وحملها قصة عمر أبو طاهر القرامطي^(٢) و بقيت الاحساء تنازعها الأيدي الحاكمة ، وتعبت بها أيدي الدوا إلى أن فتحها آل سعود في دولتهم الأولى ساد الأمن وانقطع الفساد ، و بقيت في حكمهم إلى أن انزعما منهم المصريون بعد دخولهم الدرعية سنة ١٢٣٣ ، ثم استردها منهم الإمام فيصل ، و بقيت في حكمه زمن ولايته وصدر ولاية ولده عبد الله ، ثم استولى عليها مدحت باشا في سنة ١٨٧١ م وألحقها بولاية البصرة . وفي ٥ مايو سنة ١٩١٣ انقض عليها الملك عبد العزيز واستولى عليها وطرد الحامية التركية منها ؛ وباستيلاته عليها ساد الأمن واقطعت غارات البدو على القوافل والسكان

٣ - القطيف :

تقع واحة القطيف في الجهة الشمالية الشرقية من الاحساء ، ويمحدها شمالاً وغرباً صحراء تياض ، وجنوباً برّ طهران ، ويبلغ طول هذه الواحة ١٨ ميلاً ، ومتوسط عرضها ٣ أميال ، وتقع مدينة القطيف في الوسط ، ويرتفع سطحها بمسح أقدام تقط عن سطح البحر القسم الأعظم من المساحة رمل مشبع بمياه الديون العذبة في المنطقة أما القسم المرووع فيسمى نسة أميال جنوبى مدينة القطيف ، غير أن هناك مسطح أخرى سرروعة غير متصلة ببعضها ، سيأتى الكلام عنها

وهواء القطيف كثير الرطوبة غير صمى وينتشر فيها حمى اللاريا ، ولذا فإن المثر القى تقصدها في الصيف تفر منها أول الحريف ؛ لأنه فصل الحيات حسب تجارهم يبلغ سكان القطيف نحو ٣٠٠٠٠ نسة ، وكلهم من الشيعة تقريباً ، وهناك بعض

العرب من بني خالد يكون أم التاهك ، وقليل من العرب الحلط — يطلق عليهم
خوالة — يكتنون في مدينة القطيف
والزراعة والأحدس زراعة الخيل هي العمل الرئيسي للكان . ولتسم الأعظم .
يصدر إلى عمان والبحرين والهند وفارس ؛ وأنهر الدان القطيف :

١ — مدينة القطيف :

وهي (Gidaro) القديمة التي كانت محزناً كبيراً مشهوراً للأطوية والطربات الواردة
من تاروت (Taroot) ^(١) ؛ تقع مدينة القطيف على حبيح يشمل أيضاً جزيرة تاروت ،
وتمتد المدينة على الساحل مسافة عشرة أميال ، منها ميلان شرق المدينة خاليان ، وهما
أطلال قلعة قديمة ، وفي الشمال يوجد ثلاث قوات متصلة بالبحر ، منها يمر وصل إلى المدينة ،
والبهر غير عميق ؛ ولذا فالدفن الكبيرة تنقئ مراسيها بعيداً عن الساحل
ومن أقسام المدينة القلعة : وهو القسم المحصن من البلدة ، ويبلغ سكان المدينة
وضواحيها ١٢ ألف نفس ، كلهم من الشيعة تقريباً ، وليس بها من أهل السنة إلا الأمير
وحرسه وموظفو الحكومة وبعض التجار التجديدين والاحصائيين
وقد مر الرحالة ابن بطوطة بالقطيف ^(٢) سنة ٦٣٢ هـ فوصفها بأنها مدينة كبيرة حسنة
ذات بحيل كثير يسكنها طوائف من العرب وهم رافضة غلاة

٢ — ميهات :

على الساحل في الجنوب الشرق من عتق ، وهي كغيرها من المدن العربية مسورة
سور صخر يضم نحو ٧٠٠ بيت ، وسها كثير من الديون المزيرة ، وسكانها معشون
على الزراعة

٣ — المقير :

ابنائه في الجنوب الغربي من مدينة القطيف ، تبعد عنها أربعة وسين ميلان وليس

(١) مدينة صغيرة شرق القطيف

(٢) سبطها ابن بطوطة بالصنير . أما القاموس وياقوت فبسطها بغير نصير كما يلقونها أهلها الآن

بالتغير سيوت ولا سكان ، وكل ما فيها من المياى هو الجرك ، وباء آخر (حن) السكى
وكلاء التجار ، ويعتبر العقير مياء الاحساء ومحد الجبوية ، وأهم الواردات التى ترد إليه
من طريق البحرين : الأرز والسكر والبن والمسوجات بأنواعها
القبائل المحورة للعقير هى السحان ، آل مرّة ، بنو هاجر . وقد اشتهرت العقير في
السنوات الأخيرة بالاحتفالات السياسية التى كانت يقيمها الملك عبد العزيز والسيررمى
كوكس المندوب البريطانى

٤ — جَبِيل :

ميّاء فى شمال القطيف سكنه قبائل ثَوَعِيَّتِيْن أصهار بنى خالد سنة ١٩١٠ على أثر
مهاجرتهم من قطر ، ولم يكن لهذا الميّا شأن يذكر حتى سنة ١٩٢١ م فإن الحرب
الاقتصادية التى أعقبتها محد على الكويت حملت هذه الميّا تنموّوا سريعاً ، وكثرت
ميايها ، وأصغفت شأن الكويت من الوجهة التجارية ، وبمّاع سكانها ٢٠٠٠ نس
وقرب حبل جزيرة السديّة على خليج هذا الاسم ، على بعد خمسة أميال من رأس
البديع ، بها نحو ٤٥٠ بيتاً ، وسكانها من المماثر (فرع من بنى خالد) وهم يعيشون على
استخراج الأؤلؤ والأبحار به

جزيرة جَبَّة :

جنوب السديّة ، وسكانها كسكان سابقتها من بنى خالد ، يعيشون على استخراج
الأؤلؤ والأبحار به

جزيرة بُوعلى :

فى الجنوب الغربى من رأس البديع ، وهى غير مأهولة بالسكان ، تمتد ١٢ ميلا من
الشرق إلى الغرب ، محاطة بمّاضات الأؤلؤ ، ويطلق على الساحل الغربى من الكويت
إلى ظهران اسم عَدّان ، كما يطلق اسم قطر على الساحل المتمدن من العقير إلى اخوار بنى ياس ،
كما يطلق أحياناً على القطيف اسم الخط

أنهر قرى مسعرة القطيف عثك على الساحل تمتد أربعة أميال عن جنوب شرق مدينة القطيف ، ونجياها ملوك لبنى خالد

العوامية :

قرية محاطة بسور يضم نحو ٣٥٠ بيتاً في الشمال المرمى من مدينة القطيف ، وبها كثير من الميون المزيرة المياه

الجيش :

جنوب مدينة القطيف ، وتمتد عنها أربعة أميال ، كما تمتد عن الساحل ثلاثة أميال محاطة بسور يضم نحو ٣٠٠ بيت ، وبها ثلاثة عيون تروى المنطقة

صقوة :

في الشمال الترمي من مدينة القطيف تمتد عنها ثمانية أميال ، محاطة بسور يضم نحو ٤٥٠ بيتاً ، وبها عين كبيرة تسمى داروش يتفرع منها سبعة أنهر .

الدمام :

على الساحل الجنوبي الشرقي ، تمتد تسعة أميال عن مدينة القطيف ، وقد خربت في القرن التاسع عشر ، ولكن عاد إليها العمران مرة أخرى ، مدججة الدواسر من البحرين سنة ١٣٤٠ هـ ١٩٢١ م

حاكم منطقة الاحساء العام : هو الأمير عبد الله بن جلوي ابن عم الملك عبد العزيز ، واحد صحبه المحاربين الذين رافقوه في محاطراته المدينة ، ولا سيما في انتزاع الرياض من آل رشيد ، وهو مشهور بالشدة والقسوة على المحرمين وأشرار البدو . وسد وقاته عين جلالة الملك ولله التوفيق سعود بن عبد الله حاكماً على الإمارة ، وقد كان إقليم الاحساء يصرب به النسل في احتلال الأمن ومصاد الإدارة في أيام الحكم التركي ، فأصبح بعد حكم آل سعود كاسر البلدان السعيدية يسوده العدل والأمان

ولقد طرأ على هذه المنطقة تطور عظيم بعد اكتشاف الزيت بها فشيئت المدن وشقت الطرق ونشأ عمران عظيم لم تهده المنطقة من قبل كما ربطت النقطة بالرياض بواسطة الخط الحديدي كما سيأتي شرح ذلك في قصة الزيت .

الكويت

اشتهر اسم الكويت قبل الحرب العظمى بسنوات ؛ بسبب النزاع السياسي بين بريطانيا والدنيا على السكة الحديدية التي كان الأذن يريدون أن تنسحب إلى الكويت ، والبريطانيون يحارلون إحباط المشروع أو وتمه عند حدود ولاية مصر ، صيانة لمؤذم في خليج فارس ، ودفاعاً عن إحدى طرق الهند . وإن مركز الكويت التجاري الحرى ، وقرها من بحرى الدجلة والفرات ، وانصلها الوثيق بتعد حمل لها مركزاً ممتازاً ذا أهمية خاصة

حدود الإمارة

تكونت إمارة الكويت^(١) نصف دائرة على الساحل العربى من رأس الخليج الفارسى ، وتقع جنوبى مملكة العراق ، وشمالى مقاطعة الاحساء التابعة للدولة العربية السعودية ، تمتد حدودها الشمالية من أم قصر إلى ستون مارة قرب جبل ستام إلى الباطن . أما الحدود الغربية فتتمتع الباطن إلى قرب الحفر ، حيث تتصل بالحدود العراقية والنجديّة ؛ ومن هنا لك تتجه إلى الجنوب العربى حيث تتصل أيضاً بالحدود النجدية . يسمع طولها من الشمال إلى الجنوب نحو ١٨٠ ميلا ، ومن الشرق للغرب نحو ٢٥ ميلا

الوصف الطبيعى

ترمة القسم الشمالى من خليج الكويت حصبة ، وثرية القسم الجنوبى بعضها رملى وبعضها طينى ؛ وهى على العموم مقفرة خالية من الزراعة ، يوجد بها بعض اللال مثل تلأل واره في جنوب مدينة الكويت ، وتبعد عنها نحو ٣٥ ميلا ؛ وتلال مآقيش في غرب مدينة الكويت ، تبعد عنها نحو ٢٥ ميلا

(١) في بروكول العير ١٩٢١ عرفت حدود الكويت ونجد والمطقة المجاورة بينهما .

وليس بمطقة الكويت ماء جار ، ولكن بها آبار مبعثرة في الصحراء يبلغ عمقها ٢٠ قدماً ، ولكنها صارة إلى اللوحة ؛ وربما كانت منطقة البجزة هي أغزر المناطق مياهاً وأهم أشجار الكويت النخيل والمخيل ، وهناك أشجار متنوعة تستعمل للوقود ولرعى الإبل ، أما الأعشاب فتجود إذا جاد المطر .
وأما الحيوانات فتألف في الكويت ، ويوجد منها الذئب وتتلعب والهرال والأرنب .

الجو

حو الكويت على الموسم معتدل ، يميل إلى البرودة إذا هبت الرياح الشمالية الغربية ؛ أما الصيف فيحرق وطأته بسيم الحر وبرد الصحراء المجاورة السريمة ليلاً ، وأعظم درجة لحرارة هي ١١٤ ° ف ، وأقل درجة هي ٣٥ ° ، وتشتد الحرارة من مايو إلى نوفمبر ، والبرودة من ديسمبر إلى فبراير .

أما المطر فقليل في الكويت ، وقد يمحود بعض السنين فتخضر الأرض ، وينم البدو ، ويخرج الأهالي للبر استجماماً للراحة واستمتاعاً بالظفرة .

السكان

بلغ سكان الكويت الآن نحو ١٨٠ ألفاً ، يسكنون — عدا عمال النفط — مدينة الكويت ، ومنطقة الكويت التي تبلغ مساحتها نحو عشرين ألف ميل مربع قاحلة ، يسكنها عدد قليل من السكان فيها وراء المدينة .

أما عشائر الكويت فقد كانوا قبل سنة ١٩٢١ يبلغون نحو ١٥ ألفاً ، وقد الحق أكثرهم منذ بناء المحر وذويح العالمين . وتنشئ العشائر إلى قبائل القوازم والرشيدة ، وخليل من النخبة ، وبي هاجر ، واليحماني ، وبي خالد ، ومطير ؛ وقد كان المحدون من حمير وبدو يقصدون الكويت لسبع العم والسن والصوف وآثار الحلات البحرية ، وشراء جميع حاجاتهم منها ، ولكن الحلف دب بين البلدين منذ سنة ١٩٣٩ هـ (١٩٢٢ م) لأسباب اقتصادية جعلت ملك البلاد العربية السعودية يأمر رعائهم بمقاطعة الكويت ، ولكن أعيدت العلاقات الاقتصادية والروابط الودية القديمة بين البلدين سنة ١٩٤٠ وهي الآن تحتل مكاناً مرموقاً بعد اكتشاف الزيت في أراضيها ، وقد تصاعف عدد سكانها بسبب كثرة الوافدين عليها حتى بلغ ١٨٠ ألفاً أو يزيد

الصناعة والتجارة

البلاد الكويتية غير زراعية ما عدا البهجة التي سيأتي وصفها فيما بعد ، وأهم ما يشغل به السكان هو صيد الأسماك ، وأجود الأسماك ما يسمى بالزيتي ، وهو يصطاد بالشبك الطويل ، وكثير من الأسماك أيضاً تصطاد بواسطة ما يسمى بالخطور ، وهو عبارة عن حواجز من القصب تنصب على الساحل ، تدخلها الأسماك في وقت المد فإذا جاء الحرر استطاع الصيادون إمساكها بسهولة — وطريقة الخطور منتشرة على طول الساحل البحري

وقد كان للكويت شأن يذكر في الموصى على المؤرخ حتى سنة ١٩٢٢ ، فقد بلغ عدد العمال ١٠٠٠٠ في سبي الرخاء ، كما بلغ عدد السفن التي تستعمل في الموصى نحو ٨٠٠ ، ولكن عدد السفن والعمال نقص كثيراً في عشر السنوات الأخيرة ، حسب التقاطع التجاري بين الكويت ومجد من جهة ، والفساد الذي حل بشارة المؤرخ ، ولا أقل عدد العمال الآن يبلغ ثلاثة آلاف .

وصناعة ماء السفن الشراعية من الصناعات التي اشتهرت بها الكويت ، وقد اشتهر البحرين في السنوات الأخيرة ، والحطب والحبال اللازمة لبناء السفن تحلب كلها من لحد ولا سيما من إقليم مليبار . وأكثر السلع التجارية تنقل بالباخرة ، غير أن السفن الشراعية لا تزال تقوم بقط كبير من النقل بين الكويت والبصرة ، وبينها وبين السواحل العربية الأخرى .

وأهم هذه السفن التعلية (wolaflub) والبوم والشوعي . وتحمل البعة عادة نحو ٢٥٠٠ طرد بصاعة من الحر ، أو من أكياس الأرز . وتحمل اليوم عادة نحواً من ٥٠٠ — ٦٠٠ طرد أيضاً ؛ وسفن الكويت الآن من هذا النوع . وقد بنت قبة نخرة الكويت قبل الحرب المظلي ٥٧٠٥٥٨ جنباً ، منه مبالغ ٢٧٠٨١٧ جنباً للوارد والباقي للصادر ، وللهند من الصيب الأكبر والباقي موزع على جهات محسنة .

وأهم الواردات : المسوجات القطنية والحريية ، والأأايه ، والسكر والبن ، والشاي ، والحبال التي تستخدم في السفن ، والزيت ، والمدخن ، والشمير ، والماء ويحلب إليها السفن الشراعية من شط العرب ، التمر ، والأخشاب .

أما الصادرات فهي : التؤلؤ ، والسمن من البادية ، والخيول ؛ وقد قلت الأنواع الأخيرة في السنوات الأخيرة : الجلود ، والصوف ، والتمر

وقد أسست الإدارة الحركية في عهد الشيخ مبارك الصباح ، فكانت مورداً للحكومة لم يكن موحوداً من قبل ؛ وقد زاد هذا المورد زيادة عظيمة أثناء الحرب العالمية ، غير أنه نقص في الخمس عشرة سنة الأخيرة بسبب المقاطعة التجارية التي وضعتها ذلك بعد على جازته الكويت وقد عادت الحالة الاقتصادية إلى ما كانت عليه بعد زوال الجلاء بين البلدين وبعد الشور على القول في محاربتها

وقد أسس في الكويت أثناء الحرب العالمية الأولى ، إدارة للبريد والتلغراف ، فارتبطت الكويت بالعالم الخارجي ، وأصبحت تجارتها تتبع الحركة التجارية العالمية صعوداً وهبوطاً

مقاطعات الكويت

ليست للمقاطعات التي سنذكرها فيما يلي أماكن مكنونة كما يتبادر إلى ذهن القارئ ، بل هي محاري مكنونة بالكتاب أحياناً ، وبالفلان أحياناً أخرى ؛ ولولا أن الإنفنج عنوان بكتابة أسمائها على الخرائط المصورة ما اهتمنا بها . وأكثر هذه المقاطعات زراع طينية إذا جاء المطر ، وأشهر هذه المقاطعات في الشمال : هي الباطين — في الزواية الشمالية ، وهي قسم من الوادي العظيم المسمى بهذا الاسم ، وهي ملقبة بالحدود العراقية والبنجدية ؛ والشق ، والشقي ، والسيح ، وقرة ، والرزو ، والزجلة . وهذه كلها مقاطعات قراء

والزور في الجهة الشمالية من خليج الكويت ، وهي عبارة عن تلال تمتد من الشمال الشرقي إلى الجنوب الغربي قرب الجبهة

وكبد ، قرعة ، نارة ، التلآن ، الهزيم ، الدبدية ، أماكن قراء أيضاً ، ينزلها البدو إذا جاء المطر

ولا نريد أن نطيل الكلام بذكر باقي المقاطعات أو الآبار التي يرد بها البدو ، والتي تمتد من الكويت ، لأن ذلك يسوقنا إلى التطويل ونخرجنا عن الغرض الأصلي من الكتاب

جزر الكويت

١ - بُيُوتَان :

في الزاوية الشمالية الغربية ، وهي جزيرة خالية من السكان ، وتذكأت منار نزاع بين شيخ الكويت والترك في سنة ١٩٠٢ ؛ ويكسها في الصيف أفراد من القوارم اصيد الأسماك بالخطور

٢ - فِيلْسَكَة :

وتتلقى كلها شيئاً شأناً أهل الكويت في الطق بالكاف . في الجهة الشرقية من خليج الكويت ، وتبعد عن مدينة الكويت نحو ١٥ ميلاً ، والمكون من الجزيرة هو الساحل الغربي ، وناق الجزيرة يكاد يكون خالياً من السكان وسكان الجزيرة منهم عرب خلص ، وأكثرهم يملب عليهم المنصر الفارسي ، وهم يشتغلون بصيد الأسماك واستخراج اللؤلؤ ، وينزع بالجزيرة الحسطة والشعير ، والخصر ، والماء كثير بالجزيرة ، قريب من سطح الأرض

٣ - كُبَّر :

جزيرة غير آهلة بالسكان ، تبعد عن الساحل نحو ٢٠ ميلاً وقرب الكويت بنهر الشؤننج وهو أصل مرسى للسفن في الكويت ، وهما لك جزر أخرى غير مكونة تابعة للكويت لا أهمية لها

بلدان الكويت

١ - مدينة الكُويت :

هي عاصمة الإمارة ، على الساحل الجنوبي من خليج الكويت في الجنوب الشرق من البصرة ، وتبعد عنها نحو ٨٠ ميلاً ، وفي الشمال الغربي من البحرين ، وتبعد عنها نحو ٢٨٠ ميلاً ؛ تحدد على الساحل نحو ثلاثة أميال ، مع عرض يمتد ما بين ١٠ ميلاً ، وميل ونصف

وأرض الكويت غير مزروعة ، فلا ترى فيها ما تراه في الاحساء من البساتين والخصرة لقلة المياه ، وبسبب نمو السكان في الحسين سنة الأخيرة تركزت مياه الآبار التي كان يعتمد عليها السكان وأخذ الناس يقتلون حاجتهم من الماء من شط العرب ، والشيخ للكويت آثار خاصة يستقى منها أحياناً .

ومهاى مدينة الكويت كسائر المهابى العربية ، من الطين أو اللبن أو من الصخور البحرية . وأحسن المساكن قصر الشيخ ، وهو مبنى من الآجر ، ويقام على ساحل في وسط البلد تقريباً . وسوق الكويت في منتصف البلد تقريباً ، وليس به ما يلفت النظر من من الماء أو جبل المارة ، وبالسكويت مستشفى أسسه محسن الأمريكان ، ومؤسسة للتبشير . وقد أدى المستشفى للبلد والبدو الصار بين حول الكويت خدمات عظيمة ، أما التبشير به قد فشل فشلاً عظيماً لأن الكويت وحدها ، بل في سائر الشرق الأدنى . وسها أيضاً متوسط انجليزى يؤدى مهمته الخيرية على أتم وجه ، وسها مدرستان نظاميتان ، وبصع مدارس صغيرة تشبه السكتانيب في طريقة التعليم .

وبالسكويت محو حسين مسجداً ، وأهمها ثلاثة مساجد ، وهي تميل إلى الباطلة في بنائها وأثاثها ، وإس لمساجدها مآثر كسائر القاهرة ، أو بغداد ، وأكثر السكان يسكنون في المدينة ، وهم ينتمون إلى القبائل العربية الشهيرة ، وبمناكب هؤلاء يوجد ٨٠٠٠ من أصل فارسى ، وعدد قليل من الموالى وطرق الكويت ضيقة كثيرة التعاريج ، وأهم الطرق هو الطريق الذى يندى من قصر الشيخ على ساحل البحر ؛ محترقا السوق إلى خارج البلدة ، وقد أسست لبلدة بلدية من خمس عشرة سنة لتنظيمها وتنظيمها وإدارتها ، وقد أدت خدمات جليلة للبلدة في هذه المدة القصيرة .

وفي العشر سنوات الأخيرة اختطت الكويت تخطيطاً جديداً كاذباً على المدينة القديمة وربما غدت الكويت في طبعة البلاد العربية تقدماً بما حباها الله من البترول والنفير

٢ - البصرة

قرية كبيرة على طرار البلدان العربية ، قرية من حليج الكويت ، وتبعد عن مدينة الكويت بثمانية عشر ميلاً بالطريق الغربى ، وهي أهم قرية زراعية بالأراضى السكويتية ،

وهي محطة للقوافل القاصدة البصرة ونجد من طريق الحفر ، وموقعها مرتفع يطل على البحر ، فترى جميع السفن التي تمر خليج الكويت .

يبلغ عدد سكانها نحو ٦٠٠ نسمة يشتغلون جميعاً بالزراعة ، غير أن المدد يزيد عادة في الصيف بما ينزل حولها من البدو .

وقد كانت الجهرة^(١) قبل الإسلام مأهولة بالسكان ، خاصة بهم ، ولا تزال أطلال البلاد القديمة موجودة تحت الأنقاض ، وكثيراً ما يعثر على القود القديمة ، وبعض الآثار عند حفر الآبار . وهذه التلال القائمة على أنقاض البلاد القديمة تمتد إلى مسافة مائة وخمسين من الشمال للجنوب ، وفوسخ ونصف من الشرق للغرب .

وإلى الشمال الشرق من الجهرة على بعد أربعة عشر فرسخاً في اتجاه البحر توجد الصُّبْيَة ، وكانت قديماً أهلة بالسكان^(٢) كما تدل عليه خرائبها ، ويشق اسمها كما يقال من الصابئة ، ويقال إنها إحدى مدنهم التي بنيت بعد خراب بابل ، ويقال أيضاً إنها استمرت أهلة بالسكان والحضارة إلى زمن الخلفاء الأمويين ، حيث تفقرت منزلاتها وحررها سكانها ، ويؤكد السكان أن بعض سكانها لا يزالون يعيشون في خورستان ، ويقع العرب في هذه المنطقة زمن الصيف لهوائها المليل .

خلاصة تاريخية

ليس للكويت تاريخ قديم معروف ، ويرجع أن تاريخه لا يتجاوز الثمانمائة سنة . أما حكمائها الحاليون آل صباح ، فتاريخهم في سكنى الكويت لا يتجاوز سنة ١٧١٦ م ، وهي السنة التي تحالف فيها الشيخ سليمان بن أحمد رئيس آل صباح ، وخليفة بن محمد رئيس آل خليفة ، وجابر الأُمَيّي رئيس الخلائمة ، فاستخلصوا الكويت من القرس وسكوها ، وسيأتي في الفصل الخاص بالبحرين ذكر انفصال آل خليفة عن الحلف ، واستقلالهم بالزبارة وحكم البحرين .

أما السكان الذي وفد منه هؤلاء الخلفاء ، فيظن أنه كان قريباً من شط العرب في أم

(١) انظر تقرير حكومة الهند سنة ١٨٥٤ ، ولم الصحاب النسخة المحلية بدار الكتب البريطانية

(٢) لم الصحاب .

قصر ، حيث كانوا يعملون هنالك للقرصنة ونهب السفن البحرية ، فقد كان هذا العمل هو السائد في ذلك الوقت في خليج فارس ، وهو يشبه غزو القبائل بعضهم لبعض في البر .

وفي الخمسين سنة الأولى من تأسيسها تمت المدينة عملاً سريعاً في السكان وفي الثروة وفي الأهمية . وتمسك آل صباح وحلفاؤهم ومزازروهم من القبائل المجاورة في تثبيت مركزهم وتقوية صدى حاكم الدين كانت لهم اليد على جميع الشاطئ الشمالي الشرقي

وفد زاد في تقدم الكويت وعمارتها استيلاء الفرس على البصرة سنة ١٧٧٦ . فقد كان ذلك مدعاة لاهوة الكثيرين من السكان إلى الكويت ، ولزراعة وى أنباء الاحلال الفرسى تحوت تجارة البصرة المديدة مع بغداد وحلب وأرمير والآستانة إلى الكويت وما جاءت سنة ١٧٩٠ م حتى أحدثت الكويت تشارك ماقى موالى الخليج الفارسي في التجارة ؛ وقد ساعد على ذلك احلال عرب بنى عتبة البحرين سنة ١٧٨٤ ، فصارت المضائق ترد إلى الكويت من مسقط والمهد والبحرين والقطيف .

وبعد استرداد الأتراك للبصرة انسحب عمال (القابريكة البريطانية) فيها مؤقتاً إلى الكويت سنة ١٧٩٣ م لقيام بهم المشاكل مع الموظفين الأتراك .

وفي هذا الوقت حاول السعوديون غزو الكويت والاستيلاء عليها ، فشلوا في كل محاولاتهم .

وفي سنة ١٨٥١ دار النسخ Stouquer الكويت ، وهو يقول بأنه الأوربي الوحيد الذى دار هذه الدق منذ أمد بعيد . ويقول إن المدينة في زمانه كانت تمتد على الشاطئ* نحو ميل ، وتعمى بموار سنة آلاف من السكان ، وهو يظن أن الميناء ربما كانت استعملت أو اتخذت قاعدة لقراصين ، بالنسبة إلى مركز أنباء المثل على مصب نهر العرب . والى يمكن اتخاذها قاعدة لماكة للتجارة التركية وتجارة فليس مع المد . ويقول إن المدينة في زمانه كانت تحكم بواسطة شيخ ، وليس لديه أية قوة مسلحة ؛ وكان يحصل ضريبة قدرها اثنان في المائة على جميع الواردات .

عدد ما وصل المصريون إلى شواطئ الخليج الفارسي في محاربتهم للسعوديين ١٨٣٨

— ٣٩ وصموا مندوباً لهم في الكويت ، وكانت وظيفته سياسية . وكان شيخ الكويت في ذلك الوقت هو الشيخ حار ، الذي كان على صلات طيبة مع الحكومة البريطانية إلى أن توفي سنة ١٢٧٦ ، وقد خافه اسم الشيخ صدام ، وفي أثناء حكمه قام الكولويل (pany) سنة ١٨٦٥ رحله لشهيرة من الكويت ليقال حاكم محدد في الرياض ؛ وهو أول من لاحظ مستقبل الكويت التجاري . ويقول إن الكويتيين يهتبرون أحسن وأقدر بحارة بلاد الخليج الفارسي ، وهم محل ثقة في أحلافهم وعمالانهم . ومنذ خمسين سنة لم تكن ميناؤهم ومدينتهم شيئاً مذكوراً ؛ ولكن أصبحت أهم موانئ الخليج الشمالي ، ورئيسها له سمعة طيبة في الداخل والخارج ، وإليه يرجع الفضل في حسن الإدارة الداخلية ، والسياسة الحكيمة . فاضرائب الخفضة على الواردات ، والجو الصحي ، والكان المأخون ، وحسن الميناء ، وطرق المواصلات وقربها ؛ كل هذه العوامل حولت كثيراً من الناجر إلى الكويت ، مما كان يرد بُونْهر والبصرة^(١) . وبالنظر إلى موقعها وحالتها السياسية كانت هذه الميناء هي المخرج البحري الوحيد للبلد لشمـر .

وتبل أن تمضى عدة سنوات أخذت شركة الملاحة البريطانية British India Steam Navigation Com تجعل ميناء الكويت إحدى موانئ الخليج التي تعرج عليها بواجرها ، فهذه الحركة أثارت غيرة الساطات التركية ، وجددت محاربتهم من أن يكون قدم ميناء الكويت سبباً في إنقاص أهمية البصرة ، وعليه فقد عدت الشركة عن جعل الكويت إحدى الموانئ التي تعرج عليها بواجرها ، ولكن هذا الدول كان إلى حين ؛ فقد علمت بريطانيا أن روسيا تنوي إنشاء محطة نفط هناك ، والساعي كانت تبذل لدى الباب العالي للحصول على امتياز باسم الكويت ، كما سمت لساء سكة حديدية من البحر الأبيض إلى الخليج الفارسي ، وهو مشروع لو تم لحمل قروس حقولاً في ميناء الكويت الساحلية .

واقفاً لما يسمى إليه الروس ، عقدت بريطانيا سنة ١٨٩٩ م اتفاقاً مع الشيخ مبارك على منوال الاتفاق الذي عقدته بريطانيا سنة ١٨٩١ م مع سلطان مسقط ، فهذه الخطوة

(١) خطبة الكولونيل بلي في الجمعية الجغرافية .

حركت عواهل الأتراك الذين اجتهدوا في أن يثبتوا سلطانهم في الكويت ، ولكن الشيخ مبارك قاومهم ، واستمر محادماً على حسن علاقته مع بريطانيا

وقد تميزت سنة ١٩١٠ بوصول بعثة سكة حديد بغداد إلى الكويت البحث عن النقطة التي تنهى إليها السكة الحديدية ، ولولا مهادنة سنة ١٨٩٩ لكان لهذا الحادث تأثير كبير في تعيين مركز بريطانيا في الخليج الفارسي لخطر كبير

وفي سنة ١٩٠٢ - ١٩٠٣ رار الكويت خمس الطرادات الروسية والفرنسية ، ولكن هذه الزيارة لم تؤثر في الحالة المحبة كما أنها لم تؤثر فيما بين بريطانيا والكويت من صلات .

وحكام الكويت الحاليون سلالة جابر بن عبد الله لمقرب الكبير ، الذي جاوز المائة ، وم أبناء صباح بن جابر بن عبد الله

واشتهر في أوائل هذا القرن من هذه العائلة الشيخ مبارك الصباح ، فقد تسم هذا الأمير حكم الكويت على جنتي شقيقه (محمد وجراح) ٢٥ من ذي القعدة سنة ١٣١٣ هـ - ١٨٩٩ م ، وتار بذلك زعماً داخياً استمر نحو سبع سنوات ، وقد عظم شأن الكويت في أيامه ، وزاد عدد سكانها زيادة عظيمة ؛ وفي أيامه خرج الأمير عبد العزيز بن سعود واستولى على الرياض ، وغير محرم تاريخ الحبرية كما سيأتي في تاريخ آل سعود

كان الشيخ مدرّس طويل المدة ، أسمر البشرة ، قويذاكرة ، صلب الإرادة ، مستيداً ، متوكل على شمسطة وعوده على اللاد الحجرة ، ولكن الطوف لم ناعده . وقد اشتهر الشيخ مدرّس لاقتب وعدم الثبات على سياسة واحدة ، فقد كان يساعد آل سعود لإضعاف ناوذ الرشيد وحصد شوكتهم ، كما أنه كان يمد أحياناً إلى نفوية صلاته بالرشيد خوفاً من توسع آل سعود ، وكان لا يعب عما في أيدي الناس ؛ فقد كان يتوسل بأموه الأسيات اقترض الضرائب على الناس وابتزاز أموالهم ، ولكنه كان بحاس ذلك غيوراً على مصالح الكويت مداوماً عنهم أيها حلوا ، وقد خرج في أخريات أيامه على تقاليد العرب والفرس ، فكان يحاضر بالمعصية حتى في رمضان ، مما جعل أهل الكويت يضحون منه .

لقد حاول الأتراك في سنة ١٨٩٧ أن يستولوا على الكويت ، وبغوا الشيخ مبارك إلى الآستانة ، ولكنه أحبط هذا المشروع مما بدله من المد في البصرة وبغداد ، غير أنه في سنة ١٨٩٨ أرسل إليه الأتراك وفداً مؤمناً من كبار الموظفين ومضى أعيان البصرة على إحدى السفن الحربية القديمة لقله إلى الآستانة حيث عين عصواً في مجلس شورى الدولة ، فالتجأ إلى الإنجليز فأنقذوه من الأتراك ، وأعلنوا في تلك السنة حمايتهم على الكويت

وقد أحرى الشيخ مبارك والسيد رحب القريب بهذه القصة للدلالة على قصر نظر الأتراك ، وسعيهم الدائم لإضعاف العرب ، مما اضطر عذلاً إلى الاتجاه إلى الدول الأجنبية غير أن بريطانيا اضطرت إلى إعلان الحماية إيساً لكل نفوذ أجنبي على الكويت ، نظراً لظهور الروس في الميدان

واجه الشيخ مبارك في أوائل حكمه كثيراً من الصعاب التي يقبها في وجه أبناء شقيقه الشيخ محمد بن صباح وجراح ، والشيخ يوسف بن إبراهيم نصيرهما ، فأوعز الأتراك إلى عبد العزيز بن الرشيد بمناوأة مبارك ، فأخذ يعمر على أطراف الكويت ، كما أخذ مبارك نفسه يعمر على أطراف البقاع الناسة لأمر حائل ، ففي سنة ١٩٠٠ غزا مبارك سجن جهات تابعة لعبد العزيز آل رشيد ، وسلبهم آلاماً من الجبال ، وفي حريف هذه السنة حاول مبارك أن يقتنص فائقة كبيرة إلى العراق ، كانت مكملة بإحصار مواد غذائية ، وملاس وذخيرة لفصل الشتاء من السماوة ، ولكنه فشل في ذلك . وفي ذي القعدة سنة ١٣١٨ — ١٧ مارس سنة ١٩٠١ كانت معركة الصريف التي اكسر فيها مبارك نفسه بعد أن قتل فيها أخوه وأحد أولاده ، كما قتل فيها عدد كبير من أهل الكويت ، وقد حاول ابن الرشيد في حريف هذه السنة أن يتقدم ويستولي على الكويت ، ولكن الظروف الداخلية والخارجية لم تساعد على تنفيذ خطته ، فالتورات الداخلية ، وسياسة بريطانيا في الخليج قصت على هذه المحاولات ، وقد استراح الشيخ مبارك بعد قتل عبد العزيز بن الرشيد سنة ١٩٠٥ ، وموت عدوه الألف الشيخ يوسف ابن إبراهيم سنة ١٣٢٣ في السنة نفسها ، فلم يمتد له خصوم يؤبه لهم ، وأصبح السيد المطاع في الكويت

وفي سنة ١٩٠٣ زار الكويت اللورد كيرزون في رحلته إلى خليج فارس ، وعلى أثر هذه الزيارة عيّنت الحكومة البريطانية وكيلًا سياسيًا للكويت ، فاحتج الأتراك على هذا التعيين الماس سيادتهم على الكويت ، ولكن لم يكن له أي أثر .

وتد توفى الشيخ مبارك في مساء الإثنين ٢٠ محرم سنة ١٣٣٤ - ٢٩ ورمضان سنة ١٩١٥ ، فتولى إمارة البلد بعده أكرأبته الشيخ جابر بن مبارك الصباح ، وقد اشتهر بطيبة القلب وحسب الخير ، ورتق الناس ، خفف الضرائب ، وأزال كثيراً منها مما فرضه أبوه ، وحسن صلاته بمن سمود ، وكان قد أصابها شيء من التضلع أو أواخر أيام مبارك .

وفي الخامسة من فبراير سنة ١٩١٧ توفى الشيخ جابر بن مبارك ، فأسندت إمارة الكويت إلى أخيه الشيخ سالم بن مبارك .

كان الشيخ سالم شجاعاً يحيد الزمالة وركوب الخيل ، ملأ بشيء من الفقه وبعض قواعد النحو ، وكان طبعه يميل إلى العدة والشدة ، ولم يكن موثقاً في سياسته مع ابن سمود ، ولا مع الحكومة البريطانية فله أنها كانت تمالئ ابن سمود عليه .

وقد اشتبك في معارك حربية مع الإخوان النعديين كانت الغلبة فيها للإخوان ، ففي شخص هاشم الدويش ومطّبر سنة ١٣٣٧ هـ - سنة ١٩١٩ م معسكر ابن صباح ، واستولى على مائة من مال ودخيرة . سنة ١٣٣٨ هـ - سنة ١٩٢٠ م هاجموا المهرة وحاصروا الشيخ سالم فيها ؛ وكادوا يهصون عليه ، وفي السنة التالية توفى الشيخ سالم بن مبارك ، فاختار الأهالي ابن أخيه الشيخ أحمد جابر ، وهو رجل في غاية الفكاهة يميل إلى الأناة والتبصر في أموره ، كما يميل إلى البساطة ، وقد قابل الأهالي بده حكمه بمهارة وارتياح وفي أيامه ازدهرت الكويت بما أفاض الله عليها من الزيت والتزير وقد وطد علاقاته مع نجد ومع أسراء الخليج عامة وهو محبوب من رعاياه ومن الحكام المجاورين .

وتد توفى سنة ١٩٥١ فتولى الإمارة ابن عمه الشيخ عبد الله السالم .

لقد كانت العلاقات الاقتصادية بين الكويت والكويت على ما ذكره بين البلدين

واستمرت نحو عشرين سنة . وقد أثرت هذه الحاجة الاقتصادية على ما بين البلدين والسائتين
الحاكمتين من روابط تقليدية .

وفي محرم ١٣٥٩ — فبراير ١٩٤٠ أوفدى جلالة الملك إلى الكويت لحل هذا النزاع
الذى طال عليه الأمد . وقد حثى على بذل الجهد وجميع السعى للوصول إلى اتفاق يضمن
مصالح الطرفين المتجاورين والصادقين القديمين ؛ والكويت لها في قلب الملك عبد العزيز
فكر سائل وأثر لا يزال وسكانها في صفه أصبحت قسما من تاريخه .

ومن جهة أخرى فإن الكويت وأهلها وأسرارها تربطهم صلة ود لا تنقسم ، فقد
حانت الفرصة للقيام بواجب نحو أصدقائي ونحو مليكي المحترم .

وقد وفق الله الوصول إلى هذا الغرض ، فبعد مفاوضات بينى وبين الوكيل السياسى
بالكويت استمرت نحو أسبوعين أمضيتها في ٢٦ محرم سنة ١٣٥٩ — ٥ مارس ١٩٤٠
ثلاثة اتفاقات هامة .

(١) معاهدة صداقة وحسن جوار .

(٢) معاهدة تجارية .

(٣) اتفاقية تسليم المجرمين .

ويجب أن لا يغوتنى وأما أسجل هذه الحوادث لتاريخ التنويه بمجتمعات وحسن
مساعي مندوبى الحكومة البريطانية في جدة والكويت وموافقي حكومة جلالة الملك
عبد العزيز ، فإنهم في العشرين سنة الماضية ، قد خطوا في سبيل السلام خطوات واسعة
لولاها ما تمكنت من الوصول إلى الناية المنشودة .

ولا شك أن الروح الطيبة التى كان دائما يملئها جلالة الملك عبد العزيز على مدوئيه
كانت أكبر معين .

إمارة البحرين

يطلق اليوم اسم إمارة البحرين على مجموعة الجزر الواقعة في وسط الخليج الفارسي منفصلة عن ساحل قطر والقطيف ، وهي الجزر التي كانت تسمى (Tylos) ، وهي جزيرة البحرين ، وجزيرة المحرق وأم تمسان وسقرة ، مع عدد من جبرر صغيرة صخرية لا أهمية لها .

الجو

حوال البحرين قرب السواحل وفي المناطق المريرة حار رطب لا يكاد يحتمل ، وأما كانت البحرين حتى سنة ١٩٢١ موبوءة كالقطيف بالجذبات ، ولكن منذ السنة المذكورة قامت إدارة البلدية بمجهود كبير في ردم المستنقعات والبرك ، فحسنت حالها تحسناً محسوساً ، وأقصى درجة الحرارة ١٠٤° في أغسطس ، وتتنخفض الحرارة في ديسمبر ويناير إلى ٤٨° ، والجو من أكتوبر إلى أبريل مقبول نوعاً ، فالحرارة تتراوح من ٦٠ - ٨٠° ف وفي يناير وفبراير تهب الرياح الشمالية فيبرد الجو ، ويستعمل الناس النار في منازلهم للوقاية من أذاه ، وفي مايو ومتصف يونيو يهب نسيم البحر فيخفف من شدة الحر ؛ أما من منتصف يونيو إلى آخر سبتمبر فإن الحرارة لا تكاد تنخفض عن ١٠٠° ، وعندئذ تكاد الأنفاس تنقطع ويكاد العرق لا يجف ليلاً ولا نهاراً ، ولا يلطف الهواء إلا نسيم البر ولكنه قليل والأمطار قليلة في البحرين ، وموسم المطر من منتصف أكتوبر إلى منتصف مايو .

والرياح التي تهب على البحرين ، هي البارح ، وهي رياح شمالية غربية ، ومدتها أربعون يوماً تتبدى من الأسبوع الثاني من يونيو ، وتكون شديدة هبوباً في الشتاء حين تهب من الشمال ، وهذه تهب على البحرين من وقت لآخر في غير شدة ثم الرياح الجنوبية الغربية يسمونها القوس ، وهي إذا هبت في الصيف اشتد الحر ؛ ولا سيما في شهر أغسطس ، وهي تهب بتير انتظام من ديسمبر إلى أبريل .

السكان

يبلغ سكان البحرين حسب إحصاء ١٩٥٠ : ١٠٩٦٥٠ . النثنان من أهل الشنة والثالث من الشيعة . وأكثر الشيعة من القرويين ، كما أن أغلب أهل الشنة من أهل المدن . وأكثر أهل الشنة من الحوالة الذين يسكنون في لينة والمخرق واليدبع ولحذ ، وهم يشتغلون بالحجارة وليس منهم رابطة اتحاد أو معوذ على غيرهم .

أما المتوحد (بنى عنة) والسادة والدواس فهم أكثر القبائل معوذاً في البحرين ، ويمر عنة لهم بالعائلة الحاكمة صلة النسب ، والسادة ، فوذهم مستمد من اتصال نسبهم بالبنى الكريم ، والدواس فوذهم مستمد من سلوكهم الحسن في الجزيرة ، ومن ثروتهم التي اكتسبوها من التجارة . وهالك بعض قبائل أخرى تنتمي إلى بنى خالد .

وأغلب السكان الشينيين يسكنون على السواحل ومعيشتهم مرتبطة بالبحر أكثر من الزراعة ، وهناك أيضاً عدد من الموالى لا يقل عن ٩٠٠٠ نفس ، وجالية صغيرة من الإيرانيين والهنود .

والحياة في البحرين تختلف عنها في جزيرة العرب ، وليس في البحرين كما في جزيرة العرب روح التنصب لعدم مصاهرة غير العرب إلا في العائلة الحاكمة فقط ، وليس في البحرين كما في الجزيرة البعد عن الكماليات ، وتجد في البحرين أثر الروح الفارسية والمهذبة في المأكل والبناء ، وفي الملابس وبعض العادات الأخرى .

الصناعات والتجارة

أهم الصناعات في البحرين هو الاشتغال باستخراج اللؤلؤ من البحر ، والبحرين تلي عمان في الأهمية من حيث كثرة السفن وعدد النواصين . والنواصون وإن كان منهم عدد غير قليل فقد من الاحساء ونجد ، فإن التجار الذين يعدونهم بالمال من تجار البحرين .

لا يقل عدد المشتغلين باستخراج اللؤلؤ عن عشرين ألف نفس ، ويبلغ عدد السفن نحو ٩٠٠ سفينة صغيرة وكبيرة ، وموسم القروش يبدأ في مايو وينتهي في أكتوبر حيث يبرد ماء البحر .

وقد تداخلت حكومة البحرين في عشر السنوات الأخيرة في عمل النوص والتجارة ؛ فبعد ما كانت التجارة حرة في السنين الطويلة ، أوجبت الحكومة على التجار تنظيم دفاترم كما حددت أرباح الشلف ، وكما حالت دون تحكم التجار في النواصين الصغار ؛ والحالة على العموم في البحرين حيرتها في بعض السواحل الأخرى . وقد جهزت حكومة البحرين سفينة أعدتها بكل المعدات الطبية لمساعدة المرضى وتخفيف آلام الفقراء من سكان البحرين ، والمستعملون باستخراج اللؤلؤ قد يشتغلون في غير موسم الدوص بصيد الأسماك إما بالشبك أو بالخطرة .

ويشتغل عدد كبير بالزراعة ، ولا سيما في السنوات الأخيرة حيث أكثر الأغنياء من حفر الآبار الارتوازية .

وأم حاصلات البحرين : التمر ، الليمون ، الانج ، التين ، البطيخ ، وبزرع بها بعض الخضراوات .

وأم الصناعات اليدوية في البحرين : سيج الشعر للفن ، واللباءات وبعض أنواع أخرى من الأقمشة ، الحصر الذي يصنع من سمار الاحياء ، وبناء الفن من الأخشاب التي تستحضر من الهند خاصة لذلك ، وكثير من هذه الفن يصنع لقطر وعمان .

وتقدمت التجارة في البحرين في الخمس عشرة سنة الأخيرة بسبب بناء رصيف للفن الشراعية ومستودعات للبضاعة . وقد أصبحت البحرين بالنظر إلى مركزها الجغرافي سوقاً هاماً لتجارة اللؤلؤ وغيره من أنواع المتاجر الأخرى . فتجار اللؤلؤ من الكويت وقطر والقطيف وسائر السواحل العربية يبيعون فيها ما يجتمع لديهم من اللؤلؤ ، حيث يصدر بعد ذلك إلى الهند وأوربا . وقد بلغت قيمة ما صدر منه في سنة الرخاء ما يوتن من الجنيهات . وأما الماير الأخرى فقد صدرت من الهند وأوربا ، ومنها يصدر إلى القطيف وقطر والمقبر حيث يرسل للاحياء وجنوب نجد .

وأم واردات البحرين : الأرز ، والسوجات ، والسن ، والبن والتمر ، والسكر ، والشاي ، والدخان ، والأطوية ، والوقود ، والأغنام الذبح .

وأم الصادرات : كان اللؤلؤ أم صادرات البحرين . أما اليوم فإن يقول قد حل محله وأصبح له المكان الأول في ثروة البحرين ولا يوجد صادر آخر ذو قيمة غيره ، وتكاد الهند تستولي

على أكثر من نصف الواردات ، والملاذ الأخرى — فارس والعراق وأوربا — تنقل على النصف الآخر .

ونقل السلع التجارية من الهد بواسطة الشركة الانجليزية الهدية وهي تكاد تختكر بحارة الخليج وتمر أسبوعياً بالبحرين في طريقها إلى البصرة ، وفي رجوعها إلى عساي ، وقد أصبحت البحرين مد سمين مركزاً من سراكز الطيران المدني ، فأصبحت الطائرات تمر بها كل أسبوع في طريقها إلى الهد أو أوربا ، وأصبح في وسع المسافرين يحمل إليها في أربعة أيام من لندن ، ويوم ونصف من الهد أو مصر .

جزيرة البحرين

أو (أوال) كما كان يسميها العرب^(١) أكبر جزر الإمارة وأهمها ، كثيرة المياه ، خصبة التربة ، قابلة للسو والقدم ، ويمكن زيادة المناطق القابلة للزراعة فيها إذا نظم الري ، وجبت الضرائب بالعدل ؛ وقد اتسعت المساحة الزراعية في العشرين سنة الأخيرة ، وأكثر الناس من حفر الآبار الارتوازية . وازدادت حركة شراء الأراضي سواء كان البناء أو للزراعة ، بعد أن مجدت شركة الزيت الأميركية في استباط البترول من أراضيها .

يبلغ طول الجزيرة ٣٠ ميلاً ، وهي على العموم مسطحة ومنخفضة ، ولكنها ترتفع تدريجياً إلى نجد داخل يبلغ ارتفاعه من ١٠٠ — ١١٠ أقدام .

ويزرع في الجزيرة ما عدا الحيل ، الليمون ، والمان ، والتوت ، والتين ، والبطيخ ، والأترج ، وأنواع الخضراوات .

ويقال إنه كان بالبحرين ثلثائة قرية ، وسواء كان هذا القول صحيحاً أم سالماً فيه ، فإن قرى البحرين اليوم لا تتجاوز المائة ، وهي أشبه بالأكواخ . ويوجد في بعض القرى الملوك العائنة الحاكمة ، أو كبار التجار بيوت مبنية بالحجارة ، ومطلة تطل على حسا ، وهي معلقة في النبال لفصل الصيف .

وقد احتل البحرين البرتغاليون كما احتلوا القطيف ، واحتكروا جزءاً كبيراً من

(١) بالتوت . القاموس المحيط .

ناؤلو وتجارة الخليج الفارسي ، ولا يزال في الجزيرة بقايا خرائب مما شيدته البرتغاليون
واسكنها تداعت كلها كما تدعى ماء القلعة التي بنوها لحماية الميناء التي هجرت وأخذت
بدلاً منها التسمية

ووجد على الشاطئ الشرقي من الجزيرة خرائب مدينة كبيرة يقال لها حَوْ (Jow)
كانت مقراً لشيوخ البحرين ، ولكنها تركت سنة ١٨٠٠ لأن سرناًها غير أمين ، ورحل
سكانها إلى جزيرة المحرق

بلدان البحرين

المنامة :

عاصمة البحرين التجارية على الساحل الشمالي الغربي من الجزيرة ، ولكون البحر
تخلوا عن المنامة تقف البواخر على بعد أربعة أميال لتفرغ شحناتها في السفن الشراعية
التي بدورها تنقلها للساحل ، وفي وقت الجزر لا تستطيع السفن أن تقرب من الساحل ،
وقد أنشئ في الخمس عشرة سنة الأخيرة رصيف على ساحل البحر يمكن السفن أن ترمو
بالتقرب منه

وقد أنشئ بالمنامة بلدية سنة ١٩٢٠ م ، فقامت في الخمس عشرة سنة الماضية بمخدمات
جُلبت للبلد ، فشيئت طريقاً على ساحل البحر ، وغرست الأشجار على الطريق الخارجي ،
ووسعت الطرق الصيقة المتفرقة ، كما قامت بتصيب وافر في سبيل تنظيف البلد ، وقد
نحمت البلدية في إدارة الندة بالكهرباء كما رعت المنامة بالبحرين بحسب راسل الاتصال
بين الجزيرتين والمنامة ما يزيد على ٥٠٠ دكان ، وكثير من البيوت التجارية الأوربية
والهندية . وماله حزين أيضاً حانة أمريكية ، ومستشفى أمريكي قام بمخدمات تذكر في سبيل
الإنسانية .

يبلغ سكان المنامة ٣٩٦٩٨ أكثرهم من أهل السنة ، وسها أيضاً نحو ألف من غير
المسلمين : متوحد ونصارى شرقيين ، وقليل من الأوربيين

ويستقي قراء المنامة من يترنسى عين مُثْقِل ومن مستودع آخر للماء يسمى القنول
في غرب البلدة . أما غير المتقراء فيشربون من ماء الرقاع الشرقي أو الغربي حيث ينقل

بواسطة الجبال ؛ وأما الماء المستعمل للتنظيف فكل بيت لا يخلو من ثوب
هذا ما كان في الماضي أما الآن فأكثر البيوت والأماكن التجارية قد وصلت إليها المياه
بواسطة الأنابيب محافظة على صحة السكان

البديع :

قرب الزاوية الشمالية الغربية من جزيرة البحرين تسد ميلا على السواحل ، ويبلغ
عدد سكانها نحو ٨ آلاف نفس أكثرهم من قبائل الدواسر ، ويشمل أكثرهم تجارة
الؤلؤ والمثل على استخراجها

وقد وقع خلاف بين حكومة البحرين والدوسر في أواخر سنة ١٩٢٢ م بجلا الدواسر
من البديع إلى الدخان ، وبعد سنتين رجع قسم منهم إلى البحرين بعد استمرام حكومتها
لهم . وأهم قرى البحرين :

البلد القديم :

في الجنوب الغربي من قمة المامة على ميل ونصف منها ، وسكانها من التجارة^(١) ،
ويشغلون الزراعة وتجارة الؤلؤ والخطاطة ، وعدد سكانها نحو ٤٠٠ ، وأكثر بيوتها مبنية
بالطين ، وفي الجهة الشمالية الغربية يوجد سوق الخميس نسبة لليوم الذي يقام فيه السوق ،
وعلى مد نصف ميل من القرية في الجهة الغربية توجد عين أم ريضان ، وبحوارها مدرسة
متهدمة بهذا الاسم ومنارة يهتدى بها ، وبها عدد كبير من أشجار النخيل

عسكر :

قرية على الشاطئ الشرقي تمتد من جبل الدخان أربعة أميال ونصف ، وسكانها
من الوعيتين

بوري :

في الجنوب الغربي من المامة تبعد عنها سبعة أميال وسكانها من التجارة ، وسكانها عدد
كبير من النخيل لا يقل عن ١١ ألف نخلة

(١) تطلق هذه الكلمة على سكان البحرين

جَدَّ حَفْص :

في الجيوب الشرقى من القلعة البرتغالية الخربة (قلعة المتجاسم) ، تبعد عن المامة بثلاثة أميال ونصف ، وهي من القرى الكبيرة في البحرين ، وسكانها من البحارة المستعربين بحرس المغيل والتجارة وإحراق الجص وتجارة اللؤلؤ ، وسها من المغيل ما يتجاوز ١٦ ألف محلة ، وسها أيضاً سائين حميلة بحرس فيها الأتراج والتواكه ، وتزدح الحضر بأرصمها كما بزراع (القت) الرسم ، وقرىها قرية صغيرة تسمى عين الدار .

المعابر :

على الساحل الشرقى ، بعض بيوتها مبني بالحجارة ، سكانها من البحارة ويشغلون بالنوص .

رفاع الشرق :

قرية كبيرة في جنوب المامة على بعد سبعة أميال منها ، وسكانها من العرب الذين يمشون على بيم الماء المستخرج من آبارها المسمى بالحنبنى ، ويقم بها بعض أعضاء العائلة المالكة ، وتعد كان لهم شأن يذكر قبل النظام الحالي في البحرين ، والرفاع تعتبر أصح منطقة في جزيرة البحرين .

رفاع الغربى :

مثل الرفاع الشرقى في موقعه ويبعد عنه ١٢ ميل وهو في الغرب الشمالى منه ، وسكانها سنيون أكثرهم من قبيلة بنى عتبة ، وبعض أعضاء العائلة الحاكمة كانوا يسكنونها ويمكونها كالرفاع الشرقى ، والسكان يشغلون بنقل الماء ويبيع في المامة ، والمطقة غير مزروعة .

سنايس :

على الساحل الشمالى من الجزيرة بها مسجد ، وسكانها من البحارة الذين يشغلون ببناء السفن وصيد الأسماك وتجارة اللؤلؤ .

الزقاق :

على الساحل الغربي من الجزيرة أسفل البدع ، وسكانها من الدوار الذين يشتملون بالنموس وبها قلعة غريبة .

جزيرة المحرق :

تقع جزيرة المحرق في الشمال الشرق من جزيرة البحرين حيث يوصل الجزيرتين مضيق صغير يبلغ طوله ميلا ونصف ميل فقط يعبر فالسفن الصغيرة ، وقد وصلت حكومة البحرين أخيراً الجزيرتين ببعضهما بعض بواسطة جسر

يبلغ محيط الجزيرة أربعة أميال ، وساحل الجزيرة رملي متحطم بمحاط شعوب مرجانية مما جعل الملاحة إلى البحرين محاطة بشيء من الأخطار ، ولكن الملاحين من العرب في عاية الهارة ، ولدا فالسفن البخارية القادمة من الهند ترسو بيده عن الساحل نحو أربعة أميال .

والمحرق عدة يتابع على الساحل تحتفى تحت ماء البحر وقت المد وتظهر وقت الجزر ، ويبلغ سكان المحرق والحد ٢٥٥٥٧ .

وبجزيرة المحرق ١٦ قرية صغيرة ملحقة بمدينة المحرق أهمها :

عمراد :

على الساحل الجنوبي وسكانها بآخرة ، وسها قلعة تداعية قائمة على حليج عماد ، وبها نحو ١٥ ألف نخلة .

بساتين :

على الساحل الغربي من جزيرة المحرق تبعد نحو ميل عن مدينة المحرق ، وسكانها من أهل السنة يشتملون بالنموس ، وبها قليل من النخيل .

الدير:

على الجهة الشمالية الغربية من الساحل تعد ميلين عن مدينة المحرق ، وسكانها بحارة يشملون بالقوس وبها قليل من المخل .

حالة أبو ماهر:

جزيرة صغيرة حوى بلدة المحرق ، هل الجزيرة وقت الحز ، وسكانها من أهل السنة يشملون « حوص » وقد الماء إلى المحرق من عين تحت البحر ، وبها قبة صغيرة على نهاية الجزيرة لدفاع عن الماء .

قلالي:

في الجهة الشمالية الشرقية من الساحل ، وسكانها من أهل السنة ، وأكثرهم من قبائل النجاسة ، يشملون بالقوس وصيد الأسماك .

مدينة المحرق:

مقر العائلة الحاكمة الأسلم ، واسعة على الجهة الغربية من الجزيرة ، تبعد عن مدينة النامة ميلين .

ويستق أكثر سكان المحرق من عين أبو ماهر الواقعة حوى الدينة في جزيرة صغيرة تسمى بهذا الاسم ، تبلغ مساحتها نحو ٨٠٠ ياردة ، وتحاط مدينة المحرق بالماء وقت المد العالي من الجهة الشرقية والجنوبية والغربية ، يساعد ذلك على إزالة الأتجار وتنظيف الساحل .

يبلغ سكان المحرق ٢٠ ألفاً ، يصمم من الجولة ، وعرب المحرق يتنون إلى بني هبة وبني علي والزكينة ؛ والمحرق عدد لا يذكر من البحارة ، ويشتمل أهل المحرق بتجارة المؤن واستخراجه وصيد الأسماك والملاحة وبعض الناجر الأخرى ، وفي موسم

الصيف بهجر القسم الأعظم من أهل المحرق ماكنهم وينثرون على سواحل جزيرة البحرين .

الجِدَّة :

في الجنوب الشرقى من جزيرة المحرق ، يسكنها نحو ٨٠٠٠ نسمة ، وهم من السادة وقبائل بني ياس ، وهم يشغلون بتجارة المؤاؤ والموص ، والجِدَّة أكبر مراكز الموص .

سِتْرَة .

جزيرة ونمة في شرق البحرين ، مفصولة عنها بقدة ضيقة ؛ يبلغ طولها من الشمال للجنوب أربعة أميال ونصف ، وعرضها ميل ونصف ، وبها كثير من الميون والآبار ، وسكانها في الشمال بحارة ، ويسكنون في سبع قرى صغيرة ، وبها كثير من أشجار النخيل .

الجزيرة :

أو كما يسمونها — النبي صالح — هي جزيرة صغيرة قريبة من الساحل الشرقى من البحرين ، تبلغ نصف ميل في كل ناحية ، وهي من الأماكن العاسمة بالنخيل ، فيها نحو ١٤ ألف محلة ، وبها قريتان سكانها من البحارة ، يشغلون بالزراعة والموص وصيد الأسماك .

أم تَمَّسَان :

جزيرة صغيرة في الجهة الغربية من البحرين تمتد عنها نحو ميلين فقط ، طولها من الشمال للجنوب أربعة أميال ، ونحو ميلين ونصف عرضاً ، وهي جزيرة غير مسكونة ، وبها عين ماء عذبة قرب الساحل الغربى . ويرسل سكان البديع واللاق من قرى جزيرة البحرين حيواناتهم في الصيف لقرى فيها .

نبذة تاريخية

لا يعرف شئ كثير عن تاريخ البحرين القديم ، وما يعرف عن تاريخها لا يحاوى

سنة ٤٢٠ قبل الميلاد ، حيث كانت البلدة تدار بواسطة رؤسائها الوطنيين الوثنيين ، وفي سنة ٦١٥ بعد الميلاد غزا بهرام بلاد العرب وأقام بالجزيرة مندوباً من قبله يدبر شؤونها ، وقد بقي بها إلى زمن الفتح الإسلامي ، وبعد الفتح الإسلامي بمدة قصيرة استرد الحكم المحليون استقلالهم ، واستمروا في حكمهم حتى زمن هشام بن عبد الملك ، حيث استرد الجزيرة مرة أخرى ، وأقام من حاشه حاكماً قرشياً عام ٧٢٣ م ؛ وقد استمر حكم البحرين على هذا النحو حتى آخر حكم العباسيين في القرن الحادى عشر ، فعاد حكم الوطنيين مرة أخرى ، واستمر حتى القرن السادس عشر ؛ وفي القرن السادس عشر استولى عليها «العرس» وعيوا من قياهم حاكماً عليها ، ثم استولى عليها البرتغاليون كما استولوا على هرمز والقطيف سنة ١٥٠٧ ، واحتسكروا جزءاً كبيراً من تجارة التؤلؤ وتجارة الخنج الفارسي . وقد طرد القرس البرتغاليين سنة ١٦٢٢ بعد سقوط هرمز ، كما أن القرس بدورهم طردوا منها مرة أخرى ، ومارات الحرية يلقاب عليها الحكم من القرس تارة ومن العرب مرة أخرى ؛ حتى تمكن عرب بني عتبة من الاستيلاء عليها ، وهم الحكم الذين تنحدر منهم العائلة الحالية .

آل خليفة

إن تاريخ آل خليفة أمراء البحرين يشمل ضمنه آل صلتاح أمراء الكويت ، ولذا فإن البحث في تاريخ إحدى العائلتين لا يخلو من استعراض شيء عن العائلة الأخرى للارتباط الوثيق بين الاثنين في الماضي .

قدمنا في الفصل الخامس بالكويت أنه في سنة ١١٢٩هـ (١٧١٦ م) تحالفت ثلاث قبائل كبرى وم : «صوباح» ، «الجلامة» ، وآل خليفة . واتخذوا الكويت موطناً لهم ، وانفقوا فيما بينهم على أن يتولى آل صباح شؤون الحكم ، وآل خليفة التجارة ، والجلامة العمل في البحر ، على أن ينقسم الجميع الأرباح بينهم بالتدري . وبعد مضي خين سنة من الحلف سنة ١٧٦٦ رأى ابن خليفة أن يفصل عن الحلف فعرض على حلفائه مبالغ ما يصيبهم من النى إذا هم سمحوا له وامشيره بالانتقال إلى الجزء الجاور لمناص التؤلؤ

فيؤس هناك محلة تدر الشيء الكثير من الأرباح فيستغنى الخلفاء ، فاستولى حلال
الفكرة عليهم وصرحوا الرئيس آل خليفة بترك الكويت مع بعض أفراد عشيرته ، فتركها
ونزل الرثارة قرب قطر والبحرين على الشاطئ العربي .

١ اكتشف ابن صباح — ولكن بعد فوات الفرصة — الأسباب الحقيقية التي دعت
بخليفتهم ابن خليفة إلى مفادرة الكويت ، وشعروا بعظم الحسارة المالية التي سوا بها
بفقد عضون من أعضاء التحالف ، ففكروا في افتداء أثر خليفهم ابن خليفة بالتخاضع من
قيود الخلف مع الخلافة ، فامنعوا من مقاسمتهم الوارد ، ثم انتهى الأمر إلى طردهم
من الكويت ومينائها ، فلهثوا إلى إخوانهم آل خليفة في الزبارة فأجروا لهم من الرواتب
ما يتناسب مع صرهم ، وبعد ذلك جرى بينهم وبين أهل الكويت من المارك ما كان
سبباً لقضاء عليهم وعلى نفوذهم .

يسود المدعو البحرين ، ويسود الصفاء بين الشيخ محمد الحاكم وأخيه الشيخ علي
آل خليفة ، ويتعاونان على قمع الفن وإنماء حركة التجارة ، ويستمر هذا التعاون حتى
سنة ١٨٦٧ ، ثم يتنافس الأخوان على الحكم فينقلب الشيخ علي أخيه وينفرد بالحكم ،
فيترك الشيخ محمد البحرين إلى الكويت مقر آبائه الأولين ، فيسكن عبد الله بن صباح
حاكم الكويت في الصلح بين الأخوين فلا يوفق ، فتقوم الحرب بين الأخوين فينقلب
الشيخ محمد علي البحرين بعد قتل أخيه الشيخ علي ، فيجبهه أبناء الشيخ عبد الله بن طريف
فينداحل الإبل في الأسر ، فيطلقون سراح الشيخ محمد ويحملونه مع بعض الرؤساء
إلى سيلان ، ويمتدنون الشيخ عيسى بن علي حاكماً على البحرين سنة ١٨٧٠ ، ويستمر
حاكماً عليها حتى سنة ١٩٢٣ ، حيث تقل يده بالظفر إلى كبر سنه ، ثم يتولى ولد الأكبر
الشيخ محمد بن عيسى . وقد توفي الشيخ عيسى بن علي في شعبان سنة ١٣٥١ هـ ديسمبر
سنة ١٩٣٢ م كما توفي الشيخ محمد بن عيسى ، وقد تولى الأمر من بعده ولده الأكبر
الشيخ سلطان بن حمد وهو الحاكم الحالي .

الحكومة البريطانية والبحرين

كانت سياسة الحكومة البريطانية في خليج فارس في أواخر القرن الثامن عشر والقرن التاسع عشر قائمة على إيجاد عهد من السلم والأمان في تلك المنطقة ، فأعلنت الحرب على القرصنة وحاربها بشدة .

وقد أرسلت الحكومة البريطانية مستر روس Bruce^(١) عام ١٨١٤ إلى البحرين لاستطلاع أحوالها ، فوصل إليها في ١٩ يوليو واستقبله فيها الشيخ عبد الله بن أحمد استقبلاً ودياً . ويقول مستر روس : إن زياراته للبحرين كانت موفقة ومعيدة جداً ، فقد علم أن إمام^(٢) مسقط عرس في أدهان العرب أشياء كثيرة ضد الإنجليز : تمت أهمهم أن بريطانيا ستصدر من البحرين التي تقصد الموانئ الإنجليزية ، ولهذا السبب كانوا معتمدين مشاركة الخوارج في القرصنة ، وقد شرح الشيخ عبد الله أسباب الخصام بينه وبين إمام مسقط ونقص هذا الأخير المأذنة التي عقدها معهم ، وإنه هو نفسه وأفراد قبيبه مستعدون للارتباط مع مسقط لأن مصدحه لا تتعارض وهذا الاتفاق .

وقد أدان الشيخ عبد الله للمستر روس أنه في الوقت الذي كان إمام مسقط ينظرهم بالعداء معهم ، كتب سرّاً إلى إمام محمد بن عمر بالبحرين لإقامة راحة بن جابر حاكماً عليها . وقد رخص شيخ بني ياس لأصحاب الإسلام في ذلك كما رخص أسراء العرب المقيسون على الساحل العارضي ، وقد رحب شيخ البحرين بالسفن الإنجليزية والنجدة البريطانية ، وصرح بأنه مستعد لدفع أي حط عرني من الجزيرة ، وأنه لا يشعل بالله غير الإنجليز ، وأن الشيخ ينتظر أن تدخل برطيا معه نفس المعاملة التي عمل بها سلفها في البحرين ، فلما علم مستر روس وأخبره - ولأنه ليس لديه التوقيص السككي - بأنه مستعد أن يضع معاهدة تزيل محاربات شيخ البحرين ، فوعده الشيخ بأنه سيصدر أوامره الصارمة للشد على سعة باحترام العلم البريطاني حتى في أشد الأوقات حرجاً .

(١) سنذكر في الجزء الثاني تفاصيل لاغلاب في البحرين وآثره في سائر البلاد العربية ، وبلاحظ هنا أن خليج فارس في القرن التاسع عشر كان مريباً - مع توجهه - غير أن هؤلاء الحكام كانوا إما في تنازع وحكام دائم حتى أصعبهم ذلك وحملهم لعدة - أو لعل طاع قوى .
(٢) إمام : سلطان .

ازداد نفوذ آل خليفة في الزبارة وآل صباح بالكويث ، وغت نفوذهم ولا سيما بعد احتلال الفرس البصرة سنة ١٧٧٥ م فقد انتقل بذلك جزء كبير من تجارة القوافل والتجارة الهندية إلى الزبارة والسكويث ، وقد انتهز عرب الزبارة وحاكمهم ابن خليفة فرصة موت كريم خان واشتغال الفتن في خليج فارس ، فهاجم البحرين واستولى عليها سنة ١٧٨٢ ، ولكنه ترك الجزيرة بعد نهبا ، وبعد مارك متعددة بين آل خليفة وأتباعهم ، وبين غيرهم من رؤساء العرب الموالين لفارس ، ثم تمكن آل خليفة بمعاونة حاكمهم آل صباح من أن يستولوا سائبا على البحرين ويخضعوها لحكمهم ، وقد ساعدتهم ما وقع في فارس من التغيرات على الاستقرار في الجزيرة والتفرغ لتوسع التجارى ، وفي سنة ١٧٩٩ م هاجم إمام مسقط جزيرة البحرين ، وتمكن من الاستيلاء عليها سنة ١٨٠١ م وأرسل إلى مسقط نحو ٢٥ عائلة من كبار العائلات ، ولم يقد عرب البحرين استنجادهم بفارس أو تركيا ؛ لأنه كان لدى الدولتين من المشاغل ما حال دون التدخل في حوادث البحرين .

وفي نفس السنة تمكن آل خليفة بمعاونة النجديين الذين انتشرت سركتهم وانت سلطانهم إلى الاحساء من التغلب على قوات إمام مسقط واسترداد البحرين . وفي سنة ١٨١٠ م احتل النجديون البحرين والزبارة ، وعين إمام محمد عبد الله ابن عفتيخان وكيلاً عليها وعلى القطيف وقطر ، ولكن شيوخ البحرين استمروا على إدارة الأحكام ، واكتفى مندوب نجد باستلام الجزيرة وإرسالها إلى مولاه في نجد .

وفي سنة ١٨١١ م اضطر عبد الله بن سعود إلى سحب قواته من الخليج بعد غارة إبراهيم باشا ؛ فانتزع إمام مسقط هذه الفرصة ، وهاجم الزبارة وأحرقها وقبض على وكيل عبد الله بن سعود وأرسله إلى مسقط ، واسترد آل خليفة شيئا من سلطانهم ، ولكن نفوذ النجديين رجع بعد ذلك بقليل ، وفي سنة ١٨١٦ م حاول إمام مسقط أن يستولى على البحرين ، ويقضى قضاء تاما على آل خليفة . وقد أوضح في كتابه للحكومة البريطانية أن الذي دفعه إلى ذلك هو مساعدة عرب بني عتبة لقرصان واعدائهم بسيادة الوهابيين ، وقد وصل الإمام إلى الجزيرة ، وتزلت الجنود في عراد ونجحت الحز

بعض النجاش . ولكن عرب البحرين هزموه أخيراً هزيمة مسكرة نصت على آماله في امتلاك الجزيرة ، وقد اكتشف إمام مسقط بعد ذلك أن حكومة فارس التي كانت تحرسه في ذلك الوقت على املاك الجزيرة بما تعمل للمدبره وساق رؤساء العرب .

ومن سنة ١٨١٦ - ١٨٤٣ م أخذ السعود الجبدي في الجزيرة في الظهور تارة وفي الحقاء تارة تسماً لقوة لدول السعودية وصدها . وفي سنة ١٨٤٤ م ظهر الإمام فيصل أصغر شيوخ البحرين محمد بن خليفة صدعه وعصده بإرسال قوة برية صد الإمام فاستولى عليها وأقام فيها .

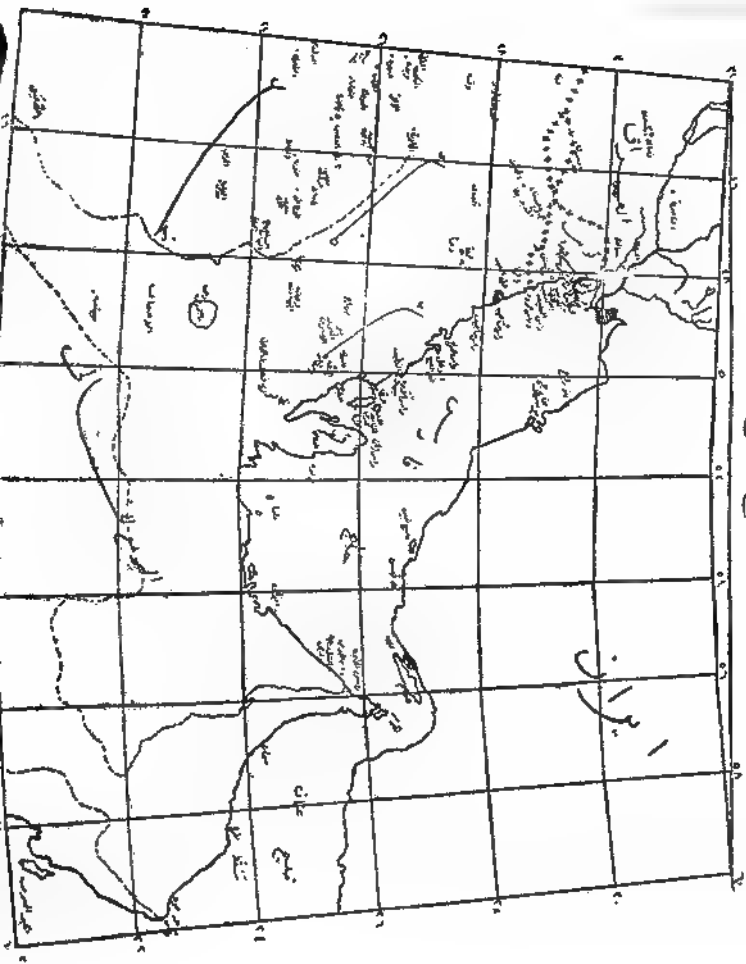
وقد وصف مقر روس عرب بنى عتبة في البحرين بأنهم من أقوى راءكف الملاحين العرب في الخليج ، وأهم يملكون جاساً كبيراً من التجارة الهندية ، وهم يفضلون التجارة عن حياة القرصنة . وتعتبر هذه السنة أول سنة وضع فيها أساس النظام بين الحكومة البريطانية وبين رئيس بنى عتبة حاكم البحرين . وفي سنة ١٨١٩ عقد معهم السير W.O Ren معاهدة فتعاون ضد القرصنة ، لأن الجزيرة كانت أكبر مركز لتصرف منهوبات القراصنة وأخذ ما يلزمهم من المخاضيات الضرورية . وفي نفس هذه السنة عقدوا معاهدة أخرى مع إمام مسقط وتمهدوا له بدفع ضريبة سنوية قدرها تسعة آلاف ريال . وفي سنة ١٨٤٧م عقدت معاهدة مع الأعرار بالريق . وفي سنة ١٨٨٠م عقدت الحكومة البريطانية مع الشيخ عيسى بن علي حاكم البحرين معاهدة مثل المعاهدة التي عقدتها مع سلطان مسقط قبل ذلك ، ثم مع شيخ الكويت بعد ذلك ، ومع معاهدة حمدة تنص على الاعتراف بشيخ أمي وكيل سيدي غير العائلي ، والولاية لشيخ أو يمازل عن قطعة من أراضي الحكومة الأجنبية .

وفي سنة ١٨٩٣ أعطى للوكيل السياسي في البحرين حق الفصل في قضايا الأجانب ، ثم توسع هذا الحق حتى شمل القضايا التي فيها صالح للأجانب .

لقد طال حكم الشيخ عيسى والد الحاكم الحالي حتى جاوز الخمسين ؛ وفي عهده تقدمت البحرين تقدماً عظيماً : في التجارة ، والثروة ، واستقر بها السلم بعد أن كانت لا تعرف السلام ، وقد اشتهر الشيخ عيسى بالكرم والقوى ، ولكنه كان محافظاً على القديم

لا يحب الخير ويكره كل جديد ، ولذا فقد كان يتصادم دائماً مع الوكيل السياسي عندما يراد القيام بأى عمل عمراني ؛ وأخيراً اتفقت الحكومة البريطانية مع أبنائه على أن يحتم الشيخ حياته السياسية ويستكف في بيته وينوب عنه ابنه الأكبر الشيخ محمد ، فاحتج الشيخ على هذا العمل الذي لا يتفق مع روح الصداقة ، وغضب على ولده نحو خمس سنوات ، ثم رضى عنه بعد ذلك . وقد ترك عزل الشيخ عيسى من إمارة البحرين أسوأ الأثر في نفوس أمراء البحرين وأهلها ، وقد أعقب هذا الانقلاب تغييراً في الإدارة فوضع بجانب الشيخ مساعداً إنجليزياً لمساعدته في الأمور الهامة ، وأقيم على الجوارك أيضاً مدير بريطاني ، ووضع البحرين أيضاً موازنة لموازنة الدخل والمخرج ؛ وقد تأسس في آخر عهد الشيخ عيسى فرع (لصرف) الإيسرني ، وقد نشطت حركة التعليم في العشر سنوات الأخيرة نشاطاً يذكّر فأسست إدارة للتعليم قامت بإنشاء مدرستين : واحدة في اللامة وأخرى في المحرق ، كما أُنشئت مدارس للبنات ، وأسست إدارة خاصة للصحة والهوايس ، وأصلحت الأسواق ، وشقت الطرق في أنحاء الجزيرة فسهلت المواصلات بين أطرافها .

خليج فارس



العوائد والأضداد

ذكرنا شيئاً من العوائد والأحلاق فيما كتبناه في فصل السكان ، وسذكر في هذا الفصل بعض الصفات الأخرى المشتركة بين البدو والحضر ، أو التي يتميز بها البدو عن الحضر ، أو الحضر عن البدو ، مما لم يذكر في الفصل السابق .

الألقاب

المريق الأكبر من سكان جزيرة العرب ولا سيما البدو أو القبائل الرحل لا يعرفون الألقاب الشائعة في الأقطار الأخرى ، فهم ديموقراطيون بغيرتهم ، يدعون بعضهم بأسمائهم الحرة ، ويخطبون ملوكهم وأسماءهم بأسمائهم وألقابهم العادية ، فأصر البدو بحسب ذلك عبد العزيز بيا عبد العزيز ، أو يا أبا تركي ، أو يا طويل العمر ، وهذا شأن عن مليكة فيقول الشيوخ أو الإمام ، والملك نفسه قلماً يعبأ بالألقاب ، فالألقاب تعرف فقط في الحواضر الكبرى مثل الحجاز .

المساواة

في أساليب الناس في الأسماء والإماء طرأ فيها سوى ذلك فكانوا يتساوون في جميع ما هم من اعتقود وما عليهم من الرأى ، وليس بينهم وبينهم في أمر الشريعة الإسلامية ، لا من الشريف ولا العبد ولا الحاكم إلا أنه ينادى أميراً ، أو عاد ، فهاكم الشرعي كقيل يا بلاء ورد الحق إليه ، وأول الناس بهوفاً لا شريعة ابن الدود نفسه على أن هذه المسألة لا تسجد تعرف إلا في نجد ، أما في غيرها فابذل يورن بيمارين :
الأميان والأشراف والمنسبون إلى العائلات الحاكمة لهم ميزان خاص ، وسائر طبقات الشعب لهم ميزان آخر ، ولما يحسر أحد من عامة الشعب على مطالبة أو محاسبة أحد من الأشراف أو العائلة الحاكمة ؛ لعله بأن حقه لا يصل إليه من هذا الطريق ، بل قد يعمل الأشراف بعض أعمال العائلات الحاكمة أن يحسب بعض المحرمين ، ولا يرى الحاكم من واجبه أن يجبر ابن عمه على طرد الإلحاح .

وإن من له اتصال بالتخليج القارسي والحجاز ونجد يدرك بسهولة ما سقى ، وربما كان من المفيد إبراد بعض الحوادث التي لا تزال تعلق بالذاكرة :

في سنة ١٩١٦ شكى إلى الأمير عبد الله بن جلوي أمير الاحساء رجل من فلاحى الاحساء تعدى بعض الخدم عليه وعلى أبنائه ، فأحضر الأمير جمع خدمه كي يترهم الشاكي ، فلم يجد من يبيهم للمدى ، فأدرك الأمير أن المتدى قد يكون بمصر أبائه فأمر بإحصارهم فحرف الشاكي المتدى ، ولكنه لما علم أنه ابن الأمير نارل عن الشكوى واعتذر بأنه لم يكن يعرف أنه ولده ، فأبىه الأمير وقال له : أنت أعطت ، إذا لم تكن نحن مثال المدلة فكيف نطلب من الناس احترام الشريعة ؟ لقد هلك من قبلنا من بني إسرائيل وغيرهم بسبب هذه التفرقة ، أما أنت أبها المحرم (يقصد ولده) فيجب أن تلقى جزاءك . وهنا قام الأمير من محله واهال عليه بنفسه بالنمى وهو يقول : يجب أن نصلح أنفسنا قبل أن نصلح الناس .

وفي سنة ١٩٢٠ شكى أحد أهل الرياض إلى الملك عبد العزيز أن زوجته -- وقد حكم عليها القاضي بالرجوع إلى بيت الطاعة لادت بيت ثلان من أقالبه ، وأمر الملك نوا من بلغ قريبه بالزام المرأة الرجوع إلى زوجها تنفيذاً لأمر الشرع ، وإذا أخذت هؤلاء حمية الجاهلية فإنه سيدخل البيت بنفسه لتنفيذ أمر الشرع ؛ إذا لم يحترم نحن الشرع فكيف نكلف الناس باحترامه ، يجب أن نكون قدوة حسنة للناس في كل شىء .

وفي حمادى الثانية سنة ١٣٤٣ - ١٩٢٢ كنت زائراً للرحوم خالد بن نوى في بيت الإمارة بمكة ، وكان إذ ذاك أميرها فرأيت أمام الشيخ ابن داود (وهو قاضى الحرمه وقاضى مكة في أول عهد الاستيلاء النجدى) رجلين يتخاصمان أحدهما من الأشراف من سكان الطائف والآخر من صناع الساعات ، وكان هذا الشريف أعطى الساعى ناطوراً لإصلاحه ، ولما أصلحه ادعى أن الإصلاح لم يكن طلق الشرط ، والرجل الآخر يدعى بأنه طلق الشرط ، ويطلب تحويل المسألة إلى رجل خبير .

أراد الشريف أن يجلس بحوار خالد بن نوى ، فنهزه الشيخ وأمره أن يجلس أمامه مع خصمه ، وأنها أمامه سواء ، وبعد أن سمع الشيخ الدعوى حكم على الشريف بما

يقدره صانع خير . قال الصانع : وإن لم يقبل الشريف ذلك فاما مستد أن أرد إليه الناظر كما كان ، ولا أريد أن أطالبه بشيء مطلقاً جزاء أنسابي . قال الشيخ : وما تقول في هذا ؟ فارتبك الشريف ، فالتفت إليه الصانع وقال : الحمد لله . إن وفوق ملك جبا لجلب أمام القاضي يادى عندى الدنيا وما فيها ، لقد مضى وقت العظم ، وقد كانوا يكلفونا بعمل الأشياء ولا يعطونا أجرة ، بل لا يتنازلون أن يكلمونا ، بل كانوا يضربونا في بعض الأحيان ، الحمد لله . قال الشيخ القاضي : إن الناس جميعاً أمام الشرع سواء ، وإن الأنراف أولى الناس بما يع جدم سيد الرسل محمد صلى الله عليه وسلم الذى يقول : (يا فاطمة بنت محمد ، إني لا أم لك من الله شيئاً) . والله يقول : (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) ، ويقول : (فإذا نفخ في الصور فلا أساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون) . وهنا أخذ خالد الناظر من الشريف ، وقال : لانسفه لك حتى نعلم الأجرة التى يقدرها الخبير ، فقبل الشريف ذلك سرعاً ، وخرج وهو يطلب السلامة ؛ لأنه كان محبواً بالإخوان الذين كانوا يؤمنون على أقوال الشيخ ويسمون الشريف محمداً ما يكره من قولهم السلام

الكرم

الكرم من الصفات المعروفة عند العرب في الجاهلية والإسلام ، ولا يزال العرب إلى الآن يتفاخرون بها . وفي الحديث الشريف : (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه) ، ولا يكاد يخلو بيت من بيوت العرب من مضيف (مكان يقابل فيه الضيوف) قد يكون حجرة واحدة وقد يكون بيتاً من الشعر ، وقد يكون بناء مستقلاً واحترام المضيف وحمايته من السائل المسلم بها في بلاد العرب ، وحق الحماية ثلاثة أيام ، كما أن حقوق الضيافة ثلاثة أيام أيضاً . لقد كان ينزل القائل في بيت الطالبين بالتأثر فيستأجرون عن كل شيء ما دام في ضيافتهم ، والنساء لمن هذا الحق مثل الرجال ، وإذا أصحبت كلمة الضيف الثلاث باليت قبلتها القليلة كلها ، غير أن أكثر هذه القواعد كاد يقضى عليها الآن بعد ما استتب الأمر لذلك عهد العزيز ، فسلطان الشرع فوق كل سلطان ، ولا حق لأى إنسان في إيذاء مجرم ، وكلهم احتراماً للشرع يساعدون على القبض على المجرم وتقديمه للشرع

تقد حرت العادة عند أمراء العرب أن يفتحوا بيوتهم لكل صيف يقصدهم ، ولكن بعد مضي ثلاثة أيام من إقامته يأل عن حاجته

وقد يباع صيوف الملك عبد العزيز نحو عشرة آلاف ، فتنتلي بهم بيوت الرياض ويطحاؤها ، وربما كان عدد الصيوف الدائمين لا يقل عن ٥٠٠ كل يوم

ومن الصيوف في بعض الدواحي العربية أن يأكل الرجل وبنته معق ، فإن إغلاف البنت من أمارات الرجل ، كما أن من الصيوف عدم شراء لقيم من السوق بالرجل ، فالأرسة أو الخنجة يشتركون في شاة يشترونها ويقسموها بينهم

والسيد ينادى خدومه : يا ولد أو يا وليد ، ولا سيما إذا كان لديه خدم كثيرون ، وإذا كان يريد القهوة فإنه يقول : هات قهوة ، هاتى الخدم بصيغ هات قهوة ، حتى يحصل الصوت إلى عامل القهوة فيحضرها ، وهذه العادة لا تزال تستعمل في سائر البلدان العربية ؛ والملك ابن سعود يستعمل الأحرار الكهنة في قصره بدلا من النداء القديم ، ولكنه يرجع إلى العادة القديمة إذا كان في الصحراء أو في أحد الأماكن الأخرى التي ليس فيها أحرار

وإذا كان الملك في الصحراء للصيد ، ورل الراحة وأراد بعض خدمه أو أحد أفراد حاشيته ، فليس هنالك وسيلة إلا النداء بأعلى الصوت ، وكل خادم يسمع النداء ينادى بدوره حتى يدوى الصوت في العسكر ويسمع الشخص المطلوب ، فيقول : حاك أى حاك والخدام ينادى سيده : هى ، وسيدته : هتى

وإذا حضر الطعام وجلسوا جميعا حول المائدة ، نادى الخدم بأعلى صوته : سم ، أى باسم الله ابتدؤا

والقهوة تقدم لكل ضيف منها صغر مقامه ، ولكن إذا سما مقامه فإن القهوة تحضر له جديدة ، ولا يصح الاعتذار عن قبول القهوة

وقد كانوا من عهد غير بعيد يعطون للصيوف بعد القهوة : إما منلى الزعفران أو منلى الليمون ، أو القرفة ، أو شيئا من الحلبيب على السكر ، ولكن في العشرين سنة الأخيرة انتشرت عادة الشاي في البادية والحاضرة ، ويستعملونه غالبا غير ممزوج بالبن ، والبادية

تستعمله غليظاً مبرر العلم من كثرة غليه على النار . وأهل عمان يقدمون شيئاً من الحلوى أو البسكوت يدعونه القواله .

ومن حق القادم من سفر أن أصدقاءه ومعارفه يزورونه في بيته ويقولون لأقرب الناس إليه : قرت عينك (أى سررت محصور فلان) فيقول : قرت عينك بنيك ، وعند اقائهم يقبل الأصرف أو جبهة الأكبر أو كتمه ، وعادة الكتف في البحرين والكويت ، والأف والجبهة في نجد والبادية — أما تقبيل اليد فغير معروف إلا في الحجاز ، وقد استنكرها الإخوان والعلماء النجديون عند أول دخولهم الحجاز ، ولكنهم بعد صرع سنوات تسامحوا فيها ، فأهل الحجاز الآن يقبلون يد الملك والقصة ولا يرون في ذلك شيئاً ، وقد كان الأشراف في مكة يترفعون عن مد أيديهم للناس لتقبيل ، فيكتفي الناس بأنهم طرف الثوب .

والعالم أن يدعو أصدقاءه القادم صديقهم إلى دعوة عشاء أو غداء أو على القهوة بعد المغرب مع جمع من أصدقائه ، وعادة الدعوة للقهوة بمجدها بكثرة عند أهل نجد أيما حلوا في الكويت أو البحرين أو الهند .

ومن عادة الأشراف زيارة المائلات الكبيرة في رمضان ، وقد كانت العادة في الكويت والبحرين حضور الشيخ أو أحد أبنائه المقدمين على رأس الأهالي عند إتمام بناء السفينة الكبيرة وإزالتها إلى البحرين . كما يجرى أمثال ذلك في أوروبا وأمريكا ، وقد مانت هذه العادة من البحرين والكويت ، وأصبحت مقتصرة على الأهالي يمين بعضهم بعضاً عند إرغال السفينة إلى البحر .

ومن طرق إكرام الضيف تقديم القهوة ، والعادة في نجد أن يُصَبَّ الضيف بضع نظرت من القهوة ثم يتكرر الصب مرة أخرى حتى يهز الضيف يده مكثياً . أما في البحرين والكويت والحجاز فيصب نصف التسجان تقريباً للضيف ، والقهوة في جميع البلاد العربية تحضر بلاسكر ، والقهوة من أمارات الكرم تحضر أمام الضيف في محم والندبة ، وفي بعض البيوت الكويتية التي تمت بنسب إلى نجد : كما جرت العادة أن يتناول التفجان الأول صاحب البيت إن كان هو المتولى لتقديم ضيفه ، أو الخادم المتولى

للعيب ؛ فخل هذا التحقق من أن القهوة محضرة تمحضراً لا عيب فيه من حرق ، أو لا يزال ينتصها شيء من حب المال أو الرعمران ، أو أن ذلك من بقايا العوائد القديمة : عوائد الاغتيايل ؟ إني أرحح الاحتمال الأول ؛ فإن العرب معرومون باحترام الصيف وصراعاته والنفاع عنه .

والمال في الضيافات أن يُرْسَ الصيوف بماء الورد والنخور من قبيل زيادة الإكرام ، وإذا أحصر للصيف ماء الورد ومحور الورد فلا يجوز المكث عند ذلك ، فن قبيل الأمثال الدارحة على الستهم : ما تَمَدَّ العود من قعود ؛ ويطلقون على المرش قُتْم (تركية أو فارسية) إشارة للصيف : قم ولا تحس ؛ ولذا فإن أكثر المضيئين يؤخرون الورد والنخور حتى يهيم الصيف بالانصراف من قبل نفسه ، وفي بعض الأحيان يقدمون الورد والنخور قبل الأكل ليرتكوا للصيوف حرية البقاء أو الانصراف حد الفراغ من الطعام ، ومن اللامدات الإسلامية التي لا يزال السجديون محافظين عليها الانصراف بعد الأكل يقال : « فإذا طَعِمْتُمْ فاعشروا » .

والدعوة على شرب القهوة كاللدعوة على شرب الشاي في البلاد المتقدمة ، ولا شيء ينال من إحساس العربي أكثر من إهانة الضيف . ولقد رأيت الملك عبد العزيز العروف بسعة الصدر والحلم ينقلب إلى رجل آخر عند ما علم أن ضيوفه قد أهينوا من رجالة اللنوط هم إسكان الضيوف وخدمتهم وتوفير أسباب الراحة لهم ، ولطراتها نورد بعضها :

في صيف سنة ١٣٤٤ هـ — أغسطس سنة ١٩٢٥ م كنت جالساً في حضرة السلطان عبد العزيز (الملك عبد العزيز) في مكة في قصره في المائدة (المروف بيت السقاف) ، وكان من عادته أن يجلس على شرفة داخل البيت ، ويشرف على الطريق بواسطة نافذة كبيرة ليرى المادى والرائح ، فمر رجل يدوى حاول أن يتكلم معه فنهه ، فقال الرجل : لملى لم أذنب يا محفوظ ، لملى لم أخطئ ، لقد بت من غير عشاء ، فنالت هذه الكلمة الجلبة الحساسة منه ، فاداه : ما مالك أيها الرجل ! أدخلوه ، فلما حضر أمامه طهته قص قصته بالتفصيل : من أنه وصل إلى مكة بعد التروب بساعتين ، ثم طلب شيئاً يأكله ولو تمراً يذنع به غائلة الجوع لم يصفه أحد ؛ فنادى عظمة السلطان التاعين بأمر المضيف والمشرفين عليه ،

وما : إبراهيم بن جسيمة وابن إدريس ، وثارت ثأثرته حيناً رآهما ، ثم أخذ يوسهما ضرباً بدمه حتى كادا يهلكان ، ثم أوقفهما عن الخدمة بضعة أيام ردما بعدها إلى الخدمة بعد توسط بعض المقربين .

وفي شتاء سنة ١٣٥١ ١٩٣٢ م كان جلالة في الصيد ، وكست معه ، فبا راعنا بعد الغروب إلا رثيو جلالتهم وأمرهم بصرب الطبايح بشار ، والشويعر المشرف على المصيف والطبخ ، فسألت عن جلية الخبير ، فإذا بعض الضيوف يشكو من قلة الطعام ، وأنه أرز من غير سمن ولا لحم ، فسألت ماذا يضر هؤلاء لو أكثروا للضيوف الأرز واللحم ! إن الخبير كثير . فقال لي صاحبي : ليست هذه أول مكلة لنصار وزميله ، لأن العادة الجارية أن ما يبقى من الزاد قل أو أكثر ، بعد انتهاء الصيد سيكون من نصيبهما ، فمن مصلحتهما التفتير على الصيوق ليكون لما انصيب الأوفر .

ولما حضرنا إلى مجلس الملك ، وكان ولي عهده الأمير سعود هو رئيس الركب أخذ جلالة الملك يعطيه درساً من أمس الدروس في المراقبة والملاحظة ، وعدم الاعتماد على الخدم ، ثم أخذ يقص علينا درساً تاريخياً نياً أصاب أعمامه من تركهم الحيل على الغارب للخدم الذين لم يكونوا يراعون مرا كز الناس ومشايخ القياثل ، حتى امض الناس من حولهم . وقد اقترح إلغاء هذه العادة ورد ما بقي من الزاد إلى الخزن ، وبذلك نتأصل شأفة العلة ، ولكن العادات غالباً ليس من السهل إلغاؤها .

الأكل

والعادة في الأكل أن تقدم قصعة واحدة أو عدة قصعات إذا كان العدد كبيراً ، ويميط عدد قليل أو كثير بالقصعة بدون تفاوت في منازلهم ، فملك والشيخ والوزير والخدام يأكلون جميعاً بأيديهم من قصعة واحدة ، ولا يرى الملك غضاضة في أن يكون بحواره من هو أدنى منه ، لأن الجميع من آدم وآدم من تراب .

والعادة أن الإنسان إذا شبع يكف عن الأكل ، ولا يقوم حتى يقوم الجميع مرة واحدة ، فإذا قام واحد خطأ قام الجميع ، ويمدون بقاء البعض بعد قيام بعض الآكلين من

الشره ، وقد أبطل الملك عبد العزيز هذه العادة ، فأنجح لمن شبع أن يقوم إذا أراد ، ولكن لا يزل للمادة أثرها في كثير من أنحاء نجد .

والنساء في العادة لا يأكلن مع الرجال بل يأكلن على حدة ، ومن الميوسب العظيمة أن تأكل المرأة مع زوجها أو الأم مع أولادها لذكور الكبار ، أما الأطفال الصغار فيأكلون مع أبيهم أو أمهم ، ولكن إذا كثرت البيات اصطنع في الأكل عن أبيهم وصرن يأكلن مع أمهن فقط ، وهذه العادة ليست خاصة بنجد ، بل الكويت والبحرين وعمان ومادة الحجاز مثل نجد في ذلك ، أما المدن الحجازية فإنها لا تملك هذه العادة إلا في البيوت التي يمت أهلها بصلة إلى نجد .

والعادة في الأكل أن لا يميز بكية تناسب الأكلين ، فاليث الذي يعم ثلاثة أمتار يحضر الطعام فيه لحمة أو ستة احتياطاً للطوارئ ، فإن لم يحضر صيف أعطى الطام للفقراء أو ألقى للحيوانات .

وطريقة تحضير الطعام تختلف في نجد والحجاز وسواحل الخليج الفارسي ، فكل جهة تقتبس من الجهات القريبة منها طريقة تحضير الطبخ : ففي القصيم نجد أثر الطبخ السوري ولا سيما الحلويات ، في الكويت ترى طريقة الطبخ المصري ، وفي البحرين أثر الطبخ الهندي والفارسي ، وفي الرياض أثر الطبخ الكويتي ، وفي الحجاز أثر الطبخ الشرق على اختلاف أنواعه ، على أن لكل بلد أصنافاً خاصة تفصلها عن سواها .

والطعام الغالب في البادية التمر والأرز واللحم في بعض أيام من الأسبوع ، أما في المدن فالطعام الرئيسي الأرز واللحم والسكك والزؤبيان في الجهات الساحلية ، وفي أواسط بلاد العرب يستعمل الجريش (البُرغل) بجانب الأرز .

المرأة في بلاد العرب

المرأة على العموم في بلاد العرب غير مسموعة التعليم المعروف في البلاد الأوروبية وبعض البلاد الشرقية ، واسكنهن في المالب يعطن في صغرهن قراءة القرآن وشئون المنزل ، أما الكفاة فلا تعرف إلا نادراً ، وتعد من العيوب الساتية في بلاد العرب ، وقد قامت قيامة أهل نزيرو وبعض المصريين حينما اعترفت حكومة العراق بفتح مدرسة ثليات في البصرة ، بعدوا ذلك من أعظم المسكرات ، ولكن الحكومة العراقية مضت في سبيلها ولم تأنه لشأن المعارضين هذا ما كان بالأمس أما اليوم فإن مدارس البنات في الكويت والبحرين فقد زاحت مدارس البنين ويذكر ما ذلك بالحجة الشديدة التي قام بها المصريون ضد قاسم بك أمين عندما شر كنه تحرير المرأة والمرأة في الحاضرة تتنازعن امرأه البادية بالحجاب السكثيف ، قائناء بمدحهن ثلاثتهن البيوت وقلة خروجهن منها إلا لضرورة قصوى كزيارة الأقارب وعيادة المرضى ، ولا يكون ذلك غالباً إلا في الليل ، ومن الماعخر عندهم أن المرأة بعد زواجها لا تخرج من بيت زوجها إلا فقير . أما البادية فليس هناك إلا أن تضعف للحجاب والدوية تشارك الرجل في كل شيء حتى العزو ، فهي تقوم بقط وافر من العمل ، وتجد البدوى يصحب نساءه ويتأبطهن في الحصرة كما يفعل المصريون ؛ متجبد اندوى واندوية في أسواق الكويت والحجر يشتركان في الشراء وفي البيع وفي المشى بدون أن يكون عنده أدنى اكتراث ، محلاف عصري فإنه لا يستطيع أن يفعل ذلك ، والمرأة في بعض حوصر عن تشغل ما يبيع وقابل الضيوف إذا كان زوجها غائباً ، ولكن مائر العرب يسيرون ذلك على أهل عمان . والمرأة في الحاضرة لا يكاد يكون لها رأى حتى في الزواج فاعلمها يوافقون على الزواج وهي تجربته على سبيل الإخبار فقط ، وليس لها حق الاعتراض وإن اعترضت فلا يسم لها رأى .

والمالب في الزواج التكبير في الرجل والمرأة تنزوج البنت إذا باتت ١٣ - ١٤ ، والولد في ١٥ - ١٦ ومن أنواع الزواج الشاة إحمار ست الم على التزوج بابن عمها ، وليس لها أن تنزوج بأجنبي إلا إذا أذن ابن الم لها بذلك ، وقد يحدث الزواج بين أبناء

الم أهم أولى الزواج . ومع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ بزوجة قبل الزواج ، فإن هذا الإذن لا يعرف مطلقاً في بلاد العرب ، فالزواج يتم بدون أن يرى الزوج زوجته إلا ليلية الزفاف .

أما في البادية فالأغلب أن الزوج يكون له سابق معرفة بالزوجة ؛ لأن الحجاب في البادية رقيق وشأنه ليس كشأن الحاضرة .

والمادة في الزواج بعد قبول ولي الزوجة الزوج أن يرسل الزوج مبعأً من القود قد يكون مائتي ريال أو أكثر ، وضعة ثياب غير محبطة إلى بيت الزوجة ، ويسمى عدم (المثرة) أي المقدمة ، وهذه المثرة تعرض في بيت الزوجة ليراها أقاربها وأصدقاؤها ، ويتفخرون بها إن كانت تستحق الافتخار ، وهذه المادة معروفة في نجد وسواحل خليج فارس وبادية الحجاز ، ثم بعد ذلك يفتق على يوم الدخول ، فيعقد العقد قبل يوم الدخول ، فإذا كان اليوم المنفق عليه أعلى الزوج ذلك ودعا أصحابه وأصدقاءه إلى بيته أو بيت أحد أصدقائه أو المسجد ، ومن هناك يذهب الجميع — الزوج يحيط به أصدقاؤه — إلى بيت الزوجة حيث تعد هناك حجرة فرشت بوثير الفراش وزينت أرضها بالزرابي الفاخرة ، فيدخلون بيت الزوجة في وسط صفوف من النساء يحمين الزوج ومن معه للملايل^(١) ، (وقد يكون بعض اللعنات ، وهذا في غير نجد) وبعد بضعة دقائق من إقامتهم في الحجرة يطاف عليهم بماء الورد وبحور الورد والند ، ثم يصرفون ويبقى الزوج وحده في الحجرة ، وبعد بضعة دقائق تنحصر الزوجة محطوطة بأقاربها وتقدم إلى الزوج .

وفي ثاني يوم يقدم الزوج للزوجة هدية من الهدايا نفوساً أو غيرها ، ويمكث الزوج في بيت الزوجة سبعة أيام إن كانت بكرًا وثلاثًا إن كانت ثيبًا ، ثم تنتقل الزوجة إلى بيت الزوج حيث يكون قد أعد فرشه وتحضيره .

ولا يكاد يختلف الزواج في البادية عن الحاضرة إلا في المهر ، فالمهر القدي يتناخريه في البادية هو قطعة أو قطعتان من السجاد وجل أشجع (أبيض) ومائة أو مائتان من الريالات ، وهذا آخر مهر في البادية .

وقد حدد جلالة الملك عيد المزمير المهر في نجد بمائة ريال حتى يسهل الزواج للناس ،

وإذا كان الزوج غنياً استطاع أن يهدي زوجته ما يشاء

أما في الجباز : ففي المدينة إذا رغب متى في الاقتران بفتاة انتقى أهل مع أهلها ، ثم تذهب أسرة الزوج إلى منزل آل العروس ، فيقوم خطيب من قبل الأولين يحطب خطيباً ثرية وشعرية يعدد فيها مفاخر الزوجة ، ويعرض فيها باسمها ، ثم يقوم خطيب من قبل المخطوبة ، فيمدد مآثر الزوج ومفاخر أسرته ، ثم يقبض المهر الذي يستحضر في صندوق من فضة به ورقة كتب فيها مقدار المهر ونفقة الحارية التي يشتريها والد الزوج لتخدم الزوجة ، ويقدم مع مهر ملاس حريرية للزوجة مشوقة بامضة والتل قد تتجاوز قيمتها مائة جنيه ، وقد يبالغون في التكلفة (حزام اللباس) حتى لقد يداوى ثمنها عشرين جنيهاً ، والغالب ألا يكون يوم القدح قبل سنة من هذه الخدمة ، ويشترط بعض الزوجات في المهر شريطة مرمصة بالنقصة والذهب ، وتقام وليمة في منزل الزوج يوم نقل الجباز يدعى إليها أقارب العروسين والأصحاب ، ويستكثرون من الأشخاص الذين يحملون الجباز ، وتزف العروس وقت السحر إلى منزل زوجها ، وحين تصل ترف مع زوجها داخل المنزل بحضور جمع من النساء سافرات يحملن الشموع ، ثم يدخل بها الخدع ، فإذا ما أشرقت الشمس خرج الزوج إلى منزل العروس لينفذ فيه ثم يرجع إلى زوجته ، ولا يباح للزوجة أن تخرج من المنزل إلا بعد سنة ، وربما تساهلوا إلى ستة أشهر ، وتقام ولائم للرجال والنساء ليلة زفاف وليتين قبلها وليمة بعده ، وقد أبطلت بعض هذه العوائد في السنوات الأخيرة كما نعتت سوند آدام ومصر على عوائد أهل البلاد وتدند الزوجات والسرى منتشر كثيراً في بلاد العرب بين الأغنياء والأسماء ، أما القراء فغفاتهم لا تساعد على تعدد الزوجات ولا على تنوير الزوجة ؛ ولذا فإن الخصومات العائلية لا يكاد يكون لها أثر في بيوت القراء ، والزوجة تقوم بنصيحتها من الخدمة المنزلية ، وإذا سألت زوجة الفقير عما تنسأه في حياتها قالت : أن يبقى زوجي فقيراً كما هو حتى حبس سُداء ، لأنه إذا استقى ذأرل ما يفكر فيه هز الزواج ؛ والغالب أن يخصص الزوج بأكثر من واحدة لكل واحدة بنتاً وبداوى يبين في جميع الحقوق ، فقيت عند كل واحدة ليلة ، ويكسوهن في موسم واحد ، إلى غير ذلك من الواجبات المنزلية ،

والمرأة قلما تتعرض على هذا الزوج وإن كانت تمحّد على ذلك بطبيعة فطرتها ، ولكنها
تفهم أن هذا حق من حقوق الزوج يستعمله

والطلاق كثير الانتشار في البلاد العربية بين الأسراء والأعياء فقط . أما الفقراء
فأكثرهم يحافظ على زوجة واحدة يقنع بها ويميشان معاً في ظل السعادة والمناه . وقد
يطاق الرجل أسرته فتزوج من أحيه ، وقد يطقها هذا فترجع إلى زوجها الأول ، وأسراء
العرب وشيوخ البادية على الموسم كثير الزواج سريمو الطلاق

ويجب أن نذكر هنا بمزيد الإكبار والإجلال أولئك التسوة اللاتي اشتهرن بالمقل
والحكمة وسداد الرأي ، وكان لهن دور عظيم في بناء الملك وسياسة الدولة ، فمن أولئك
زوجة الإمام محمد بن سعود مؤسس دولة آل سعود ، فهي التي كان لها الفضل الأول في
القارب بين الشيخ محمد بن عبد الوهاب وبين الإمام محمد بن سعود ، وتجب الدعوة
الدبية إليه ، وإليها رجع الفضل أيضاً في تثبيت محمد بن سعود وتقوية عزيمته عند اشتداد
الكروب وتآلب الخصوم والأعداء ، ونذكرنا هذه السيدة بأسمائها من باء المصير الأول
في إحياء المرائم وإذكاء النشاط والحاسة

وإن شأن المرأة في نجد خير منه في الكويت والبحرين ، فقد بلغ الامتهان بالمرأة
في هاتين المدينين أنه إذا ورد ذكرها في الحديث قالوا : أكرمك الله أو يكرم من
سمع كالو نحدثوا عن حيوان ، وقد يبالغ الجهل ببعضهم فيقول : أمي أكرمك الله ،
كان أمه شيء خبيث ، على أن هذه العادة قد أخذت تتلاشى ، فالأولاد التملون
لا يستعملون هذه الألقاظ

والمرأة في بلاد العرب على الموسم إذا أس أهلها حلاً في سيرتها فلا يصلح هذا
الخلل إلا التخلص من حياتها ، والحاكم لا يرى من حقه التحقيق في هذا الموضوع ،
بل يفرض دائماً أن الأقارب محقون في عملهم ، أما الولد فلا يصيبه شيء من
الجفاء ، غير أن الشريعة كقيلة بجزاء الخطي في المائتين في البلاد التي يسودها
سلطان الملك عبد العزيز

ويجب أن نقرر هنا أن ما يجري في البلاد العربية من معاملة النساء في الزواج والطلاق والميراث أكثره متأثر بالعوائد أكثر من تأثير الدين ، فالدين الإسلامي قد أعلّى شأن المرأة وحملها مساواة الرجل في كثير من الحقوق في الوقت الذي حرمت فيه المرأة من كثير من حقوقها في الديانات الأخرى . وقد نقل لنا كثير من أحكام الدين ، كما نقل كثير من سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وأخلاقه المראה بواسطة زوجاته . وقد سمع كثير من النساء في القرون الأولى والمتوسطة في البلاد الإسلامية الشرقية والبلاد الأندلسية ، ولكن لما أصاب الانحلال الحقيقي والديني المسلمين سرى هذا الانحلال إلى المرأة أيضاً وإلى حقوقها المقررة في الشريعة .

الطب في بلاد العرب

لا يزال الاعتماد في بلاد العرب وسواحل خليج فارس العربية على الطب القديم وتحارب المحربين ، ويرجع الفضل في إيجاد الأطباء الحديثين في بلاد العرب إلى الأمريكان ، والإنجليز في البصرة وخليج فارس ، وإلى الأتراك في الحجاز واليمن والاحساء ، ولذلك عبد العزيز في نجد ، كما يرجع الفضل للحكومة البريطانية والفرنسية في إيجاد نظام الكورنيتيات في جميع السواحل العربية لوفاية السكان من الأمراض الفتاكة وحصر المرض في دائرة ضيقة ، ومع ذلك فالعرب على العموم لم يقبلوا على التطبيب الحديث إلا في الراحة فقط ، وهذا من نحو عشرين سنة فقط . أما في الأمراض الباطنية فلا يكادون يعترفون بفضل الطب الحديث ، ولا يزال القسم الأكبر منهم يعتمد على الأعشاب وعلى معالجات ابن سينا وتلاميذه .

وقد كان ولا يزال كثيرون يحترفون التطبيب العربي ، وكان منهم رجال مشهورون بإخراج العظام المكسورة وتركيب عظام غيرها بدون استعمال البنج بالطبع ، وهم يستعملون السكي^(١) في كثير من الأمراض ، ولا سيما الكلب ، وفي الإصابة بالرمح يستعملون نوعاً خاصاً من السكي ، وهو أن تحفر حفرة صغيرة ثم تشمل فيها النار ، حتى إذا خفت حرارة النار وضعوا المصنوع المصاب داخل الحفرة بطريقة خاصة ؛ وهي وإن كانت من العمليات الشاقة ، إلا أنها في الغالب يعقبها الشفاء .

وهناك نوع خاص من تطبيب الحيوانات في البادية : فأولها المرل ، وهو يستعمل في الحيل والجمال ، فإذا أصيبت ببعض الأمراض الفتالة للمعدة غزلوا السلم إلى أماكن بعيدة ، وهذا نوع من الكرنيتية القطرية ، وهناك مرض يصيب النعم يسمى (أورمخ) يسلم الحيوان ثم يموت سريعاً ، فالبسندو يذبحون الحيوان الميت ويحفظون رثته ، ثم

(١) غير أنهم يفرطون في استعماله ، فهم يكادون يستعملونه في كل مرض ، وقد روى من أبي سلفة عليه وسلم الإباحة واللهى به . بهي عنه إذا أُنكس التداوى منيره وإذا لم يمكن التداوى فليباح

يأخذون من الرثة المحنفة قطعة صغيرة ويشرطون بالشرط أدن الحيوانات السليمة ، ثم يضعون قطعة مما أخذوه فوق الأذن فتسلم الحيوانات من العدوى ، هذا معروف في كل المادية تقريباً ، وهناك مرض فذك يسمى (العاقوش) يصيب الحبول ولا دواء لها إلا عزل الحبول الصحيحة في أماكن بعيدة ، أما النقيح ضد الجدري فقد انتشر كثيراً في البحرين والكويت والإحساء وقد أضحى يشترى اللبن الأخيرة في نجد والحجاز ويرجع الفضل في انتشاره في داخلية نجد المحمودات التي يبدلها الملك عبد العزيز ، وقد كان لعمدة مباحث طويلة فيه ، رى أنواع النقيح ضد الدعوى والكونيا وغيرها ، هل هي جائزة أو غير جائزة ، ولا يفهم من هذا أن هذه المباحث كانت من علماء نجد فقط ؟ بل إن علماء البحرين والإحساء ومصر كان لهم محاولات طويلة في هذا الموضوع ، ولم يقل أهل عمان وضع كرتيئة عديم وقاية من القادمين من البصرة حين انتشر الكوليرا ، ولم يقل أكثرهم التطعيم من الجدري وقت انتشاره ، ولا تزال هذه الأمراض تفك بالمكان الجبلهه من وقت لآخر .

ومن البذاهة في بلاد واسعة كجزيرة العرب لم ينتشر فيها ذبوع الطب الحديث أن يسود سوق التجارب ومنها النيد الباقع والضرار القذى لا تؤمن مفسه ، فن الأدوية الشائمة للأمراض المستعصية ، ولا سيما الأمراض المعصية ككافة سورة من القرآن في محن ثم عجز الكفاة عاء ثم ثم مقبها المريض ، وفي تحرير والكويت يتخذ بعض الأطباء هذا النوع من التدوى كجدة راجحة ، ومن الأدوية الشائمة فيها لكثير من الأمراض حتى لقروح المستعصية أن يذهب أحد أثراء المريض وسه فحين نموه بانه أو السن ثم ينف على باب المسجد ليمش به كل المصالحين عند خروجهم من المسجد ، ففهم من ينف بلاء قراءة ، ومنهم من ينف حد قراءة ما يريد من قرآن أو دعاء . وقد كانوا ولا يزالون ينهون عن تنظيف العين المصابة "رمد الصديدي" الذي يسمى "أوطيقي" ، ويكتفون بمنع المثل للمريض من بعض المأكول ، وقد كانت النتيجة إصابة الكثير بالعمى أو غيره من الأمراض .

وربما كان لأول مره وصفت لأحد المرضى بالكويت سنة ١٣٢٣ هـ (١٩١٤ م)

النسل المكرر بالبوريك ، فكانت النتيجة شفاء الطفل بعد أيام قليلة ، فكثرت استعمال البوريك بعد هذه الحادثة في الكويت . على أن البعثات الأمريكية والانجليزية في البحرين والكويت والبصرة وسائر السواحل العربية فضلاً كثيراً في تحبيب الطب الحديث إلى الناس ؛ ولكن هذه البعثات بما يحيط بأعمالها من أغراض دينية جعل الناس يتعدون عنها ، وحمل فريقاً من الناس بتهمونهم بالمشي لعداوة الدينية للتأصلة . ويدأون مرضى الأطفال بالحصبة بمجرى في حُجَر مطمة لا تداعلها الشمس وحمية الأطفال حمية تامة عن جميع المأكول . ويدأون اليرقان الذي يسوءه « أو صُغْبَر » بالكلى في أصابع اليد والرجل . ومن العقائد الشائعة في البلاد العربية أن الجروح تنم أو تنأثر بالروائح المطرية فتنتفخ وتؤذي المريض ، ولذا فالجرى يضمون قطعة من الحليث في خرقه يسدون بها أفواه حتى لا يشموا أو حتى لا يتأثر الجرح بالروائح الطيبة .

ومن الشائع أيضاً أن لحم بقر الوحش يخرج الرصاص من الجروح ، فإذا أصيب أحد برصاصة في حرب واستمعى عليه إخراجها ، أكل قطعة من لحم بقر الوحش اعتقاداً منه بأنها هي الدواء الوحيد لإخراج الرصاصة من الجرح ، ولذا فمن آخر الهدايا أن تقدم بقره وحش ، وما أقلها في بلاد الصرب مقددة إلى أحد الأسراء لأن ذلك يقوم مقام مستشفى كبير للجراحة .

ومن الأدوية الشائعة المعروفة عندهم أن أكل المارة سبعة أيام على الريق يشفي من الدمل ، وفي بلاد العرب استعمال المجاجين لاكتساب الشيخ شاط الشباب ؛ ولذا فإذا ما قدم أحد من الهند أو من السواحل أو قدم أحد الأطباء لزيارة السواحل العربية ، كان أكثر ما يلقي عليه من الأسئلة ، وما ينال عليه من الطلبات هو هذا الدواء .

ومما يناسب ذكره في هذا الموضع قصتان وتما على شخص الملك المرحوم عبد العزيز ابن سعود : الأولى في أواخر سنة ١٣٤٢ - ١٩٢٢ ، والثانية بعد الأولى ببضعة أشهر : أصيب الملك ابن سعود بدمل صغير في شفته ، ولما أهملت العناية بهذا المرح الصغير حصل تقيح شديد في المرح وسبب حتى شديدة كادت تؤدي بحياة الرجل ، فاستعملوا له كل أنواع العلاج المستعملة في نجد من كي وغيره ، فكانت الحالة تزداد كل يوم خطراً ، فدعى الطبيب الأمريكي

من البحرين الدكتور (ديم) عمل له عملية جراحية بسيطة شفى بعدها بعد أسبوعين ، فكان هذا خير شاهد لفضل الطب الحديث .

الحادثة الثانية أصيب جلالتة برمد حاد ، بعد أن طال علاجه على يد الطبيب ، اتفق بالمعالج المحلي الذي كانت عاقبه ظهور قرحة في العين ، غير أن الطب الحديث أصلح ما أفسد العلاج المحلي ^(١) ، فساد العين شيء من قوتها وبورها .

وبعض أسراء العرب وشيوخهم لم يلمس بالطب الباطني القديم ، فكل واحد منهم مسحرات خاصة يستعملها لنفسه ويشير بها على أصدقائه ومحبيه . وقد كان المرحوم الإمام عبد الرحمن والله الملك عبد العزيز ملماً بكثير من المعارف الطبية المتبعة من قانون ابن سينا وتذكرة داود وأشباهها ، وقد كان يرجع إليه في بعض الأمراض فيصف لها ما يعرفه من الدواء ، وقد ورث عنه المرحوم جلالة الملك عبد العزيز بعض هذه المعارف ، كما ورثه عنه بعض هذه الوصفات ، وهناك وصفة يستعملها الملك عبد العزيز على الريق حضراً وسفراً ، وهي مزيج من خشب العود والصبر والمصطكا تخرج بالتساوي .

ومن لطائف الطب البحرى قصة الدابة الشائسة في البحرين ، ولعلها مختلفة للدلالة على باطلة أهل البحرين : كان يسكن جزيرة المَحْرَق رجل مُسَيَّن مصاب بالدوسنتاريا المزمنة حتى ينس منه أهله وبنوه ، ولم يفكروا في عرضه على الطبيب ، لأنهم ممن لا يؤمنون بداءة الطب ولا بعلاج الطبيب . طلب هذا الشيخ من ولده وقد كان ملاحاً أن يصحبه في سفينة ليستنشق الهواء ويدع هذا العالم ، وصلت السفينة المنأكة ، وهناك ترك الولد السفينة وفيها والده لقضاء حاجة في السوق ، وفي أثناء غيابه حضر عبد من عبيد شيوخ البحرين المصينين السفينة ، فأنال الشيخ للسفن عن البحار لأن لديه فناً (برسيا) فأخبره والده بأن صاحب السفينة في السوق ، فاستكثر المبد هذا الجواب ، فنزل عليه بالعصا بدون رحمة ولا شفقة ، فقفز الرجل من شدة الألم إلى البحر ، وبقي في البحر حتى جاء ابنه الذي نقل البرسيم في سفينته إلى الجزيرة الثانية ، ونقل والده أيضاً إلى البيت ، فأما والده فقد شفى بعد هذه العملية من مرضه ، فاعتقد أن ظروف الحادثة هي التي شفته من مرضه

(١) ويجب أن تذكر عزيز الاختصار المهارة التي أجابها أحد الأطباء للشيخ المرحوم الدكتور سالم متداوى ، لمهارة الفضل الأكبر في نجاح العملية

المتنصبي ، وصار يصف لكل مريض مصاب بالوسنتاريا أن يذهب في السفينة ويمر به عليه ما جرى عليه .

وقد أخبرني على القهد الخلد من كبار أهل الكويت . أن رحله أصبحت مقرحة استعصت على الدكتور « نيت » الطبيب الأمريكي بالبصرة وأشار عليه بقطعها ، فذهب إلى مزرعته بالبصرة يسوده الحزن والغم على هذه المصيبة ، فلما رآه إحدى الفلاحات استكشفت أمره وهي تعبه مرحاً فرحاً ، فأخبرها بأسره وبأسر الطبيب وبأن حياته في خطر ، فقالت لا تخزن لقد حوت الطبيب نحو شهرين أفلا تحرب دوائ أسوعاً ، فبعد تردد قليل ، فأحضرت له مرهماً من مختلف الأعشاب ، ولم كانت دهشته حين شفي تماماً بعد أسوعين ، وقد عرض أمره على الدكتور بنت فوجد القرحة قد زالت تماماً ولم يبق أي أثر لفتيح ، وأخبرني المذكور أن الدكتور حاول أن يتعرف الأعشاب المذكورة ليختبرها علياً وعرض جائزة كبيرة على المرأة فلم تبيح له بسرها .

وهالك نوع من الطب له صفة التقديس ؛ وهو ما يسمى بالطب النبوي ، فقد ورد في البخاري وغيره من كتب الحديث بعض الأدوية التي كان الرسول صلى الله عليه وسلم يستعملها أو يوصي باستعمالها ، فأخذت هذه الوصفات صفة التقديس ، وكثير من هذه الوصفات لا تمسك فائدتها ، ولا يزال الطب الحديث يأخذ بقسم منها . وقد تكلم العلامة ابن خلدون على الطب النبوي في مقدمته فقال : والبادية من أهل العمران طب يسويه في غالب الأمر على تجربة مقصورة على بعض الأشخاص متوارثاً عن مشايخ الحلي وعجائزه ، وربما يصح منه البعض إلا أنه ليس على فائدته طببي ولا على موافقة المزاج ، وكان عند العرب من هذا الطب كثير ، وكان فيهم أطباء معروفون : مثل الحارث بن كلدة وغيره ، والطب المنقول في الشرعيات من هذا القليل ، وليس عن الوحي في شيء ، وإنما هو أمر كان عادياً عند العرب ؛ فإنه صلى الله عليه وسلم إنما يثبت لتعليمنا الشرائع ، ولم يثبت لتعريف الطب ولا غيره من العادات ، وقد وقع له في شأن تلقيح النخل ما وقع فقال : أنتم أعلم بأمور دنياكم ، فلا ينبغي أن يحمل شيء من الطب الذي وقع في الأحاديث الصحيحة على أنه مشروع ، فليس هنالك ما يدل عليه ، اللهم إلا إذا استعمل على جهة التبرك ، فيكون له أثر عظيم في النفع ، فيكون من آثار الإيمان وليس من الطب المزاجي

ورأى ابن خلدون وإن كان يحذر له أنصاراً ممن ضربوا بسهم في العلوم الطبية الحديثة ، فإن أنصاره قليلون في جزيرة العرب .

وإن سنة ١٣٤٢ هـ سنة ١٩٢٣ م تمير فتحةً جديداً لطب الحديث في جزيرة العرب ، ففي هذه السنة عين الملك عبد العزيز أحد الأطباء السوريين طبيباً حاصلاً له وللقصر أيضاً ، ولما تم بلالته فتح الجبارة سنة ١٣٤٤ هـ سنة ١٩٢٥ م سلم الإدارة الطبية فيها على أحدث الطرق ، وجعل شعباً في محم والاحياء وعبر فصلاً عن مدن الجباز المهمة ، وهي تقوم بمهمتها خير قيام حسب ما تسمح به موارد البلاد المادية ، وإذا كنا مأسف لانحطاط المستوى العلمي والطبي في البلاد العربية فلا يجب أن ننسى فضل العرب وما قدموه للعالم في فن الطب والعلاج ، وما أسوه من مستشفيات لمختلف الأمراض في بغداد والشام والقاهرة والأندلس ، فلقد كانت جامعاتهم في أم المدن العربية مرجع الطلاب الأجانب كما هي حال جامعات العرب اليوم ، ولقد ظل الطب العربي مرجعاً للعالم مدة غير قصيرة إلى أن حلت النظريات والتجارب الحديثة محل النظريات القديمة .

وبجملتنا ونحن نكتب التاريخ والحقيقة أن مذكر الخطوات الواسعة التي تسير بها إدارة الصحة في المملكة العربية السعودية ، والبلاد العربية الأخرى مثل البحرين والكويت فقد شهدت المتوسعات في كثير من البلاد التي كانت محرومة كما أسست بعض المستشفيات في بعض الأنحاء البائية . وودست سنة حسنة في إنشاء المستوصفات القليلة أو الطبيب الرحالة التنقل من بلد إلى بلد آخر فقد أدت هذه الطريقة إلى الهوض بالحالة الصحية نهوضاً لا ينكر . وبما حبذا لو أن إدارة الصحة تملن حرباً لاهوادة فيها على الملايا في المناطق التي تنتشر فيها الملايا وتقندى في ذلك بالأطباء الأمريكيين في مناطق مناجم البترول على الخليج الفارسي . إنها بلا شك ستجد تعصيداً من السكان ومن الحكام المحليين ومن الحكومة المركزية . وإذا نهض العرب مرة أخرى وأخذوا بقسطهم العلمي في الطب وسائر العلوم المادية فإنهم لا يأتون بدعة ، بل يمتدرون كمخترين لهد أجدادهم الذين ملكوا ناصية العلم حقبة من الزمن ، وقدموا للسان خيدماً لا تنكر — إن ذلك دين في عنق العالم العربي يجب عليه رفاؤه . إن النشاط العربي والتطورات السريعة التي نراها في البلاد العربية تجملنا متتالين خيراً من المستقبل — فالهم حقق الآمال .

العلوم والمعارف في جزيرة العرب

إذا استنبينا نبوت بعض علماء نجد والاحساء ؛ لما نستطيع أن نقول : إن بلاد العرب كانت خلواً من المدارس ، منها العروف ؛ فالأترك لم يتركوا أنراً يذكر أثناء حكمهم في بلاد العرب من هذه الماحية ، فشكل مجهوداتهم انحصرت في إنشاء بعض مدارس ابتدائية صغيرة لم يكن الإقبال عليها يذكر لما كان يحوطها من الشبهات ؛ ففي إقليم الاحساء الواسع لم يؤسس ، لا مدرسة صغيرة بعد إعلان الدستور الثاني . وكذلك الحال في اليمن والحجاز ؛ ولذا فالأمية تكاد تكون سائدة في جزيرة العرب ، وربما كانت أول محاولة لتنقيف العقول والقضاء على شيء من الأمية كانت من جانب السيد محمد علي زَيْنَل رِصَا في الحجاز ؛ فإنه في سنة ١٣٢٦ هـ وما بعدها قام بإنشاء مدرستين : إحداهما في جدة والأخرى في مكة ، ومع ما وضع في طريقه من العقبات وما أحبط بمشروعه من الشكوك من الأتراك والأشراف فإن هذه المدارس قد قامت بتحصيب وافر في الحجاز ، وربما كانت الشيء الموحدة في الحجاز اليوم هي من غرس هذه المدارس .

وهذه المدارس وإن كانت تسير في التعليم على الطريقة القديمة المتينة التي ترتكز على الحفظ لا على التفكير ، فإنها كانت المدارس الوحيدة في الحجاز . على أننا لا ننسى هنا بعض المعاهد التي أسسها الهنود في مكة والمدينة ، فإنها قامت أيضاً بنصيب يذكر ؛ وكل ما كان في الحجاز هو سلفات الدروس في المسجد الحرام على نظام التدريس في الأزهر قديماً ، ولم يكن العلماء يلتون إلا ببعض العلوم للشرعية والتأوية .

وفي سنة ١٣٣٠ هـ أسس أهل الكويت مدرسة سموها المدرسة الماركية ، لأنها أسست في عهد الشيخ مبارك الصباح ، وفي السنين الأخيرة نشطت البلدة نشاطاً عظيماً في فتح دور العلم وإرسال الطلبة إلى مصر وأوروبا للاهتمام من موارد العلم في مختلف فروعها .

وفي سنة ١٣٣٩ هـ (١٩٢٠ م) أسس أهل البحرين مدرستين : إحداهما في جزيرة المحرق ، والأخرى في جزيرة المامة ، كانت التعليم فيها لا يتعدى تعليم القراءة

والكتابة ومبادئ النحو والحساب والجغرافيا . ولقد أراد المصلحون في الكويت والبحرين والحداز إحداث انقلاب في التعليم يرى إلى إيجاد شبان مفكرين متورين بصلحون أن يكونوا نواة صالحة للمستقبل ، ولكن القبات كانت كثيرة ، وأكثرها قائم من الجامدين الذين يعتقدون أن كل جديد بدعة وكل بدعة ضلالة .

لقد قام في الكويت والبحرين ومعد ضربة عظيمة من جانب العلماء على القول بكروية الأرض وحركتها ، وتعليم اللغات الأجنبية ، مما يدكرها بحوادث المصور الأولى ، ولولا أن السلطة تنقص هؤلاء لأزعموا من المقومات محصومهم ما لا يقل عما وقع في القرون الوسطى في أوروبا .

ولقد تطورت حالة التعليم في الكويت والبحرين وسائر البلاد العربية تطوراً حساً ، فأنشئت إدارة خاصة للإشراف على التعليم ومنحه العناية الواجبة ، واختير لإدارته في كلا البلدين أحد أعضاء الأسرة الحاكمة المعروفين بالاهتمام بأشجار العلم ، ولقد سادت روح التعليم المصرية المبنية على نمو الفكر الطريقة القديمة للمؤسسة على الحفظ وتقوية الذاكرة .

وفي السنوات العشر الأخيرة زاد عدد المدارس زيادة كبرى في كلا البلدين وأرسلت البعثات العلمية إلى العراق وسوريا ومصر للاعتراف من مناهل العلم العذبة ، كما وفد على الخليج الفارسي بعثات مندوبة من حكومتى مصر وسوريا لمساعدة حكومات الكويت والبحرين للهوض بالعلم والتعليم ، فأدّى هؤلاء الرسالة العلمية والتهدبية على أتم وجه .

واقند شاهدت لأول مرة الرياضة البدنية يعنى بها في تلك البلدان وأصبحت محل العناية اللائقة بها ، فالقليل السليم في الجسم السليم . وعما لا شك فيه أن انتشار التعليم وتطوره سيكون له أثر فعال في مستقبل العرب عامة وهو وحده الكفيل بتقارب البلدان العربية وتكون رأي عام عربي صحيح .

إن الحالة في الحجاز في أيام الشريف حين لم تكن تختلف كثيراً عما في أيام الأتراك ، فعلم وضمت أسماء كبرى : مثل المدرسة الراقية وزراعة والحربية وغيرها من المدارس ، فإنها كانت أسماء لا تطابق الحقيقة ، وما هي إلا ملاء لا يحوى من ورائة شيئاً وفي أيام أول عهد الملك عبدالعزيز ابن السعود قامت حركة لا بأس بها في التعليم ولكنها

أقل بكثير مما كان ينظره الناس من رجل عظيم مثله ، على أن هذه المدارس التي أسست بالحجاز لا يشمل برنامجها أكثر من برنامج المدارس الابتدائية الأخرى ، والتعليم فيها سائر على الطرق القديمة البالية من الاعتماد على الحفظ دون التفكير .

وإننا نسوق القصة التالية لتعلم مقدار الصعوبة التي يعانيها الملك ابن السعود ويعانيها أى مصلح يريد النهوض بالتعليم :

في أوائل شهر يونيو سنة ١٣٤٧ — ١٩٢٧ قامت ضجة بين علماء الدين الجديدين ، واحتشروا في مكة ؛ وسعد التشاور فيما بينهم وضجوا فراراً محتجون فيه على إدارة المعارف في مكة ، لأنها قررت في برنامج التعليم أولاً تعليم الرسم ، وثانياً تعليم اللغة الأجنبية ، وثالثاً تعليم الجغرافيا التي منها دوران الأرض وكرويتها .

ولما كان في شيء من الإشراف على إدارة المعارف ، فقد تذاكرت مع جلالة الملك في الموضوع ، فرأى من الحكمة أن أجمع بكبار المشايخ وأبحث معهم الموضوع ، فاجتمعت معهم ودار الحديث على الصورة الآتية :

حافظ : لقد أمرني جلالة الملك أن أحضر عندكم لأشرح لكم حقيقة المسائل التي رأيتم إغاثتها من برنامج التعليم ، إنكم تعلمون مبلغ حبي لكم لأسمكم من أنصار السنة ، الآخذين بالاجتهاد ، الرادين كل قول يخالف القرآن أو السنة الصريحة ، وتقدم مضي الزمن الذي كان قول المالم مهما كان حجة ، ولا أعتقد أنكم تريدون منا أن نقبل كل ما تقررون بدون مناقشة ؛ فإن ذلك لا يتفق مع الروح التي تدعون إليها ، ولا معنى لأن نميب على الناس اتباعهم لعلائهم من غير حجة أو دليل ، وهنا نسير على نفس النسق .

أحد المشايخ : إن ما قلته حق وصحيح ، ولكن لقد يبا الإمام عبد العزيز الأدلة والمناسد التي تقترب على تقرير هذه العلوم . أما الرسم فهو التصوير وهو محرم قطعاً . وأما اللغات فإنها فريسة لقوقوف على عقائد الكفار وعلومهم الفاسدة ، وفي ذلك ما فيه من الخطر على عقائدنا وعلى أخلاق أبنائنا ، وأما الجغرافيا فيها كروية الأرض ودورانها ، والكلام على النجوم والكواكب مما أخذ به علماء اليونان وأماكره علماء السلف .

حافظ : أما الرسم فليس هو التصوير لأن المقرر في المدارس الرسم أى التخطيط ، وهي

معلومات أولية ، الفرض منها تعليم الأولاد الفذة ومعرفة السافات على الخراطط ومواقع البلدان ، وهذا أمر لا شيء فيه ، وقد اشتغل به كثير من عفاء السلف ولم يلع الأولاد درجة تمسكهم من التصوير ؛ لأن علم التصوير هو من العلوم العالية التي تحتاج ممارستها إلى وقت طويل ودراسة واسعة . أما الفئات الأجنبية فقد كان كثير من الصحابة يعرفون لغات عصرهم ، ونحن في هذا العصر أجبرت الحياة على مخالطة الأجانب ، فبدلاً من أن نتخذ لنا مترجمين لا شق بهم مستند على أولادنا ونملهم اللغات ، أما علوم الإفرنج : فهذا ما هو صالح بصبح أن نأخذ به ونتمله ، ومنها ما لا يتفق مع ما نعتقد فرفضه ، وعلوم الإفرنج التي تقولون عنها قد ترجم كثير منها إلى اللغة العربية في مصر وسوريا والعراق ، فالجمل بالفئات لا يمنع الناس من الاطلاع على ما كتب وترجم إلى اللغة العربية . وإن الحرف على العقيدة الإسلامية هورمى لما بالاضف ، لأن العقائد يجب أن تكون كالبنيان المتين لا تقوى عاديات الزمن على زلزلتها ، ونحن نعتقد أن العقيدة الإسلامية الصحيحة إذا امتزجت بالهدم وتمسكت مشاعر النفس ، فلن يقوى أى شيء على زعزعتها

أما الجغرافيا فإننا لا نعلم الأولاد منها إلا ما يتعلق بوصف البلدان ومواقفها وجاصلاتها ، وما يهنا منها من الروحة التجارية والعلمية ، وما عدا ذلك من المسائل فانه لا يعلم في المدارس على أنه عقيدة دينية يجب الأخذ بها ، بل على أنه نظرية مقررة

وهنا يحسن قبل أن أختم كلمتي أن أقول لحضراتكم : إن مسألة سد القديمة قد وسعت بدرجة قصت على كل معنى مقصود منها ، فحضراتكم كلما أردتم منع شيء قلتم سداً للقديمة ، فما قولكم في المنع والنهي يستخرج الجمر منها ، والحكومة قد ضبطت في بلاد الله الحرام من يصنع الجمر من هاتين الفاكهتين ، وقد وقع مثله في عصر الصحابة ، ولم يقل أحد بقطع أشجار الكروم والتخيل

فما رأى حضرات المشايخ أن البحث طال قالوا : لقد قررنا ما نعتقد ورفضناه إلى الإجماع ولستنا في حاجة إلى الجدل النعي عنه شرعاً ، فإن قبل الإجماع ما رأينا فالحمد لله ، وإن خالفنا فأيست هذه أول مرة يحالفنا فيها

لقد وقف جلالة الملك ابن السعود على هذه المناقشة واتفق بشاق فكره أن ليس

لدى العلماء دليل ديني يصح الاعتماد عليه ، فلم يرافقهم على رأيهم ، واستمر تعليم الفئات
والرسم والجغرافيا كما كان هذا ما كان قبل ربع قرن مضى . أما اليوم فقد أنشئت وزارة
لتعليم وضوعف عدد المدارس الابتدائية والثانوية وأرسل إلى الخارج عدد كبير من الطلبة
لإتمام دروسهم العالية كما أحضر عدد كبير من الأساتذة للاستماع بعلمهم

ومع شيوخ الأمية في بلاد العرب فإن بعضهم يتفنن في طريقة ضبط معاملاته
أوحساباته مما يدل على ذكاء كامل أو بساطة في التفكير

لقد شاهدت في الكويت رجلا من أهلها الآسيين يصور عملاه (زبانية) بصور
محلقة : يصور أحدهم جلا ، والآخر حاراً ، والثالث فرساً ، وهو في ذلك لا يكاد يحطى ،
وهو لو صرف بعض وقته في تعلم القراءة والكتابة لوفر على نفسه مؤونة الإحتراع . أما
الآخر وهو يمت إلى العائلة الحاكمة بالكويت فقد كان مشهوراً بالبعل والحرص ؛ ولكي
يكون أميناً على نقوده من اختلاس أبنائه كان يضع في زاوية من زوايا بيته عدداً من
الخصوص يساوى عدد النقود الخبأة ، ويزيد ويقتص بقدر ما يقتص أو يزيد من النقود ،
فلما اكتشف أحد أبنائه هذه الحيلة أصبح يأخذ ما يحتاج من القرامم مع ربع عدد من
الخصوص مساوياً ، وقد لبث على هذه الحال مدة إلى أن ضبطه والده يأخذ النقود ، فأحرق
الخصوص من الركن إلى مكان آخر كي يأمن شرابته .

وقد كان علماء الاحساء والبحرين يفكرون على المدارس تبني الجغرافيا والقول
بكروية الأرض ، بل ويفكرون على بعض المسلمين قراءة الصحف السيارة ، غير أن
تقارب الأمم واحتلاطها قد قضى على نفوذ هؤلاء في البحرين والكويت .

علماء الدين في جزيرة العرب

ليس في جزيرة العرب علماء بالعلم المعروف في أوروبا ، وإنما يطلق اسم العلماء على
الفاشرين لعلم الدين المكين بمائل الثقة الإسلامي .

وفي جزيرة العرب على العموم تُطلق هذه الطبقة على نفسها طلبة العلم من باب التواضع ،
ويراد بالعلم في جزيرة العرب : التفسير ، الحديث ، الفقه ، أصول الدين ، علم العربية ،
التاريخ الإسلامي . وعلماء الدين في نجد أكثر إطلاعا في الفقه وغيره من العلوم الإسلامية
من غيرهم من علماء الكويت والبحرين وعمان ، وسيرتهم في القضاء والافتاء تشبه سيرة

العلماء المتقدمين ، كما أن حياتهم الشخصية في الورع والزهد يشبه سيرة علماء السلف المسلمين ، لا تأخذهم في الحق لومة لائم . وعلماء نجد أشجع علماء جزيرة العرب ولا يبالون في سبيل الحق ، وبعضهم وقوف تام على أحوال اللاد المحاورة لنجد . وهم يكادون يصرون أعمارهم في سبيل العقيدة الإسلامية ، والرد على مخالفتهم من الطوائف التي لا تنهج سبيلهم ، عبر أسهم في بعض الأحيان يتنون كثيراً بالرد على بعض الفرق التي انقضت ولم يبق لها أثر إلا في كتب العقائد .

وشأن علماء نجد شأن غيرهم في هذا القرن ليسوا كطبقة الشيخ ابن عبد الوهاب في علمهم وتبصرهم ، بل شأنهم كغيرهم من علماء الدين في البلدان الأخرى يمشدون في حياتهم الدنية على من سبقهم من الزواجر ، ولذا فإن مؤلفاتهم ورسائلهم ليست كرسائل الشيخ محمد وبني في متانة الأسلوب وحسن التصرف وكثرة المصادر التي كان يرجع إليها ، وهم لا يدعون الاجتهاد المطلق ، هم مقلدون للإمام أحمد والامام ابن تيمية وتلاميذه كابن القيم وغيره . والعلماء الجزيرة على العموم المقام الأول عند الأسراء ، والتموذ العظيم في نفوس العامة ، ومع أن أكثر العلماء في جزيرة العرب أميل بطبعهم إلى الهدوء والبعد عن مظاهر الدنيا ، فإن بعضهم قد يغلو في حب الدنيا بل وقد يستعمل مركزه لقضاء . وعلماء الرياض أشد علماء نجد بصراً ومقياً للكمار والابتدعة من المسلمين .

في سنة ١٣٤٦ هـ (١٩٢٨ م) كنت مع الشيخ عبد الله بن حسن كبير علماء نجد ورئيس القضاء الآن في زيارة للشيخ في الدعية بسورة ، فزلنا على ماء في وسط الطريق يدعى آبار بن حسان ، وهناك التقينا بمسقر فلي (بل إسلامه) وكان آتياً من ينبع ، بعد التحية دعوه لأكل مما فندما جلس معنا على دئمة سأل الشيخ : من هذا الرجل ؟ فقلت له : هذا فلي . فقل هو نصراني ؟ قلت له : نعم . فقال : أعوذ بالله . أقوم للصرافي ونسحقه ونهش في وجهه وتدعوه لأكل مما ؟ إن هذا كثير ، فلما سمع مسقر فلي ذلك قام منعا للشاحنة ثم أخذ الشيخ يرفني على علي .

فقلت : أيها الشيخ مهلاً . إننا نطمع في إسلامه جل ونريد أن نستميل قلبه ولا نفره من الدين ، وإن الرسول صلى الله عليه وسلم جذب الناس إليه بحلقه الحسن وابن جابر

(ولكنه انما لا يفتخر من حركاته) وإن ملك عبد العزيز كثيراً ما يقول له ولغيره تأليفاً لم ودنماً لشرم ؛ وكثيراً ما يدعوهم إلى مائتته ، نقل : أما القسم الأول فحسن ، وأما الثاني فمالك قد يفعل الشيء لمصلحة يراها وهو غير حجة في عمله وتصرفاته ، وكثيراً ما أنكرها عليه هذا وأمثاله .

على أنى أرى من الواجب على أن أذكر أن هذا الرجل كان لي نم الرقيق المواسى أثناء مرضى في المدينة ؛ لقد كان لا يرضى إلا أن يَسْقِي الدواء بنفسه كما أنه كان يصرف قطاً من وقته في تخفيف آلامى وأسقامى مما يدل على ما نطهر عليه هؤلاء من الإخلاص وطيب القلب ، لا يحملون حقاً لأحد . ولا يفضيرون إلا حيث يمتثلون أن منكراً انْقَرَفَ أو أن حقاً من حقوق الله قد ضيع أو أهمل .

وعلماء نجد يحرمون التصوير ودروس المنطق والفلسفة ، ولا يوجد لديهم من يعرف هذه العلوم ، وقليل من علماء نجد من يحيط بأسرار اللغة العربية وآدابها إساحة تامة ، وقليل جداً من يعرف علوم البيان والاشتقاق أو أسرار البلاغة ، وقليل منهم المحيط بمجداث التاريخ الإسلامى أو التاريخ القديم ، فمعلوماتهم التاريخية لا تتجاوز السيرة النبوية وسيرة الخلفاء الراشدين ، والتاريخ القديم لا يمتدو علمهم فيه إلى الطبرى وابن الأثير ، أما الاكتشافات الحديثة وما غير معالم التاريخ القديم ، فلا يكاد يعرف في جزيرة العرب كلها ، على أن هنالك روحاً جديدة في الأسرة المالكة في أبناء الملك وبعض أشقائه في اقتناء الكتب الحديثة وحسب الإطلاع على المؤلفات الحديثة في التاريخ والقانون وآداب اللغة العربية .

ونرى واجباً علينا أن نقول : إن الملك عبد العزيز لولا ما يحيط به من الصوبات من جهة استمداد شعبه لاسر بيلاؤه خطوات واسعة في سبيل نشر الثقافة وتمعيم التعليم ، وهو يفضل السير التدريجى على قدر استمداد الأمة ، ولهذا الاعتبار فإن الحالة العلمية في الحجاز ونجد أقل مما يجب أن يكون وينتظر من ملك حكيم كمالك عبد العزيز ، ومع هذا فإن حالة العلم في الحجاز ونجد أفضل من حالة بعض البلاد المجاورة كمان واليمن . وعلماء نجد محافظون على القديم جداً ولا سيما ما يتعلق بالدين ، فهم يرون بقاء العقيدة سليمة كما وردت في الكتاب والسنة من غير حاجة إلى تأويل ، ويقولون :

لبننا ما وسع عصر النبوة وحير القرون ، وتري كتبهم ورسائلهم مشحونة بالرد على الفرق التي تمنح إلى التأويل أو تطبيق الطريقت الفلسفية في العقائد .

ومع أن العلم والعلما مرارة في نفوس شيوخ العرب وعامة العرب ، فإن الشيوخ قلما يعنون بتعليم ألسانهم وتثقيفهم ، وإنما يعنون بتدريس الرصافة والقروسية والصيد والقصص ، وبعضهم يرى طلب العلم عيباً لأن ذلك قرين الجود والحمود وانتظر المصداقات . أما الإمامة فمربة الحركة والنشاط والتفكير .

والقصة التالية تروى في السكوت عن جابر الكبير حد الشيوخ مبارك الصباح : فإنه حينما رأى أحد أبنائه يحضر مجلس العلم وصحه بإحلال العقل لأن الإمامة لا تجمع مع طلب العلم ، ولكن هذا الفتى الذي اشتهر أول أمره بالتفوى وحج العلماء تغير سلوكه ، فاستبدل بمحقات القروس بحس الأسس والطرب ، وبالعلماء أهل الاخلاعة ، فسر والده من هذا التبدل وقال إن دم الصباح قد غلب عليه ، فصيرهم للكلاب وكبيرهم قد تكون هذه القصة موضوعة على جابر ، ولكنها تسترأصديق تصوير عن خلق كثير من أبناء الشيوخ : صغارهم مولعون بتربية الكلاب ، وكبارهم مولعون بالقصص والبطالة وقد بدأ قال الشاعر :

إن الشباب والفرع والجده مفسدة للره أى مفسده

على أن من بين شيوخ العرب قديماً وحديثاً من شدد عن هذا السبيل فاشمل بالعلم والآداب وقرض الشعر ووع في دنون الشرع حتى بذ نفسه عصره ، ويسرنا أن نوه هنا عما بدأ في السنين الأخيرة من اهتمام بعض الشيوخ بالحده بتعليم أولادهم . لقد أرسل بعض شيوخ السكوت والبحرين أولادهم إلى بيروت والإسكندرية للعلم في السكينة الأمريكية وكلية فكورنيا ، كما أن جلالة الملك عبد العزيز ما زال من وقت لآخر يبدى مزيد العناية بهذا الموضوع ويسمعين رأي خبراء في أمر التربية والتعليم وقد أبدى الملك سعود نشاطاً ملحوظاً في نشر العلم وتشجيع المتبحرين من الطلبة كما أسس في أول عهده وزارة للتعليم نرجو أن تقوم بالواجب العظيم اللاتي على عاتقها .

الصناعات في بلاد العرب

هي الصياغة والنجارة والحدادة والحياكة والتصبية وإصلاح البنادق والبيطرة وبعض أنواع الطبابة : كالحجامة والقصد والسكي وغير ذلك .

والصناعات على اختلافها معدودة من ثلثين الحيلة التي نخط بقلم صاحبها ؛ ولها فائدة لا يحترفون هذه الصناعات . إما من غير العرب أو من العرب الذين لا ينتمون إلى أصول مشهورة أو غير قليل . وما يدل على احتار الصناعات أفاضل السبب المروءة عند العرب (يا ابن الصانع) إذا أرادوا تحقير إنسان وسه بكلمة تكون مجمع السبب ، وهذه المسألة يذكر أن الملك ابن السعدي جمع كبير (وكان حائفاً على آل عابص حكاه ابنها السابق لما تكرر من حياتهم له) قال لأخذه هذه الكلمة ، عندما اصروا وذهبوا إلى بيوتهم اندلته زوجته وقالت له : لا يمكن أن أعاشرك بعد الآن ؛ لأنك من أبناء الصانع لا من أبناء النبائل وابن السعدي لا يكذب ، ولولا أن أهميت فيما بعد أن ذلك كان عن بادرة غضب ما أمكن أن تغتنم بالرجوع إلى بيتها .

ولقد ذكرك عبد الكريم السعدون بعد الله بك الصانع مدير الداخلية العراقية ، لأن عبد الله بك — وهو من ذرية الصانع — تحاصر على الزواج فأنه أحد أبناء السعدون الأشراف ؛ ولقد عطف حلاله الملك عبد العزيز على موقف عائلة السعدون ، ولو استطاع لغير موقف القضاة في هذا الموضوع الذي حرر أحسن ناحية في حالته .

وبهذه المسألة أيضاً عند ماذا كرتي في هذا الموضوع أخبرني المرحوم السيد رجب القريب (هيب أشراف البصرة) أنه في إحدى -ياحاته إلى بغداد أوصى أحد أصدقائه بأن يتوسط له في الزواج بابنة أحد الأشراف ، فكان ذلك الصديق يذكر له سيدة من بنات الأشراف المشهورين ببغداد كبيت شاذلي وجادزي وغيرهم ، فكان السيد يتمتع من التناول ويقول : أريد الأشراف . وما كان صديقه ليفطن لما يريد السيد ، وأخيراً قال له صديقه : لقد عرضت عليك كل أشراف بغداد فمن تريد بعد ذلك ؟ قال : أريد

الأشراف ، قال : لا يوجد أشرف من هؤلاء هنا ، قال : لا ، أنت ذكرت لي أسماء الصاع وأنا أريد أصحاب الأساب ، قال : ها ! لو أحترتى بذلك لأنتيك كل يوم بأسماء عشرين بدويًا من أفقر البدو ، لقد أحترت لك أهل البطاة والمدنية والبطاة ولكياسة ، أنا لا أتوسط في هذا الموضوع ، اذهب إلى السماوة أو غيرها من البادية واحمر نفسك ما تشاء . وإن من له اتصال ببلاد العرب يقف على كثير من القصص التي تنتفع فيها فقيرات البدو عن الزواج بأعيان المحصر احتجًا بالنسب ، فقد رفضت إحدى البدويات الزواج بان لشرى حاكم الزبير في أيام لأرك لأنه من أبناء العيد

ولا نزل التجارة في البحرين من الحرف التي لا يصح اشتغال العربي الأصيل بها ، ولذا كانت الأيدي غير العربية هي القابضة على زمام التجارة في البحرين ومن العربي أن العربي لا يزال يفضل رعاية الإبل والتم والخدمة وراء الخير على البيع والشراء والصناعة أو فتح متجر لبيع والشراء

ومن الصناعات المشهورة والتي يحترق كثير من البدو والمحصر عواصة اللاؤؤ ، وعواصة اللاؤؤ لها نظام خاص في غيبة لرعاية : ليس هناك أجور معينة للعمل ، ولكن العمال يشاركون صاحب المينة فيما يحصل ، فالذي يقص له سهمان ، ولذي يخرج العواص — وهو ما يسمى سيبا — له سهم ، وذلك على ما يخرجون خمس المصايد قسفية وتمن المأكول والمشرب ، ولا يمكن أن يقل أي عامل أجرًا معينًا لأنه يريد أن يحرق حظه مع صاحب المينة ، إن كان قليلًا قليل ، إن كان كثيرًا فكثير . وصناعة العواص من الصناعات الشاقة ، وهي تحرق حسب الطرق القديمة ولا تستخدم الآلات الحديثة ، ولا يقل عدد من يشغل هذه الصناعة عن مائتي ألف عامل من العرب والإيرانيين لمدة خمسة أشهر . وموسم اللاؤؤ من أحسن المواسم وأجملها ، وفيه تنشط الحركة التجارية ، ولذا لا يمكن أن يتصور مقدار صيق أهل هذه الصناعة في الأزمات الحالية لأن أكثرهم فقراء ، وليس لهم نقاد وشركات تجارية مثل ما هو في جميع البلاد المتقدمة

والطريقة المثبتة الآن في عواصة اللاؤؤ هي طريقة الحبر : يربط حبر كبير بطرف الحبل ، فإذا أراد القاص أن ينزل إلى الماء تمسك بالحبر ونزل إلى قاع البحر بكل سرعة ،

وإذا ضاق نفسه حَزَّ الحبل بيده ثم صمد بمساعدة رقيقته الآخر الموجود بأعلى السفينة والمنتقظ لكل حركة يأتيها العائن . والنوم يشبه من جميع الوجوه ، بالمعنى فتجدي جهة مئات السفن ، بينما ترى بعض الجهات الأخرى ليس فيها سفينة واحدة ؛ وصاحب السفينة ينتقل من جهة إلى جهة وراء المحار والؤلؤ ، وهالك في البحر تجدد التجار الذين يدعون « بالطواريش » ينقلون من سفينة إلى سفينة لشراء ما يستحصل من اللؤلؤ

وتقد اكتشف البترول في السنوات الأخيرة في أكثر بقاع الجزيرة العربية مكان مصدر خير وبركة على البلاد رادت به موارد الثروة العامة ومكنت البلاد من الأخذ بنصيبها في نواحي الإصلاح المختلفة أسست المدارس الابتدائية والثانوية وأرسل الطلبة النابهون إلى مصر وأوربا لتزود من مناهل العلم كما أسست الإدارات الصحية وشيدت الطرق والجملة تطورت البلاد تطوراً سريعاً لم تكن تصل إليه لولا وجود هذا المسمى الثمين

قصة البترول

في شتاء سنة ١٩٣١ وفد إل الكويت رجل بريطاني يدعى ميجر هولمز متنبها من الشركة الشرقية وهي شركة بريطانية تقوم بشراء الامتيازات وبيعها للشركات الكبرى وقد تمكن ميجر هولمز من الحصول على ثلاث امتيازات قيمة هي مناطق الكويت والأحساء والبحرين نظير مبيع صغير هو ستة آلاف جنيه لكل امتياز وستة آلاف جنيه أخرى مسوية إلى حين العثور على البترول بصورة تجارية

لقد حصل ميجر هولمز على امتياز منطقة الكويت . والأحساء . والبحرين وذلك بمساعدة الأستاذ أمين الريمحي الكاتب اللساني المعروف

وبعد فترة وجيزة من الصدق على الامتيازات زار هذه المناطق بثقة من المهندسين الجيولوجيين وقد كانت مؤلفة من مهندس بريطاني من الشركة الامريكية وآخر سويسري ومهندس آخر بريطاني مستقل قرأت اللجنة بعد زيارة هذه المناطق أنها لا تحوى نفرولا مطلقا ولكنها غنية بالمياه الصالحة للاراعة ولكن الشركة الشرقية لا تنهم بالزراعة ولذلك فقد ألتمت امتياز الكويت والأحساء وتمسكت بامتياز البحرين فقد عز عليها في أول محاولاتها في هذه المنطقة أن تحقق هذا الاحصاق التام وتخرج من هذه المهارة بحسارة لا تقل من ثلاثين ألفا من الجنيهات وهي شركة ليست من الشركات الكبرى ذات الاحتياطي الكبير المدلل هذه الحوادث

تمسكت الشركة الشرقية بامتياز البحرين ولكنها لم تجد من شركات البترول البريطانية استعداد الشراء هذا الامتياز فيست شطر العالم الجديد وعرضت هذا الامتياز على شركة استاندر أوويل اف كالفورنيا فوجدت منها استعدادا لشراء الامتياز إذا رأى مهندسوها أن هناك نفرولا في المنطقة المذكورة وقد تم لشركة الامريكية شراء الامتياز بعد أن تأكد مهندسوها أن المنطقة وإن كانت صغيرة ولكنها غنية بالبترول فكان هذا أول مفامرة

الشركات الأمريكية في منطقة الخليج بعد أن كان الخليج وإماراته من المناطق التي لا يجوز
لغير البريطانيين القرب منها

لقد حاولت الحكومة البريطانية منع الشركة من الحصول على الامتياز بحجة أن اتفاقية
الحماية تمنع شيخ البحرين من منح امتيازات كهذا الامتياز لغير الشركات البريطانية ولكن
الشركة أسرعت فأست شركة خاصة في كندا لهذا الغرض فسقطت حجة وزارة الهند
وبالرغم من أن الأمانة التي كانت تمنعها حكومة البحرين كانت مثيلة لعامة إذا قيس بما
تدفعه أي شركة بقول أخرى إلا أن هذه الأمانة كانت سببا في نهوض البحرين وازدياد
الرخاء فيها وقد ارتفعت الأمانة تدريجياً حتى وصلت في العام الماضي إلى ٥٠ في المائة من
صافي الأرباح

إلا أن المستخرج من البحرين قليل إذا قيس بما يستخرج من الكويت وقطر فهو
لا يتجاوز للمليون ونصف المليون من الأطنان سنوياً . أما الكويت فقد تجاوزت الثلاثين
ألفاً بعد توقف الشركة الإيرانية عن التصدير بسبب الخلاف للعروف بين إيران وبريطانيا
وقد فشلت جميع الساعي التي بذلت لدى الشركات البريطانية لمنحها امتياز بقول في
البلاد العربية السعودية لأنها كانت تعتقد أن لا زيت على الإطلاق في البلاد
العربية السعودية .

ففي سنة ١٩٣٢ بذل سمو الأمير فيصل بمجهودات عظيمة أثناء زيارته ل لندن مع
وزارة الخارجية أوفى بعض الموائر المالية لبيع امتياز الزيت لاحدى الشركات البريطانية
فلم شر ساعى سموه كافشلت مساعيه أيضاً في الحصول على قرض تفرجه الحكومة العربية
السعودية أزمته

وأخيراً وقد على البلاد العربية السعودية مستر لويدها ملتون موفداً من شركة استاندر
أويل أت كاليفورنيا الحصول على امتياز لاستخراج البترول فحصل عليه بعد مفاوضات
قصيرة وقد ساعده كثيراً استئذان الشركة لتقديم قرض صفو للحكومة . وقد أرسلت شركة
البترول العراقية مستر لونيبرج إلى جدة لمفاوضة الحكومة العربية السعودية في نفس الرض
الذي أوفد إليه مستر هاملتون ولكن هاملتون كان مطلق اليد فتجبع حيث فشل منافسة

حيث كان مقبدا بتعاليم شركته . وهكذا بدأت صفحة جديدة من الرخاء في البلاد العربية
السعودية كما بدأت صحيفة أخرى من صحف المأثرة الأمريكية

لقد حرص المرحوم الملك عبد العزيز حرصا لا يعادله حرص في منح هذا الامتياز إلى
البريطانيين لأنه لم يتعامل أو يعرف غيرهم ولكن البريطانيين كانوا متأثرين بتقارير الهندس
من جهة وبتقارير السر المدوريان من جهة أخرى ، وكلها كانت لا تشجع على استثمار
الأموال البريطانية في جزيرة العرب

الحكومات العربية

نريد هنا أن نتعرض أمام القارئ النظام الحكومي للإمارات والسلطات العربية ، والطريقة التي يدار بها الحكم في بلاد العرب ، وهي صورة مستمدة مما يفهمه العربي المأدب من الحكومة ، وهي الصورة التي لا يفهم سواها شوخ العرب ، وسأذكر فيما يلي قصتين يتجلى فيهما كل ما هو واقع من الحقائق :

في شتاء سنة ١٣٣٣ (١٩١٥) كنت في ح.بث مع المرحوم الشيخ جابر الصالح أخى الشيخ مبارك شيخ الكويت : كنت أنكر فيه على الشيخ مبارك «داحة الضرائب وطريقة صرفها ، فإن الشيخ مبارك في أحراب أيامه خرج على كل ملوف من التقاليد الدينية والعربية ، وأحد يستهتر بكل شيء ، كما أنه وضع ضرائب على البيوت تقضى بدفع ثلث قيمة كل بيت يباع مما لم يعرف من قبل في بلاد العرب ، وكنت أشرح للشيخ جابر حديث . كلهم راع وكلهم ممثل عن دينه ، وإلى في حس الوقت لم أس أن أذكر بعض الصعاب الطيبة التي امتاز بها الشيخ مبارك من غيرته على الكويت وأهلها ، ودفاعه عن مصالح أهلها والعمل لاستقرار الأمن وزيادة حركة التجارة فيها .

فقال الشيخ جابر :

إن كلامك كلام مُطَاوَع (أهل الدين) ما هي ميزة الأمير على الباعة وأصحاب الدكاكين يا شيخ حافظ ؟ أخذا كل جامعة الرعية مثل النعم كلما طال صونها جَدَّ ذَنَاه . فقلت له : ولكن النعم يا حضرة الشيخ نحتاج إلى من يمس بها كي يتسكَّر نسلها ، وأنتم لا تسكعون بالصوف ، فإن المقص كثير ما يصيب الجلد ، فقال : إن الحاكم يجب أن تكون يده مطلقة في كل شيء ، في المال وفي الأرواح ، والرعية إذا استغثت وكثر ما لها طنت على الحاكم وربما أفنت من يده . فقلت له : أيها الشيخ ! إن الرعية والراعي متضامنان في حب الخير للبلد ، وليس أحدهما خصما للآخر ، والحاكم والد الجميع ، ولا يولد الحزازات والصنائع سوى الجبروت . فقال : أيها الشيخ ! ليست هناك فائدة من

الناقشة ، فمن لا نهم من الحكم إلا ما أسلفنا لك ، وكلام أهل الدين قد سمعاه كثيراً في دروس الوعظ وخطب الجمع ، ولنا في حاجة إلى المزيد .
أما القصة الأخرى فقد حدثت في نجد بعد ١٩ عاماً من القصة الأولى .

في شعبان سنة ١٣٥١ - ديسمبر سنة ١٩٣٢ زارني أحد مشايخ البدو وأخذ يسألني عن أوروبا وما فيها من جمال ورجال ومسلمين وعشب وأطوار وغير ذلك ، ثم قال : هل عليهم شيخ مثل ابن سعود ؟ فأجبته إن عليهم ملوكاً ، منهم الملوك الصغار ، ومنهم ملك بريطانيا الذي لا تمرب الشمس عن ملكه . فقال : وهل تعد عليه وفود ، وهل يحول اللهاف لوفوده ؟ فقلت : إنه لا يعطى حرام لأحد ولا يند عليه إلا الملوك وكبار الرجال ، ولا يجمع إلا النياشين ، أما جنوده ورؤساء الجنود فلهم مرتبات خاصة يتقاضونها .

— لا بد أن يكون هذا الملك غنياً ما دام ملكه لا تنيب عنه الشمس ، لا بد أن تكون قصوره مربعة ذات حجب ونخيل عريضة كثيرة ، إن الملك لماثله مرتباً خاصاً لا يتجاوزونه ، والخرافة العامة تحت أمر وزير المالية وهو مراقب من مجلس الأمة ، فالخزينة تصرف منها أولاً على الموظفين المسكينين والعسكريين ، ثم على الأسطول ، ثم على سائر المصروفات الحربية ، ثم التعليم والأشغال العامة والصحة وغير ذلك ، كل شيء من هذه الأشياء لها مبالغ مرصودة لا يمكن تجاوزها .

— هل يقتل الملك الناس ؟ فأجبته : إن ملك إنجلترا كثر ملوك أوروبا الآن لا يباشرون الأعمال بأنفسهم ، فالحكمة إذا حكمت بالقتل فالملك يأمر بالتنفيذ وقد ينفو من القتل فيستبدل الحكم بالأشغال لمدة معينة ، أما الملك بدون حكمة فلا يستطيع أن يأمر بقتل أحد ، وليس بين الملوك وبين الناس خصومة حتى يأمرؤا بقتلهم .

— ليسوا هؤلاء ملوكاً ، إن من لم تطلق يده على الخزانة ومن تكف يده بهذا الشكل فليس بملك .

هذه هي الروح السائدة ومن هذه الروح تتكون الحكومة العربية ولا يستثنى من ذلك إلا البلاد التي كان يسودها النفوذ التركي ، فطريقة الحكم في الكويت والبحرين ونجد وقطر وعمان متشابهة ، وهي بسيطة ليس فيها من التعقيد ما في البلاد المدنية ،

ولكن صمد العدل يرجع إلى شخصية الحاكم وسهره وسيله إلى العدل والإصاف .

والشيخ أو السلطان أو الأمير هو الحاكم المطلق مصدر السلطات كلها ، إليه ترجع الدعاوى وهو يحولها بدوره إلى الشرع وما يحكم به الشرع بعد ، وفي المائل الحاربية يستأنس برأى النجار لتحول النصية إلى واحد أو اثنين أو ثلاثة من التجار حسب أهمية القضية ، والشيخ بعد ذلك يأمر بتعبد الحكم ، وفي بعض المائل الهامة يجمع الشيخ كبار الجماعة لأحد رأيهم وكثيراً ما يأخذ رأيهم هذا في الكويت وعمان أما في نجد فإن جميع القضايا تحول إلى الشرع فقط ، ولقضاء أنفسهم قد يستأنسون بالعرف النجاري في البلد . كذلك كان الحال في البحرين إلى سنة ١٩٢٠ ، وبعد هذه السنة قد وضع للبلد نظام للتقاضى خاص كما وضع لها نظام إدارى حديد . وعلى كل حال فالشرع لا يزال ينفذ على الوطينين ما عدا الحدود الشرعية

والبلدة إن كانت صغيرة مثل الكويت يمين الحاكم لها أميراً للسوق لفصل في القضايا الصغيرة ولا سيما قضايا البادية ، ووظيفة هذا الأمير تشبه وظيفة مدير النوايس ، وإن كانت مقسمة الأطراف يمين لكل ناحية أمير من قبل الملك ابن السعود وهو بمعد سلطة ، وسلطته لا تمتد إلى تنفيذ الأوامر الشرعية .

ورعنا كان الأميران ابن مساعد وابن جلوى هما أكبر الأمراء سلطة ونفوداً ، فإن ابن مساعد يمتد نفوذه حائل إلى القصيم والجوف وما حولها من البادية ، ولأمير عند الله بن جلوى يمتد نفوذه على مقاطعة الاحساء والقطيف والبادية المحيطة بها ، وهما يفرضان المقويات الدنية والمالية حسبما يريدان ، والغالب عليهما الصرامة في العقوبة

وليس من حقوق الأمراء التداخل في الوظائف المالية ولا العرض لبيت المال بأي شكل من الأشكال ، ولكنهم إذا رأوا شيئاً من التبعين على الحكومة أو الأهالي فإنهم يرفعون الشكاوى إلى الملك وهو يبعثها ويأمر بما يراه ، ولم تكن لهذه الحكومات إيرادات تذكر إلا ما يرد من زكاة الزرع وما يؤخذ من البادية ، ورعنا كانت أقل البلاد إيراداً للحكام الكويت حتى سنة ١٣٩٤ — ١٨٩٧ أى قبل تسم الشيخ مبارك كرسى الحكم بعد اغتيال أخوية محمد وجراح ، فقد كانت شبوخ الكويت في ذلك

يتقاضون أشياء ضئيلة على التجارة لم يفرضها الحاكم على الأهالي بل فرضها الأهالي أنفسهم مساعدة للشيخ الذي ليست له موارد تقوم حاجاته وحاجات عائلته ، وكان شيوخ الكويت يعيشون مع الأهالي كاخوان لهم ، وكان مفروضاً على الدكاكين ضريبة ضئيلة أيضاً للقيام بنفقات الحرس في الليل .

وكانت البحرين كالكويت في أكثر هذه التدابير ، ولكن حكام البحرين كانوا أعمى وأحمق من شيوخ الكويت لكثرة أملاكهم في البحرين ، ولأن سكان البحرين أكثر وأغنى من الكويت .

أما حكام محمد السابغون والخاليون فواردات الحكومة عندهم من الزكاة على الزرع والحيوانات ، وما كان يوضع على الحجاج من الضرائب ، وما يدخل بيت المال من خمس الجهاد ، وما يدخل خزينة الحاكم يصرف منه على حاجاته الشخصية وعلى الأعطيات التي يحود بها على الوافدين . أما المدارس والصحة ووسائل تنظيف البلد وتجميلها فإنه مع استثناء المجاز وبعد ، نجد الأهالي والحكام مشتركين في عدم الشعور بالحاجة إليها .

أذكر أن أول مدرسة نظامية أسست في الكويت سنة ١٣٣٠ هـ (١٩١٢) كانت من تبرعات الأهالي وإحسان بنت آل إبراهيم ، ولم يدفع الشيخ مبارك شيئاً لمساعدة أول مشروع علمي في بلاده ، وقد تبدل الحال كثيراً في السنوات الأخيرة سواء في الإدارة أو في نظام الحكم وطريقته .

ليس في البلاد العربية ما عدا المجاز ونحداً جيوش لحمايتها من الطواري ، وكل ما هناك خسون أو مائة نفر (لحاية الشيخ) ويقومون في البلد بوظيفة البوايس ، وهذا العدد ينقص أو يزيد تبعاً لما يحس به الشيخ من الضعف أو القوة في البلد وما يحس به من أبنائه حمومته نموّه . أما إذا أصبحت البلاد في حالة حرب فإن الشيخ يصع على أهالي البلد نفقات وهم يوزعونها على البلد كل بقدر ما يستطيع ، والشيخ يوزع عليهم ما ينقص من السلاح والذخيرة .

ول البلاد التي لم يمتد أهلها للحرب والطمأن مثل الاحساء والقطيف وبعض بلدان المجاز يفرض عليها ضريبة تسمى إعانة الجهاد .

وبالظر إلى قلة الواردات التي تستوفي ماسم الحاكم ، فإن بعضهم لا يرى غضاصة من الاشتغال بالتجارة : كشيوخ عمان وقطر وبعض شيوخ البحرين الآن . أما شيوخ الكويت والبحرين قبل سنة ١٩٢٠ وأمرأه مجد فلم يسمع أن أحداً منهم اشتغل بالتجارة وهم يصفونها عيباً .

لقد كان المعروف في أكثر البلاد العربية أن كل من ينسب إلى عائلة الشيخ يمكن أن ترفع إليه الدعاوى وهو يحولها إلى الشرع ، وحده يقومون بالتمديد ، ولما كان الشيخ لا يعترض على هذا التصرف إرضاء لى عمومته ، وفي الحقيقة كان هذا الضرب مبعثاً لقوضى ومصيباً للمسئولية . على أن بعض الأحكام يأس من معه القوة ويقبض بكلتا يديه على البلد ويمنع أى شخص سواء وسوى من يمينه لمباشرة الأحكام .

فالشيخ مبارك الصباح كان هو الشخص الوحيد في الكويت المرجع في الشكاوى ، وأحياناً كان يكل بعض المسائل إلى أحد ولديه الشيخ جابر أو الشيخ سالم .

والملك ان السعود أشد من الشيخ مبارك في هذا ، لا يسمح لإخوته أو لأولاده أن يتصرفوا في أمر من الأمور بدون مراحسته ، واقد عين الآن النحل الأكبر الأمير سعود (الآن الملك) نائباً عنه في نجد ، والولد الثاني الأمير فيصل للعباز وله الإشراف العام وقد ألف قبيل وفاته مجلس وزراء أصبح أساساً لإدارة البلاد .

ولقد كانت حماية الأفراد معروفة في بلاد العرب ؛ فالشخص الذي يريد الفرار من الحكم أو التخلص مما عليه من التبعة يلحق بمحنة أحد الشيوخ أو يحتج بظله أو يلتجئ إلى بيته ، كانت هذه الحماية معروفة في البادية على أكل مظاهرها كما هي معروفة في المدن ، وكان الحامي يرى من واجبه حابة من التبعاً إليه ما دام يأس في نفسه القوة والمعة ، فإذا رأى أن ذلك يمر عليه مشا كل تركه إلى حيث يجد السلامة ، أما تسليمه إلى من يطالبه فذلك محدود من الصوب التي لا تتمر ، فإذا كان رجل مديناً لأحد وأراد المدين أن يتخلص من المطالبة فما عليه إلا الاحتماء بأحد الشيوخ وذلك ينخلصه من المطالبة ، ولكن هناك من الشيوخ من لا يرضى بهذا العمل المزرى فيأسر تابعه بتسليم ما عليه من الدين أو يعطده من خدته والقائل إذا التبعاً إلى بيت من البيوت الكبيرة فإنها لا تسفه إلى المطالبين بالدم ،

وم يحسونه أو يطفون سبيله إلى حيث يجد السلامة . وربما كان منشأ هذه احدية
الاعتزاز بالصنية ، والحماية وإن قضى عليها في عهد والحجاز فلا يزال لها أثر عظيم
في بادية عمان

قلنا : إنه حتى سنة ١٨٩٧ لم تكن على سواحل البلاد العربية في الخليج الفارسي
جارك بالمعنى المعروف ، وكانت هناك ضرائب على البضائع لا تتجاوز ٣ ٪ ولكن كان
لكل كبير الحق في جلب ما يحتاجه من أرز وقمح ونهوء وسكر وملابس بدون دفع رسوم
جمركية ، وكان أهل السفينة حين رجوعهم من الهند يحضرون حاجاتهم الضرورية معهم
بدون دفع رسوم جمركية مادامت لا تشمل في التجارة ، ويمكن أن يُختار مدير الجرك
بقدم السفينة أو الشيء المطلوب السماح عنه ، وربما كان الشيخ مبارك أول أسراء العرب
على الشاطئ الشرقي للبحر غلوا في زيادة الجمارك ، فقد زادت الجمارك حتى ١٠ ٪ على
بعض الأصناف

وقد اشتغل أحد أولاده بالتجارة ، وهو الشيخ ناصر المبارك ، وكانت تجارته مغطاة
من الضرائب ، فكان يصرها في السوق ببيع الجرك فأثرى في مدة قصيرة ، ولكن والده
بعد احتياج التجار أسره بالامتناع عن المتاجرة أو يحصل منه الجرك أسوة بسائر التجار
ومن المسلم به عند العرب عموماً أن فرض الضرائب على التجارة حرام ، وهم يطلقون
اسم المظالم على كل نوع من الضرائب غير الزكاة ، ولنا فإن الشيخ عند ما يعين يرى إرضاء
لشبه تخفيف هذه الضرائب

فالشيخ جابر الصباح بن الشيخ مبارك عند ما تولى الحكم أنشئ بعض الضرائب التي
أحدثها والده ، والتي لم تعرف في غير عهد الشيخ مبارك ، والشيخ سالم بن الشيخ مبارك
بعد ما تولى الحكم بدأ أخيه خفف بعض الضرائب أيضاً

والبحرين إلى سنة ١٩٢١ كانت جماركها مملعة بالضمان لأحد المندوكين ، والأمير ابن
سعود لم يكن يعرف قبل احتلال الاحساء الجمارك ، ولكنه بعد ما استولى على الاحساء والتطيف
وضع الجمارك على البضائع الواردة إلى نجد والاحساء ، وكانت الضريبة لا تتجاوز ٥ ٪
وكان الجرك التزاماً ، وفي أثناء الحرب العالمية نظم الجمارك النجدية الشيخ عبد اللطيف

النديل ، فزاد الإيراد من خصة آلاف جنيه في السنة إلى ٢٠ ألفاً ، ثم أخذها بالضيان مرة أخرى أحد أغنياء القطيف بأربعين ألف جنيه ، وفي سنة ١٩٢٠ أخذها بالضيان بمبلغ ٧٢ ألف جنيه على شرط منع التجارة مع الكويت ، فأجيب إلى طلبه ثم نظمت الجمارك بعد ذلك وألغى الضيان

وهذه ضرائب أخرى في السوق العام كان يؤخذ شيء معين على ما يرد من البادية : من السس والضم والجمال ، وعلى كل حال فإن بلاد العرب أقل بلاد العالم ضرائب ، وهي بلاد فقيرة لا تحتمل ما يفرض على غيرها في البلاد الأخرى

ونظام نجد في تحصيل الضرائب لا يختلف عما يجري في البلاد العربية المجاورة لها ، وإن كانت نجد تأخذ من الضرائب الجركية أكثر من غيرها بالطر لما عليها من التبعات أما في الحجاز ، فالخطة تختلف كل الاختلاف عن باقي البلاد المجاورة ، لقد كان النظام التركي في الجمارك والإدارة مطبقاً في الحجاز ، ولكن وجود الأمير أو الشريف في مكة يحجب الوالي جعل للشريف شخصية أخرى ونموذجاً آخر بجانب الوالي

كان الشريف يتدخل في كل شيء في مكة ولكنه من طريق غير مباشر ، فكان أمر البادية راجعاً إليه ، يفصل في خصومات البادية ، وكان يضع الضرائب على المطويين والحجاج والمخلاة ، ويختص بها أو يتقاسمها مع الوالي التركي ، وكان الأشراف يمنحون حق الطلوف لمن يريدونه من أهل مكة : إما مقابل خدمة قام بها الشخص لهم ، أو مقابل مبلغ من المال . وهذا يفسر لنا الثروة التي جمدها الأشراف أثناء حكمهم في الحجاز ، وبالطبع كان الناس في طريق معاملتهم للحجاج يتبعون الخطة التي يرسمها الشريف ، وورعاً كان الشريف حسين في الستين الأولى من حكمه أفضل الأشراف خُلُفاً ، وأعلاماً صفاً ، وأزهرهم كفاً

أما علاقة الناس بالحكام في سائر البلاد العربية فملازمة قائمة على الصداقة والولاء للحكام ، والحكام أنفسهم لا يترفعون عن مخالطة الأهالي ، غير أن الأشراف كانوا يترفعون عن مخالطة الناس ، ويكبرهم يضرب المثل في سائر الجزيرة العربية ولقد قضت الثورة العربية على الملك حسين أن يغير الوضع الإداري الذي كان سائداً

في المجاز بوضع آخر يتفق مع روح الثورة وما يتطلبه العرب منه ، فأمر في أوائل سنة ١٣٣٥ م — ١٩١٧ هـ بتأليف وزارة ، كما أمر بإحداث مجلس شيوخ معين من قبله لوضع القوانين والنظم الإدارية . غير أن الباحث في سجلات الحكومة الهاشمية يرى أن الملك حينئذ كان يتصرف في كل صغيرة وكبيرة ، وأن الوزراء والمجلس لم يكونوا إلا حلاء ، كما أنه لم يكن هناك نظام لتوزيع العمل والمسئوليات ، فمثل المسائل أهمية تأخذ سلسلة طويلة من التحول من وزارة إلى أخرى حتى تنهى إلى الملك الذي يأمر بقطع ، وبحسب هذه التشكيلات الإدارية قد وضع الملك حسين موظفين حاصين للفصل في مسزعات البدو — لأنها تحتاج إلى السرعة .

أما الحكومة الحالية فإن الملك عبدالمعز قد ألقى أولاً النظام الذي أسسه الملك حسين لأنه لم يرق في نظره : وهي ثورة وحسن السخنة التنفيذية في يده ، وعين بضعة مديريين لدوائره . معصم مرتضى مع جريته رأساً ، ومعصم مرتضى سموه القوم ، وسبعة هؤلاء المديرين يتبعون وتسع عشر شخصياتهم ورجالهم ، وعبدالله النائب العام كان مجلس صغير معين من بضعة أشخاص ومستشارين معينين لخدمة سموه ، وقد تعبر هذا النظام تدريجياً ، فبدلاً من مجلس الإدارة أسس مجلس الشورى من نخبة المهملين وأعيان البلاد ، وبدلاً من المديرين عين بضعة وزراء للداخلية والمالية والدفاع ، غير أنه لم يوضع نظام لتوزيع الأعمال وتحديد المسئوليات ، فالأعمال كانت ترجع إلى سمو النائب العام الذي بدوره يحول أكثرها إلى جالاته نائباً عن الشرعية ، كما أن مجلس الشورى ليس له حدود معينة ، فكثير من المسائل صغيرة تحول إليه في الوقت الذي يفصل عنه في مسائل عظيمة الأهمية .

وفي سنة ١٣٧٣ هـ — ١٩٥٣ م أمر جلالة المرحوم الملك عبدالمعز بتشكيل مجلس وزراء أسند رياسته لولى عهده الأمير سعود ، وبعد وفاة جلالاته أسندت رئاسة الحكومة إلى صاحب السمو الملكي الأمير فيصل ولي العهد ، ووزعت الوزارات على أخوانه ما عدا وزارة المالية ووزارة التجارة فقد أسندت إلى رجلين من غير العائلة المالكة .

وبالإجمال فإن أمراء العرب اعتادوا الاعتماد على أنفسهم فقط وبمباشرة صغار الأمور

وكبارها ، وليس فيها نظام لتوزيع الأعمال ، على أن نظاماً كهذا يمتد إلى موظفين يجوزون ثقة الملك ورضاءه الدائم ويصلون لصالحه وصالح بلاده بكل نزاهة ، ومهما كانت عيوب النظام الإداري فإن شخصية الملك عبد العزيز وحبه للعدل ، وحرصه على صالح شعبه ، وسهره الدائم على مصالح رعيته ، ومواصلة الليل بالنهار في مراقبة صغير الأمور وجلالها ، جعل أكثر الأعمال تسير في طريق مرضى بفضل شخصيته وشخصية أمحاله المباشرين للأعمال .

السياسة الخارجية

لم يكن لأمرء العرب اهتمام بالسياسة الخارجية ، لأن بعض أمرء هذه البلاد تمنعه المعاهدات المقتودة بينه وبين إنجلترا من مغامرة أى دولة أجنبية مثل الكويت والبحرين وعمان ، وبعضها كتجعد والحجاز كان مملوفاً دولياً من الامبراطورية العثمانية ، على أن كثيراً من شيوخ العرب لا يفهمون السياسة الخارجية على وجهها الصحيح

لقد سألتى قبل أربع سنوات أحد شيوخ البحرين عن حقيقة ما أشيع من أن جلالة الملك سيقبل تعيين أحد القناصل في القطيف أو في الاحساء . فقلت له : إن الإشاعة غير صحيحة ، ولكن ماذا يمنع من ذلك إذا كانت هناك مصالح لرعايانا الانجليز مثل المنود وغيرهم توجب تعيين قنصل ؟ فقال : إذا قبل الملك ذلك فعلى بلاده السلام ؛ إن الراية الانجليزية ما رفضت على بلد إلا وأعقبها الاستيلاء عليه . فقلت له : إن هذا غلط عظيم ، فادمت لا تترك بملك مفتوحاً فلا الانجليز ولا غيرهم يدخلون ، وإن رفع الراية على القنصلية ليس معناه أن البلد تابع للانجليز ، فنحن يمكننا أن نرفع رايتنا في بلادهم وفي المهد . فقال : لقد رأيت ما صنعوا في البحرين ؟ إنهم في خمسين سنة قضوا على كل نفوذ لشيوخ البحرين :

فأجبت أنه أعتمد لو أن شيوخ البحرين كانوا ساهرين على مصالح رعايائهم ومصالح الساكنين في جزيرة البحرين ما تدخل الانجليز في شئون البحرين ، ولكن كيف يقف الانجليز مكتوفى الأيدي وأموال رعايائهم ورعاياء غيرهم من الدول في خطر ، ولست في حاجة

إلى بحث الحوادث الكثيرة التي نقلت فيها البحرين من حمة اختلال الإدارة ، فإن ذلك معروف . فقال الشيخ : مهما كان الأمر فقد كان يجب الصبح والإرشاد فقط ، وعلى كل حال فأرجو أن يعتبر الملك عبد العزيز بحيرانه ولا يقبل تعيين قنصل في بلاده .

وهذا الشيخ في الواقع يمر أحسن تعبير عن العقيلة السائدة في جزيرة العرب ، بل لقد امتنع أهل دُحَى من ساحل عمان من وضع كرنسبة في بلادهم سنة ١٩٢٨ وقت حدوث الكوليرا في المراف ، وقالوا لا نمر الواحر بلادنا حتى تصبح حالة المنصورة الصحية مرضية ، ولا داعي لإقامة بحر صحي في بلادنا ، يا منعمو ! أيضاً عن قبول إنشاء محطة للطيران في بلادهم ، كل هذا اسعاداً عما يمكن أن يقع لبلادهم مثل ما وقع في البحرين .

أشراف مكة

كانت مكة حتى سنة ٣٥٨ هـ إمارة تابعة لبغداد ، شأنها في الإدارة شأن سائر الإمارات التابعة للخليفة

ولما استولى الفاطميون على مصر واقطعوا مع بعض البلدان الأخرى من بلاد الخليفة الميموني استقلال الأشراف الحسينيون بمكة ، وأولهم جعفر بن محمد بن الحسين بن محمد الثاني ، وهؤلاء الأشراف أربع طبقات : الموسويين أو بنو موسى ، والسليمانيون ، والمواشم ، وهذه الطبقات الثلاث حكمت مكة من سنة ٣٥٨ إلى سنة ٥٩٨ هـ أي ٢٤٠ سنة والطبقة الرابعة فتادة وبنوه ، وهؤلاء حكموا من ٥٩٨ هـ إلى سنة ١٣٤٤ هـ وهي السنة التي أحلى فيها الملك على بن الحسين عن جدة

والواقف على تاريخ الأشراف في الحجاز يرى أنه تاريخ مملوء بالدماء والفظائع ، فالشريف منهم في سبيل الإمارة لم يكن يتورع عن قتل أخيه وأبناء عمومته في سبيل الحكم ، ولقد بلغت بعضهم القسوة أن قتل أخاه وطخ لحمه ودعا إخوانه الباقين لولية قدم لم فيها لم أخيه ١٩

لقد كان الأشراف في سبيل الإمارة يستعيون بكل من يمكن الاستعانة به من أمراء الحج المصري أو الشامي ، كما أن النفوذ المصري في الحجاز كان يظهر تارة ويختفي أخرى ، وكان تارة مباشراً وأخرى غير مباشرة إلى أن فتح الأتراك مصر سنة ٩٢٢ هـ فقدم شريف مكة طاعته للسلطان سليم الذي توبع بالخلافة وأقب بآدم الحرمين الشريفين ، وكان نفوذ الأتراك والمصريين يظهر تارة ويختفي أخرى ، وكلما أسس الأشراف ضعفاً من الأتراك والمصريين وسعوا نفوذهم إلى الجهات المجاورة . ولما ضعف الأتراك في القرنين الماضيين وساد الاضطراب مصر أصبح الأشراف ذوي الكلمة المسموعة في الحجاز والنفوذ الفعلي ، ولو أنهم مازالوا يتظاهرون بأنهم خدام السلطان ويحيطون باسمه في المساجد . وإلى القرن الثامن عشر كان حق انتخاب شريف مكة محصوراً في

بنى بركات (نسبة إلى الشريف بركات بن السيد حسن الجفّلان الذى خلف أياه سنة ٨٢٩ هـ وهو من جهة أمه ينتسب إلى الموحّدين الذين خلّعوا من حكم مكة سنة ٥٩٨ هـ)

وبعد حروب بين بنى بركات ومنافسهم من القبائل غلبوا على أسرم ، ونظم الإمارة ذوى ريد ولم يكن بينهم منصب شريف مكة وراثياً ولكنه على كل حال بقى فى هذه القبيلة حتى غلبت على أسرها ، فكان بمجرد موت الشريف يعزى إلى المنصب أقوى العائلة سلطاناً وأكثرهم أنصاراً ، ورتما كان أقوى الأشراف فى القرن الثامن عشر الشريف سرور ١١٨٦ هـ — ١٢٠٣ هـ ، فإنه أول من أدل الأشراف وكسر شوكتهم وسلطانهم وأسس حكماً عادلاً فى مكة

لقد كانت عادة الأشراف أن يكون فى بيت كل شريف ٣٠ — ٤٠ عبداً مسلّحين عدا الخدم والأقارب ، ومن يمت إليه بصلة القرابة من البدو الذين يعيشون بقرية النعم والإبل وهطايا الحجاج ، وكان لأشراف قبل حكم الشريف سرور حكماً فى مكة قلما يحصون لأوسر شريف مكة ، وكان مهمهم جمع المال بكل الوسائل للمكة ، فكانوا كثيراً ما يفتالون الحجاج ويقضون عليهم الطريق بين جدة ومكة ، أو مكة والمدينة ، بل كثيراً ما كانوا يفتالون الحجاج فى بيوتهم مما تأمّاه شعبة العربى الكريم

بعد جهاد طويل تمكن الشريف سرور من إخضاع الأشراف فجعل مكان مكة محبوبه من كل قلوبهم ، وكان هو نفسه خير قدوة لطيفة لوسطى فى ساطة حياته وتواضعه وكرمه لأهله وشعبته ، مع اشتهاؤه ماشجاعة النادرة ولذكاء المتوقد

أما ما رواه ركّهت من أن الشريف سروراً اكتفى بنفى المسافرين عليه ، فإنه يخالف ما رواه السيد دحلان من أن الشريف صلب رئيس العصاة ومثل ببعض العبيد وقتل البعض الآخر

وبلى سروراً فى الشهرة الشريف غالب وإن كان دونه فى حب العدل ، وفى أيام غالب غزا السعوديون الحجاز ، كما أنه فى أيامه أيضاً كان غزوة المصريين للحجاز وبعد ، وقد قبض عليه محمد على باشا ونفاه إلى سلاتيك حيث مات هناك

وبعد استرداد مكة بأيدى القوات المصرية قوى النفوذ التركى والمصرى ، وأصبح

الأشراف خاضعين تمام الخضوع لأوامر الباب العالي . وقد أراد المصريون أن يكون نفوذهم فمياً ، هينوا الشريف محمد بن عون وجعلوا إلى جانبه محاطاً في مكة ومحاطاً في جدة ، كما أنهم وضعوا لأول مرة حامية أجنبية في مكة لتضمن لهم السيطرة والاطمان ونحوه دون انتقاض الأشراف عليهم

ولما أصبحت الحاميات المصرية سنة ١٢٥٦ هـ حسب الصلح الذي تم بين السلطان عبد المجيد ومحمد علي استبدل بالولاية المصريين الولاة الأتراك ، كما استبدلت بالحاميات المصرية الحاميات التركية في مكة والمدينة والطائف وجدة ، وأصبح الأشراف يعينون ويعزلون حسب أوامر الباب العالي المطبقة ، غير أن هذا لم يمنع الأشراف من إرهاب الحجاج وظلم السكان

كان الباب العالي يرسل رئيس القضاة إلى مكة كل مدة معينة لضمان العدل ، وحتى يكون القضاء مستقلاً عن الحكم ، فلا يكون للأشراف غش أو تأثير في قضاء القاضي ، ولكن هذا الغرض لم يحصل إلا نادراً ، وكان أكثر القضاة آفة في يد الشريف مكة ، وفي الغالب لا يحكم في الدعوى قبل أن تقدم الهدايا للقاضي

وكان سكان مكة مغنين من جميع الضرائب الشخصية والمقارية ، غير أن الأشراف كانوا يضمون ضرائب صغيرة على الأغنام والواشي ، كما كانوا يضعون ضرائب على الحجاج وقوافلهم

وفي سنة ١٣٢٦ هـ - ١٩٠٨ م رشع كامل باشا الصدر الأعظم الشريف حسين بن علي أميراً على مكة بعد وفاة ابن عمه الأمير عبد الإله في طريقه إلى مكة ، وكان قد اختير شريعاً لمكة خلفاً للأمير علي باشا الذي خلع من الإمارة وأبعد مع عائلته إلى مصر

ولد الشريف حسين بن علي سنة ١٢٣٠ هـ (١٨٥٣ م) بالأسنانة وبقى مع والده مدة فيها ، ثم ذهب إلى مكة بمعية والده الذي عين أميراً لمكة ، وبقى بها إلى أن تولى إمارة مكة عمه الشريف عون الرقيق سنة ١٢٩٩ هـ . فطسب إعادته عن مكة لأنه خطر على لأمن فأبعد إلى الأسنانة ، وبقى بها حتى أئندت إليه إمارة مكة ، وقد اختير الشريف حسين للعمل على نشر السلم في بلاد العرب وتنوية نفوذ الأتراك بها بعد أن كاد نفوذهم يتصدع ،

وقد عمل شريف مكة في هذا السيل بكل ما أوتي من قوة لأنها تنفق مع الحطة التي كان يضرها في نفسه من تقوية نفوذه وبسط يده على بلاد العرب

لقد سافر سنة ١٣٢٧ هـ ١٩١٠ م على رأس الحطة التي أعدت لتأديب الإدريسى الشقي عصا الطاعة على الأتراك ، وهدم قوات الإدريسى ودخل إليها دخول الفاتح الطاهر ، وفي السنة نفسها سافر على رأس قوة وصلت للشعرا^(١) لإجبار حاكم نجد على الاعتراف بتبعية عشية الحجاز

وإذا كان الأشراف قد سلكوا في الناس سلك الكبر والجبروت والترف عن الناس وعدم مخالطتهم ، فإن الشريف حيناً قد امتازت أيام إمارته الأولى بالتواضع والعدل والتبعية على أهل مكة والدفاع عن مصالحهم ، كما أنه اشتهر أيضاً بالشجاعة وعلو النفس ونقاء القلب

لقد وقف الشريف حسين في وجه جميع الإصلاحات التي كانت يريد الأتراك الاتعاديون القيام بها في الحجاز ؛ لأنه رأى من خلالها تقوية نفوذ الأتراك وشل يده عن العمل في الحجاز ، يعرف مد مكة حديد (جدة — مكة) كما عرف مد طريق مكة إلى الطائف من جهة جبل كركى

لقد سمعنا ونحن في الآستانة سنة ١٩١٢ م ما يهيج به الأتراك نحو شريف مكة ، ومن سوء ظنهم به ومحبوبى مصر السابق وعزيمهم على التخلص منه ، ولكن الشريف تمكن من التغلب عليهم ومن التخلص من مؤامراتهم ، واستعد سرا للتخلص من سيادتهم ونفوذهم على الحجاز ، فاختار الوقت المناسب له ، فأعلن الثورة عليهم وتغلب على حامياتهم الواحدة بعد الأخرى بمساعدة بعض القوات المصرية التي أودها الانجليز لمساعدته حتى دانت له الحجاز كلها

العرب والترك

في القرن العاشر الهجري بسط الأتراك نفوذهم على سائر البلاد العربية : الحجاز واليمن وسواحل الخليج الفارسي ، وأصبح القسم الأكبر منها جزءاً من الأميرالية العثمانية ، وبقيت معتبرة جزءاً منها في العرف الدولي حتى إعلان الصلح مع تركيا

كانت الثورات تقوم من وقت لآخر في بلاد العرب بين الحكومة التركية وبين الأمراء المحليين سعيًا وراء الاستقلال الداخلي ، مرة في اليمن وأخرى في عسير ، وآونة في نجد ، وطوراً في سوريا ، فكانت هذه الثورات نتيجة لصف التركي ، أو لجهل الأتراك عادات وتقاليد العرب

إن الواقع الذي لا يفكر أن الأتراك كانوا رجال فتح وحرب ، ولم يكونوا رجالاً تسير وتدبر ؛ فالبلاد التركية والبلاد العربية التي خضعت لسيادة التركية مدة طويلة كانت في التثقف والتأخر سواء ، فلما انضم أحرار العرب وملتصونهم من ضباط وغيرهم إلى أحرار الأتراك ؛ وعملوا معهم في الجمعيات السرية ، واشتركوا معهم في جميع الأعمال الثورية التي أسقطت السلطان عبد الحميد وبمحت في إعلان الدستور العثماني في تركيا

كان متعلمو العرب يأملون أن يلاهم في ظل الدستور سيشملها الإصلاح الذي هم في أشد الحاجة إليه ، ولكن الأمل خاب ، فإن شيان الأتراك أخذوا ينظرون إلى الشعب العربي عامة وإلى زملائهم خاصة ، لا ينظر الأخ إلى أخيه بل ينظر الحاكم المشوم إلى المحكوم ، فلم يكن بُدّ لقادة العرب المتعلمين من النظر في أمرهم وأمر بلادهم ، ووضع حد لغلوا الأتراك ، فألقوا الجمعيات السرية في الجيش ، كما ألقوا الأحزاب السياسية للدفاع عن حقوق العرب ولإصلاح البلاد العربية ، وأم هذه الجمعيات :

الجمعية القحطانية

تشكلت في الآستانة سنة ١٩٠٩ م من قبل وزير الأوقاف خليل حمادة باشا ، والسيد عبد الحميد الزهراوي ، وسلم بك الجزائر و زملائه

جمعية العهد

شعبة من الجمعية القبطية ، أسسها عزيز على بك المصري بعد عودته من طرابلس الغرب سنة ١٩١٢ م وحصرها في ضباط العرب

حزب اللامركزية

تألف في مصر سنة ١٩١٢ م من السيد الزهراوى ورفيق بك العظم ، والسيد رشيد رضا ، وحق بك العظم ، وزملائهم ، وغايته الوصول بكل الوسائل المشروعة إلى تأسيس حكومة لامركزية في جميع الولايات المعنية

كانت جميع هذه الجمعيات على اختلاف منازعها تواصل مساعيها في بث الدعوة القومية وإنهاض الروح العربية ، فأنشأت القروع والشعب في معظم المدن العربية : بغداد ودمشق وحلب وحمص وحماة ويبروث

وفي سنتي ١٩١٢ و ١٩١٣ م أخذت الصحف العربية والتركية تناقش بعضها بعضاً مناقشات كانت حادة في كثير من الأحيان ، وأخذ متطرفو الأتراك يؤلفون الكتب في الطعن في العرب وكل ماله علاقة بالعرب ، واتهموا القائمين بالحركة الإصلاحية بأنهم يعملون لحساب الأجانب وأن الأيدي الأجنبية هي التي تدير هذه الجمعيات

لم يكن حزب من الأحزاب العربية يرى إلى الانغصال عن الترك ، بل كل ما كان يرى إليه الجمع هو الإصلاح العربي وإحياء القومية العربية وبقاء العرب بجانب الأتراك كاخوة وحلفاء لا كسيّد ومسيّد

المؤتمر العربي بباريس

فكر متعلمو العرب المقيمون في باريس في عقد مؤتمر عربي ، فخابروا الجمعية اللامركزية في مصر بفكرتهم وحددت المسائل التي ستكون مدار البحث وهي :

(١) الحياة الوطنية ومناهضة الاحتلال

- (٢) حقوق العرب في المملكة العثمانية
(٣) ضرورة الإصلاح على قاعدة اللامركزية
(٤) المهاجرة من سوريا وإليها

مؤقت اللجنة العليا على الاقتراح ، وقررت إرسال مندوبين من قبلها ، فانقد المؤتمر العربي في القاعة الكبرى للجمعية الجعراية في باريس من ١٨ يولييه سنة ١٩١٣ م إلى ٢٣ منه ، وقد قال السيد عبد الحميد الزهراوى في حطة افتتاح المؤتمر :

« إن العرب كانوا أشقوا الترك ، وهؤلاء قد ألقوا العرب منذ عشرة قرون ، ولكن كما مرجحت بينهم السياسة عرقت بينهم السياسة أيضا ، ولم يبق من ذلك الامتراج القديم إلا رابطة بين البعض ، وهذه الرابطة لا تزال تعد ثمننة عند الترك والعرب معاً ، ولكنها مع عزتها قد أصبحت مهددة بالسياسة أكثر مما كانت من قبل ، ومعلوم أن السياسة في هذه المملكة بيد الترك ؛ ولذلك تعرفها أوروبا أنها تركية ، فلما رأى لعرب الآف ما وصلت إليه هذه المملكة بتلك السياسة التي مضى العمل عليها حتى الآن ، وكاوا حريصين على البقية الباقية من تلك الرابطة ، تنهبوا إلى واجب عظيم كان الترك والعرب جميعاً غير مهتمين به كما ينبغي ، وهو اشتراك الفريقين في سياسة البلاد ، فانه قد تبين واضحاً أنه لا العرب انفعوا ببراءتهم من ذنب إضاعة البلاد ولا الترك انضموا بنحلهم وحدهم ثمة ذلك العبء الثقيل ، وبدعى أن هذا الاشتراك لا يتناق الإحساء بل الذى ينافيه هو عدم هذا الاشتراك »

نقلت جمعية الاتحاد والترقى لهذه الحركة فأبمنت أنها إن لم تعالج الموضوع بحكمة وعقل ، فإن بلاد العرب قد نفلت من أيديهم ، وأيد هذا الاعتقاد في مطرهم اعتيال قومندان البصرة بيد أعوان السيد طالب النقيب ، وانزعاج الاحساء والقطيف من أيديهم بيد الأمير ابن السعود ، وهم كما قدمنا يسقدون أن الحركة العربية وليدة تحريضات الأجانب لا الشعور بالحاجة إلى الإصلاح

بدأت الحكومة العثمانية تستعمل الشدة في أول الأمر ، فأنقت القبض على عدة من أعضاء الجمعية الإصلاحية في بيروت ، فأغلقت المدينة دكا كينها أياماً ، فأخرجهم

الوالى من السجن ، وأخيراً رأت أن تسالج المشكلة بالطرق السياسية ، وأرسلت جمعية الاتحاد والترقى مدحت شكرى بك سكرتيرها إلى باريس لينفاوض مع أحرار العرب ، ويتفق معهم على خبير الطرق التى تربط بين الشعبين قروناً طويلة ، فانفق القويقان على الصداقة الوطيدة القديمة التى ربطت بين الشعبين قروناً طويلة ، فانفق القويقان على أكثر السائل المختلف عليها

وأصدرت الحكومة العثمانية فى أوائل أغسطس سنة ١٩١٣ م القرار الرسمى التالى :
إنه بالنظر للضرورات واحلاف الأمرحة فى الولايات العثمانية إلى وحوب ترقية البلاد وإسعاد أهلها وزيادة رفاهيتهم ، تقرر بعد الانكسار على الله ومفاوضة الولايات (١) أن يعهد فى إدارة الأوقاف الموقومة على أعمال الخيرية المحلية إلى المجالس المحلية فى الولايات حسب قانون ينشقرقياً

(٢) أن تكون الخدمة العسكرية فى زمن السلم فى دائرة التفتيش ، إلا إذا رأت الحكومة أن هناك من الأسباب ما يدعو إلى حشد الجنود فى جهة من الجهات فتتسل الجنود على الطريقة النسية

(٣) يكون التدريس باللغة العربية فى الجهات التى يتكلم أكثر سكانها اللغة العربية ، ويبدأ بذلك فى المكاتب الرشيدة والإعدادية ، والاستعداد لتوفير الأسباب فى التعليم العالى (٤) يختار الموظفون من الآن من الواقفين على اللغة العربية علامة على اللغة التركية ، ويعين الموظفون الثانويون من الولاية رأساً حسب قانون الولايات

وعلى أثر ذلك تبادل العرب والترك الزيارات ، وأظهروا رضاهم وولاءهم للأتراك ، وفى الوقت نفسه عمل الأتراك على إيقاع الشقاق بين قادة العرب ، فعينوا السيد الزهراوى رئيس مؤتمر باريس عضواً فى مجلس الأعيان ، وعينوا بعض شبان العرب فى بعض الوظائف العامة ، فاشتد غضب الشيبية العربية على هؤلاء الذين قبلوا الوظائف ورموم بخيانة الأمانة التى أؤتمنوا عليها

أما الإصلاحات مثبتة حبراً على ورق ، وأراد الأتراك أن يتلوا من العرب بالتسويق والمطل ويضربوا زعماء الحركة لواحد هو الآخر ، غير أن ذلك لم يطل كثيراً ؛ فان الحرب العامة قد استقر عليها وأظهر الأتراك ميلهم إلى الألمان وأخيراً انضموا إليهم

الثورة العربية

كان الشائع في الدوائر التركية العليا أن شريف مكة يعمل في الخفاء على الانفصال من الأتراك ، وأن أولاده أسماء سرورهم تمصرية ، بدون الطريق لذلك بواسطة اللورد كننغشر ، وأن شريف مكة لا يميل إلى الانفصال قط من الأتراك ، بل يعمل أصلاً لاستعادة خلافة منهم ، وكان يقوى هذه الإشاعات عند الأتراك مقومة الشرف لكل عمل إصلاحى يراد إدخاله إلى الحجاز ، فصمموا على التخلص منه معينوا وهيب بك والياً للحجاز للقيام بهذه المهمة ، ولكن شريف مكة كان علماً بكل ما كان يدره الأتراك له في الخفاء ، وكان يطلع على جميع المخابرات التي بين الوالي ووزارة الداخلية والحربية في الآساسة ، ولذا كان يعمل لإحباط الماسعى من جانب وهيب بك والحذر من الوقوع في التبع ، وهو يعلم أنه ليس أول شريف خلعه الأتراك من إمارة مكة

أعلن الأتراك الجهاد على الخلفاء ، ووزعوا منشورات في أسائر الولايات التركية كما أرسلوها سراً إلى بعض الجهات الخاضعة للخلفاء ، وطوا أن المسلمين سيتبعوهم ، وكانوا جاهلين تمام الجهل حالة الإسلام والمسلمين الممنوعة والمندوبة ، وغرهم بعض الزعماء بأن أي حركة يقوم بها الأتراك ضد انغلاق أو فرس لا تلت أن تؤخذ النار في المسمرات البريطانية القرنية ، ولكن الحوادث كشفت خطأ الأتراك فيما تحيلوه ، ولما تنكر ما حدث من الأثر بسبب دخول تركيا الحرب ضد الحلفاء ، ولكن الأتراك لم يكن عظيمًا بأن ما أحذه الخلفاء من الاحتياطات وما بثوه من الدعايات في كل مكان قد أحبط ماسعى الأتراك والألمان

دخل البريطانيون في مفاوضات مع الشريف حسين لوصول ما انقطع من المفاوضات مع اللورد كننغشر ، واتفق الانجليز وشريف مكة على خطة العمل . وإتنا هنا لا نريد أن ننقل رأي الترك في حركة الملك حسين ولا أن نعيد ما نشره بعد الثورة العربية ، ولا نريد كذلك أن نعيد ما نشره الملك حسين لتبرير ما قام به من الثورة ضد الأتراك الذين أجلسوه على إمارة مكة ، ولكن الشيء الذي لا يمكن أن يدفع ، والذي أدى قلوب العرب هو

تلك الأسرة التي قام بها جمال باشا في الشام من قتل وتغريب ومصادرة ، عاجل شريف مكة يتمجّل الثورة فمل أن يصل إليه الدور ، فقد قاموا بآسرون على خلة والانتقام منه ومن أولاده فأحبط مساعيهم ، وأبطل خططهم بعد أخذ ما تمكن منه من ماله وسلاحهم ، وقد أوتيت الثورة العربية طفيان حال باشا وأبدلت شدته ليناً ، ولكن الجرح الذي أحدثه في قلوب العرب لم يندمل

مقررات النهضة

يسمى الملك حسين الكتب المنشادة بينه وبين الانجليز مقررات النهضة أي الأسس التي قامت عليها الثورة العربية

والخبايا التي كانت دائرة بين الملك حسين والحكومة البريطانية حتى إعلاني الثورة ضد الأتراك كانت مربية شخصية لم يشترك فيها أحد من أسراء العرب أو قادتهم ، حتى أساء الملك حسين لم يكونوا محيطين بهذه الخبايا كما كان يجب أن يكون ، وقد صرح المرحوم الملك فيصل لأحد مراسلي الصحف العربية بأن الحجج التي يجب أن يتنوع بها لم يكن يملكها ؛ لأن والده لم يرسل إليه وهو في باريس الكتب الرسمية التي تعهد فيها الانجليز بتكوين المملكة العربية

ورى زاماً علينا أن نشر الكتب الأربعة ونفقاها برأى الملك حسين في الامبراطورية العربية ، ثم رأى الجانب البريطاني وما يدلى به من الحجج لرد على ما يتمسك به الملك حسين تاركين الحكم للقارئ ، فليس من غرضنا إصدار الحكم على هذا التريق أو ذاك ، بل الغرض الأسمى هو نشر ما لدينا من الوثائق لخدمة التاريخ العربي

الكتاب الأول

إلى السيد الحبيب النيب ، سلاطة الأشراف وناج التعغار ، وفرع الشجرة المحمدية والدوحة القرشية الأحمدية ، صاحب المقام الرفيع ، والسكاة السامية ، السيد الشريف ابن الشريف السيد الجليل المبهجل دوللو الشريف حسين سيد الجميع ، أمير مكة المكرمة قبلة العالمين ، وعظم رجال المؤمنين الطائنين ، عمت ركنه الساس أجمعين بعد رفع رسوم وافر التحيات العاطرة ، والتلقيات القلبية الخالصة من كل شائبة ،

نعرض أن لنا الشرف بتقديم واجب الشكر لظهاركم عاطفة الإخلاص ، وشريف الشعور
والإحساسات نحو الإنجليز ، وقد يسر ما علاوة على ذلك أن نعلم أن سيادتكم ورجالتكم
على رأى واحد ، وأن مصالح العرب هي نفس مصالح الإنجليز ، والعكس بالعكس ، ولهذا
النية فنحن نؤكد لكم أقول خاتمة الورد كتشتر التي وصلت سيادتكم عن يد على أمدي ،
وهي التي كان موصفاً بها رغبتنا في استئلال بلاد العرب وسكانها مع استصوابنا للخلافة
العربية عند إعلاها ، وإنا نصرح ههنا مرة أخرى أن جلالة ملك بريطانيا العظمى
يرحب باسترداد الخلافة إلى يد عمرى صميم من فروع تلك الدولة الماركة . وأما من
خصوص مسألة الحدود والحوم ، فمقدمة فيها بطور أنها سابقة لأوانها ، وصرف لأوقات
سدى في مثل هذه التفاصيل ، في حالة أن الحروب دائرة رحاها ، ولأن الأتراك أيضاً لا
يرالون محتملين لأغلب تلك الجهات احتلالاً فعلياً ، وعلى الأخص ما عدا رندو ما يدهش
ويحزن ، أن قرباً من العرب الناطقين بلك الجهات نفسها قد عمل وأهل هذه الفرصة
التي التي ليس اعظم منها ، وذلك بعدم دق التريق على مساعدته . نعم مد يد المساعدة
إلى الألمان والأتراك . نعم مد يد المساعدة لذلك الهأب السلاب حديد ومو ذلما ،
وذلك الظالم السوف وهو الأتراك

ومع ذلك فلما هلى كمال الاستعداد لأن نرسل إلى ساحة دولة السيد الجليل ما تحتاجه
البلاد العربية المقدسة والعرب السكرام من الحبوب والصدقات النورية في البلاد المصرية ،
وستصل بمجرد إشارة سيادتكم ، وفي المكان الذي تعينوه ، وقد عملنا الترتيبات اللازمة
بمساعدة رمواسكم في جميع سفراته إلينا : ونحن على الدوام معكم قلباً وقالباً ، مستشعنين
رأحة مودتكم الزكية ، ومستوثقين بحرى محبتكم الغلصة ، سائلين الله سبحانه وتعالى دوام
حسن العلائق بيننا

وفي الختام أرفع إلى تلك السدة العليا كامل تحياتى وسلامى وفائقى احترامى

الخلص

السيرارز مكمافور

مائب جلالة الملك

تحريراً في ١٩ شوال سنة ١٣٣٢ — ٢٠ أغسطس سنة ١٩١٥

الكتاب الثاني

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى فرع الدعوة الحمديّة ، وسلاطة النسب النبوي ، الحبيب النسيب دولة صاحب المقام الرفيع ، الأمير العظيم السيد الشريف ابن الشريف أمير مكة المكرمة صاحب السدة العليا ، جعله الله حرّذاً متيقناً للإسلام والمسلمين بعونه تعالى آمين . وهو دولة الأمير الجليل الشريف حسين بن علي أعلی الله مقامه .

قد تلقيت بيد الاحتفاء والسرور رقيكم الكريم ، المؤرخ بتاريخ ١٩ شوال سنة ١٣٣٣ هـ ، وبه من عباراتكم الودية الحفّة وإخلاصكم ما أودرته رضاه وجوراً .

إني متأسف أنكم استعجنتم من عبارة كتابي السابق أني قابلت مسألة الحدود والتخوم بالتردد والفتور ، فإن ذلك لم يكن القصد من كتابي ، ولكفي رأيت حينئذ أن الفرصة لم تكن حانت للبحث بعد في ذلك الموضوع بصورة نهائية .

ومع ذلك فقد أدركت من كتابكم الأخير أنكم تعتبرون هذه المسألة من المسائل الهامة الحيوية المستعجلة ، لذلك قد أسرعتم في إبلاغ حكومة بريطانيا العظمى بمضمون كتابكم ، وإني بكمال السرور أبلغكم بالنيابة عنها التصريحات الآتية التي لا شك في أنكم تزلونها منزلة الرضى والقبول .

إن ولايتي سمرسين واسكندرونة ، وأجزاء بلاد الشام الواقعة في الجهة الغربية لولايات دمشق الشام ، وحمص ، وحماة ، وحلب ، لا يمكن أن يقال عنها إنها عربية خالصة ، وعليه يجب أن تستثنى من الحدود المطلوبة مع هذا التعديل ، وبدون توخ للمعاهدات المعقودة بيننا وبين بعض رؤساء العرب ، نحن نقبل تلك الحدود .

وأما من حيث الأقاليم التي تتضمنها تلك الحدود حيث بريطانيا العظمى مطلقة الصرف بدون أن تسمى مصالح حليفتها فرنسا ، فإني مفوض من قبل حكومة بريطانيا العظمى أن أقدّم للمرائيق الآتية ، وأجيب على كتابكم بما يأتي :

(١) إنه مع مراعاة التعديلات المذكورة أعلاه فبريطانيا العظمى مستعدة بأن

تتعرف باستقلال العرب ، وتزيد ذلك الاستقلال في جميع الأقاليم الداخلة في الحدود التي يطلبها دولة شريف مكة .

(٢) إن بريطانيا العظمى تضمن لأماكن المقدسة من كل اعتداء خارجي وتتعرف بوجود منع التعدي عليها .

(٣) وعندما تسمح الظروف تمد بريطانيا العظمى العرب بمصنوعاتها ، وتساعد على إيجاد هبات حاكمة ملائمة لتلك الأقاليم الخاضعة .

(٤) هذا وإن المفهوم أن العرب قد قررنا طلب نصائح وإرشادات بريطانيا العظمى وحدها ، وأن المستشارين والمواطنين الأوربيين اللارمين لشكيل هيئة إدارية قديمة يكونون من الإنجليز .

(٥) أما من خصوص ولايتي بغداد والبصرة ، فإن العرب تعترف بأن مصالح بريطانيا العظمى المربوطة هناك تستلزم اتخاذ تدابير ديرية محصورة لولاية هذه الأقاليم من لاعتداء الأجنبي ، وزيادة حير سكانها ، وحماية مصالحها الاقتصادية لشدة

وإنى متيقن بأن هذا التصريح يؤكد لدوائكم بدون أقل إزاياء ميل بريطانيا العظمى بحور غائب أصحابها العرب ، وتسعى بعقد محبة دئمة نامة معهم ويكون من نتائجها المستحيلة طرد الأتراك من بلاد العرب ، وتحرير الشعوب العربية من نير الأتراك الذي أثقل كاهلهم السنين الطوال

واقعد انصرفت في كتابي هذا على المسائل الحسنية ذات الأهمية الكبرى ، وإن كان هناك مسائل في خطباتكم لم تذكرها فسنعود إلى البحث فيها في وقت مناسب في المستقبل . واقعد تلقيت بمزيد السرور والرضى خبر وصول الكسوة الشريفة وما معها من الصدقات بالسلامة وإتها بفضل إرشاداتكم السامية وتدابيركم المحكمكة قد أرسلت إلى البر بلا تب ولا ضرر ، رغمًا عن الأخطار وأصابع التي سببتها هذه الحرب الحزينة ، وبرجو الحق سبحانه وتعالى أن يعجل بالصلح الدائم والحرية لأهل العالم . إلى مرسل خطائي هذا مع رسولكم النبيل الأمين الشيخ محمد بن عارف بن عارفان ، وسيمرض على مسامحك بعض السائل للقبيلة التي هي في الدرجة الثانية من الأهمية ولم أذكرها في كتابي

هذا . وفي الختام أثبت دولة الشريف ذا الحلب الشريف ، والأمير الخليل كامل تمحيي وخالص مودتي وأعرب عن محبتي له ولجميع أفراد أسرته الكريمة ، راحياً من ذى الخلال أن يوفقنا جميعاً لما فيه خير العالم وصالح الشعوب ، فيده مفاتيح الأسر والنيب بحركها كيف يشاء ، ونسأله تعالى حسن الختام والسلام

نائب جلالة الملك

السيد امير مكمهاوه

تحريراً في يوم الاثنين ١٥ دى الحجة سنة ١٣٣٣ - ٢٥ اكتوبر سنة ١٩١٥

المكتاب الثالث

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى ساحة ذلك ان مقام الربيع دى الحلب الطاهر والنسب العطر ، قلة الإسلام والمسلمين ، معلى الشرف ، وطيد الحقد ، سلاله مهبط الوحى المحمدى الشريف بن الشريف صاحب الدولة السيد الشريف حسين بن على أمير مكة المظم ، زاده الله رمة وعلاء آمين . بعد ما يلقى بمقام الأمير الخطير من العيلة والاحترام ، وتقديم خالص التحية والسلام ، وشرح عوامل الأمانة وحسن التناهم والمودة المزوجة بالحبة القلبية ، أرفع إلى دولة الأمير المعظم أنا تلتانيا رقيبكم المؤرخ ١٤ ربيع الآخر سنة ١٣٣٤ من يدرسولكم الأمين ، وقد سررنا لوقوما على التداير العلوية التى تمومها ، وإنها لواقفة فى الأحوال الحاضرة ، وإن حكومة جلالة ملك بريطانيا العظمى تصادق عليها . وقد يسرنى أن أخبركم بأن حكومة جلالة الملك قد صادقت على جميع مطالبكم ، وأن كل شئ رغنم الإسراع فيه وفى إرساله فهو مرسل مع رسولكم حامل هذا ، والأشياء الباقية ستحصر بكل سرعة ممكنة وتنقى فى بورت سودان تحت أسركم حين ابتداء الحركة . وإبلاغنا إياها بصورة رسمية (كما ذكرتم) ، وبالمواقع التى يقتضى سوقها إليها والوساطة الدين سيكونون حاملين الوثائق لتسليمها بإمام

إن كل التعليمات التى وردت فى محرركم قد أعلنها بها محافظ بورت سودان وهو

سيجريها حسب رغبتكم ، وقد علمت جميع التسهيلات اللازمة لإرسال رسولكم حامل خطابكم الأخير إلى جيزان حتى يؤدي مأموريته التي نأل الله أن يكملها بالنجاح وحسن النتائج ، وسيعود إلى بورت سودان وبسببها يصلكم بحماسة الله لينص على مسامح دولكم نتيجة عمله

وانتهز الفرصة لتوضح لدولكم في خطابنا هذا ما ربما لم يكن واضحاً لديكم ، وما عساه ينتج سوء تفاهم ، ألا وهو أنه يوجد بعض المراكز أو النقاط العسكرية فيها بعض المراكز التركية على سواحل بلاد العرب يقال إنهم يحاصرون بالماء لنا ، والذين هم يعملون على ضرر مصالحنا الحربية البحرية في البحر الأحمر ، وعليه نرى من الضروري أن نأخذ التدابير الفعالة ضدكم ، ولكنا قد أصدرنا الأوامر القطعية أنه يجب على جميع بوارجنا أن تفرق بين عساكر الأتراك الذين يبدأون بالمعاداة وبين العرب الأبرياء الذين يسكنون تلك الجهات ، لأننا لا نقدم للعرب أجمع إلا كل عاطفة ودية

وقد أبلغنا دولكم ذلك حتى تكون على بينة من الأمر إذا بلغكم خبر مكذوب عن الأسباب التي تضرطنا إلى أي عمل من هذا القبيل . وقد بلغتنا إشاعات مؤداها أن أعداءنا الأتداء يبدلون جهدهم في أعمال السفن ليثبتوا بها الأنعام في البحر الأحمر ولإلحاق الأضرار بمصالحنا في ذلك البحر ، وإما رجوعكم سرعة لإخبارنا إذا تحقق ذلك اليوم لديكم ، وقد بلغنا أن ابن الرشيد قد ماع للأتراك عدداً عظيماً من الجبال ، وقد أرسلت إلى دمشق الشام ، ونؤمل أن نستعملوا كل ما لكم من التأثير عليه حتى يكف عن ذلك ، وإذا صم على ما هو عليه أمكم عمل الترتيب مع العربان الساكنين بينه وبين سوريا أن يتبضوا على الجبال حال سيرها ، ولا شك أن في ذلك صالحاً لمصلحتنا المتبادلة

وقد يسرني أن أبلغ دولكم أن العربان الذين ضلوا السبيل تحت قيادة السيد أحمد السنوسي ، وهم الذين أصبحوا ضحية دسائس الأتلمان والأتراك ، قد ابتدأوا يعرفون خطاهم ، وهم يأتون إلينا واحداً واحداً وجماعات يطلبون المعو عنهم والتودد إليهم ، والحمد لله قد هزمت القوات التي جمعها هؤلاء المفسدون ضدينا . قد أخذت العرب تبصر العث والخديعة التي حاقبت بهم ، وإن لسقوط أرضروم من يد الأتراك وكثرة انهزاماتهم

في بلاد القوقاز تأثيراً عظيماً وهو في مصلحتنا المتبادلة ، وخطوة عظيمة في سبيل الأمر
الذي نعمل له وتعملون له

وبل الله عز وجل أن يكال ماعيكم بنجاح البجاح والفلاح ، وأن يهداكم في
كامل أعمالكم أحسن السبل والمناجيج وفي المهام أقدم لدولكم ولكامل أفراد أمركم
الشريعة عظيم الاحترامات وكامل ضروب المودة والإخلاص مع المحبة التي لا يزعزعا
كر الصور ومرور الأيام

كنه الخالص

السير أرتغر هنري مكرمهور

فائب جلالة لللك بمصر

تحريراً في ٦ جاد الأول سنة ١٣٣٤

الموافق ١٠ مارس سنة ١٩١٦

الكتاب الرابع

من السير مكهمون إلى الشريف حسين بن علي

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى صاحب الإحسان والبرمة وشرف المتمد ، سلامة بيت الدعوة والحسب الطاهر
والنسب الفاخر ، دولة الشريف العظيم السيد حسين بن علي أمير مكة المكرمة ، قبلة
الإسلام والسلمين أدامه الله في رمة وعلاء ، وبعد :

فقد وصلني كتابكم الكريم بتاريخ ٢٤ الحجة سنة ١٣٣٣ وسرني ما رأيته فيه من

قبولكم لإخراج ولايتي مرسين وأطنه من حدود البلاد العربية

وقد تأنيت أيضاً بمزيد السرور والرضاء تأكيدكم أن العرب عازمون على السير

بموجب تعاليم الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وغيره من السادة الحنفاء الأواين —

النسائم التي تضمن حقوق الأديان وامتيازاتها على السواء

هذا وفي قولكم إن العرب مستعدون أن يحترقوا ويموتوا بجميع معاهدتنا مع

رؤساء العرب الآخرين يعلم منه طبعاً أن هذا يشمل جميع البلاد الداخلة في حدود

الحكومة العربية ، لأن حكومة بريطانيا العظمى لا تستطيع أن تنقض امتدادات قد أبرمت بينها وبين أولئك الرؤساء . أما شأن ولايتي حلب وبيروت لحكومة بريطانيا العظمى قد صمت كل ما ذكرتم بشأنها ودونت ذلك عندها بعناية تامة ، ولكن لما كانت مصالح حليفنا فرنسا داخلة فيها ، فالمسألة تحتاج إلى نظر دقيق ، ومنعاجكم بهذا الشأن مرة أخرى في الوقت المناسب .

إن حكومة بريطانيا العظمى مستعدة لأن تغطي كل المصايف والمساعدات التي في وسعها إلى المملكة العربية ، ولكن مصالحها في ولاية بغداد تتطلب إدارة ودية ثابتة كما رسمتم ، على أن صيانة هذه المصالح كما يجب تستلزم نظراً أدق وأنتم مما تسمح به الحالة الحاضرة ، والسرعة التي تجري بها هذه المفاوضات ، وإنا نستصوب تماماً رعبكم في اتخاذ الحذر ، ولما نريد أن نلفتكم إلى عمل سريع ربما يعرقل نجاح أعضائكم ، ولكننا في الوقت نفسه نرى من الضروري جداً أن تبدلوا بمجهودكم في جمع كلمة الشعوب العربية إلى غايتنا المشتركة ، وأن نحثهم على أن لا يمددوا يد المساعدة لأعدائنا بأي وجه كان ، فإيه على نجاح هذه الجهود وعلى الدابير العملية التي يمكن أن يتخذوها لاسداف غرضنا عند ما يحىء وقت العمل تتوقف قوة الاتفاق بيننا وبياناته

وفي هذه الأحوال فإن حكومة بريطانيا قد وضعت لي أن أبلغ دولتكم أن تكونوا على ثقة من أن بريطانيا العظمى لا تنوى إبرام أى صلح كان إلا إذا كان من ضمن شروطه الأساسية حرية الشعوب العربية ، وخلاصها من سلطة الأتراك والألمان هذا وعربوياً على صدق نيتنا ، ولأجل مساعدتكم في مجهوداتكم في غايتنا المشتركة فإنني مرسل مع رسالتكم الأمين مبلغ عشرين ألف جنيه ، وأقدم في الختام عاطر التحيات القلبية ، وخالص التسليمات الودية مع مراسم الإحلال والتعظيم المشمولين بروابط الألفة والمودة الصرفة لقيام دولتكم السامية ، ولأفراد أسرتكم الكريمة مع فائق الاحترام ؟

الخلاص

نائب جلالة الملك بمصر

السيد آرثر هنري كمبراهون

قد فهم الملك حسين من هذه الكتب ومن أساديثه مع المدوين البريطانيين أن الحكومة البريطانية توافى على إنشاء مملكة عربية على الأسس الآتية :

(١) تنهد بريطانيا العظمى بتشكيل حكومة عربية مستقلة بكل معاني الاستقلال في داخليتها وخارجيتها ، وتكون حدودها شرقاً بحر خليج فارس ، ومن الغرب بحر القلزم والحدود المصرية والبحر الأبيض ، وشمالاً حدود ولاية حلب والوصل الشامية إلى مهر الثرات وبحضمة مع الدحلة إلى مضيقها في بحر فارس ما عدا مستعمرة عدن فأنها حارجة عن هذه الحدود ، وتنهد هذه الحكومة رعاية المعاهدات والمفاوضات التي أجرتها بريطانيا العظمى من أي شخص كان من العرب في داخل هذه الحدود بأنها تحمل محلها في رعاية وصيانة حقوق تلك الاتفاقيات مع أربابها أميراً كان أو من الأفراد

(٢) تنهد بريطانيا العظمى بالمحافظة على هذه الحكومة وصيانتها من أي مداخله كانت بأي صورة كانت في داخليتها وسلامة حدودها البرية والبحرية من أي تمدد بأي شكل يكون حتى ولو وقع قيام داخل من دساتر الأعداء ، أو من حسد بعض الأسماء فيه تساعد الحكومة المذكورة مادة ومعنى على دفع ذلك القيام لحين اندفاعه ، وهذه المساعدة في القيامات والنزوات الداخلية تكون ملتبها محدودة ، أي حين يتم للحكومة العربية المذكورة تشكيلاتها المادية

(٣) تكون البصرة تحت إشراف^(١) العظمة البريطانية لحين يتم للحكومة الجديدة المذكورة تشكيلاتها المادية ، وبين من جانب تلك العظمة مبلغ من القود يراعى فيه حالة احتياج الحكومة العربية ، التي هي حكما قاصرة في حضن بريطانيا ، وتلك المبالغ تكون في مقابل الإشراف

(٤) تنهد بريطانيا العظمى بالقيام بكل ما تحتاجه ربيبتها الحكومة العربية من الأسلحة ومهماتا والذخائر والقود مدة الحرب

(٥) تنهد بريطانيا العظمى بقطع الخط من مرسين أو ما هو مناسب من النقط في تلك المنطقة لحصيف وطأة الحرب عن البلاد لمدد استمدادها

هذه هي الحكومة العربية التي كان يتقبلها الملك حسين ، ويسمى لها بمختلف الوسائل ، وسواء كانت هذه الحكومة بهذا الشكل تنفق مع آمال أحرار العرب أم لم تحقق ، فالتك حين كان يرى أن حكومة عربية يكون هو على رأسها تسدها بريطانيا بما لها صلاحها تكون مقدمة لحكومة عربية مستقلة استقلالاً تاماً من جميع الوجوه

بدأ ينفذ خطه بإعلان نفسه ملكاً على العرب في أوائل سنة ١٣٣٥ - ٢٩ أكتوبر سنة ١٩١٦ ، فكان هذا الإعلان الذي لم يسبقه تقدم مع أسراء العرب ، ولا مع الحلفاء مثيراً لشكوك أسراء العرب ، كما أنه لم يقابل بالارتياح من قبل الإنجليز والفراسيين

فالتك بن سعود يقول إنه احتج على إعلان ملك حسين نفسه ملكاً على العرب ، فإنه حين كتب إليه عقب هذا الإعلان بطلب الدخول في مفاوضات لتحديد حدود نجد والحجاز والقبائل التابعة لكلا البلدين ، أجابه ملك حسين أي حدود نطلب ، إننا إما محبون أو سكران ، فم يسع أمير نجد إلا الاحتجاج على هذه الإهانة ، وأشر إنجلترا بأن الحالة مستضرة للدخول في قتال ضد ملك حسين ، لأن الرجل يصير الشر لنجد وأمير نجد ، فتدخل الإنجليز في الأمر مؤثقتين وحالوا دون ونوع الحرب بين الفريقين ، وذلك سكنت الزوامة ، وفي الوقت نفسه اضطروا ملك حسين إلى إلقاء القنب الجديد مكنياً ملكية الحجاز

فكان هذا أول قبيلة أصابت آمال ملك حسين ، كما أنها دلت على أن الإنجليز والفراسيين لا يشركون ملك حسين في صمه للمملكة العربية ولكن الملك حسين كان كله آمالاً وأن جميع المقدم ستحل بعد انتهاء الحرب لصالحه ، وأن المستقبل سيكون في مصلحته ، وأن استكثرت استعمل كل ما يمكن لإرضائه وإرضاء أماني العرب الذين ثاروا ضد الأتراك في صف الحلفاء

وماداً كانت يسع الملك حسين عنه بعد إعلان الثورة وطرد الأتراك من بعض المدن الحجازية

وتد صرف الملك حسين كل هم لإخراج الترك من الحجاز وسائر المدن العربية

مذكراً إنجترا كلها منحت الفرصة بالملكة العربية وآمال العرب فيها ، وكان قواد
إنجلترا في بعض المباحث يضررون على هذا التوتر الحساس مثل منشور الجنرال مود بعد
فتح بغداد وغيره من سياسى الحلفاء .

وبما أن القضية العربية أخذت شكلها الجدى بعد أن وضعت الحرب أوزارها وعلى
مائدة مؤتمرات الصلح ، نرى زاماً علينا أن نعالجها بشيء من التفصيل مستعينين بصوء
الوثائق لا سيما التي لم يسبق نشرها قبلاً .

مؤتمرات الصلح

قبل أن نتناول موضوع القضية العربية في مؤتمرات الصلح يجب علينا أن نرحم قليلاً إلى البلاد العربية قبل الحرب وتسرب نفوذ الأجانب إليها ، فإن ذلك سيعايدنا كثيراً على تفهم الحالة من كل وجوها .

كان احتلال تركيا القلبي موجوداً فقط في العراق ، وسوريا ، وفلسطين ، ومكة ، والديرة ومدن الحجاز الساحلية ، وشاطيء عسير ، ولبنان ، ولكن النفوذ الأجنبي القوي كان يسرب إلى هذه البلاد ، فلم يبق للحكومة كبير احترام في نفوس رعاياها ، أما الجزء الشرقي الجنوبي من بلاد العرب من الكويت إلى عدن لم يكن للأتراك سلطة يعتد بها ، بل كان النفوذ الإنجليزي متغلباً ، ولو أنه لم يكن مباشراً إلا في عدن .

لقد كان النفوذ الإنجليزي سائداً في بغداد والبصرة وسواحل ما بين البحرين ، كما أن المصالح الإنجليزية كانت متشعبة هناك ، ولكنه كان ضعيفاً في سوريا وفلسطين ، والنفوذ الأجنبي الآخر الذي كان يعمل بنشاط هو النفوذ الفرنسي والألماني ، والفرنسيون الذين يعتبرون أنفسهم حماة المسيحية في الشرق قد أسسوا نفوذاً قوياً على شواطيء سوريا بما أسسوه من المهاد ، وعما عملوه لنشر ثقافتهم ولغتهم في تلك البلاد . وفي السنوات التي سبقت الحرب جاء الألمان ينافون الفرنسيين ، ولكن قصر المدة لم يتمكنهم من إيجاد أي أثر في سوريا وآسيا الصغرى ، وإن إنشاء السكة الحديدية (الآستانة — بغداد) قد جعل للألمان نفوذاً لا يستهان به .

أما في فلسطين فإن النفوذ الأجنبي كان دينياً في الأكثر ، إذ يعتبر مسيحيو العالم القدس أرضاً مقدسة ، وقد تأسست بعثات مسيحية أهمها ألمانية ، كما أسس غيرها من البعثات الأجنبية الدينية والعلمية . وبيت المقدس محترم أيضاً عند المسلمين ولم فيه آثار دينية من أديم المصور . وقد وضع اليهود أساس حركتهم لإنشاء مملكة يهودية في فلسطين ، تلك الفكرة التي لا يزال اليهود يحملون بها منذ كارتهم الكبرى .

وزيادة على ذلك فإن سلطة الأتراك في آسيا الصغرى لم تكن قوية ، نتيجة ما بهض
الحكومات الأوروبية من سلطة الامتيازات الأجنبية في المسائل التجارية والقضائية
هذه حالة تركيا قبل الحرب الكبرى ، أما بعد معامرتها في ٣١ أكتوبر سنة
١٩١٤ ، فقد كانت تركيا حريصة على أن لا تفقد شيئاً من أطرافها لاسباب البلاد المقدسة ،
فإن إقداسها يضر الخيانة ضربة قاصية ، و وراء تركيا ألمانيا التي تعلم في تأسيس
امبراطورية الشرق الأوسط الألماني ، تدمرها وتمدها بجميع المساعدات المادية والأدبية
هذا الخفاء . هذا من جانب ، ومن جهة أخرى فرنسا تريد بسط نفوذها وتوطيد منطتها
في الشرق الأدنى ، لأنها حامية المسيحية ، ولكنها عاجزة عن إثارة حرب أخرى خارج
بلادها ، واليهود يحاولون تحقيق أحلامهم القديمة ، والعرب يتطلعون إلى استرداد حريتهم
واستقلالهم بعد امكسار تركيا . وبحيىء بعد هؤلاء الإنجليز ، وهم ليسوا بأقل من هؤلاء
بالمر إلى مصالحهم المديدة في خليج فارس والبلاد العربية ، تلك المصالح التي من أجلها
جعلوا لهم السيادة في خليج فارس كما قال The Duke of Argyll في سنة ١٨٧٠ ، والتي
من أجلها أيضاً صرح اللورد لاسدون سنة ١٩٠٣ بأن بريطانيا تعتبر إنشاء قاعدة
بحرية ، أو تحصين أى ميناء على خليج فارس كتهديد لمصالحها التي يجب حمايتها بكل
ما يؤديه معنى الحماية من معان

لذا فقد كانت السياسة الحربية البريطانية في الشرق الأدنى ترمى إلى عاتين رئيسيتين :
الأولى أن تحتل رأس الخليج الفارسي فتحمى منابع الزيت ، وتمنع العدو من تأسيس
مراكز بحرية تهدد المواصلات البريطانية مع الهند ، والثاني أن تحتفظ بهذه المواصلات
مع الهند مفتوحة عن طريق قناة السويس والبحر الأحمر

هذه هي المهمة التي كانت تسود بلاد العرب والتي على أساسها تم الامتداد والندم
من بريطانيا وفرنسا سنة ١٩١٦ على تحديد هود كل دولة منهما ، وعليها أيضاً كان
اتحاد مؤتمر الصلح

ولكن العرب الذين خاضوا غمار الحرب كانوا يجهلون كل ما تم في الخفاء أو

كانوا لا يمتثلون به لأنه متاقص لشروط ويلسن التي اخارها الحلفاء لإعلان الهدنة وأساساً للصالح

موقف الملك حسين من مؤتمر الصلح

يجب علينا أن نذكر هنا الحقائق الآتية خدمة للمراجع

(١) إن الملك حسين كان يثق ببريطانيا ثقة لا حد لها ، وكان يعتقد اعتقاداً لا يشوبه أدنى شك أن بريطانيا التي قادت العالم ضد ألمانيا ستسمى بكل الوسائل المسكنة لتكوين المملكة العربية كما يفهمها وأن الأتراك حاولوا في أثناء الحرب التأثير في هذه العالمة بإيجاد جو من الشكوك في نفوس العرب فلم يفلحوا .

لقد كتب جمال باشا إلى الأمير فيصل يخبره بما نشره الروس من وثائق تثبت ما اعتزمه الحلفاء من تقسيم البلاد العربية^(١) واستعداد الأتراك لعقد صلح مع العرب أساسه استقلال البلاد العربية ، ولكن الملك حسين الذي لا يشك في نيات بريطانيا رفض اليد التي قدمها جمال باشا بعد تأكيدات بريطانيا^(٢)

(٢) إن الملك حسين لثقته ببريطانيا كان يعتقد من كل قلبه أنه لا فائدة من المؤتمرات ، وأن إرادة بريطانيا وبدها فوق المؤتمرات وفوق كل شيء

وترى هذا واضحاً تمام الرضوح في كتاب الملك حسين إلى نائب الملك بمصر (٢١ أغسطس سنة ١٩١٨ — ٢١ ذي القعدة سنة ١٣٣٦) حيث يقول :^(٣)

« أما عطف الأمر وتعليقه على مؤتمر الصلح ، فالجواب عليه من الآن بأن لا علاقة لنا به ، ولا مناسبة بيننا وإياه حتى ننظر منه سلباً أو إيجاباً ، ولو قرر المؤتمر المذكور إضعاف مقرراتنا ، وكان ذلك من غير وساطتكم وقبلناها ، فكأن من المبرورين من

(١) يشير إلى سامنته سايكس — بيكو

(٢) في الدليل من الكتائب

(٣) من الكتائب المذكور في الدليل

رحمة الباري حل شأنه الرقيب على قولى هذا ، الذى أتوسل إليه أن يولانا جميعاً بنفايات وأمنه الأبدية .

وضعت الحرب أوزارها ، وتبيل الأتراك شروط الهدنة ، وانسحبوا تماماً من البلاد العربية التى أشعلت مآتموات الإمبريالية الصربية ، فيما بين الموصل والبصرة ولسطين ، والقوات الإمبريالية والعربية وبعض القوات الفرنسية فى الجبهة السورية .

اعتقد الملك حسين ومن ألف حوله ، أنه ما دام الإنجليز هم الشاغلين للبلاد العربية ، فسيقومون بتشييد المملكة العربية المتحدة ، غير أن هنالك اعتبارات خطيرة أمام الحكومة البريطانية ستحول دون هذه الأمنية ، ولما محالها الأول فى نظرم ؛ هنالك معاهدة (سايبكس — بيكو) التى عقدت بين فرنسا وبلجيترا سنة ١٩١٦ وأفضى أمرها الروس ، وهنالك العهد الذى قطعه الإنجليز للصهيونيين سنة ١٩١٧ وفرنسا دولة عظيمة لها نفوذها الدول وقوتها الحربية ، واليهود لهم مكانتهم المالية ونفوذهم المتنوى ، وجانبهم أقوى من جانب العرب . غير أن العرب الذين خاضوا غمار الحرب بغية الوصول إلى نعيم الاستقلال لم يبالوا بما أمامهم من المشاكل ، واستسلموا كل صعب فى سبيل غايتهم المقدسة ، وبالفعل فإنهم ساروا فى الطريق الذى كانوا يعتقدون أنه متفق تمام الاتفاق مع ما كانوا يعتقدون أنه حق لهم ، ومع ما كانوا يفهمونه من تصريحات قواد الحلفاء ، فبمجرد أن دخل الأمير فيصل (المرحوم الملك فيصل) طاعماً إلى دمشق فى أوائل أكتوبر سنة ١٩١٨ أرسل الجنرال شكرى باشا الأيوبي حاكماً عسكرياً على بيروت ، فذهب للموى إليه وجلس فى سراى الحكومة مدلاً من وإلى التركى الذى انسحب من هناك .

فى أواخر أكتوبر احتل العرب اللاذقية ، واطاكية ، وبيلان ، والاسكندرونه ، فثار المردسيون واعتدوا هذا العمل حرقة لمعاهدة (سايبكس — بيكو) واضطروا الإنجليز أن يأمرؤا العرب بإحلاء البأماكن الساحلية ، فكان ذلك أول ضربة أصابت آمال العرب وأمانتهم .

أشارت المملكة البريطانية المتحدة على الملك حسين أن يرسل من قبله مندوباً إلى

مؤتمر الصلح ، فقبل الإشارة وعين ولده الأمير فيصلا مسدوباً عنه ، وردده بالتهلراف الآلى الذى يدل على ميلغ آمل لك حسين فى بريطانيا :

« حليمتنا الودية بريطانيا العظمى ترغب حضورك دائماً عن مصالح العرب ، وكل ما يكون أساساً لحياتهم سواء ما يتعلق بالحدود أو لإدارة مما هو معلوم لديك فى مجتمع سيفقد فى باريس فى ٢٤ نوفمبر الحارى ، فافداً لراى عظمتها توجه بكل سرعة بمكة لباريس بعد مذاكرتك لخدمة القائد العام فى كيفية سترك وطريقه . » ، وبعد تقرير ما ترونه لحالات البلاد وإدارتها فى مدة غيابك الذى لا يجاوز تقريباً شهراً ، وحيث أن رايضتنا الوحيدة هى المنظمة البريطانية ، ولا علاقة لنا ولا مناسبة مع سواها فى أساسنا السياسية ، فكل ملاحظتك وما تراه فى الوضوع تبديه لوائها وعظمتها الأمامية إن كانوا زملاءك فى المجتمع أو معنديها السياسيين ، وما يكلفوك به من قول أو عمل إن كان فى المجتمع أو فى سواء عمل به ، وتحتب كل ما سوى ذلك ، هذه درجة ماذويتك عما يختص بالمجتمع ، وسير الأهالى بالمصلحة والقصد والله يتولاك . »

الأمير فيصل بباريس !!!

لقد قام الأمير فيصل بما يجب عليه من الدفاع عن قومه ، فسط لمؤتمر السلام القصية العربية ، وعود الخلفاء لوالده ، وآمال العرب فى عدل الخفاء^(١) ، فكان أول جواب عمل اسمه مذكرة متر لويد جورج الأورخة فى ١٣ ستمبر إلى كل من الأمير فيصل والحكومة الفرنسية . وتقضى هذه المذكرة :

- (١) انسحاب الجيوش الإنجليزية من سوريا وكنكية فى أول نوفمبر سنة ١٩١٩ .
- (٢) يحل محل الحاميات البريطانية جنود فرنسية فى غرب الخط المتبر فى معاهدة سايكس بيكوفى كنكية .

(٣) القاطعات التى تنق فيها الجيود الإنجليزية فى العراق وفلسطين ، وهذا الاحتلال مطابق للاتفاق المقود فى ديسمبر سنة ١٩١٨ بين السيوكليصور والمستر لويد جورج

(١) راجع فى المذكرة فى التبل .

كانت هذه المذكرة أول ضربة لأمانى لأشراف وآمال العرب ، ولذا فإن الأمير
وبملا أجاب على هذه المذكرة بمذكرة أخرى بتاريخ ٢١ سبتمبر تشتمل على القطب الآتية :

(١) إجحاف هذا القرار بقانون المدل ، وما كان يتوقعه العرب من الحلفاء ، وقد
تلقى الملك حسين ما يؤيد هذا من وزارة الخارجية البريطانية عند ما أداع جمال باشا ما عثر
عليه الوثليكميك من أمر هذه الاتفاقية وغيرها

(٢) إنه ما دام هذا التغيير مؤقتاً فما هي الضرورة للنجثة لهذا التمييز ، ولماذا لا يبقى
الاحتلال البريطاني كما هو إلى أن يتم الصلح مع تركيا

(٣) الاحتجاج شدة على تعيين الحدود لأنه مقدمة لتجزئة البلاد

(٤) إذا كان لابد من انسحاب الجيش البريطاني من سورية ، فيجب أن تسحب
أيضاً سائر الجيوش الأوروبية ، وترك المسؤولية للجيش العربي

(٥) رخص العرب لتحرية بلادهم وإسكارهم لكل اتفاق لم يكن لهم علم به

وفي ٢٣ سبتمبر أرسل الأمير فيصل كتاباً^(١) إضافياً إلى رئيس الوزارة البريطانية
يشرح فيه روضه للبحث مع القائد العام للجيشو للتحالفة في سورية في مسألة الاحتلال ،
ويطالب بإعادة السواحل إلى الجيوش العربية كما كانت عليه الحال في أوائل الاحتلال ،
وهي تتولى مسؤولية الأمن وحماية البلاد ، أو إبقاء الحلة على ما هي عليه الآن حين
إبرام الصلح مع تركيا

الأمير فيصل في لندن

رأى الأمير أن يوم لندن لهه يجده مساعداً هالك لحل المسائل التي تعقدت وكادت
تخييب آماله العرب

فكان باكورة أعماله إرساله مذكرة إلى رئيس الوزراء بتاريخ ٩ أكتوبر^(٢)

(١) إسكار اتفاق باريس والاصرار على مضمون المذكرة المؤرخة في ٢١ و٢٣ سبتمبر

(١) راجع من الكتاب في القيل

(٢) راجع من المذكرة في القيل

(٧) التأكيد بأن انسحاب الجيوش البريطانية سيحدث أسوأ الأثر في سوريا
ويؤدي إلى كارثة عظيمة

وقد ختم سموه المذكورة بالطلبات الآتية :

(١) إلقاء القرار الباريسي أو على الأقل إرجاء العمل به

(٢) عرض المسألة كلها على مؤتمر السلام لتسويتها النهائية بدون تأجيل النظر
فيها من المؤتمر بأجمعه ، أو من لجنة فرعية مؤلفة من أعضاء بريطانيين وفرنسيين وعرب
تحت رئاسة أحد الأمريكان للبحث في هذه المسألة الخطيرة ، وتقديم تقرير عنها إلى مؤتمر
السلام . فتلقي سموه جواباً مطولاً من وزارة الخارجية بتاريخ ٩ أكتوبر^(١) يتضمن :

(١) وصول الملاحظات الابتدائية على مذكرة رئيس الوزراء (التي أرسل منها
نسخاً أيضاً إلى كل من المستوفوك مندوب الولايات المتحدة ، وإلى السيور تيتوف
مندوب المملكة الإيطالية)

(٢) أن المذكرة المذكورة لا تعبر عن اتفاق سابق بين الحكوميين ، بل تشمل
مقترحات قدتها الحكومة البريطانية من تلقاء نفسها عن الاحتلال العسكري في الولايات
التي كانت نابعة لتركيا إلى أن يقرر مؤتمر السلام مستقبلها نهائياً

(٣) أن المقترحات التي تتمسك بها الحكومة البريطانية لم تضعها إلا بعد أن
قررت أنه يستحيل عليها أن تستمر على احتلال سوريا بالجيوش البريطانية

(٤) أن الحكومة البريطانية لا ترى أن هذا القرار مغاير للمهود التي عقدتها
حكومة جلالة الملك مع الملك حسين

(٥) رفض الطلبات التي انتزعتها الأمير فيصل ، لأن الشعب السوري عاجز عن
القيام بثبوت نفسه في الوقت الحاضر ، ولأن تجربة هذا الحل الذي أشار به سمو
الأمير يكون مضرراً لترقي الشعب السوري سريعاً ، وبالنسبة لاستقلال الشعوب
السورية العربية

(٦) أن تعهدات الحكومة البريطانية للحكومة الفرنسية قد يبتها الحكومة البريطانية لذلك حسين قبل دخوله الحرب

(٧) أن الحكومة البريطانية لم تقطع إلا بعد صعوبة أن توطد لسموك تأسيس مملكة عربية مستقلة في ذلك القسم من سورية المشتل على دمشق ، وحماة ، وحصص ، وحلب

(٨) يصح الحكومة البريطانية للأمير فيصل بقبول التدبير المؤقت الذي أشارت إليه المذكورة ، والبحث — حالا — في هذه الدايير مع الحكومة الفرنسية

وبعد هذه المذكرة اجتمع سمو الأمير فيصل ومعه الجنرال حدّاد باشا والشيخ فؤاد الخطيب في وزارة الخارجية البريطانية بالورد كرزون ومعه الكولونيل كور واليس نائب المعتمد البريطاني بدمشق ، والكولونيل سترايج ، ودار البحث تفصيلا في الموضوع ، وقد أحبر الورد كرزون الورد العربي بأن الفرنسيين يرون أن محل البحث هو باريس لا لندن ثانيا لا يرين ضرورة لا شترك عضوا أمريكي في الموضوع لا إذا رغبت أمريكا نفسها في ذلك الاشتراك

وقد أشار الورد كرزون على الأمير فيصل بالفر حالا إلى باريس والاتصال بالفرنسيين ، فإن ذلك يكون أمح لقصد ، وأن الفرنسيين قد لا يرتاحون لمفاوضات الحاربة في لندن ، فلم يسع الأمير إلا قبول الصبح الذي أسدى إليه ، وسافر إلى باريس مرة أخرى

الامير فيصل في باريس للمرة الثانية

بمجرد وصول الأمير فيصل إلى باريس أرسل مذكرة^(١) بتاريخ ١٢٥ أكتوبر إلى رئيس المؤتمر ميو كلينصو تتضمن :

(١) علم الأمير فيصل رأى الحكومة الفرنسية في مذكرة المستر لويد جورج المؤرخة في ١٣ سبتمبر القمصى برد جميع الاقتراحات ما عدا اسحاب الحيشو البريطانية من كليكية وسوريا

(١) راجع نص المذكرة في الدبل

(٢) اعتراض الأمير فيصل على هذا الانسحاب ، وتحذير فرنسا من السير في الموضوع حيث إنه سيقتضى على السلم في البلاد العربية ، التي سيعتقد أهلها أن الحلفاء لا يزالون يريدون تقسيم بلادهم

فرد مسيو كليمنصو على كتاب الأمير بكتيب^(١) مؤرخ في ٢ نوفمبر سنة ١٩١٩ وأخبره :
(أولاً) بوصول كتابه والاضطراب لدى أحده في نفس الأمير قرار المؤتمر الصادر في ١٥ سبتمبر ، بشأن انسحاب الجيوش البريطانية من سورية وكلايكية ، واستبدلها بجيوش فرنسية

(ثانياً) اقترح سمو الأمير تأليف لجنة بم عهد إليها درس طرق انسحاب الجيوش البريطانية ، وإيجاد إدارة مؤقتة تصون وحدة البلاد وتحفظ النظام والمناطق المختلفة الخاضعة لسلطانها (ثالثاً) التأكيد لسمو الأمير بأن الحكومة الفرنسية لم ترل ترغب بكل إخلاص في توطيد دعائم الحكم المؤدى إلى الحرية والرق والنظام في سوريا والعراق ، وسائر بلاد الشرق المحررة بفصل انتصارات الحلفاء ، عملاً بمبادئ سياستها الحرة التي هي نفس المبادئ لمؤتمر السلام ، وأن الثقة العنوية المؤسفة بين العرب وحلفائهم في أيام الحرب ستساعد على توطيد علاقاتهم

(رابعاً) رفض اقترح تعيين اللجنة لأنه فضلاً عن أنه مشوش للحالة الخاضعة فإنه يخالف لقرار المجلس الأعلى ، في ١٥ سبتمبر أعلن المستر لويد جورج للمؤتمر بأن الجنود الانجليزية منسحب من كلايكية وموريا ، وقد طلب استبدالها بجيش فرنسية وقد وافقه المجلس الأعلى

(خامساً) أن المسيو كليمنصو مقنع بأن رؤساء الجيوش الفرنسية قادرين على تطمين الأهالي وحفظ النظام في جميع المناطق التي ستمتثلها الجيوش الفرنسية بدلاً من الجيوش الإنجليزية ، وعلى الأمير بمأخذه من السلطة أن يفعل ذلك في الشام وحلب

(سادساً) أن الحكومة الفرنسية مستعدة لتلبية أول طلب يصدر من سمو الأمير بمساعدته على صون النظام ، فيما إذا اختل بأغراض المحرضين الذين لا يقدرّون على غير إلحاق الضرر بمنافع العرب

(سابعاً) استعداد الحكومة الفرنسية للظفر مع سمو الأمير في جميع الشؤون الخاصة بالمصالح المشتركة

نقد كان لهذا الرد أثر عميق في نفس الأمير ، ويصل ؛ ولذا فإنه أرسل كتاباً آخر بتاريخ ٥ نوفمبر للرد على المذكرة الفرنسية ، وقد تضمن الكتاب القطب التالية (١) .
(١) شكر الحكومة الفرنسية على مودتها التي مارالت تظهرها نحو الأمة العربية ، ورعتها الخاصة في تأييد حكم يصمن الحرية والطام والرق في سوريا والعراق ، وسائر البلاد العربية المحررة

(٢) حرصاً على توطيد عرى الثقة بين العرب والحلفاء قد ألح سمو الأمير في كتابه المؤرخ ٢٥ الشهر الماضي وحوث تأليف لجنة تبحث في اسحاب الجيوش وتأسيس إدارة مؤقتة في سوريا تكفل وحدتها وفقاً لرئائب الشعب

(٣) أن مذكرة مسترلويد جورج التي كانت منار البحث ، والتي لم توافق الحكومة الفرنسية على مجمل ما احتوته ، نشأت عن تنفيذ معاهدة (سايس — بيكو) السرية ، فليس القصد من هذا التبديل الجديد سحب الجند فقط بل تحديده مناطق سياسية واقتصادية ، وتقرير مصير بلادنا وفقاً لمصالح لا تنعق مع مصالحها ، ولهذا فقد لقت نظرة الحكومة البريطانية إلى هذا الأمر وبعد المناقشات المديدة والاجتماعات المتوالية ، قبلت مبدئياً تأليف لجنة للظفر في هذا الشأن

(٤) أن الخوف على مستقبل البلاد قد أوجد اضطراباً في الأمة العربية ، وهذا الاضطراب لا يسكن إلا إذا أزيل الأمر السيئ الذي ولدته النوايا الأخيرة

وأن الشعب السوري لا يمكن أن ينلعب به المخرضون بقصد إخلال الراحة والأمن به ، وأن هذا الشعب لا يحجم عن أن يهب مرة أخرى للدفاع عن حريته وكيانه .

(٥) ذكر في المذكرة الفرنسية أن الحكومة الفرنسية على يقين من إخذاد كل حركة قد تنور في الجهات التي احتلتها ، والحقيقة أن الحركة التي ستثور في كل البلاد لا تنشأ من أعمال المخرضين بل حركة وطنية عامة ، ولا يستطيع سمو الأمير أن يستعين بمخضود

(١) راجع نص الكتاب في القبل .

أجنبية لإخفاء حركة وطنية تمت واختبرت تحت بيانات الحماة الرسمية وتأثيرها .

(٦) اندعاش سمو الأمير من قرار مؤتمر الصلح بدوثة دعوته لسباع ما لديه

من الملاحظات .

(٧) إلحاح الأمير في الدول عن مسأله إحلال الحمود الفرنسية محل الجنود البريطانية

ورغبته الصادقة في الوصول إلى اتفاق نهائي يضمن للأمة العربية التقدم والرقى مع

الحرية والاستقلال .

غير أن الحكومة الفرنسية أصرت على نظرائها ولم تصنع إلى مقترحات الأمير ؛ ولذا

بأن الأمير رجع إلى الإنجليز مرة أخرى لئلاهم يساعدونه في حل هذا المشكل ، وهو يستند

أن أمثال هذه المشاكل لا يستعصى عليهم حلها .

كتب الأمير مذكرة^(١) لستر لويدي جورج بباريس بتاريخ ٦ نوفمبر سنة ١٩١٩

يشرح فيها ما لقيته مفاوضاته مع الفرنسيين ، ورفضهم تشكيل اللجنة التي كان الإنجليز

قبولها ، وأن الفرنسيين لم يقصدوا بدعوته إلا اجتماعه مع الجنرال غورو الذي صرح

للأمير بأنه سيضطر إلى تنفيذ كل الأوامر التي يتلقاها وأنه مع كرهه لسفك الدماء لا يحجم

عنه إذا دعت الأوامر . وانتمى الأمير في آخر كتابه مساعدة رئيس الوزراء الإنكليزية ،

وفي ٢١ نوفمبر أرسل مذكرة^(٢) إلى رئيس الحكومة البريطانية محتج فيها باسم والده على

ما يراد من احتلال بعض الأراضي السورية ، وبطلت مساعدتها وبذكرها بمعاملاتها مع

الملك حسين . ويظهر لنا من البرقية التي أرسلها سمو الأمير لوالده في ٢٢ نوفمبر سنة ١٩١٩

التي فيها يصرح بأن الحكومة الفرنسية مصرة على إشغال أقسام مهمة من مقاطعات

دمشق ، وحلب ، نسكاً بمذكرة ستر لويدي جورج ، وأن الأمور كانت سائرة في اتجاه

مضاد لما كان يريده الأمير ويسعى إليه ، ولكن يظهر أن توسط بريطانيا قد أثمر ،

ففي ٢٦ نوفمبر أي بعد إرسال البرقية الأولى بأربعة أيام أرسل^(٣) الأمير فيصل إليه

شقيقه الأمير زيد نائبه في سوريا ، وأرسل وزير الخارجية الفرنسية إلى الجنرال غورو

(٢) راجع نص المذكرة في القيل

(١) راجع نص المذكرة في القيل

(٣) تجد نص البرقيتين في القيل

الاتفاق المؤقت الذي تم بين سموه وبين وزارة الخارجية الفرنسية ليقوم الطرفان بتنفيذه ويقضى هذا الاتفاق :

(١) تأليف لجنة من فرنسي وأنجليزي وعربي لأجل نسوية المشاكل التي قد تحدث بين الماطق .

(٢) انسحاب الجنود العربية من القلاع مع بقاء الدرك العربي فيها لحفظ النظام والأمن تحت أوامر القاعقام .

(٣) لا تحتل الجنود العربية القلاع ولا محلا آخر من الماطق المحصورة .

(٤) تشكيل لجنة من ثلاثة ضباط فرنسيين وثلاثة عرب للاعطة حسن تنفيذ وظائف الشرطة والدرك في تلك الجهة ورفع تقريرها إلى القاعقام .

وفي نوفمبر سنة ١٩١٩ أرسل مسيو برتولو السكرتير العام لوزارة الخارجية الفرنسية كتاباً^(١) للأمير فيصل يسر فيه عن سرور مجلس الوزراء بالاتفاق على اللجنة العسكرية . الذي كان نتيجة لروح التآلف المتبادل ، غير أن مسيو برتولو صرح الأمير بصلاح أن ما تم الاتفاق عليه هو تنازل مؤقت من الحكومة الفرنسية عن حقها الذي صادق عليه المؤتمر . وأنه إذا لم يؤكد هذا الاتفاق باتفاق مرضي وقاطع إلى ثلاثة أشهر فليكن معلوماً أن الفريقين يستأنفان حرية العمل .

غير أن هذا الاتفاق لم يمس على تنفيذه وقت طويل ، فإن السلطة العسكرية الفرنسية رأت أن تقع الثورة الوطنية التي بدت في الأحزاب العربية والشباب العربي ، وأن أي صفة صدر أو تهاون قد يجعل مركزها في صور ياحرجا ، وفي ١٤ ديسمبر سنة ١٩١٩ حدث اعتداء على ضابط الارتباط الفرنسي وقتل وجرح جاويشه ، فأرسلت القيادة الفرنسية قوة من الجنود فاحتلت بلبك ، فاحتج الأمير فيصل على هذا الاحتلال المخالف لروح الاتفاقية بكتاب مؤرخ في ١٩ ديسمبر ، وأعاد الاحتجاج بكتاب آخر مؤرخ في ٢٢ ديسمبر سنة ١٩١٩^(٢) ، غير أن الاحتجاجات لم يكن لها أثر يذكر .

(١) وأرجع من الكتاب في القبل .

(٢) وأرجع من الكتابين في القبل .

رجوع الأمير فيصل إلى سوريا

وإعلان الملكية في دمشق

سبقت الأمير فيصلاً إلى سوريا إشاعات كثيرة منها : أنه عقد اتفاقاً أولياً مع الفرنسيين في باريس في ٦ ديسمبر يتضمن الاعتراف بالانتداب على سوريا وطلب المستشارين اللازمين لتنظيم الإدارات الملكية ، والمالية ، والأشغال العمومية من الحكومة الفرنسية وحدها ، ومدربين للدرك والشرطة ، كما أن الاتفاقية أعطت الأمير فيصل حق تعيين مندوب مفوض في وزارة الخارجية للدفاع عن الشؤون السورية ، كما أن الممثلين السياسيين والتفاسل الفرنسيين في الخارج يقومون بتمثيل المصالح الخارجية للدولة السورية . وشاع أيضاً في سوريا أن الاتفاق الأول عدّل في ١٦ ديسمبر باتفاق آخر في ١٢ مادة لا يخرج في حوهمه عن الاتفاق الأول ، وإن كان فيه شيء من التعديل فيما يخص بعمل المستشار المالي ، وإعطاء حق الأولوية العامة للفرنسيين في المشروعات والقروض المحلية ، واعتبار اللغة الفرنسية لغة إضافية إجبارية بعد اللغة العربية . وقد قضت الاتفاقية الأولى والثانية على كتمان هذا العهد من الترفيقين إلى وقت الإيضاء النهائي .

لقد نشرت الصحف هاتين الاتفاقيتين في وقتها ، كما نشرها بعض المؤلفين العرب بدون أن يخبرونا عن المصادر الوثيقة التي استقوا منها هذه المعلومات . وإننا لم نعرفها لدينا من الأوراق على شيء يتعلق بهذا الاتفاق . غير أنه في الكتاب المؤرخ في ٢٦ نوفمبر المرسل من سمو الأمير فيصل إلى السيد برتلو السكرتير العام للأموال السياسية الذي يشكره فيه على الحل الموفق الخاص بسحب الجنود الإنجليزية ، وتعيين لجنة مشتركة الخ . جاء في الكتاب المذكور الجملة الآتية :

« وإنني لم أزل منذ وصولي إلى باريس أمراً كما هو معلوم لديكم على هذه النقطة ، وهي أن تصدى كان الوصول إلى عقد اتفاق مع الحكومة الفرنسية التي مع قبول ما يضمن للشعب السوري سيادته الوطنية ستمنح للبلاد يطلب مني معونها المالية ،

ومستشارين يقصد التعاون الودي مع الحكومة العربية الوطنية المؤسسة من قبل الأهلين .

وسواء كان الاتفاق المشار إليه صحيحاً أو غير صحيح ، فإن الأمير فيصل كان يود من كل قلبه الاتفاق مع الفرنسيين والاستعانة بهم على تسيير دفة الحكومة العربية ، غير أن سموه حينما وصل دمشق لم يجد حوها السياسي ملائماً لما كان يريد ؛ فهبت الأحزاب في وجهه لا ترضى بغير الاستقلال التام بديلاً ، وأطلت زمام الأمور من يد القادة ، ووجد الشباب السوري (والشباب في كل بلد) قوة ريشة تندفع إلى ما تعتقده الحق بدون أن تفكر في النتائج التي قد تنتج . كثرت المصاهبات في البلاد ، وقامت المنازعات الطائفية مرة أخرى ، وهذا بالطبع لم يكن برضاء أو إيساز الحكومة الوطنية السورية ، بل الظروف التي أحاطت بالبلاد هي التي حركت المنازعات من جديد .

وأخيراً دعى المؤتمر السوري مرة ثانية للبت في قضية الاستقلال وإعلان الأمير فيصل ملكاً على سوريا ، وأعلنت الأحزاب على اختلاف نزعاتها رفض الانتداب الفرنسي على سوريا . كما رفضوا الانتداب البريطاني على فلسطين ، فاجتمع المؤتمر السوري العام وقرر في ١٦ جمادى الثانية سنة ١٣٣٨ — ٧ مارس سنة ١٩٢٠ بإجماع الآراء استقلال البلاد السورية بمحدودها الطبيعية ، ومنها فلسطين مستقلاً تاماً . لا شائبة فيه على الأساس الذي النيابي ، وحفظ حقوق الأقلية ورفض مزاعم الصهيونيين في جعل فلسطين وطناً قومياً لليهود أو دار هجرة لهم ، واحاروا سمو الأمير فيصل بن الحسين ملكاً دستورياً على سوريا ، وأعزى انتهاء الحكومات الاحتلالية العسكرية الحاضرة في الماطق الثلاث . وقد حذا العراقيون القيسون في سوريا حذو إخوانهم السوريين فاحتاروا فادتهم الموجودين في سوريا الذين شكلوا المؤتمر العراقي الذي اعتمد بجانب المؤتمر السوري وأعلن استقلال العراق وانتخاب الأمير عبد الله ملكاً له .

وفي يوم الاثنين الموافق ١٧ جمادى الثانية سنة ١٣٣٨ هـ — ٨ مارس سنة ١٩٢٠ يوبع الملك فيصل ملكاً على سوريا ، كما يوبع شقيقة ملكاً على العراق ، وتأنقت بعد ذلك الوزارة السورية الثانية برئاسة هاشم بك الأمامي .

لم يقابل البريطانيون والفرنسيون هذه الحركة بالرضا واعتبروها تحدياً لهم ، وبالطبع فإنهما لم يحررا بالمحيرات التي وقعت في المنطقة السورية ، وامتد جرت حوادث احتكاك كثيرة بين السلطات العربية والحكومة الفرنسية حملت سوء الفهم بزيادة بين الفريقين ، فاجاب السوري بنظر إلى الفرنسيين ، نظر المتعمر الذي يريد استبعاد الشعب والحكم فيه ، والفرنسيون ينظرون إلى السوريين نظر المخرض السكاره لهم ، العامل على خلق المتاعب في ميلهم ، وبالرغم مما كان يبذله القلاء لتكليف الحواطر الثائرة ، وإحلال الوئام مقام الحصار ، فإن جميع الساعى التي بذلت ذهبت سدى ، حتى أنه كان بينهم بالخيانة كل من كان يشير بالاعتدال ، وأخيراً أرسل الجنرال غورو إنذاره النهائي في ١٤ يوليو سنة ١٩٢٠ باسم الحكومة الفرنسية ، وقد تضمن البلاغ للذكر :

(١) تحمل حكومة سوريا كل تبعة إزاء سكان سوريا الذين عهد مؤتمر الصلح إلى فرنسا أن تمتعهم بمحانات إدارة مؤسسة على الاستقلال والمظام والرخاء

(٢) أن سمو الأمير قد أجاب على ما أظهرته فرنسا من تأييدها رغبة السكان الذين يتكلمون العربية على اختلاف مذاهبهم لحكم أنفسهم بأنفسهم ، بأن لسكان سوريا مصلحة كبيرة في طلب الثورة والمساعدة من دولة كبيرة لتحقيق وحدتهم وتنظيم شئون الأمة ، نظراً لما أصاب البلاد من الإرهاق التركي ، وأن سمو الأمير دعا فرنسا إلى القيام بهذه المهمة باسم الأمة السورية

(٣) ذكر حوادث متعددة سببت إلى الحكومة العربية

(٤) سياسة حكومة دمشق العدائية بإدخالها بعض العناصر المشهورة بعداء فرنسا في الحكومة ، وانتخاب الوزارة من تلك الفئة التي لا تقتصر خطتها على إهانة فرنسا ورفض مساعدتها ، بل تتناول المجلس الأعلى الذي منع فرنسا الانتداب في سوريا

(٥) التباير الإدارية ضد فرنسا بمنع جميع المعاملات التجارية والمالية مع فرع بنك سوريا في المنطقة الشرقية ، ورفض التعامل بالورق النقدي السوري

(٦) اجتياز السلطة الشريفة حدود المنطقة الشرقية ، وتقديمها داخل المنطقة لظاهر أنها توسعت توسعاً به إخراجنا

(٧) الاعتداء على الحقوق الدولية التي توجب على قائد جيش الحجاز المختل قطراً سوريا أن يظل عثمانياً حتى تقضى الماهدة بتغييره ، وألا يحاول تغيير الحالة الراهنة التي هو حارس عليها ، ولكنه تصرف عكس هذا متخذاً صفة السيادة العليا ، وقد قرر التجديد الاجباري وبنذ مع أن البلاد لا تزال أجنبية ، وهذا العبث قد أكره عليه الشعب حتى في المناطق التي لها شكل حاص كالنقاع ، وإعلان المجلس الملقب بال مؤتمر السوري الذي تألف واحتنع بصورة غير قانونية بين القوانين وتشكيل حكومة غير معترف بها ، فضلاً عن أنه قدم اللقب الملكي لسموكم بدون حق ولا وكالة

وطلب الجنرال غورو باسم الحكومة المطالب الآتية كضمانات لسلامة جنوده وسلامة السكان ، والضمانات هي :

(١) التصرف بسكة « ريق — حلب » الحديدية لإجراء جميع العمليات بمراثة مفوضين فرنسيين

(٢) قبول الانتداب الفرنسي الذي يحترم استقلال سوريا ولا يتضمن سوى المعاونة بين الدولة المندوبة دون أن يتخذ شكل استثمار

(٣) قبول الورق السوري

(٤) تأديب المجرمين الذين كانوا أشد عذاء لفرنسا

وقد أعطيت مهلة أربعة أيام الاجابة ، تبتدى من نصف ايل ١٥ يوليو سنة ١٩٢٠ ، على أن الحكومة الفرنسية ستكون مطابقة اليد في العمل إذا لم يصلها إشعار بقبول هذه الشروط في الوقت المعين

ثم أعقب هذا الإنذار مشوراً من الجنرال غورو على سكان سوريا ببيان موقف الحكومة فرنسا تجاه الحكومة العربية في دمشق

لقد كان لهذا الإنذار أسوأ أثر في سوريا كما أنه أوقع الحيرة في نفوس المشوليين ، أيسرون إلى النهاية في خطتهم وينتظرون ما يحكم به القدر ، أم ينزلون على إرادة الجنرال غورو ويقبلون مطالبته بلا قيد ولا شرط

بعد محاورات كثيرة بين رؤساء الجيش وبين جلالة الملك ، وبين الملك وبين المؤتمر

السوري الذي كان يصر على خطة الدفاع عن حقوق البلاد مهما كانت النتيجة ، سلمت الوزارة بجلالة الملك الرد الذي وضعته على الإنذار الفرنسي ، ويتلخص في إسكار التهم التي نسبت إلى الحكومة الفرنسية بتأليف المصائب وإيجاد جو مضاد لفرنسا ، وأن الحركة الفرنسية هي في الحقيقة حركة طبيعية ضد الاستعمار ، وحتمت المذكورة بما يأتي :

- (١) السماح بالورق السوري بالدخول إلى المنطقة السورية
- (٢) إجراء التحقيقات القانونية في قضية المشتركين في الجرائم ، ومعالجة كل من ثبت إدانته حسب القانون

(٣) الاكتفاء بالعدد اللازم لحفظ الأمن الداخلي فقط

- (٤) قبول قرار مؤتمر سان ريمو على أن يعين شكله الصريح بواسطة الوفد الذي سيرسل إلى أوروبا لهذه الغاية

(٥) الموافقة على وضع الخطط الحديدية من رفاق إلى حلب تحت أمر السلطة السكوية المشتركة من الجيوش السورية والفرنسية ، وأنحاء مدينة حلب قاعدة حرية على شرط أن يشترك الجيش السوري مع الجيش الفرنسي في تحديد حدود سوريا الشمالية

ثم استعفت الوزارة الانامية عقب ذلك ، ويقول الذين كانوا في سوريا في هذا الحين إن الرد لم يرسل ، وهو في الحقيقة كان أساس قبول الملك فيصل شروط الجنرال غورو بلا قيد ولا شرط ، فقد أرسل جلالته في ١٧ يوليو سنة ١٩٢٠ برقية يخبره فيها بذلك ، فتلقي جواباً من الجنرال يقول فيه : إنني أشكوك على تحكيم العقل في هذه الأمور ، وإعما أرغب إليك أن يكون جوابك على الوجه الآتي : أخذت إنيذارك للتضمن الشروط الآتية ، وقد قبلتها رمتها ، وقد كانت هذه البرقية سبباً في مد مدة الإنذار أربعة وعشرين ساعة أخرى ، ثم أربعة وعشرين ساعة أخرى ، حيث انتهت مدة الإنذار في الساعة الثمانية عشرة من يوم ٢٢ يوليو سنة ١٩٢٠ ، غير أن جواب الملك فيصل قد تأخر وصوله إلى الجنرال غورو لأسباب لا تزال محمولة قد تكون من بعض الموظفين الذين لا يروهم أن يروا الصفاء سائداً بين الفرنسيين والعرب ، وقد تكون الأسباب انقطاع الأسلاك البرقية ، وقد تكون غير ذلك . ولكن المهم أن الجنرال غورو قد عرف رأي الملك فيصل

في الموضوع ، ومع ذلك فقد تدرع سأخير التلغراف ، وأمر الجيش الفرنسي بالزحف بهزم الجيش العربي بعد قتال لم يستمر أكثر من بضع ساعات ودخل دمشق في ٢٥ يوليو ، وأبلغ رئيس البعثة الفرنسية الملك فيصل أن ينادر دمشق عملاً بقرار حكومة الجمهورية ، ولم يحن يوم ٢٨ يوليو حتى وضعت فرنسا يدها على المدن الأربع ، وقصت القضاء الأخير على الحكومة العربية السورية

ولقد احتج الملك حسين أشد احتجاج على ما أنه فرنسا في سوريا ، ولكن الاحتجاجات لا تفل من خطة القوى

لقد كان ما أصاب سوريا أكبر ضربة أصابت آمال الملك حين وهدمت صرح أحلامه في إنشاء الإمبراطورية العربية . وفي الواقع لم تكن ضربة لآمال الملك حسين ، وحده بل صرية لآمال متعلمي العرب وشبانهم الذين طامحوا الأتراك في أساليب حكمهم واستبدادهم بشئون البلاد العربية

على أن الملك فيصلاً في أثناء الحرب وأثناء إقامته في أوروبا ترك أحسن الأثر في نفوس عارفيه ومن اتصل به من البريطانيين ، فرشح لمرش العراق واختير في سنة ١٩٢١ ملكاً على العراق ، ومنذ ذلك الوقت وجلالته يدأب على المهر في مصالح العراق حتى تمكن بكيامته ومساعدة قادة العراق من إنشاء الانتخاب على العراق ، واستخلاص استقلال العراق والاعتراف به بشكل دولي محترم ، وجعل العراق منزلة تجسدها عليه سوريا إن تطورات الحوادث وسعى ملوك العرب في التناغم وترك الخصام والعداء الشخصي القديم مما يبشر بحيرة عظيم للامة العربية ، وكل ما رجوه أن تحتج كلمة زعماء العرب قاذتهم ، ويحبلوا صالح الشعب العربي مقدماً على كل ما سواه ، وبسلوكوا الطرق العملية للوصول إلى غرضهم ، فإن ذلك كفيفل بمسقبل حسن للعرب

وإن من ينظر إلى الروح العربية قبيل الحرب في سائر البلاد العربية ، ويقارنها بالروح الحية يشعر بتقدم عظيم وتطور في الشعور القومي يبشر بأمل كبير في المستقبل وإن الحرب العالمية الأخيرة قد انثرت خيرات الثمرات بإخراج الفرنسيين من سوريا ولبنان وتأييد حكومة جمهورية مستقلة غير أن عدم الاستقرار والطاحن الحزبي سادا البلاد وأمل القادة الحكماء بقودون الأمة إلى ساحل الأمان

أثر الثورة العربية في الحرب العامة

لا يصح أن نبائع كثيراً في تأثير الثورة العربية في الحرب العامة ، فإن الحجاز كانت معتقرة إلى الحقاء في كل شيء . في السلاح ولذخيرة ، والمؤونة والغذاء ، والقوات القوية . ولكن من جهة أخرى لا يصح أن نقلل من أهمية الثورة وتأثيرها في موقف الأتراك في الشرق

والقورردسل وزير الحصار (وهو أخير من غيره بمدى هذا التأثير) قد وصف الأعمال العسكرية بعد إعلان الثورة في مجلس القورردات في خطبة الآتية : —

« إلى باذن مجلس الدولة أصف بقدر ما يمكن من الإيجاز أدوار الأعمال الحربية التي جرت منذ إعلان الاستقلال العربي في مكة في شهر يوليو سنة ١٩١٦ . كان للفكر في ذلك الوقت في الأنظار الحجازية جيش نظامي مؤلف من عشرين ألف جندي مزود بالدفعية المناسبة وكل لوازم القليات والمواد الغذائية والمهمات الحربية ، علاوة على السكة الحديدية العسكرية التي تصل الجيش المذكور مباشرة مع مراكزه الشمالية . إن العرب الذين انضموا تحت لواء الحرية والاستقلال لم يكونوا مسطرين ولا مزودين بالأسلحة الحديثة ، وبالرغم من ذلك فقد تسنى لهم منذ أول الحركة الاستيلاء على جدة ، ومكة ، والطائف ، وبييع ، والوجه ، والعقبة ونبينا ؛ وعلى أثر ذلك انضم كثير من القبائل العربية إلى جانب جلالة ملك الحجاز ، وتطوع كثير من الضباط والجنود العرب الموحدين عددا في الأسرى في الجيش العربي ، وشكل جلالته منهم قوة متميزة مستديمة ليحفظ بها ما استولى عليه ، ويوسع نطاق الاستقلال العربي ، ولقد كانت نتيجة المجهود الذي بذله هذا الجيش القوي بقيادة أصحاب السمو : الشريف علي ، وعبد الله ، وفصيل ، وزيد ، أن سواحل البحر الأحمر طهرت من الأتراك على مسافة ٨٠٠ ميل ، كما أن مواصلات السكة الحديدية العسكرية انقطعت مراراً عديدة ، وألحقت خسائر جسيمة في أدرات السكة الحديدية وعرباتها ومسودعاتها ، والمدينة المنورة نفسها محصورة منذ سنة . وقد تقدم الشريف

فيصل بمحبة جيشه من مكة إلى الطَّنِيفَة على شواطئ البحر الليث يعنى على مسافة ٨٠٠ ميل . وقد كانت نتيجة العارة التى قام بها فريق من الجيش البريطانى على عمارة أسها ساعدت الجيش العربى على الاحتفاظ بمراكزه ، والحماة التى ألحقت بالأتراك حتى الآن جسيمة جداً ، ويمكننا أن نقول بكل اطمئنان : إن القوات العربية منذ الاستقلال العربى حتى الآن قد حصرت وأسرت وأغفلت ٤٠.٠٠٠ جندى تركى ، وغنت أكثر من مائة مدفع ، وبالرغم من اهمالك الحكومة الحجازية فى الجهاد فى سبيل الحرية والاستقلال فقد تسمى لها انتاح عصر جديد من الطام والتزيب لم تعرضهما الأقطار الحجازية منذ دخلت تحت سلطة الأتراك ، وقد بجمحت الحكومة العربية باتخاذ الدابير اللارمة لتسهيل الحج فى السنين الأخيرتين ، واتى الحجاج من ضرب الرافهية والعساية الطيبة ما لم يسبق لهم التمتع به من قبل ، وكان الحج فى كلتا السنين سالماً من الأوبئة والاميديات العادية والاضطرابات . وفى القسم الشرقى من جزيرة العرب قد برهن الأمير ابن سعود أنه حليف متين ، وقد أحس استقلال القسم الأعظم من نجد ، وما زال أمير حایل شخصياً تحت حكم الأتراك ، وقد مضى عليه سنة وهو متيب عن عاصمته »

وقد أطرى القورد النبى شجاعة الجيش العربى وإبلاءه البلاء الحسن فى إقصاء الأتراك عن البلاد العربية ، كما أطرى المساعدات العطية التى أسدوها والأثر الحربى الذى لا ينكر فى ميدان فلسطين ، وأن العرب بانضائهم للحلفاء لم يفيدوم فقط فائدة مادية ، بل إن الملك حينئذ بذل نفوذه المعنوى فى سائر الجهات التى كان دعاة الأتراك يثنون فيها دعوتهم ضد الحلفاء

أرسل الملك حسين الشيخ (عباس مالىكى) من علماء الحجاز إلى الحبشة حسب طلب الإنجليز ، فشر لدعوة لشرىف أو بمبارة أخرى للحلفاء ، لأن غاية الجميع واحدة ؛ وأحبطت سنة لشرىف حسين مساعى رسل الأتراك وأعادت السكون إلى تلك الأطراف . كما هيا الشيخ سليمان أزمه لإرساله إلى بلاد التركسان ، ولكن الانقلاب الروسى حال دون سفره

سم إن الجيش العربى كان يستمد من الحلفاء لاسمياً الإنجليز كل شىء : المال والذخيرة

والعداء والسلاح ، ولكن العرب لم يصفوا بشيء فيصيل استحلاص بلادهم من الأتراك ، بل بذلو عومهم وهي أعز شيء بذل السماح ، واقد أمد الحلفاء بعضهم البعض بالسلاح والرجال وغيرهم ، كما أمد الألمان الأتراك بالسلاح والمال ورجال الفن

ومهما قيل فإن ما أسداه العرب لحلفاء من الأعمال العسكرية وما حنفوا به الصنف عنهم أنس من الذهب الذي تندق مرة تالية إلى الخارج بما اشتراه العرب من الضروريات لقد بالغ الناس كثيراً في هذه الإعانات ، ولم تركن أباً من الكتب التي شرت أحياناً أزل السار عن هذا وأوضح لنا هذا العموض ؛ ولذا فإما نحول باختصار أن نذكر شيئاً هاماً من الأوراق التي تحت أيدينا خدمة للتاريخ العربي ، والحقيقة التي يشدها المصنفون في كتاب بتاريخ^(١) ٢٩ مارس سنة ١٩١٧ من دار الاعتماد البريطاني لذلك حين أن الإعانات كانت توزع كالآتي : —

٤٠ ألف جنيه لسو الأمير فيصل

٣٠ » » » » » عبد الله

٢٠ » » » » » علي

٢٠ » » » » » زيد

١٥ » » » » » لجنة

١٢٥ ألف جنيه

وإنه من ذلك التاريخ سيراد ١٠ آلاف على ما يدفع لسو الأمير فيصل ، وشاهها لسو الأمير عبد الله ، فيصبح ما يتناوله الأول ٥٠ ألفاً وما يتناوله الثاني ٤٠ ألف جنيه أي أن المبلغ الشهري كان أولاً ١٢٥ ألف جنيه فأصبح ١٤٥ ألف جنيه على أن هذا المبلغ قد زاد حتى وصل إلى ٢٠٠ ألف جنيه

وفي كتاب^(٢) لدار الاعتماد البريطاني بمدة بتاريخ ١٣ إبريل سنة ١٩١٩ أن الحكومة البريطانية خفضت الإعانة التي تدفع إلى الحجاز إلى ١٢٠ ألفاً منها ٨٠ ألفاً للحكومة

دمشق أو بهارة أخرى للأمر بمصل ، ولسكها زيدت بعد ذلك إلى ١٥٠ ألفاً ، ثم خفضت إلى ١٢٠ ألفاً مرة ثانية ، ثم إلى ١٠٠ ألف ، وأن في النية تخفيضها إلى ٨٠ ألفاً ، غير أن

الحكومة البريطانية استمرت تدفع ١٠٠ ألف للحجاز حتى شهر يوليو سنة ١٩١٩ وفي كتاب^(١) آخر من دار الاعتماد البريطانية لذلك حسين بتاريخ مايو سنة ١٩٢٠ أن المبلغ الذي وصل إليه من الخزانة البريطانية عن المدة ما بين إبريل سنة ١٩١٨ لغاية ٣١ مارس هو مبلغ ٤٧٥٠٠٠ ر. باعتبار ٢٠٠ ألف جنيه كل شهر مع إضافة ٢٥ ألف جنيه علاوة على كل من ثلاثة الأشهر إبريل ومايو ويونية

وفي كتابين بتاريخ ١٤ فبراير سنة ١٩٢٢ وأول فبراير سنة ١٩٢٣ أن المبلغ الذي وصل إليه من أول إبريل سنة ١٩١٩ إلى ٣١ مارس سنة ١٩٢٠ كان ٩٢٥٠٥٧٥ جنيهًا و ٧ شبات ، و ٥٥ بنسات ، وفي أثناء سنة ١٩٢٠ المتداخلة في ١٩٢١ وصل إليه ٢٧٢٥٣ ر. ٢٧ جنيهًا و ١٥ شلًا و ٦ بنسات

هذا ما يختص بالنقود التي كانت ترسل من الجانب البريطاني لمساعدة الثورة العربية ، أما الأغذية فيمكن أن نقول : إن الحجاز ليس بلدًا زراعيًا يمكن أن يقوم بحاجات سكانه وما فيه من الأودية المزروعة لا يكفي بحاجات السكان ، ولذا فقد كان الحجاز دائماً محل عطف ورعاية من سائر ملوك المدين ، وفي أثناء الثورة العربية كانت إنجلترا تقوم بتقديم كل ما يحتاج إليه الجيش العربي في سائر الميادين ، كما أنها كانت ترسل إلى مكة مقادير غير قليلة للأهالي الذين كانوا في أشد حاجة لهذه المساعدة ، وربما كان من المفيد أن نشر قائمة مما أرسل من الأغذية في سبتمبر من سنة ١٩١٧ ليكون لدى القارئ صورة صحيحة مما كان يقوم به بريطانيون أثناء الحرب لتموين الثورة العربية

شهر مسقط

ما أرسل في هذا الشهر	يرسل على الأرثورا	يرسل على الحب	بقي بمدة لم يرسول ياخرة النخلة الثانية من المدة
دقيق ١٠٠٠	٣٠٠٠	٣٠٠٠	٥٠٠٠
أرز ١٠٠٠	٣٢٠٠	٥٠٠٠	٣٠٠٠
بن ٦٠	—	٢٥٠	—
سكر ٣٠	—	١٨٠	—
شعير ٥٠٠	٥٠	٢٠٠	—
دقيق ١٦٠٠	—	٣٠٠٠	—
أرز ٤٠٠٠	—	٥٠٠٠	—
بن —	٢٥٠	—	—
سكر —	٢٥٠	—	—
شعير —	٢٥٠	—	—
دقيق ١٢٠٠	—	—	—
أرز ١٢٠٠	—	—	—
بن ٥٠	—	—	—
سكر ٤٠	—	—	—

ملاحظة :

- ١ — كل الأعداد متبرة بأكياس صغيرة بخلاف الشعير فحسب بأكياس كبيرة
 - ٢ — البن معتبر بالصناديق
- أما الأسلحة والنخلة فالثورة كلها كانت مسلحة بأسلحة إنجليزية وقليل من

الأسلحة الفرنسية ، ولكن الشيء الذي يجب أن نذكره هنا : أن الحكومة البريطانية كانت دائماً تتجنب كل ما من شأنه أن يثير شبهة تدخلها في الحجاز ، فلم ترسل طائراتها أو رجالها الفنيين إلا إلى الأماكن البعيدة عن مكة والمدينة ، وأعطها أن جيش الشريف يتقصر الشيء الكثير من الضباط المدربين والسكر النظاميين فقد أمدت جيشه بعدد من ضباط الجيش المصري وعنده في الطائف ، مكة ، والوجه ، كما أن الفرنسيين أيضاً أمدوا الجيش العربي ببعض الضباط ، ولكن أثرم كان صليفاً بالتقاربة إلى المساعدات البريطانية

ويظهر أن هذه المساعدات كانت دون حاجة الجيش ، فإن ذلك حسيماً كان كثير الشكوى ويطلب من وقت لآخر المزيد ، كما أنه كان يتهدد البريطانيين بالاستقالة إذا لم تحب طلباته ، ولكن البريطانيين كانوا يعالجون الأمر بالحكمة والصبر والأناة شأنهم في معالجة سائر الأمور حتى انتهت الحرب كما يشتهون من انتصاراتهم وانتصار حلفائهم على ألمانيا وتركيا

المعاهدة البريطانية مع الملك حسين

لا شك أن آمال الملك حسين قد أصابها شيء من الصدع عند حدوث سوريا ، ولكن الآمال انبثقت قليلا بعد أن تموا ولده المرحوم الملك فيصل عرش العراق ، غير أن الملك حسين ما زال من وقت لآخر يراجع على البريطانيين ما لوفاء اليهودم المتطوعة له ، والبريطانيون كما تبين من أحاديثهم مع الملك فيصل شرحوا موقفهم جليا ، وأهم لا يتمقون مع ما ينهيه الملك حسين من اليهود ، ولكسهم من حبة أخرى كانوا يتمقون ، مساعدات الملك حسين لهم في الحرب العامة ، فكانوا يودون أن يصفوا الحساب بينهم وبينه بمعاهدة سياسية ، فوافدوا لهذا الغرض السكولونيل لوراس سنة ١٩٢١ فتماوض مع الأمير علي ، والشيخ مؤاد الخطيب ، ودار البحث بين الطرفين على الحدود المجاوزية السعدية الختاف عليها ، والحدود اليمنية والامداد العربي ، ثم على مشروع معاهدة بين الطرفين^(١) ، وظهر أن الاتفاق كان تاما ، لأنه ليس من المعقول أن يتم أي شيء بين الأمير علي وبين السكولونيل لوراس بدون موافقة الملك حسين ، ولكن الملك حسين رفض المعاهدة لأنه لم يجدها متفقة مع أمانيه ، لا سيما ما يتعلق منها بالبلاد المجاورة للحجاز وخاصة ابن سعود

وتقد أراد سمو الأمير عبد الله حينما كان في لندن في حريف سنة ١٩٢١ أن يتداخل في الموضوع بإنهاء موضوع المعاهدة ، لا سيما وقد سبق له البحث مع السكولونيل لوراس أيضا في جدة ، وبالتفل فقد استخبرت دار الاعتماد الانجليزية في حلة في ١٢ نوفمبر ١٩٢١ عما إذا كان الملك حسين يرغب في أن يعيد سمو الأمير عبد الله فتح المناويزات وإمضاء المعاهدة بالنيابة عن جلالة الملك ، فأجاب جلالتة بكتاب صدره بالشكوى والعتاب ، وأنه أمضى المعاهدة وأرسلها للأمير عبد الله بناء على مذاكرة السكولونيل لوراس بعد تعديل بعض المواد ، وأنتا وإن لم تقف على التعديلات التي أدخلها الملك حسين ، غير أن تداخل

(١) في ذيل الكتاب نص مشروع المعاهدة وخلاصة المناوذة التي دارت بين السكولونيل لوراس

سمو الأمير عبد الله لم يقدم الموضوع خطوة ؛ وأن الأدلة التي أودعها في الموضوع لم يقبلها الجانب البريطاني

وقد أودع الملك حسين المذكور ما حي الأصيل عدة مرات إلى البلاد الإنجليزية لحل معضلة المعاهدة والقضية العربية على الوضع الذي يريده . أما ما يهتق بالقضية العربية واليهود التي قطعت للملك حسين . فالدكتور ما حي الأصيل لم يكن له من العوذ والشخصية ما كان له فيصل والأمير عبد الله ، ولما فإنه لم يكن يسطر له العوذ من هذه الناحية

أما من جهة المعاهدة بين الحكومة الإنجليزية قد استغفمت من الحكومة الهاشمية كتاب سري مؤرخ في ٢٨ يناير سنة ١٩٢٢ عما إذا كان الملك حسين مستعدا لقبول بعض الإصلاحات في المعاهدة التي بمطامها الدكتور ما حي الأصيل ، إن ممتد وتصل يريديا في حصة . - مد تبحر والوقيع على المعاهدة ، والإصلاحات بشرائها قد ذكرت في كتاب سري آخر مؤرخ في أول فبراير سنة ١٩٢٣ وهي :

- ١ - يهدف ما يملق بالإقامة لأن الإعانات كان قد تقرر قطعها
 - ٢ - حذف ما يملق بالتبديل القصلي بمصر لأن مركز مصر قد تغير عن سنة ١٩٢٢
 - ٣ - إضافة مادة جديدة كالآتي : إن جلالة الملك حسين يعترف بالمركز الخاص لصاحب الخلافة البريطانية في العراق وفلسطين
- وإضافة مادة أخرى بترجيح النص الإنجليزي في حالة وقوع خلاف في مهم إحدى المواد ، فبجاء الملك حسين على هذه التصحيحات كتاب مؤرخ^(١) ١٧/٦/١٩٢٣ بأنه قد تحقق طه الآن بأن العيب والعصب عليا من بريطانيا العظمى بشأن المعاهدة هو من حصة المود المتعلقة بان سعود ، وهذه المسألة لا نقول عنها إلا شيئا واحداً ، هو أن عظمتها ترجح ان سعود عليا ، بل من يقول إذا لم تروا أنها تكون معه على ما كان الآباء والأجداد في المادة والذي ، حذرو البلاد كلها وسلموها إليه ، ولا نثق عليه مؤاخذه أو معاتبة ، وهل من موجب بعد هذا على مشاركة بريطانيا له على ما يسلك من الدماء ، وما ينهب من الأموال

(١) قد اختلف من الكتاب المرات التي استعملها الملك حسين دون أي تحرير

ويسحق ويمحق من الديار ، لإباعتها له بالنل والسلاح ، وإني لم أزل ولن أزل على هذه الفكرة .

أما إدخال المادة الخامسة عشرة (وهي الخاصة بالعراق وسطین) فبحث إنا معتقدون وجازمون بأن كافة البلاد العربية المحدودة في الوعود والعهود هي معنى قائمة بما يراد بقواكم في العراق ولسطین ؛ ولا نرى لهذا إلا التشويش والاضطراب على شخص حلاله خاصة والبلاد عامة ؛ وأثرنا إلى ذلك في كتابنا إلى مندوبها الأصيل ، وفي برقيتنا إلى دار الاعتماد في ١٩ رجب سنة ١٣٣٧ ، وهو طلب ما نقرر أساساً من جهة حدود الشام والعراق والبصرة ، وحملت الإعانة الشهرية في مقابلة إشغالها للصرة ، وأن أول شرط في مقرراتي المذكورة جعل ملادما المحدودة بتلك الحدود والمملوكة في تلك المقررات تحت حماية بريطانيا من كل تمدد الخ .

وهكذا فشلت هذه المحاولة كما فشلت المحاولات التي سبقتها ، وقد ارتطمت المائدة بصخرة قضية فلسطين وموقف بريطانيا من ابن سعود ، وقد أناحت هذه الحلافت القرعة لابن السعود أن يغير على الحجاز ويضع آخر حد للخلاف مع الملك حسين .

المسألة الفلسطينية

لا ريب هنا أن نأتي على تاريخ محاولة اليهود إنشاء مملكة يهودية في فلسطين ، فقد أبرمت لهذا الغرض مؤتمرات خاصة ، ولكن الذي يهمنا أن نقرر هنا أن الحركة الصهيونية التي ظهرت بعد الحرب واتحدت شكلاً أروع العرب لم تكن حديثة ، فالحكومة التركية كانت تم حطر هذه الحركة بوصفت في سنة ١٩٠٠ م بعمليات تخفي مع مهاجرة اليهود من الإقامة في فلسطين أكثر من ثلاثة أشهر ، وقد احتجت إيطاليا وأمبركا على هذا المجر ، ولكن الحكومة التركية لم تصغ إلى ذلك ، وقد بدل هرشل أكر القنصل بالدموع جهودات عطيفة في الآتامة ، ولكنه مثل في حل الباب الدقيق على مؤمنة على أنه حكومة يهودية في فلسطين ، غير أن المساعي اليهودية لم نعرف اليأس بل سارت في أعمالها الاقتصادية والزراعية بكل تسكن ، كما أنها اشغلت في عقد المؤتمرات المتعددة لإثارة حملة اليهود وتوحيد مساعيهم والقائم في الوسائل المكنة

مدارأت الحكومة الاتحادية بيع نحو ثلاثة ملايين فدان من الأراضي في فلسطين وسوريا ، ولكن الشهيد شكرى بك الفسلي هاجم المشروع في المجلس العالي التركي وبين المصار والأخطار التي تصب البلاد من أحله ، خطت المساعي الدولة وطوى المشروع ، غير أن العموم لم يدموا الوش التي يملكونها لأرض ، وليراهم - حرك كل شيء - دخلت تركيا الحرب في صف ألمانيا وحدثها فانتشت آدل اليهود يوم صرح مستر اسكويت رئيس الوزارة الإنجليزية بأن جرس حدة تركيا قد دق ، لاني أدرو ما فقط بل في آسيا أيضاً ، فانتشروا بأن تأسيس دولة يهودية في فلسطين أصبح ممكناً ومقتولاً ، وبرز الدكتور ويزنس الأستاذ في جامعة ماشستر واندفع حتى أصبح قائد الحركة الصهيونية العامة ، وهو الذي اعتبر دخول تركيا في الحرب مهذاً جديداً لفلسطين وقرعة مادرة يجب الاستعانة منها

قائل الدكتور ويزنس مستر لويد جورج وكان يومئذ وزير المالية ، وبسط له آراءه

وأماه يحمل فلسطين بلاداً يهودية ، فارتاح إلى هذا الطلب ثم عمل على الاختراع مع مستر بلقور فأس منه كل تشجيع . لقد بحث الحلفاء (فرسا و بريطانيا) في تقسيم تركية الرجل المريض (تركيا) . وأمضى اتفاق (سايكس - بيكو) في ربيع سنة ١٩١٦ ، ولم يحظر بيال الحلفاء إذ ذلك مسألة اليهود ، غير أن اليهود الأفولاء الأذكيا استطاعوا أن يصلوا إلى غرضهم بإقناع الإمبرليز بأهمية ما يرمون إليه

وفي ١٦ نوفمبر سنة ١٩١٧ ، أي بعد تصريح دنور بأسبوعين أرسل السير مارك سايكس كتاباً^(١) دوريا إلى زعماء العرب يوجه نظرم فيه إلى أن الاهتمام بالهضبة العربية يجب أن لا يوجه فقط إلى محاسنها في ميدان الحرب ، بل يجب أن يوجه أيضاً إلى بغائها سائرة بالاتفاق مع سياسة العالم والهضبة المصرية لأن الهضبة العربية إذا صادفت محاسناً في ميدان الحرب فقط ، ولم تكن موافقة لأراء الحكومات وعناصر العالم المختلفة ، فإنها لا تنال التأييد السياسي اللازم لحفظ كيانها والضامن لحياتها عند الحرب .

ووجه نظر قادة العرب أيضاً إلى أن العرب ، مع اتحادهم في الأمة والجس ، منقسمون انقساماً عظيماً جغرافياً وتهميدياً ، علاوة على الاختلاف اللغوي . من تأثير الطلم مدة سبعين طوية ، وقد أهدى النصيحة الآتية :

إن الحكومة البريطانية قد اعترفت بالمسيونية ، والمسيونيون أعظم قوة يهودية ، واليهودية منتشرة في العالم أجمع ، فإن اتحدت قوة المسيونية والعرب فإن تحرير العرب يحقق ، وأما إذا اشتت هاتان القوتان فإن ذلك لا يفضي إلى الارتياح فقط ، بل يؤدي إلى القوضى الثالثة ، ويحلل العرب إذ ذلك إلى عناصرهم المختلفة من يهودي وحضري ، مسلم ومسيحي ، ويستحيل ضمهم وجمع كلمتهم ؛ والمسيونيون لأن مستعدون لأن يتحدوا مع العرب في تحرير سوريا وغيرها من البلاد الباقية تحت نير تركيا في اتفاق تام مع الأرمن ؛ وغاية ما يبينه المسيونيون أن ينالوا حق الاستعمار في فلسطين ، وأن يمدشوا في مستعمراتهم عيشتهم القومية الخاصة ؛ وقد طلب السير مارك سايكس من حكومة الحجاز أن ترسل مندوباً في اللجنة المؤلفة من الدكتور ويزمن رئيس المسيونيين

البريطانيين ، والسفر ملكولم مندوب الأرمن في لندن ، وهذه اللجنة تحت رئاسة السير مارك سيكس لمراقبة لاتفاق الرعي الأرمني الصهيوني ونشر دعوته في العالم ، ومنع حدوث ما يضر به ، وحفظ لاتفاق بين النهضة الثلاث ، وضبط الأركان على الدوام ، غير أن الملك حبساً لم يرسل مندوباً من قبله للاشتراك في أعمال اللجنة المذكورة ، كما أنه لم يبد رأياً خاصاً في هذا الموضوع الخطير ، إما لعدم علمه بانقصية الصهيونية وعدورها ، وإما لتفاته العامة بالبرطانيين ، وأهم سدا انتهاء الحرب العامة وانسحاب الأتراك من البلاد العربية سيدهوسها إليه كلها ، وهو يديرها بمساعدة الحكومة البريطانية .

توطدت الملائق بين الصهيويين والحكومة الإنجليزية وحارت رضاء كل من فرنسا وإيطاليا .

أحدثت الصهيونية تدخل في دور دولي جديد اسماح مجلس الحفاء الأعلى سنة ١٩١٩ لورين وستر سكوليف بالحضور أمامه لتفصيل اليهود وشرح مطالبهم ، وقد سمع المجلس المذكور في ٢٧ فبراير سنة ١٩١٩ اقتراحاتهم وهي :

(١) وجوب اعتراف الدول بحق اليهود التاريخي في فلسطين وشد أزهم لإعادة بناء وطنهم القومي .

(٢) أن تسل سلطة الحكم العليا في فلسطين إلى جمعية الأمم ، وأن يعهد إلى إنجلترا بالوصاية عليها وتكون مسئولة أمام جمعية الأمم .

(٣) أن يضاف إلى صك الانتداب لحكومة فلسطين الشروط الآتية :

(١) أن توضع فلسطين في أحوال إدارية وسياسية واقتصادية يضمن معها تأسيس الوطن القومي اليهودي ، وأن يؤزل ذلك في النهاية إلى إجماع حكومة مستقلة بشرط أن يعمل شيء . يمثت بمخوق غير اليهود (العرب) في فلسطين ، أو يعمق اليهود التي يتمتعون بها خارج فلسطين .

(٢) للوصول إلى هذه الناية تقوم الدولة الوصية .

١ — بتشجيع الهجرة اليهودية وإسكان اليهود في الأرض الفلسطينية مع المحافظة على حقوق السكان الحاليين من غير اليهود .

ب - ونأيس وكالة يهودية في فلسطين وفي العالم الإشراف على بناء الوطن القومي اليهودي في فلسطين .

ج - وبعد الاقتناع بأن قانون هذه الوكالة لا يصنع جلب الرخ الخاص يجب أن يفصل على غيره بإعطاء المشروعات الاقتصادية وتمح له الأولوية في كل امتياز الأعمال العامة أو في تشير الزوة الطبيعية التي تحدد الحكومة من الضرورة إعطاءها لها .

ومع أن مجلس الحناء لم يبد جواباً حاسماً لمدرسي اليهود ، إلا أن اليهود كانت ثقتهم عطية بريطانيا ، وأهم بواسطتها سيصلون إلى الناية التي يتوخوها .

وفي سنة ١٩٢٠ بحث الحناء مرة أخرى في مسألة فلسطين فاعترفوا بمطلب الصهيونيين ووعد بيفور ، وقد تقرر أيضاً في سان ريمو بناء على أمان الصهيونيين أن تكون الحكومة الإنجليزية هي الحكومة الوصية على فلسطين ، فأندلت الحكومة البريطانية الإدارة العسكرية بمحكمة مدنية ، وعهدت رياستها إلى السير هرت صمويل .

العرب واليهود

لم يكن من الطبيعي موافقة العرب على حمل فلسطين وطناً قومياً لليهود ولا موافقتهم على فتح باب الهجرة لليهود بلا قيد ولا شرط ، لأن أرامى البلاد الزراعية محدودة ، وقدرتها على قبول السكان محدودة أيضاً ، وفتح باب الهجرة لليهود فقط معناه إيجاد مزاحمين حدد السكان .

لذلك باهم فد هبوا في وجه تصريح بيفور واحتجوا على السياسة الجديدة التي أدخلت على فلسطين ، وأرسلوا الوفود إلى كل من مكة وبلدن ، فأما وفد بلدن فإنه لم يصادف نجاحاً كبيراً لقوة اليهود المادية والأدبية وعظم مؤذم في مختلف الأحزاب الإنجليزية ، أما وفد مكة فإنه أثار للام حسيماً وحكومة مكة ووجد صدراً رحيماً من جريدة الفتلة ، فشر كل ما يريد نشره كما أنه أثار حساسة الحجاج المسلمين .

لم يسع الإنجليز السكوت على الحملات الموجهة إليهم قتل اليهود ، لأنهم هم المسئولون عن إدارة البلاد ، فكتبوا كتاباً طويلاً لذلك حين بتاريخ ١٢٩ أكتو ١٩٢٢ هاجموا

فيه الوفد الفلسطيني واتهموه بسوء الدية ، وكذبوا كثيراً من دعاويه التي نشرها في الحجاز ، كما أنهم لاموا حكومة الحجاز والقائمين بتحرير القبلة على تركهم البيانات بدون تعليق ، وأردفوا الكتاب بيان من وزير المستعمرات عن سياسة الحكومة البريطانية في فلسطين ، ورد الملك حسين على هذا الكتاب المطول مدافعاً عن الوفد تارة ومعتزلاً تارة أخرى وقال :

« وحيث إن هذه المباحث كلها مخالفة لقرارات حلالة الملك مع بريطانيا ومبادئها لذلك لا يمكن البحث في الموضوع » ثم أبقى اللائحة على مشروع رتج وتسليم اليهود ، ثم على وعد بنور بما لا يرى ضرورة لفصله ها .

وقد استمر الملك حسين على موقفه في فلسطين تحت تأثير الأحزاب العربية حتى آخر لحظة من حكمه ، وكان موقفه في فلسطين وتصريحاته المتعددة من أهم المسائل التي عرقلت المفاوضات بينه وبين الإنجليز ، وقد كانت عقيدة الملك حسين أن فلسطين هي حرم من الملكية العربية التي وعد إشكيها ، وأن وعد بنور باطل لخلفه لليهود والوعود المقطوعة له من بريطانيا .

وقد رأى الملك حسين أخيراً أن يوجه خطاباً للشعب البريطاني في نوفمبر سنة ١٩٣٣ يشكو فيه ما أصابه هو وتومه من حيرة الأمل ، وما أصاب البلاد العربية من التقسيم بالرغم من اليهود والاندفاعات ؛ واستنصر همه الشعب البريطاني المعروف بتقليده في إنصاف الشعوب المظلومة . فلم تطعن الحكومة البريطانية إلى موقف الملك حسين الجديد وتشجيمه للأحزاب العربية . فصرخوا بالظلم وتركوه لحصه ابن السوء يحمل مشاكله معه بنفسه ، فنقلب عليه وأقصاه عن الحجاز .

أما المسألة الفلسطينية فقد تطورت تطوراً خطيراً وتقوى مركز اليهود بازدياد مهاجريهم ، تاركة فلسطين المرة تلو الأخرى ، واقترحت الحكومة البريطانية تقسيم فلسطين ثم عدلت عنه لأنها لم تجد عربياً يؤيده . وفي أواخر سنة ١٩٣٨ عقد مؤتمر فلسطين المشهور في لندن ولأول مرة اشتركت فيه الحكومات العربية ، ولكن المؤتمر قد فشل لأن مطالب العرب واليهود لا يمكن التوفيق بينهما . وأخيراً وضعت الحكومة البريطانية الكتاب الأبيض المعروف ، وقد كان خطوة طيبة لا بأس بها ، ولكن العرب واليهود قد رفضوه . وبعد انتهاء

الحرب الأخيرة عقدت الحكومة البريطانية مؤتمراً نقاش كسانه ، وأخيراً تقدمت الحكومة البريطانية إلى الأمم المتحدة تخبرها باسعاها من فلسطين ، فقررت الأمم المتحدة تقسيم فلسطين فرفض العرب التقسيم ، ثم دخلت الحكومات العربية في حرب مع اليهود من غير استمداد حربي ومن غير اتفاق على الخطط التي يجب عليهم السير عليها ، فكانت النتيجة المزيمة المنكرة ، وكان من نتيجة هذه المزممة ترك عدد كبير من سكان فلسطين مساكنهم وأملأهم إلى البلاد المجاورة وأبناؤهم مشردون هناك يعيشون عيشة بؤس وتسلية لا يمكن تصورها .

أما اليهود فقد تجاوزوا الحدود التي حددتها الأمم المتحدة ، وما زالوا يهددون القسم الباقي من البلاد العربية المجاورة ، وهم بتشكيلاتهم المنظمة وبنموذج الدول يؤسسون خطراً عظيماً على الشرق الأوسط ، فطامعهم لا يتعدى حملون ثمانية المرات والليل . وواجب العرب أن يملأوا شملهم ، ويرأبوا صدعهم ، ويصلحوا من أسرم ؛ وإلا فالخطر واقع لا محالة على بلادهم .

الملك حسين وهجرانه

قلنا من قبل : إن جلالة الملك حسين كانت كل آماله موجهة إلى إنشاء إمبراطورية عربية^(١) برأسها ، وسواء كانت هذه الفكرة سهلة النال أو مستحيلة فإنه مارال حتى آخر لحظة يدعو إليها ويدافع عنها حتى فقد ملكه في سبيل تحقيقها ، ونقول هنا أيضاً : إن أنجاله كانوا يوافقوه على هذه الفكرة ويسهون إليها بالرغم من أن الحلفاء عارضوا في لقب ملك العرب لأنه سيثير شكوك حكام العرب الآخرين .

لقد كان جلالة الملك فيصل من المعتقدين بهذه الفكرة ، فقد كتب إلى والده في ٢٤ نوفمبر سنة ١٩١٩ يخبره بمساعيه في فرنسا ونمى لورفع العلم العربي على كافة أنحاء الجزيرة كالين وعسير وغيرها ، وإعلان انضمامهم له لكي يبلغ ذلك للدول ، ويتحاضون من كلمة ملك الحجاز ويقولون ملك العرب ، والأمير عبد الله في كتابه المؤرخ ٢٨ إبريل سنة ١٩٢٠ إلى نائب الملك بمصر الذي يطالب فيه الحكومة البريطانية بالإمبراطورية العربية التي وعثتهم بإنشائها ، يقول في آخره :

وخلاصة المقال أن جلالاته يبحث عن أمرين :

الأول — من المسألة العربية الكبرى

الثاني — في المسائل البدوية لشيخ العربان الذين كانت لهم صلات بالحكومة البريطانية منذ الحكم العثماني على ساحل خليج فارس والمحيط الهندي ، كان الصبياح وابن سعود وغيرهما ، ولاسيا الأخير الذي يدعى أن العهد البريطاني الذي بيده يسوغ له أن يفعل ما يشاء من الحركات المعلومة التي شرع فيها إبان الحرب .

ولقد كتب الملك حسين ، بعد وفاة السيد محمد الإدرسي ، كتاباً لرؤساء قبائل عسير يحثهم الانضمام إلى الحجاز ، ولكن هذه المحاولة لم تنجح ، كما حاول الاتفاق مع

(١) راجع في القيل معزوع الوحدة العربية الذي وضعه الملك حسين .

الإمام يحيى أما أن سعود فالحصوة به وبين تلك حين كانت أشد وأعنف ولذا فإنما سنوغيها حقها من التفصيل .

عبد العزيز بن سعود والملك حسين

إن الرابع بين الأشراف وآل سعود برحم عهده إلى حركة الإصلاح الديني التي قام بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب بمساعدة آل سعود ، هذه الحركة صحها حركة فصح وسط عودة في صائر جزيرة العرب ، وأصبحت الحجاز مهددة في ذلك الوقت ، ومكة والمدينة كانتا كاتمة من حيث المركز العلمي ، كما أن الأشراف كانوا يرون في أمهم الامتياز داس وحكم البلاد المقدسة ، وكان شأنهم كشأن حكام جزيرة العرب من حيث الانصال بالبادية والاشتغال بالزوايا ، فكان من الطبيعي أن يقوم بينهم وبين آل سعود ما وقع من الخلاف :

أولاً - حسب الدعوة الدينية ، وأساسها قائم على إسكار البدع والمخرقات والقبور والمالكين عليها .

ثانياً - الرابع على السيادة . فالأشراف يرون أن مركزهم الديني بالقراءة وإقامة مكة حرمهم في مركز لا يصح أن يقارن بمركز أي أمير آخر ، والحدود طاماً بمخالفهم في هذا .

وفي سنة ١١٨٥ هـ أرسل الأمير عبد العزيز بن سعود والشيخ محمد بن عبد الوهاب هدايا إلى أمير مكة الشريف أحمد بن سعيد مع الشيخ عبد العزيز الحصبتي الذي أوفد إلى مكة بطلب من الشريف لشرح ما عليه أهل نجد ، وبيان وجهة نظرهم الجديدة . وقد وصل المذكور إلى مكة وتباحث مع علماء مكة في بعض المسائل ويقول ابن غنام المزרח البجدي : إنهم أحضروا كتب الحاشية فالتفتوا بأن ما عليه أهل نجد من هدم القباب ومنع دعوة الصالحين وطلب الشفاعة منهم حق ، وأن هذا مذهب الإمام الأعظم ، وأن الشيخ عبد العزيز انصرف مبعلاً مكملاً .

وفي سنة ١٢٠٤ هـ أوفد الأمير عبد العزيز والشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى الشريف

غالب الشيخ عبد العزيز المحضنى مرة أخرى إلى مكة حسب رغبة الشريف غالب ،
واسكن علماء مكة في هذه المرة لم يقبلوا مناظرة الشيخ عبد العزيز ، ويقول ابن غمام : إن
الشريف غالباً قبل دعوة أهل نجد ، وقد يكون الشريف غالب تظاهر بذلك لينفى
ما كان يدبره سرّاً من غزو نجد والقضاء على الدعوة الجديدة في عقر دارها ، إذ ليس من
المحتمل أن يكون شريف مكة أراد أن يمدح أمير نجد حتى ينصرف لتسكين الأحوال
الداخلية في مكة لا سيما مؤتمرات بي عمه صده ، فإن الدعوة الدينية وقوة أمير نجد لم تباع
من القوة التي يحشى على مكة منها .

ويقول السيد دحلان : إن أمير نجد قبل انشاع أمره أراد الحج إلى البيت الحرام في أيام
الشريف مسعود بن سعيد ، فأرسل يستأذن في الحج ، وكان أرسل قبل ذلك ثلاثين من
علمائهم ، وطلب من الشريف مسعود أن يناظر علماء الحرمين العلماء الجديدين ، فأمر
الشريف مسعود قاضي الشرع أن يكتب حجة بكتهم وأمر بسجنهم ووصهم في السلاسل
والأغلال ، وفي أيام لشريف مساعد أخى الشريف مسعود أرسل يستأذن في الحج ، فأى
وامتنع من الإذن له ، ولما تقلد الأمر الشريف أحمد بن سعيد أرسل أمير الدرعية جماعة
من علماء نجد للمناظرة مع علماء الحرمين ، فأى الشريف بعد ذلك أن يأذن لهم بسبب
الاختلاف الواقع بين الفريقين ، وفي أيام الشريف سرور أرسل إليه يستأذن في
الحج ، فأجابه إن أردت الوصول فإنى آخذ منك مثل ما آخذ من الأنعام ، وآخذ منك
مائة من الجياد لم يقبل . وفي أيام الشريف غالب أرسل أيضاً يستأذنه في الحج ، فتمه
وتهدده بالرحف عليه .

ومما كان الفرق بين رواية الجديدين والسيد دحلان ، فيما لا شك فيه أن أشرف
الحجاز كانوا يتمتعون أنفسهم ملاك البيت ، يسمحون لمن يريدون ، ويمنعون من
يريدون ، ولا شك أنهم كانوا يضنون العراقيين في سبيل الحجاج التجديدين بسبب الدعوة
الدينية التي قامت في نجد .

وفي سنة ١٢٠٥ هـ هجر الشريف غالب حملة كبيرة لغزو نجد ، والقضاء على الدعوة الدينية
واجنثاء أصنافها ، ونزل عرش آل سعود ، وسار الشريف بنفسه إلى الشُّعْرا ، ولكن هذه

الحلة وما تنهها من حلات رجعت تحر وراءها الخليفة والفيل ، كما كانت فائمة شربين
آل سعود والأشراف ، فإن آل سعود لم يقبلوا تحكيم الأشراف في البيت الحرام ومنعهم من
الحج ، كما رأوا في الأشراف قوة أخرى لا تزال تهددهم من وقت لآخر ، وهي موئل
الرحبة والنصب للثور ، ولذا فإنهم بعد أن استتب لهم الأمر في الجزيرة وقصوا على
الإمارات الصغيرة واحدة تلو الأخرى ، ولم يبق لهم ملاذ في نجد وحدها بطرم شطر
الحجاز ، فتحوه وحكوه من سنة ١٢١٩ هـ إلى سنة ١٢٢٧ هـ ، ولولا الأعطال التي
ارتكبوها ضد الأتراك والعرب ما اعترض حكمهم أحد في الحجاز ، فإنهم يفصلون
الأشراف بقوتهم وقدرتهم على اسط الأمن والضرب على أيدي قطاع الطرق والظلميين
في الحجاز من البدو .

وفي سنة ١٢٦٣ هـ تولى الشريف محمد بن عون جد الشريف حسين قيادة حملة تركية
للقضاء على ساطة الإمام فيصل جد الملك عبد العزيز ، فوصلت هذه الحملة إلى القصيم ، غير
أن الإمام الداهية البعيد النظر أحبط هذه المؤامرة بالاتفق مع الأتراك على أن يكون
مستفلاً في بلاده خاضعاً لسيادتهم ، ويدفع لهم مقابل ذلك مبلغاً سنوياً قدره عشرة آلاف
ريال . ولقد كما نظن أن مرور الأيام طوت صحائف العداوة والحقد بين هاتين العائلتين ،
ولكن الزمن بدد هذا الظن ، وظهر أن الأشراف لا تزال تلوهم ملأى بالحقد على
آل سعود بالرغم من أن آل سعود لم يكن لهم قبل ربع قرن من الزمن من القوة والنفوذ
ما يؤبه له ، ولقد سمعت من كثير من النجديين لا سيما من كانوا في بطانة آل رشيد ، وقد
أكد هذه الرواية الملك عبد العزيز أن الشريف علياً باشا أمير مكة الأسبق كانت باكرة
أعماله في إمارة مكة بعد الشريف عون إعداده أسلحة ورماحاً إلى الأمير عبد العزيز
الرشيد خصم الأمير عبد العزيز آل سعود ، والقارى يعرف أثر هذه الهدية في نفس الأمير
عبد العزيز آل سعود (الملك عبد العزيز الآن) .

ولما تولى الشريف حسين إمارة مكة بعد الدستور الثاني ظناً أن عهداً جديداً
سيكون للبلاد العربية ، لأن الشريف ذاق من ظلم الأتراك بإعادهم له من مكة كما ذاق
ظلم الحرية بعد عصر الحرية ، ولكنه أبى إلا أن يكون آلة في يد الأتراك لضرب العرب ،

فقد سار هو وأولاده في الحلة التي سيرها الأتراك لعرب الإدريسي في حير ، وهذا كله ليبرهن الأتراك إخلاصه التام . أما الأمير عبد العزيز بن سعود فقد كان له من مشاكته في نجد ما ينيبه عن خلق مشاك كل جديدة بينه وبين الشريف حسين ، ولكن الشريف حسيناً بحجة المطالبة بمُنْتَبِذ خرج من الحجاز حتى الشَّعْرَا ، أول قرى نجد ، واعتقل سعد بن عبد الرحمن شقيق أمير نجد كرهينة ، ولكن أمير نجد تفاهم مع الشريف حسين وجاراه في أغراضه وأعلن أنه لم يكن من مصلحته إلا إخلاصه للدولة التركية وللأشراف ، فإن الرابع بينه وبين أبناء عمه ، وبينه وبين حوصه الألد ابن الرشيد كان على أشده ، بل إن مصلحته تقضى بحط ود الشريف مكة ومحاسنته ، وهذا ما كان .

وسد هذا التفاهم أرسل أمير نجد في رمضان سنة ١٣٢٨ أحد أبناء عمه إلى مكة مع هدية من جواد الخليل ، وقال في كتابه ^(١) : « إنا حاسبون ^(٢) أنفسنا من خواصكم وإلا هديتنا رؤوساً وما تحت أيدينا ، وحررنا هذا الكتاب لموجب الترضي عنكم وما يبدو من اللازم ، وإلا أسركم علينا تام على كل حال ، وما تفضلون معنا ونحطون أنظاركم علينا ، نجهدون إن شاء الله مضاعفاً بالخدمات والسمع والطاعة » .

وفي كتاب آخر مؤرخ ٢٢ ربيع أول سنة ١٣٣٠ يقول : « اطلنا على تحرير عطفكم لحضرة سيدي الولد المحرور في ٢١ صفر سنة ١٣٣٠ ، وقد سرنا سلامتكم وبما أشرتم من اجتناب كل ما يخالف مراضى سماعتكم المأدلة ، والله المطلع أنني أسعى إليها ، وإني حريص لاستجلاب مراضىكم لأن من أحسن آمالنا وأقصى مراضاكم ، وبالعكس نحن محرومون من التمازكم حتى نال منا التضييق المفسدون الذين لا غاية لهم إلا التهب والسلب ، وإفلاق الراحة وإحداث الفتن ، فاعتقدوا أننا لم نحاف مراضىكم ولم نقصر في إبراز الصداقة والحبة والمحسوبة لحضراتكم في جميع مساعينا ، ونرجو من لطفكم بأن لا تكونوا من فكر من جهنا أبداً ، ولا تخرجوا من دائرة الحبة والصداقة ، ولنا أمل بالله أن تكونوا واسطة قوية بيننا وبين متوعا الحكومة الشورية ، وتعرضوا لإحلاصنا وخدماتنا

(١) راجع نص الكتاب الذي أرسلها الأمير عبد العزيز إلى الشريف حسين في القيل .

(٢) هذه لغة للكتب تنصراً كما هو طبع الأصل .

الصادرة في مرضاة دولتنا الدستورية ، وتروى حاضراً استعداداً مع عموم أهل نجد لكل ما نكفوننا وتأمرونا به ، أمضى السدة الثمانية سريزروحي »

فإن السعود في كنهه كان يعترف للأشراف عالمهم من لمعة والرامة ، وذلك على شرط أن لا يتدخل الأشراف في الشؤون السعيدة المخصصة

بعد اشغال بار الحرب أو حسن الأتراك شيء مما سيجاوله شريف مكة ، فمرصوا على أمير معد إمارة مكة ، غير أن ابن السعود رفض هذا العرض ، لأنه سيحرج عليه مشاكل لا قبل له بها ، ولأن قول هذا العرض سيجعله في موقف عداء مع الأمير ، وابن سعود يحرص على مصالحتهم ومصادقتهم .

وفي سنة ١٩١٦ م جمع الشريف حسين بير الأتراك ، أعلن الثورة العربية واستقلال البلاد العربية وانفصلها نهائياً من الحكم التركي

رحب أمير نجد بالحركة العربية ، وتبادل هو وشريف مكة الكتب الودية والمدايا مما جعلنا يعتقد أن العرب سيدخلون في عصر حديد من التقدم والاتحاد .

غير أن إعلان الشريف حسين نفسه مسلحاً باسم ملك العرب ، أثار شكوك أمير معد ، فاحتج ، ولم يسع الإجماع إلا الاعتراض على لقب ملك العرب .

لقد كان من آثار تحديد الدعوة الدينية في عهد دخول المشائر الناجحة للحجاز من سيم وعنة في دين الله ، تلك المشائر التي اشتركت مع تلك حسين في إعلان الثورة وكان لها أثر يذكر في فتح الطائف وحدة ، والمطلب على الحميت التركية ، مكان من آثار ذلك ازدياد الخفاء بين الملك حسين والأمير ابن سعود بالرغم من سمي الحكومة البريطانية للتوفيق بين الفريقين ، فإن هذا السمي لم يشر لمرة المطلوبة وإن قلل حدة الخلاف . لقد دخل كثير من المشائر التي كانت موالية لذلك حسين في الدعوة الدينية ، وأصبحوا يمتنضون هذه الدعوة برون أن ملك الحجاز ليس من حماة الدين ، بل بالعكس حامى البدع ، وأخذت زيارة شيوخ القبائل للأمير نجد تثير سخط الملك حسين ، واعتبر هذا خيانة عظيماً له .

أرسل الملك حسين بعض قوات تأديبه لتأديب أولئك الخارجين وأدهم بالتمل ، بعد

إن السعود هذا التهديد موجهاً إليه ؛ اغتلب الأمن على حدود الحجاز بالغزو السنبر ، ووصلت الكتائب التي يرأسها أمير نجد إلى شيوخ القبائل يدعوهم إلى التمسك بأهدهم الدين ، وإن أهل نجد لا يتصدون إلا لإعلاء كلمة الله . فثارت تاترة الشريف حسين على ابن سعود ، ومن ابن سعود هذا ؟ أليس هو بأمر صغير ؟ كيف يتطاول على مقامنا ويتجاوز حدوده ؟ كانت نفس الملك حسين تمجيش هذه المشكلات طبعاً ، إذن يحب تأديبه أو إتصافه عن ملكه حتى يقف غيره عند حده .

قام الملك حسين باستجهرات العسكرية في الطائف وتربة وجمع كل قواته بالدائع والرشاشات ، إن عشائر الحرمة لا تحتاج إلى كل هذا ؛ وإلى أين هذه القوات ؟ إلى الإحصاء أى إلى الساحل العربي على خليج فارس ، هذا كان يقوله قواد الملك حسين ، وماذا فى نجد ؟ ألم تكن لكم عطة بمن حاول هذه المحاولات قبلكم من الأشراف والأتراك ، ألم تبتلهم رمال نجد ؟ إلى نجد نحن لا نكلمكم مؤونة الذهاب إليها ، إن دون نجد أهلها ورجالها . هذا جواب أمير نجد عبد العزيز بن سعود

سار أمير نجد بمجنوده حتى أصبح قريباً من تربة ، والجند الشريفى لا يزال فيها ، غير أن غنيمة وبصاً من سبيع أعنوا ابن السعود مؤونة الوصول إلى تربة ، فصبحوا جيش الشريف على غرة ، وانقضوا عليه من كل جانب ، وقتلوا كل من أوتقه القدر فى أيديهم ، والسعيد من وجد سبيلاً للفرار ، ولم يجد هذا السبيل إلا مر قليل بينهم القائد العام الأمير عبد الله أمير شرق الأردن (ملك الأردن)

هل يتقدم ابن السعود إلى الشام ؟ لقد وصل إلى تربة وأقام حولها بمعى العاشم ويقسم الأسلاب ، وليس هناك ما يمنع من دخوله الطائف وهو على بضعة ساعات منها . بل لا شئ يمنعه من دخول مكة إذا أسرع إليها ، فإن القوات التى يعتد عليها الملك قد فنت فى وادى تربة ؛ فزع الشريف حسين إلى الإنجليز أن انظروا إلى ابن السعود يريد الاستيلاء على الحجاز ، والإنجليز لا يمكن أن يتركوا حليفهم فريسة لأمبر نجد ؛ أيدخل الأمير فيصل دمشق ليؤسس دولة عربية هناك ويخرج والده من الحجاز ؟ إن هذا غير معقول طبعاً

أرست الحكومة البريطانية إنذاراً للأمير عبدى ٤ يونيو سنة ١٩١٩م - ٥ رمضان سنة ١٣٣٧هـ ، وحدته متبقة فندبه فى الأرضى الحدرية ، لم يح لأمر عبد المرير بلا الرعوع إلى محذلاته وهو الرجل العاقل العيد البطر لم ير من مصاحبه المدحول فى محصنة مع الحكومة البريطانية .

واقده توترت العلاقات بين الحكومة البريطانية وبين ابن سعود لحمل الحكومة البريطانية بما كان يجرى بين الفريقين وأقدم وقوفها على حبة الأمر ، أضف إلى ذلك أن الحكومة البريطانية ، وقد حرحت من الحرب طافرة ، كانت متشعبة ففكرة لوريس الششيع الأشراف الممحب بهم ، وقد حارب معهم جنباً إلى جنب ، وقد كانت الحكومة البريطانية تقطع الإغاثة المالية التي كانت ترسلها إلى ابن سعود لولا ما أرسله على من انقذير إلى لندن (نائب المندوب السامى بالعراق) الذى شرح موقف ابن سعود لحكومته ونعذى الأشراف لأن سعود وأن ابن سعود لم يكن لا مدافعاً عن نفسه .

فراة الحكومة البريطانية أن تدعى بين الفريقين لإزالة ما بينهما من جفاء فطالت منها أن يتبدلا كتب مودة اعل هذه الوسيلة تكون سماً فى حلول الصماء محل الحفاء ولكن الملك حسين ليس سهل القيد ، فإنه لم يصغ لنصح الحكومة البريطانية فلم يرسل كتاباً ورفض اسلام كتاب أمير نجد . فكتب إليه نائب انك بمصر كتاباً ، طاولا بتاريخ ٥ نوفمبر جاء فيه :

« إن حكومة جلالة ملك بريطانيا نظراً إلى عدايتها بمصالح العرب الموهومية تقف إراء اشتغال الحرب فى حزيرة العرب موقف الذى المضطرب ، خصوصاً لكون حدوث ذلك يؤثر على القرارات السياسية التى سيدعى عنها قريباً

نم إنه لا يجب أن يجاسر جلاتكم أقل ربب فى وفاة الحكومة البريطانية محوكم ، الذى يتحتم عليها عدم اتخاذ جانب ابن سعود أو غيره فيما يصر بمصالح جلاتكم ، غير أن جلاتكم لا يجهلون شروط المعاهدة الحاية بين الحكومة البريطانية وابن سعود الصامة حقوقه داخل حدود بلاده ، إلا أنها بتمه بصفة رسمية أنها تنظر إلى كل عمل يأتى به خارج بلاده عين السخط ، بل رفضت طلبه زيادة الذخائر والمهمات الحربية ، رد

على هذا أنها طلبت منه إيقاف الحركات العدائية ضد ابن الرشيد صديق الأتراك التي كان قد شرع بها بناء على طلب الحكومة البريطانية نفسها

إنني لا أذكر هذا إلا لغرض إيقاف جلائكم على حقيقة الحال ، ولكي تقدروا حق التقدير البواعث التي حلت الحكومة البريطانية على الإشارة لجلائكم بالوقوف عند حد معلوم فيما يتعلق بمسألة الحرمة وغيرها من شئون القبائل ، ونظراً إلى ما سبق ذكره ، وما تكرر وروده في كتب جلائكم يصعب على تصديق الخبر الذي جازى وهو أن جلائكم رغبتم في قطع العلاقات الودية مع ابن سعود مما يكى عنه بإرجاءكم رسوله ورفضكم كتابه

إني أرجوكم أعظم الرجاء أن تبتعدوا لمنع كل البواعث الجوهرية التي تؤدي إلى سوء العام مع الأمير المشار إليه شأن سياستكم نحوه ، فإنه وإن كان أقل درجة من جلائكم وأصنف موارد ، لا ينكر أنه ذو تأثير وأهمية في السياسة العربية

ساد السكون الحدود المجازية بقية سنة ١٩١٩ وسنة ١٩٢٠ تقريباً ، وتبدلت الكتب الودية بين الفريقين ، فالأمير عبد الله في كتاب له مؤرخ ٢٧ من ذي الحجة سنة ١٣٣٨ — ١٠ أغسطس سنة ١٩٢٠ يقول :

« إني قبل كل شيء أحمد الله الذي أحمكم وأنهمكم على إركاب الأخ أحمد إلى هذا الجباب ، لحسم ما هو واقع من الأمور المحزنة والحوادث الفجعة التي لاسبب لها سوى عاطلات متتابعة ، إذ أسى على يقين من أن والدي وشخصكم لا تريدون لبعض ما يريد العدو لعدوه ، وأن لكل منكم متعاً فيها هو لأنا ، كما أن فطنتكم الذاتية وحسنتكم السياسية لا شك أنها أوحى إليكم كما هي أوحى إلينا مفروضية تغير الشكل الحاضر وتزوم التفاهم في كل وارد وصادر »

إن تبادل الكتب بين الفريقين لم يمنع من وقوع حوادث بعد ذلك على الحدود ، وهذا بالطبع للاخلاف في التراعات الدينية بين القبائل الحاضرة للحجاز والقبائل الخاضعة لنجد

ولما فإن الملك حسين رأى أن يمنع النجديين من الحج في عام ١٣٣٨ — ١٩٢١ .

غير أن الحكومة البريطانية أغلقت الكتابة لأن سعود لكي يعمل على إسكان الحالة في حدود الحجاز ، وتدخلت مع الملك حسين للإذن للتجديدين بالحج أسوة بسائر المسلمين وفي سنة ١٣٤٠ هـ — ١٩٢٢ م ، أذن للتجديدين أن يحجوا ، فحجوا تحت إمارة مساعد ابن سويلم ، وقد عثرنا على كتاب من سلطان نجد (كان الأمير عبد العزيز أعلن نفسه سلطاناً على نجد سنة ١٩٢١) للأمير علي أكبر أمثال الملك حسين يقول فيه :

« لما رأيت بفضل صاحب الجلالة والده المظلم بفضل عايتة بالرخصة وبالسماح لأهلي بمجد لأداء فريضة الحج حيث برهن على حسن عواطفه وإظهار فضيلته ، أحببنا أن نرخص لبعض رعايانا لزيارة بيت الله الحرام بصحبة حادكم مساعد بن سويلم ، فأخذت هذه خير وسيلة وأعظم فرصة لأهدى حمرتكم جزيل السلام ولأعبر لسوكم من عظيم اشتياقي وخالص نواياي لتجديد عهد الصداقة ، وتمكين الصلوات الحسنة والتماسات الودية المشركة التي تربط القطارين الإسلاميين غير ملتفتين إلى ما قدر الله رغم إرادتنا أن يقع فيما مضى بين الطرفين من الحوادث التي طالما أوحشت لتأسفاني وكندري ... الخ »

غير أن الخلاف قد عاد مرة أخرى بطريقة أشد ، فإن الملك حسيناً أبى أن يسمح للحجاج التجديدين مرة أخرى ، والحكومة البريطانية تتوسط بين الجانبين فيتهما الملك حسين بمحاذاة ابن السعود وترجيحها إياه

إن الواقف على المراسلات التي كانت تدور بين الملك حسين وبين الحكومة البريطانية^(١) في هذا الموضوع لا يرى موقفاً أشرف من موقفها لتوفيق بين الجانبين المسلمين العربيين ، السماح بفتح أبواب الحجاز للحجاج التجديدين أسوة بسائر المسلمين ، وإزالة أسباب التراع والتخصم بين الفريقين كي يسود السلام جزيرة العرب

ولقد كان جلالة الملك حسين مرة يرفض السماح للحجاج التجديدين خشية إخلالهم بالأمن ، وتارة يتنازل لقبول عدد قليل منهم ، كما أنه في بعض الأحيان يشترط قدومهم بالبحر كاثرا للحجاج

وفي ٢ ديسمبر سنة ١٩٢٢ كتب سلطان نجد إلى المدوب السامي بالمرافق بمنزله أن

(١) اخترانا حمر كاتين في هذا الموضوع في القبل

ليس في إمكانه تحديد عدد الحجيج العجدين لعام ١٩٢٣ . كما فشل في إتمام سبقه ، ولم تر الحكومة البريطانية سبباً مشروعاً لتغيير موقفه ، فأرسلت الحكومة البريطانية إجابات لمئاتها بمجة ، فسك بدوره للحكومة الهاشمية بتاريخ ٢٨ يناير بمجرها بتوقف سلطان نجد ورأى الحكومة البريطانية ، واقترح الدحول في مفاوضة مع سلطان نجد لتقيد معاهدة على نسق المعاهدة التي عقدت حديثاً بين سلطان نجد والملك فيصل

وفي ٢٨ يناير سنة ١٩٢٣ كتب سلطان نجد للحكومة البريطانية يجبرها أن عتدأ كبيراً من رغايه يرغبون في أداء فريضة الحج ، وأنه لا يقدر أن يحدد العدد كما فعل في حج سنة ١٩٢٢ ، وأن الحكومة البريطانية لا ترى أي مانع لتفتح باب الحج لكل من يريد من العجدين ما دام الحج في العام الماضي كان على خير ما يرام ، وقد اقترحت الحكومة البريطانية دراسة الوقت للمفاوضة في معاهدة حدود مع ابن سعود على طريقة المعاهدة التي تمت حديثاً بين سلطان نجد والملك فيصل ، فكان جواب الملك حسين أن لا يقبل حجهم في هذه السنة إلا إذا أدخلوا الجوف وسائر الجهات التي اعصموها من البلاد كزانية ، وبشة ، وثرة ، وتواحي خيبر وما شاكلها . وأما المعاهدة مع ابن سعود على طريقة معاهدته مع العراق ، فإن هذا البحث مفروق منه لأنها كلامه المرة بعد الأخرى كد هو معلومكم بأنها مسمون لذلك على أساس الشروط التي أخبركم بها ، وهي إما أن يعود ابن سعود إلى ما كل عايه في زمن الآباء والأجداد من جهةنا ووجهته ، وإما أن يأتي ويستلم البلاد جميعها لأن الأساس المقصود هو خدمة البلاد

ومارالت الحكومة البريطانية جادة في تقرب مسافة الخلف بين سلطان نجد وملك الحجاز حتى هيأت المؤتمر الكويت ، لجمعت بين جهة الأشراف : — الحجاز . العراق . شرق الأردن — وبين سلطان نجد في يناير سنة ١٩٢٣ ، ولكن هذا المؤتمر قد فشل . وقد أحس الملك حسين بما بينه وبين البريطانيين من الخلف ، فسكتب وزير خارجيته كتاباً إلى رئيس المتمددين البريطانيين في شرق الأردن يظهر فيه رغبته في التقارب بين البلدين ، غير أن فشل مؤتمر الكويت وتنازع الحوادث في الحجاز التي انتهت بسقوط الملك حسين حالت دون مجاح هذه الرغبة الأخيرة

سياسة الملك حسين الراحلة

لا نريد أن نأثي هنا على تاريخ الأشراف وتفوذهم في الحجاز ، فقد أوردنا فصلاً خاصاً في هذا الموضوع ، كما أننا أوردنا أشياء كثيرة في ثنايا الكتاب تبين ما كان لهم من النفوذ والسلطان في الحجاز ، لاسيما إذا كان شريف مكة على اتفاق تام مع الوالي
عند ما أعلن الشريف حسين الثورة على الأتراك ظننا أن البلاد العربية ستدخل في دور جديد من الإصلاح والتقدم ، وكاد هذا الظن يكون يقيناً عندما رأينا كثيراً من شبان العرب وهم القامعون أولاً بالحركة العربية في تركيا اتفوا حوله وأسندت إلى بعضهم إدراة بعض الأعمال

تقد قام الملك حسين في أول سنة من القيام بالحركة بتأسيس الوزارات ومجلس الأعيان ، كما أنه هم بفتح بعض المدارس في مكة والدينة

ولكن يظهر أن جلالة الملك حسين وما يقرب عليه من سوء الظن وسرعة تأثره بالوشايات جعل بعض هؤلاء الشبان يفضل ترك العمل بالمرّة ، وبعضهم يفضل الاشتغال مع أولاده ، لاسيما الأمير فيصل والأمير عبد الله ، لأن العمل مع الملك حسين لا يمدى ولا يثمر ، على أنه ما كادت الحرب تضع أوزارها حتى رأينا ميدان الحجاز قد خلا من الشبان العرب الزهبيين ، ولم نرحول الملك حسين إلا أولئك الضعفاء الذين لا يهمهم إلا ضمان مصالحهم الشخصية ، غرقت السفينة أو سلت

إن بلاد الحجاز في حالتها الحاضرة أشبه بحالة البلاد الإسلامية الأخرى قبل مائتي سنة ، ولكن الزمن الآن قد تغير كثيراً ، والحجاج يأتون من كل ناحية ولا يحدون في الحجاز التقدم الذي حدث في بلادهم ، لا يحدون طرقات ولا وسائل مواصلات كالتي يشاهدونها في بلادهم ، وكذلك وسائل الإنارة والشرب والصحة والتعليم وغير ذلك من وسائل العمران الضرورية

والحجاز وإن كان من البلاد الفقيرة التي لا تكفي مواردها لقيام بهذه الإصلاحات

إلا أنه مركزه الديني يحد شتى المساعدات من الأسماء المسلمين ومن أغنياء المسلمين إذا رأوا عزماً صادفاً من الحكومة المهمة على شؤونه

لقد كنا نأمل أن نملك حتماً بحكم ماله من النسب الكريم والمثلة الرفيعة في نفوس المسلمين ، وأنه - وهو الرجل الذي وقف على وسائل الحصار في الآستانة - سيضرب للناس أفضل الأمثلة بمقدرة العرب على الإدارة والتنظيم ، ولكن الأيام خيبت هذا الطام ؛ فالملك حسين في هذه الساحة كان كغيره من الأشراف لا يهمهم ما يجري في العالم ، كما أنه لم يتم بالواجب المنظر منه للبلاد المقدسة ، واندحاروا الحكومة البريطانية أن تساعد الملك حينئذ على تنظيم مالية الحجاز في سنة ١٩١٩ - سنة ١٩٢٠ لأنها في ذلك الوقت كانت لا تزال تدفع إتاوة للملك حسين - وميرانية الدولة هي أساس الإدارة في المملكة فلم توفق ، حاولت كذلك إصلاح إدارة السكرتيرية والصحة وهي أهم شيء في الحجاز لأنها هي الركن الأول لسلامة الحج فلم توفق أيضاً ، حاولت أيضاً أن تساعد الحجاز بعثات طبية ترسل من الهند لأن إدارة الصحة في الحجاز غير منظمة من جهة ، ولأنه في زمن الحج حيث يكثر الوافدون لا تكفي الايامات التي تقوم بها حكومة الحجاز ولا عدد الأطباء المواطنين ، وهذه مهمة إنسانية لا عصاة فيها على حكومة الحجاز ، ولكن الملك حينئذ رفض هذا الطلب من بريطانيا كما رفضه من مصر أيضاً ، معتقداً أن ذلك يحيط من شأن حكومته ويمس استقلاله ، ولم يجد توسط الأمير فيصل (المرحوم الملك فيصل) في هذه الأمور ولا غيره

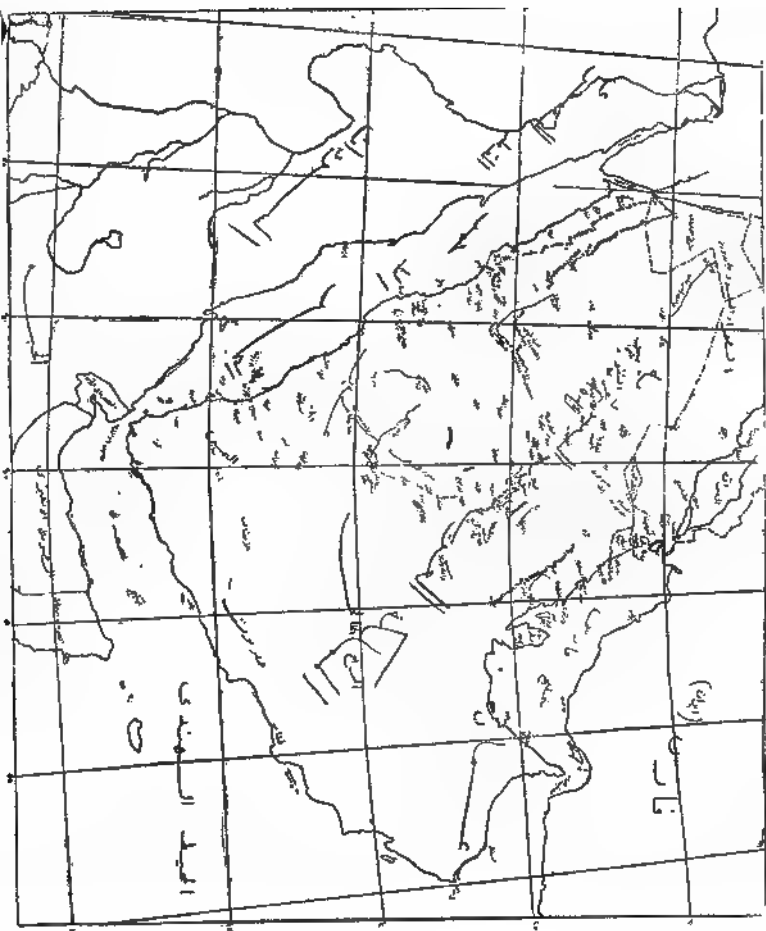
أما السياسة المالية فلم تكن تتجار عما كان معروفاً في أيام غيره من الأشراف (الملك وما ملكت يدها لبيده)

فالضرائب تؤخذ بغير انتظام حسب إرادة الملك ويرفق بها الناس . وهكذا يخرج الملك حسين من الحجاز ولا يترك أثراً من آثار الإصلاح فيه ، كما أنه لم يستطع أن يسطر الأمن في جميع أنحاء المملكة ؛ فاعداً المدن الحجازية كانت سيوف العشائر مصلية على رقاب الحجاج ، لا يتركونهم يسافرون إلى المدينة إلى بعد أن يأخذوا منهم ما يرضونه عليهم من القنود . وفي سنة ١٩٢٤ رجعت قوافل الحجاج من «رايح» لأن العشائر رفضوا أن

يدوموا غاية حبهات الملك حسين من أربعة عشر، وهي الأجرة المفروضة للجدل، والطابع قد صاع ما دفعه الحجاج بين الملك حسين وبين العشائر

على أنه مهما كانت أغلاط الملك حسين السياسية فإن الرجل كان أفضل الأشراف المتأخرين وأتاهم ظلماً، وأعلام حيماً نفساً وأعظمهم شخصية، وهو بلا شك أفضل من الشريف عون الذي ضج من ظلمه كل من زار أو سكن الحجاز، وأفضل من ابن ٤٤ الشريف على في كثير من الصفات الشخصية، ويجب هنا أن لا ننسى الرجل حقه؛ فهو أول عربي حمل لواء العربية شخصية دولية وشأناً لا ينكر في أوروبا

ولأن وقد وصلنا إلى الصراع بين الماهليين الكبارين في الجزيرة العربية : الملك حبيب والملك عبد العزيز بن سعود، وانتصار أحدهما على الآخر بعد معارك حربية وسياسية دامت سبعة عشر عاماً، نرى من الواجب علينا أن نأتي بملخصة تاريخية واسعة لحياة الملك عبد العزيز، والدور الذي لعبه في السياسة العربية والآسيا بعد استيلائه على الحجاز ويحمل مناقيل أن نأتي على حياة الملك عبد العزيز أن نذكر فصلاً تاريخياً عن عائلة آل سعود ودورهم التاريخي، وأنهم في الانقلاب العظيم الذي كان في القرن الثامن عشر لقرب الشبه بين ما تم في عهد آل سعود وعبد العزيز الحالي



آل سمود

آل سمود من قبيلة غزوة من غزاة السالين ، و يوجد هذا القخذ الآن قرب حمص ، وغزوة من أكثر الشاثر العربية اتحاداً و بطوناً وأكبرهم عدداً ، فهم مقيثرون في العراق وسوريا ونجد ، وهم لا يزالون يفتحون بالملك عبد العزيز ، كما أن الملك عبد العزيز يكرم الوافدين عليه منهم ولا سيما من كان من السالين ، وغزوة من ربيعة

في سنة ٨٥٠ هـ ^(١) قدم ربيعة بن مامع من بلادهم القديم للمسي (بالدرعية) قرب القطيف ، على ابن درع صاحب سبج والجزيرة قرب الرياض وكان من عشيرته ، فأعطاه ابن درع المئبد وغصيبة المرويين في الدرعية ، فزل هناك وعمرها هو وبنوه من بعده واتسع في العمار ، وولد لمامع ربيعة وصار له شجرة واتسع ملسكه ، ثم موسى وصار أشهر من أبيه ، وبعد موسى ابنه إبراهيم ؛ وإبراهيم هذا جد مقرن ، وسعود جد عائلة السمود

قبل سنة ١١٥٠ هـ ، وهي السنة التي وفد فيها الشيخ محمد بن عبد الوهاب المصلح الكبير على محمد بن سعود لم يكن لآل سمود شأن كبير في نجد ، ولم يكن لهم تأثير يذكر في شؤون الجزيرة العربية ، بل كان شأنهم شأن غيرهم من شيوخ المقاطعات النجدية ، وكانت الجزيرة العربية مقسمة إلى مناطق عدة ، لكل منطقة أمير يتد أو يقصر نفوذه حسب كمائه الشخصية ومهته ، والأمراء البارزون في ذلك أشراف الحجاز : بنو خالد حكام الاحساء ، وما والاهما ، من المنطقة الشرقية على خليج فارس ، وآل ممر في المينة ، والسمدون في العراق ، وإمام صنعاء في اليمن ، والسادة في نجران ، واللبوسيد في مسقط وعمان . وبعد أن تعاقد الأمير محمد بن سعود مع محمد بن عبد الوهاب على تطهير جزيرة العرب من البدع والخرافات ونشر كلمة التوحيد ، دخلت نجد أو بالأحرى

الهدرية مع سائر الإمارات الأخرى في حرب دينية دامية ، كان النصر فيها لجيوش التوحيد ودعاة الإصلاح

ورعما كانت سنة ١١٧٨ هـ - ١٧٦٥ م من أشد السنين على محمد بن سعود فقد تحالف فيها حاكم الأحساء عمره الخالدى وحاكم نجران السيد حسن بن هبة الله ، وتواعدا على الزحف على الهدرية للقضاء على هذه الدعوة الدينية وخمد شوكة دعائها ، وقد زادت هموم محمد بن سعود عند ما رأى وقعه وحيشه ينكسر في الحيار بين الخرج والرياض ، وهذا وعمره ومن معه من الجنود لم يصل سد ، غير أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب شدد من عزيمته محمد بن سعود وذكره بما وقع لثني في غزوة أحد ، كما أن زوجة محمد بن سعود وكانت من الصادقات المخلصات للدعوة ؛ كان لما أثر لا يفكر في زوجها ، وقد تمكن محمد بن سعود والشيخ محمد بن عبد الوهاب من الصلح مع صاحب نجران وإطلاق ما تحت أيديهم من أسرى ، ثم رجع صاحب نجران قبل أن تصل جنود بني خالد ، ولما فإن هجوم بني خالد ومن التف حولهم من عشائر المهجران قد رجعت بمد ما وصلت قرب الهدرية

وفي سنة ١١٧٩ هـ - ١٧٦٦ م توفي الإمام محمد بن سعود مؤسس دولة آل سعود ومؤيد الشيخ محمد بن عبد الوهاب في دعوته ؛ وتولى الأمر بعده أكبر أولاده عبد العزيز^(١) ، فصار على خطه آية في التعاون مع الشيخ على تجديد ما اندرس من معالم الدين وإعلاء كلمة الله ، كما أنه واصل غزواته على الإمارات والبلدان التي أظهرت التمرد ورفض الدعوة الدينية الجديدة ، ففي سنة ١٢٠٨ هـ فتح الأحساء جيش التوحيد ففضى على بني خالد ، كما أنه في سنة ١٢١٢ هـ قضت هذه القوات على جيش الشريف غالب حول الخرمة وهو أقوى خصم لم ، وقد قضت السياسة : أن تعقد هدنة بين الفريقين ، وافتتح سبيل الحج للعباج النجديين ، فخرج سعود لأول مرة في سنة ١٢١٤ هـ ، كما أنه حج في السنة التي تلتها ، غير أن الهدنة انقطعت ورمى كلا الجانبين الآخر بدم احقرامه لشروطها للثني عليها ، وعلى كل حال فإن السياسة التي وضعها المصلحون النجديون هي : نشر علم التوحيد

(١) ولد عبد العزيز سنة ١١٣٢ هـ

في كل جزيرة العرب والقضاء على القوات الدارضة ، حتى يسود الأمن سائر الجزيرة ،
وحق تأمين الدعوة شر الانتفاض والمعارضة
في سنة ١٢١٥ هـ ساعد آل خليفة على استرداد الزبارة والبحرين من سلطان مسقط ،
وشمل آل خليفة بحمايته ، ولم تأت سنة ١٢١٧ هـ حتى كان سعود في جوف الخجاز ،
وفي ١٧ محرم سنة ١٢١٨ هـ دخل -مرد مكة بمجيوشه بعد ما أمن أهلها وبعد ما أظهر
العلماء قبولهم للإصلاح الجديد ، غير أن لالشريف ما لث أن استرد مكة بعد رجوع الأمير
سعود إل الدرعية

وفاة الامام عبد العزيز

في ١٠ رجب سنة ١٢١٨ هـ اغتيال أحد الأجانب الإمام عبد العزيز وهو في الصلاة ،
وقد اختلف الرواة في جنسيته ، ويرجح أنه من شعبة كربلاء للمصبيين ، أراد الانتقام
للبلدة وما أصابها وما أصاب أهلها من الأمير سعود في غزواته عليها سنة ١٢١٦ هـ من
هدم قبة الحنين ومصادرة أموال القيمين في تلك للبلدة

صفات الامام عبد العزيز

اشتهر الإمام عبد العزيز بالتواضع والبعد عن زخارف الحياة ، لا يبالي بما يلبس
ولا بما يأكل ، وكانت غايته الوحيدة هي مواصلة عمل أبيه العظيم من القضاء على البدع
والخرافات ونشر دعوة التوحيد ، كان شديداً في الحق وتنفيذ أوامر الشريعة الإسلامية
لا يبالي بمن ينفذ عليه الحكم ؛ فرضا الله عنده مقدمة على كل اعتبار
وكان قاسياً على قطاع الطرق والعابثين بالأمن من البادية ؛ لا يكتفي بالتميز البدني .
بل يضيف إليه غالباً شيئاً من المصادرة المالية . ومال اليدوي هو الجمل والخليل والنم ؛
ولذا فقد ساد الأمن جميع الطرق والبلدان التي امتد نفوذه إليها

سعود بن عبد العزيز

بيع للأمير -ر- بعد وفاة أبيه ١٢١٨ هـ (١٨٣٠ م) وكان الشيخ محمد بن

عبد الوهاب قد أخذ له البيعة بعد أبيه في سنة ١٢٠٢ هـ ؛ لأنه كان أكبر أبناء عبد العزيز سنّاً وأشدّهم بأساً وأشدّهم بصيرةً وأكبرهم عقلاً وأكثرهم تفانياً في الدعوة إلى الله ، وقد كان في حباة أبيه هو القائد الحبش والقناخ لأكثر البلدان التي دانت لهم

وقد استمر حكمه من سنة ١٢١٨ إلى ١٢٢٩ هـ فتح فيها الحجاز كله ، كما أنه واصل زحفه في الشمال إلى ضواحي دمشق ، فدانت له بادية الشام والعراق ، كما امتدت فتوحاته جنوباً إلى رأس الخيمة في عمان وزيد في اليمن

وقد ظنت الدولة في أيامه أوجهاً وغايتها ، إلا أن أغلاطه السياسية والإدارية أوقعت في مشاكل مع الأتراك والعربين وشدته المتناهية صرفت القلوب عنه وجملت الناس يتهمزون القمص للانقراض عليه

كان سعود من أحسن الرجال صورة وجلالاً ، ورث عن عائلته جمال التقاطيع ووسامة الوجه ، وقد كان يرعى لحيمته أكثر مما اعتاده العرب ، وكان العرب حتى خصومه يمتدحون شجاعته ومهارته الحربية ، وكان عالماً بأصول الدين والفقه والحديث ، حيث درس ذلك على جده لأنه الشيخ محمد بن عبد الوهاب

وسعود لم يأذن قط لأولاده أن يتدخلوا في شئون الدولة ، بل حصر ذلك في نفسه وفي ولده الأكبر عبد الله

وكان يسكن هو وعائلته في بناء كبير خارج الدرعية ، كان بناء أبوه على سفح الوادي ، وكان كل أولاده وعائلاتهم ، وكل إخوته وعائلاتهم يسكنون في هذا البناء كل له جناح خاص به وبمائلته

وفي هذا البناء كان سعود يستقبل مشايخ القبائل ويمد لهم اللوائد ، وينزل السكابر منهم فيه . أما الأشخاص الناصريون فإنهم كانوا ينزلون في منازل الدرعية وترسل إليهم التمتعيات والنفوف لدواهم . وقصر سعود كان دائماً غاصاً بالضيوف

وكان مجلس سعود مفتوح الأبواب للجميع وكان من عادته أن يستقبل الزائرين في الصباح الباكر . وبعد الظهر ما بين الساعة الثالثة والسادسة ، وكان من عادته بعد أن

يتناول طعام المشاء أن يجلس بين قومه وزائريه ويتلو أحد العلماء^(١) شيئاً من القرآن وتقرئ آية من أحاديث النبي ، وكثيراً ما كان سمود نفسه يتولى تفسير ما يصعب تفسيره على السامع ، وكان دائماً يقول في نهاية كلامه « والله أعلم »

وكان من طباع سمود أن تأخذه الحدة والانفعال عند ما يتبين أن أحد الأعراب خدعه أو غشه ؛ فيتناول عصاه ويهوى بها بنفسه عليه ، ولكنه كان يعود إلى نفسه بعد قليل ويسمر الله ، وقد أصدر أمره لمن يكون حوله وقت غضبه أن يحولوا بينه وبين ضرب أى أحد من الناس ، وقد كان دائماً يحميهم هذا التدخل بعد أن شهدا فائزته

ولم يكن سمود ممن يحمل الألقاب ؛ فكان الناس ينادونه باسمه أو يا أبا عبد الله أو يا أبا الشوارب ، كما كان هو بدوره لا يسمى الناس إلا بأسمائهم محذرة عن الألقاب وكان سمود في ملبسه مثل ماني الشعب لا يتميز عنهم بشيء ، غير أنه كان أيقاً في ملبسه ويجب التطهر دائماً

وكانت مصاريق سمود في القالب على الصبوف وعلى الحبول ، فإنه يقال إنه كان لديه مالا يقل عن ألفي قرص ، وكان من هذا الممدد حوالي ٣٠٠ أو ٤٠٠ دائماً في الدرعية ، والباقي في الاحساء حيث الرعي الحيد ، فكانت أكرم جياذ بلاد العرب هذه . إما أنه يكون قد أخذها من أربابها عقاباً لم على محائمة ارتكبوها أو دفعاً لقرامة استنحت عليهم أو أنه اشتراها من أصحابها بماله الخاص ، ويقال إنه كان لا يتأخر أن يدفع خمسمائة أو ستمائة جنيه ذهباً ثمناً لقرص

وأباح سمود أن يكون لكل ولد من اولاده حرس خيالة من ١٠٠ — ١٥٠ فارساً أما عند الله فكان له وقت حياة أبيه أكثر من ثلثائه فارس تحت أمره وفي خدمته . يضاف إلى هذا الممدد كثير من الوقى الأصيلة السريعة ، حيث كان لدى سمود أحسن وأجود أصنافها في بلاد العرب

وكان عدد الذين يتناولون الطعام يومياً في قصره يتراوح ما بين الأربعمائة والخمسمائة شخص : منهم خدمه وحاشيته والأضياف . وكانت أصناف الطعام هي : الأرز والبرغل

(١) لا تزال هذه متبعة في العائلة السمودية إلى وقتنا هذا

والنمر والقم ، وكان سعود يأذن لأولاده الكبار وللكبار المشايخ أن يتناولوا الطعام على مائدته الخاصة

ولم يحتفل سعود في قصره بأى عيد من الأعياد كما يحتفل به في الأمصار ، وكان يقول :
إن هذه العادة لم تكن موجودة في صدر الإسلام

والنظام الذى أوجده سعود^(١) من إثناء مشيئة الحرائم التى تقع في منطقة على شيخ القبيلة الذى تقع هذه المنطقة تحت نفوذه قد جعل الأمن يسود كل جزيرة العرب تقريباً ، وأفرح قلوب الذين كانوا معرضين للمعارك والنهب . والسكان سواء في نجد أو الحجاز أو اليمن قد استراحوا إلى نظام الحكومة السعودية ، ولا سيما إذا قورنت بحالة الفوضى القديمة ، وأقبل الأهالي على الزراعة لأهم أمناً شر القتل التى تهدد محصولاتهم

كان سعود مشهوراً بالقسوة على الحرمين . سمعت مراراً من جلالة الملك أنه حس مرة بعض شيوخ مطير ، جاء بعض كبارهم للاستشع لهم وأسس منهم روح الاعتزاز ، فأمر بقطع رؤوس المسجونين ، وأحضر رؤوسهم على مائدة قدمت لبنى مهمم الذين جاءوا للاستشع فيهم ، ثم أمرهم بالأكل من المائدة !! وقد قص هذه الحكاية جلالة الملك عبد العزيز على شيوخ مطير الذين جاءوا للاستشفاع في فيصل الدويش ، ولكن جلالة الملك عبد العزيز لم تعرف عه قسوة من هذا النوع ، غير أن سموه وإن عرف بالشدّة في معاملة لمن يتجاوز حدود الشرع ، فإنه كان كذلك مشهوراً بوفائه لأصدقائه المحضين معه ، فأى شيخ يخص الخدمة لسعود يمكنه أن يستد عليه في جميع الملمات والشدائد وكانت ولا تزال أشد عقوبة يمكن أن تنزل بمجرم أن تخلى لحيته ويظاف به في الطرق ، والمرى يفصل الموت على خلق العبة

فتح الحجاز

لقد فتح سعود الحجاز في أوائل سنة ١٢١٨ هـ في أيام والده ، وعين الشريف عبد الدين أمير مكة من قبله ، ولكن الشريف غالباً تمكن من الطلب على القوة التى وضعت

(١) وهذه السياسة هي التي اتبعها الملك عبد العزيز في سياسة الداخلية

في مكة واستقرها منهم ثانية ، ثم استمرت الحرب سجالاً بين الفريقين حتى تمكن من الاستيلاء على الحجاز مرة أخرى في سنة ١٢٢٠ هـ . على أن بقي الشريف غالب في إمارة مكة من قبل سعود ، وأمر الشريف غالباً بهدم القبور في جدة ، وأمر أهل جدة ومكة بالإفلاع عن شرب الدخان ومنع بيعه في الأسواق ، وأمر بمنع المنكرات والمجاهرة بها ، وترك لبس الحرير والذهب وإبطال المكوس والمظالم ، ومصادرات الناس في أموالهم . وعاهده الشريف غالب على ترك ذلك كله واتباع ما أمر الله به في كتابه العزيز : من إخلاص التوحيد لله وحده واتباع سنة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وما كان عليه الخلفاء الراشدون والصحابة والأئمة ، وترك ما حدث في الناس من الالتجاء إلى غير الله من المخلوقين الأحياء والأموات في الشئاذ ، وما أحدثوه من بناء القباب والزخارف وتقبل الأعتاب ، إلى غير ذلك مما جد وحدث وجعل ديناً والدين منه براء ، كما أمر الناس أن يلبسوا إلى الصلاة حين سماع الأذان ، وألا يصلوا في الحرم إلا جماعة واحدة ، كما أمر العلماء أن يقرأوا الرسائل التي وضعا علماء المدينة ، ولقد استمر حكمهم للحجاز من سنة ١٢٢٠ إلى ١٢٢٨ هـ ، وكان سعود وأهل نجد يحبون في كل سنة ، وغد هذا النظام في المدينة أيضاً وسائر البلدان الحجازية

لقد خضع أهل الحجاز وشريف مكة لحكم السعودي ، وأصبحت مكة نقطة من الإمبراطورية السعودية ، وتخذت أحكام الدين حسب الحركة الإصلاحية التي قام بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، ولكن كل هذا لم يكن إلا سائرة لقوة القاطنين

بداية الخلاف مع المصريين والآثراك

في سنة ١٢٢٠ هـ قال الأمير سعود لأبى الحجاج الشامي والمصري : ما هذه العربيات التي تأتون بها وتضطونها ، فأخبره بأن هذه الحامل إشارة لاجتماع الناس ، وهي عادة قديمة ، فقال لم : لا تفعلوا ذلك بعد هذا العلم ، وإن أتيتم بها فإني أكسرها ، وكذلك شرط عليها أن لا يأتيها بطبول أو زمر ، وفي السنة التي بعدها أي سنة ١٢٢١ هـ كتب الأمير سعود إلى أمير الحج الشامي ، وكان قد وصل قرب المدينة : لا تدخل الحجاز إلا

على الشرط الذي شرطناه عليك في العام الماضي ، ووجهوا ذلك السنة من غير حج
ويقول العلامة ابن حجر في تاريخه في حوادث سنة ١٢٢١ هـ : « سعاداً حشد
حشواً عظيمة قرب المدينة وأمرهم أن يعموا الحاج لأنهم من الشام واستولوا وواجهوا ،
فخرج الحمل الشامي إلى وطنه ، وكان أميره عبد الله بن العظمى ، لأن سعاداً خشي من
مكائده غالب ، وأخرج سعاداً في تلك السنة من كان في مكة من الأتراك ، كما أخرج
منها كل من فيها من الماسكر التركية ، وبعد حجه تلك السنة دار المدينة المذكورة
فتوى حاميتها وأجلى من المدينة كل من يأنزله »

قال العلامة الجعفي المؤرخ المصري : وفي سنة ١٢٢٣ هـ انقطع الحج الشامي والمصري
متعائلين بمع الوهابي الناس الحج ، وليس الأمر كذلك ، فإنه لم يمنع أحداً أتى إلى الحج
على الطريقة المشروعة ، وإنما منع من يأتي بالمدح التي لا يجيزها الشرع : مثل الحمل
والعابل والزمر ، وقد حج طائفة من المعارضة فلم يتعرض لهم بسوء

أما ما رواه السيد دحلان من حرق سعاداً للحمل المصري في سنة ١٢٢١ هـ وأمره
أن يتنهدى : لا يأتي إلى الحرمين بعد هذا العام من يكون حليق الدقن ، ألم أجد فيما
كتبه البجديين ما يؤيده أو يبعيه ، والذي يظهر لنا من هذه الرويات أن سعاداً لم يقبل
دخول الحمل لأنه بدعة ، كما أنه لم يقبل دخول الماسكر التي تصاحب الحمل حشيه أن
تحدث حدثاً في الحجاز ، وهو بعد ليس مطمئناً ولا يأمن بجانب الشريف غالب فسكر
على الأتراك والمصريين هذا الأمر الذي أعادوه مدة طويلة

ولقد سمعت من بعض شيوخ نجد وسمعت هذه الرواية أيضاً من جلالة الملك انتقاداً
لسياسة سعاد : إنه في الوقت الذي غاضب فيه الأتراك ورد حجاجهم ، وكان فيه أحد
بنات أو شقيقات السلطان التركي ، كان يتنهدى مع شاه إيران ويتنهد منه ، كما أنه
انتقده أيضاً في قبول نصائح غالب التي لم تكن تنطوي على الإخلاص ، بل كانت تنطوي
على استتارة الناس ضد الحكم السعدي ، وإن الشيخ عبد الرحمن بن حسن قد نصح
سعاداً بعدم الإصغاء لنصائح الشريف غالب ، كما نصحه أيضاً بالاعتدال في معاملة الأتراك
والمصريين ، غير أن سعاداً كما قدمنا كان شديداً ، كما أنه كان شديد المذهب رأيه

أما أهل الحجاز فقد كرهوا الحكم السعودي لأنه قطع عنهم الحجاج وحال بينهم وبين ما كان يردم من الصدقات ؛ ولذا فقد هاجر كثير منهم إلى مصر واستنبول وشكوا لسلطان ولحمد على باشا ما أصابهم من الشدة والعتيق بعد الاحتلال الحديد واقطاع ما كان مرتباً لهم من الإعانات . أما الشريف غالب فإنه لم يقدم حضوره للأمير سعود ولم يبايعه على الطاعة اعتماداً منه أو إحصاءً له ، بل لأنه غالب على أمره ؛ ولذا فإنه ما فتئ يكانف محمد علي و السلطان تركيا يستجدهما على خلاص الحرمين الشريفين

وفي سنة ١٢٢٢ هـ صدر الأمر من السلطان سليم لحمد على بتوليته الحجاز ومحاربته الروهابين . غير أن محمد علي لم يكن يستطيع تنفيذ الأمر فوراً ؛ لأنه لم يستقر أمره بعد في مصر ولا يزال يخشى من نفوذ المماليك

وفي سنة ١٢٢٦ هـ بدأت الحملات العسكرية من مصر فاحتلت يدبع في السنة نفسها ، والفرغم من انكار طوسون في الصفراء واتصاء على الحملة قضاء تاماً ، فإن محمد علي أعاد الكرة مرة أخرى وأخذ يستبيل بالمال أسراء العربان ، والشريف غالب بمحمد له السيل حتى تمكن من استرداد مكة والمدينة والطائف في سنة ١٢٢٨ هـ

واند سمعت من بعض كبار التجديين أن محمد علي حاول أن يعقد هدنة لمدة عشر سنوات بينه وبين سعود لأن المهمة التي وكلت إليه وهي استرداد الحجاز قد انتهت وليست هنالك فائدة من الحرب ولا مطع لحمد على في نجد ، ولكن سعوداً أبي أن يعقد هدنة أو صلحاً مع محمد علي

ويقول السيد دحلان : إن سعوداً نفسه هو الذي طلب الصلح من محمد علي وانفداء عنان للضابن عامه على الطائف ، ولكن مسمى الصلح لم تتم حيث اشترط محمد علي دفع المصاريف التي صرفت على الحملة العسكرية ، ورد الأثوز من الجواهر والأموال التي كانت بالحجرة النبوية أو ثمنها ، وحضور سعود بنفسه لمقابلة محمد علي ، وسواء صحت الرواية الأولى أو الثانية ، فإن محمد علي وضع خطه لقضاء على الدولة الجديدة ، وقد عمل على استنباب الأمر في مكة بتبض على الشريف غالب وأولاده وأرسلهم إلى مصر ، وبذلك لم يبق له منازع في الحجاز

وفاة الامام سعود

وفي ربيع الثاني سنة ١٢٢٩ هـ (١٨١٤ م) توفي الإمام سعود بالفرعية على أثر حى أصيب بها . ونحن شاء القدر أن يشاهد سعود قبل موته إيلات الحجاز من يده مرة أخرى فإن ذلك لم يفت في عصده ولم يكن له أثر يذكر في حالة مملكته الداخلية ، وذلك بفضل شخصيته الجبارة والصلاة والشدة التي عرف بها

وبموت سعود فقدت مجد تلك الشخصية الهيبية ، وبدأ الصدع يظهر شيئاً فشيئاً في أيام ولده عبد الله بن سعود

عبد الله بن سعود

وبيع لعبد الله بعد وفاة أبيه ، وقد كانت الحرب مستمرة بين نجد ومحمد علي باشا ، فلم يستطع أن يملك زمام المملكة بيد من حديد ، كما لم يستطع أن يدبر الحرب بمباراة كما كان يديرها أبوه

لقد انتزع عهد عبد الله من سعود بمخالفات عائلية بينة وبين عمه عبد الله ، الجدل الأكبر لجلالة الملك عبد العزيز ولم يكن هو البادئ بها ، بل إن عمه رأى نفسه أحق بالإمامة لأنه ولد محمد بن سعود المؤسس الأول ، ولكن هذا ليس بمرجح صحيح ، فإن سعوداً تولى الإمامة في حياة أعمامه ، والحقيقة أن عبد الله التزم أسس لين قناة عبد الله ابن أخيه فأراد أن يخلفه ، وليست هذه الحادثة بمجديدة في بلاد العرب

تطلب عبد الله على عمه ، غير أن الصدع قد بدأ وانحلال المملكة قد ظهر ، وأخذ أعداء الحكومة السعودية من المجذبين يستفيدون من الفرصة ، فكانوا يمدحون محمد علي ، ومحمد علي لا يترك هذه الفرصة تمر دون أن يستفيد منها

كان عبد الله في حياة أبيه يشار إليه بالحكمة والمقتل والقطعة ، غير أنه لم يكن له من الصفات الحربية مثل أبيه

كان عبد الله محبوباً من البادية الذين عربكته ، ولكنه كان قصير النظر في سياسته ،

كما أنه لم يكن له من قوة الإرادة ما يمكنه من القبض على زمام البادية ، والبدو أسرع الناس إلى الانتفاض ، فسقطت إمارة آل سعود على عهده ، ودخل إبراهيم باشا الدرعية وقبض على عبد الله وأرسله إلى الآستانة

ويقول البعديون المحكون : إن عبد الله قد أخطأ كثيراً في إدارة الحرب وخالف طريقة والده في الحرب ؛ فبعد الله كان يصد إلى مازلة المصريين ، والمصريون أقوى منه آلات حربية وأقدر على إدارة القنوق الحربية . أما أبوه فكان يصد إلى الحيلة الحصيفة فيماوش أعداءه بقوت صغيرة حتى يهلك قوتهم ، ثم ينقض عليهم فيقضي عليهم ، وهذا ما فعله في ضرب جيش طوسون باشا سنة ١٢٢٩ هـ ، وفي تربة سنة ١٢٢٩ هـ ، ولذا فإن عبد الله لما عمد إلى مقاتلة المصريين وجهاً لوجه انكسر في تربة سنة ١٢٣٠ هـ ، وتسع هذا الانكسار استيلاء المصريين على القسم الجنوبي من الحجاز

وقد خطأ البعديون أيضاً عبد الله في تدبُّه مع المصريين في الدرعية ، فأصغروا واسعة والمصريون لا يستطيعون إلقاء حاميات في جميع الأراضي البعيدة

واقعد خطأ أيضاً (Rarchart) عبد الله بن سعود في عقد الهدنة مع طوسون باشا سنة ١٢٣٠ هـ ، فإن هذه الهدنة كانت من أكبر الأسباب التي عملت على تفويض عرش آل سعود ؛ لأن المصريين كانوا في أشد الظروف حرصاً : فقد كانت ذخائرهم على وشك النضاد ، كما أن الجو قد فتك بالجود والحيوانات ، فبالهدنة مكسبهم من تجديد حملاتهم على الحجاز ، ولو أن عبد الله تاح القتال لكان من المحقق القضاء على الحملة المصرية الصغيرة

أسباب سقوط الدولة السعودية

١ — كانت الدولة مستندة إلى القوة العسكرية أكثر من استنادها على القلوب ، والدعوة الدينية لم تتمكن بعد من قلوب الناس ؛ فقد كانت الثورات تشب من وقت لآخر لطرح الحكم السعودي لاسيما في البلاد البعيدة عن نجد كسير وعمان ؛ ولذا فقد وجد محمد علي باشا ونفوذه الجبل واسعاً في جزيرة العرب

٢ — تخرش سعود بالأثران والمصريين بإشارة غالب ونصائحه ، والأثران أهل

الحلابة ويهيمهم المحطة على اقب (خدام الحرمين الشريفين) يمل بصرون على عرى
 يترع منهم الحرمين الشريفين ويحول دون حجبهم ؟ إن هذا أكثر من ثورة ضدهم ؛
 لذلك لم يكن لم يد من إلقاء هذا الحبل على محمد على باشا بد مثل (باشا) شداد و (باشا)
 الشام في تأديب هذه الفئة . ووالى مصريهه أيضاً سط هوذه في الحجاز ؛ لأن ذلك
 يتفق مع مطالبه الواصة وبشهر اسمه في السلم الإسلامى

إلى أعتقد لو أن سعوداً اقتصر في الدعوة على جزيرة العرب وترك الخليج حراً للأتراك
 والمصريين ، ولم يمس الناحية الحساسة في الترك ، وهى السيادة على الحجاز ما اهتم الأتراك
 بأمره ؛ فقد مكنت جزيرة العرب مدة طويلة ومار القنن تا كل الأخضر والياس ، بل
 لقد كان الحجاج الأتراك والمصريون عرضة للهب والقتل في كل ناحية حلواها في الحجاز ،
 وكأوا يحتلون هذا ويمدونه من الأعمال الطبيعية . وأى فرق في نظر الأتراك بين آل
 سعود والأشراف ؟ التريقان من العرب ، وأصلهم من يحمط بسيادة الأتراك ولو اسماً
 مع نشر الأمن والحفاظة على سلامة الحجاج وتوفير وسائل الراحة لهم

رأى علماء نجد

أما بعض علماء القصيم فيحملون نية ما وقع على عمد من تخريب وتدمير على أيدي
 الحلة المصرية على آل الشيخ^(١) ؛ لأهم كأوا السيطرين على السياسة الموحين إلى الأسماء
 باتباعها ، فهم الذين أملوا عليهم خطة الشدة والعداء العام لآثر الناس
 أما آل الشيخ فيدسون هذه التهمة عنهم طمأ بانظمن على هذا الصف من
 العلماء ، وبمبالاة أهل القصيم لوالى مصر وترغيبهم إياه لتزو بمجد وتميذهم السبل
 لذلك ، وهم ينسبون ما وقع عليهم من الحن إلى القلوب والتقصير ، والله قد يتلى عياده
 المؤمنين بشقى الحن

(١) يطلق آل الشيخ على قرية الشيخ محمد بن عبد الوهاب

أثر الدولة السعودية في نجد

مهما قيل في الدعوة الدينية الإصلاحية ، ومهما قيل في الطريقة التي اتبعت في نشر هذه الدعوة ، فإن هذه الدعوة قد تركت في نجد أثراً عظيماً لا يفكر ، وفصحت قصاه تامة على ما كان شائعاً في نجد من الخرافات ، وما كان شائعاً من تعظيم القصور والندرها ، والاعتقاد في بعض الأشجار ، وأحييت معالم الشريعة بمدادها ، وجعلت الرجوع إليها في مختلف الشؤون أساساً من أسس الحكم . أما أهل العلم والقصة لاسيما آل الشيخ فإنهم فوق كل اعزاز ، وأصبح مقروناً اسم آل الشيخ وآل سعود بعقيدة الوحيد والدعوة الإصلاحية لاسيما في إقليم العارض . أما الجهات الشمالية : القصيم وحيل شمير ، فهم أقل حماسة من الجهات الجنوبية

الدولة السعودية الثانية

بعد إبعاد عبد الله بن سعود من نجد ، وسفر إبراهيم باشا إلى مصر سنة ١٢٣٤ هـ رجعت إلى نجد نوصاها القديمة ، وحل الفساد ونظف الطرق محل النظام والأمن . حانت الفرصة لآل سعود مرة ثانية ، ولكن من يقودهم ؟ اختفى آل سعود فيما بينهم على الإمارة كما طمع غيرهم أيضاً

طمع محمد بن مشاري بن مُمَرَّ في الإمارة ؟ فانتقل من المييبة إلى الدرعية وأخذ يستميل الناس إليه ، فذات له العارض والوشم وسدير ، غير أن أسر ابن مصر لم يطل ؟ فإن مشاري بن سعود وصل إلى الدرعية في حمادى سنة ١٢٣٥ هـ وانزع الأسر من ابن مصر بلا مقاومة تذكر وابع مشاري ، غير أن ابن مصر قام ثانية فاسترد الإمارة وألقى القبض على مشاري . وهنا يقوم تركي بن عبد الله فينار لابن عمه مشاري ، يقبض على ابن مصر وولده ويقتلها جزاء طلبهما مشاري للترك

تركي بن عبد الله

١٢٢٥ - ١٢٤٩ هـ

هو تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود ، وعبد الله والد تركي ليس هو عبد الله الذي أسره إبراهيم باشا وقتله الترك ، كما توهم بعض الكتاب ، ويعتبر تركي المذكور منفي

الدولة الثانية لآل سعود في سنة ١٢٣٥ هـ ، لأنه منذ هذه السنة اعتبر الزعيم الساعى لاسترداد إمارة آل سعود . لقد هرب تركى هذه السنة من الرياض بعد حصار الأتراك له ، ولكنه خرج من الرياض وهو رافع علم الثورة ضد أولئك العائدين ؛ وقد استمر ينقل من بلد إلى أخرى سره مهاجراً وأخرى مدافعاً ، ولسان حاله يقول ما قاله امرؤ القيس :

فقلت له لا تيك عيك إنما نحاول مُلكاً أو نموت فنمنا

وقد تمكن بعد محاولات من استرداد الرياض التي جعلها مقراً له ومن إحصاع بجد كلها ، وفي آخر سنة ١٢٤٩ هـ در مشاري بن عبد الرحمن بن سعود للأمير تركى مؤامرة اغتاله فيها ، وأعلن نفسه أميراً على نجد ، غير أن فيصل بن تركى الذى كان فى التظليل وقت اغتيال أبيه ماهر إلى الرجوع إلى الرياض لينأى لأبيه من مشاري بعد أن استمد لذلك . وفي ١١ صفر سنة ١٢٥٠ هـ دخل فيصل بن تركى الرياض وحاصر مشاري فى قصره ، ولم تمض بضعة أيام حتى تساق فيصل ورجاله القصر ، وقتلوا مشاري ومن ساعده على تدبير المؤامرة لاعتقال أبيه ، وأعلن فيصل نفسه إماماً وحاكماً على نجد

فيصل بن تركى

سنة ١٢٥٠ — ١٢٥٤ هـ

أتى القبض على الأمير فيصل فيمن أتى القبض عليهم فى الدرعية من آل سعود . وآل الشيخ ، وبقى فى مصر من سنة ١٢٣٤ — ١٢٤٣ هـ ، حيث فرّ من مصر ، ووفد على والده فى تلك السنة ، وشارك والده فى كثير من غزواته وحملاته ضد المعتصمين تارة وضد بعض أمراء آل سعود الذين رأوا الفرصة سانحة للأماره أيضاً . كان فيصل من أعظم الأمراء مهمة وشجاعة ، كما كان من أتقى آل سعود وأكثرهم حمية وغيرة على الدين والقومية .

لم يمكن مشاري بن عبد الرحمن بن سعود من الأماره ، وقد صمد إليها باغتيال تركى والده فيصل ، بل ركب متن الخطر ، وهل للأماره فى بلاد العرب غير طريق الحماطه ؟ فأسقطه بسرعة وقته وقتل من عاونه . تسلّم فيصل عرش الإمارة الشائكة لم يجد من

كثير من الأسراء إخلاصاً وخضوعاً . أما بعضهم فيفضل الاستقلال حتى يتحكم في الناس ويتبع الحال لهواه ومطاميه ، و بعضهم يخاف من بطش المصريين والأتراك ، غير أن فيصلاً كان يحده محمد بن سعود لئلا ين يفتقه الله ، شديداً على من لا يوصله غير الشدة ، شمر فيصل عن ساعد الجدل حتى أحصى أكثر البلاد العربية ما عدا الحجاز طمعاً ، وأعد عهد الطام والأمن في البلاد العربية بعد أن سادت فيها القوضى وانتشر الفساد

لقد هب الأتراك ومحمد على أمر مجد مرة أخرى ، وحوهم أن يمرد الأمر لآل سعود كما كان ، فأرسلوا حملة عسكرية ومعها خالد بن سعود ، فأصبحت الحرب أهلية بين آل سعود ، غير أن أهل نجد لا سيما الجنوبيين كانوا يميلون إلى فيصل لأنه لم يستعين بأحد من الأتراك ، وصرحوا بخلافه لأنه إذا كان يريد منهم الطاعة بهم مطيعون ، أما إذا كان يريد الطاعة للأتراك فهم لا يمحون الأتراك ولا يريدون الخضوع لهم . وقد استمرت الحرب الأهلية بين خالد ، ومعه حنود محمد على ومن تبعهم من الحديدين ، وبين فيصل بن تركي والحديدين الصميمين من جهة أخرى ، وكانت الحرب سجالاً بين المرتين ؛ وأخيراً رأى ولاية الأمور — المصريين والأتراك — أن يضموا آخر حد لفيصل بن تركي الذي يرى إلى إعادة حكومة سعودية مستقلة لا تتأثر بالعود التركي أو المصري ، فوكلوا هذا إلى حورشيد باشا الذي أورد إلى نجد سنة ١٢٥٤ هـ حملة عسكرية لقمضاء على فيصل ، ووصل حورشيد باشا إلى الرياض في رجب من السنة المذكورة ، فأصم إليه خالد بن سعود وساروا جميعاً إلى فيصل الذي كل في ذلك الوقت في لندن من إنليم الحرج ، وبعد معارك دامية رأى فيصل أن ليس له قدرة على مقاومة المصريين ، فاستسلم له فأرسله حورشيد باشا مع أخيه جلوي وولديه عبد الله ومحمد إلى مصر

وقد بقي الإمام فيصل في مصر من سنة ١٢٥٤ إلى سنة ١٢٥٩ هـ ، كانت نحمدتخوض فيها فتنة أهلية بين خالد بن سعود وبين عبد الله بن ثنيان ، الذي يريد استخلاص نجد من قوات الأتراك . استتب الأمر فيها لعبد الله بن ثنيان ؛ وهرب أخيراً خالد بن سعود من الرياض إلى الإحساء فالتطيل فالكويت فمكة حيث توفي بها

فصل

من سنة ١٢٥٩ — ١٢٨١ هـ

تمكن الإمام فيصل بن تركي من الفرار من مصر مرة ثانية ، ويقال : إنه تمكن من ذلك بمساعدة عباس باشا الأول ؛ فإنه كان معجباً به وبفعله ، فدأت قوة ابن ثيان ، وأسلم له سائر الرؤساء ، ويمكن بعد مدة قصيرة من استعادة المملكة القديمة ما عدا الحجاز ، وقد ساعده على ذلك أولاً اسحاب الجيوش المصرية من البلاد العربية ، وزوال المؤدوم من تلك البلاد نتيجة لمعاملة لندن سنة ١٨٤٠ م ، وثانياً ملك الحكمة والتصر الذي اتبعه الإمام فيصل مع الأنراك الذين اكتفوا بسيادتهم الإسمية على بلاد العرب ، وبذلك عادت الطمانينة إلى قلوب السكان ، وشمل الأمن الطرق والبلاد التي بسط فيها فيصل سلطانه ونفوذه

صفات فيصل بن تركي

كان الإمام فيصل قصير القامة ، يميل إلى السن ، متوقد الذكاء ، كثير التواضع ، يميل إلى العدل ، شديداً على عماله إذ رأى منهم انحرفاً عن الحطة التي رسمها لهم ، وكان في أحرى أيامه شديد المطف على الأبناء ، نبي لهم في الرياض داراً خاصة لهم ، وكان يفتقد بنفسه ويكرم منواعم وبراسيهم بكلماته الرقيقة ، وقد أحبرني المرحوم الشيخ عيسى ابن علي أنه مر بالرياض في حجه سنة ١٢٧٨ — سنة ١٨٦٦ م فرأى الإمام فيصلاً يزور دار الأيتام - ورآه مرة يبكي حينما قال له أحد المتحاضرين : خف الله يا محفوظ وتمتعت بحج في أيامه بسعادة ورحاء عظيمين

وقد زار الرياض الرحالة « بلجريف » ، يوصف ملاط فيصل وما يسوده من الجاسوسية والإشاعات كما وصف الإمام فيصلاً ما ضعف في آخر أيامه وسيادة عبد الله ولده في خارج القصر ، ومحبوب — عتيق تركي والد فيصل — في داخل القصر ، كما

وصف ساطة الشيخ عبد القليل حفيد الشيخ محمد عبد الوهاب وأنها تأتي بعد فيصل مباشرة ، وذكر أيضاً المناسبة بين عبد الله بن فيصل وسعود بن فيصل حتى اضطر فيصل إلى تعيين ولده سعود أميراً على النجاسة والخروج ؛ دفعاً للاحتكاك والمناقرة بين الولدين ، وإن أهل الدين المتحسين يرون في عبد الله الزعيم ، كما أن فريق المتساخمين يرون في سعود الزعيم البصير العاقل

إن فيصلًا وأكثراً من نجد يكرهون الأحاسب من كل قلوبهم ويسببونهم الطائون ، وهم لا يلامون على هذا فقد ذاقوا من المصريين والأتراك ومن حيوتهم الأتراك ، وقد ذاق فيصل نفسه الشيء الكثير منهم في الحبس والإبعاد ؛ ولذا فإنه يرصد العيون على كل أجنبي فادم ولا يترك له المجال للإقامة في الرياض ، ولكنه في الوقت نفسه كال واسع الصدر مع المسلمين غير النجديين الذين فضلوا الإقامة في بلاده ، حيث وجدوها وطناً صالحاً لتعاليم الإسلام الصحيحة كما ذكر بلجريف نفسه إكرامهم لبعض المدود ؛ ولهذا السبب لم يجد بلجريف صدراً واسعاً لإقامته ، ووحد البيوت تبث حوله

وقد نشطت الدعوة النجدية في أيام الإمام فيصل بعد ما أصيبت بالجد في أيام حملات المصريين ، غير أن هذه الدعوة سواء كانت سلمية أو حربية لم تخرج عن دائرة نجد والأحساء وعمان وقطر وعسير . أما الحجاز والعراق وسوريا فلم يشأ فيصل أن يدخل معها في نزاع حديد ؛ لأنه رأى سلامته وسلامة بلاده في حفظ صلوات المودة مع الأتراك

واعترف الإمام بسيادة الأتراك الإسلامية لم يمنعه سنة ١٨٦٢ م من معارضة بيلى اتقى السياسي في بوشهر باسم الحكومة البريطانية لتوطيد صلوات المودة والصداقة بين البلدين

أما المملكة السعودية في أيام فيصل فقد كانت حدودها حسب وصف بيلى ^(١) من الشمال خط يمتد من جوف العامر إلى قرب الكويت مباشرة عند نهايتها الشرقية ، ومن الجنوب تمتد نجد بالربع الخالي أو الصحراء الكبرى ، ومن وادي الهوامر من نهايته الغربية إلى نقطة غير مقيمة في الصحراء في اتجاه الخليج الفارسي ، ومن الشرق فتعذر حدود نجد إلى الخليج الفارسي إلى الكويت في طرفها الشمالي فتازلاً إلى أبي ظبي ، وبعد

(١) محاضرة السكولويل بيلى في الجمعية للجغرافية سنة ١٨٦٥ م

أن يمر خط الحدود إلى الداخل قليلاً حتى يصل إلى يربجي ينحني حط الحدود نحو الجنوب الشرق ويمتد وراء تلال مسقط وعمان ، ومن العرب خط يمتد تقريباً من الشمال والجنوب بين الحجاز من جهة ، ووادي الدواسر من جهة أخرى بحيث يقع وادي الدواسر في نهاية الطرف الجنوبي لهذه الحدود . هذه الجهات كان سكانها ورؤسائها بمضمون تلال للإمام فيصل . وهناك جهات أخرى كان يكتفى منها الإمام فيصل بضريبة سنوية علامة على الخضوع ، فأمر البحرين كان يدفع أربعة آلاف ريال ، وسلطان مسقط ستة آلاف ، ورئيس ساحل عمان من رأس الخيمة إلى أبي ظبي ١٢ ألف ريال

وفاة الإمام فيصل

في سنة ١٢٨٢ هـ (١٨٦٦ م) توفي الإمام فيصل ففقدت معه جموعه شخصية عظيمة كان لها أثرها في جمع الكلمة ، تلك الشخصية الحكيمة التي كان لها الفصل في إحياء النظام والنضال على القوضى وسيادة الأمن والقانون وموت الإمام فيصل أوجد التنافس بين ولديه عبد الله وسعود سبباً لأعدائهما ، فاستفادوا من مفارقة الأخوين ، حتى انتهى الأمر أخيراً بالقضاء على إمارة آل سعود مرة أخرى

الحرب الأهلية بين عبد الله وسعود

كان التنافر بين الأخوين معروفاً منذ أيام فيصل ، ولكن الإمام فيصل أراد وضع حد لهذه المنافسة ، فجعل ولاية المهدي لولده الأكبر عبد الله وأطلق يده في كثير من الأحوال ، وكان عبد الله معروفاً بالكرم والقوى ، كما كان معروفاً بالتمصب والشدّة ، وهو يرى نفسه الوارث الشرعي للإمارة

أما سعود فكانت شخصيته تختلف تمام الاختلاف عن شخصية أخيه عبد الله : كان طويلاً كأحواله بنى خالد ، وكان يميل إلى الاعتدال والتسامح ، وهذه الصفات ربما كانت محبوبة لدى البدو أكثر . يقول عارموا عبد الله بن سعود : إن الرجل كان طيب

القلب شجاعاً ، ولكنه أسند الأمور إلى غير أهلها ، وأطلق يد موظفيه ، وبعضهم لبسوا من العائلات المعروفة فعاملوا رؤساء البلدان والقنائل سير ما اعتادوه في أيام فيصل ، من كرم الضيافة والرعاية ، ولا شيء أسوأ أثراً في نفس القرى من سوء المعاملة ، كما لا شيء يحدث أحسن الأثر أكثر من الإكرام وطلاقة الوجه ، ولقد سمعت كثيراً جلالة الملك عبد العزيز ينصح أولاده بعدم الركون إلى الخدم ومضى الموظفين ، وتصنع الشئون العامة بأنفسهم ، وكثيراً ما يصرب المثل معه عبد الله بن فيصل وركونه إلى خدمه الذين أساءوا إلى الناس ، فانصرفت قلوب الناس عنه وانفضوا من حوله ، وعلى كل حال فإن الخصومة بين الأخوين أحدث تردداً واحد كل فريق يجمع أنصاره حتى ينازل حصمه ويتملق عليه ، وقد بدأت أجزاء المملكة في الاحمال ؛ فإن القسم الشمالي من نجد أصبح تحت نفوذ آل رشيد ولم يبق لآل سعود إلا سلطة اسمية ، ولم يبق على ولاه مع آل سعود إلا الرياض والخرج وبعض الأقسام الجنوبية

ترك سعود الرياض بسبب وفاة أبيه وأخذ يبحث عن أنصار له ؛ فوجد في المعجم أنصاراً أتقوا ، والمعجم وسو حالد كانوا أصحاب النفوذ في إقليم الاحساء ، ونفى فيصل وأسلابه على نفوذهم في تلك القلاع ، وهما الفرصة سانحة لاسترداد نفوذهم قبل يتركونها تفلت من أيديهم

تحالف رآ كان من حشيين زعيم المعجم مع ابن خليفة حاكم البحرين يساعدون قبائل آل مرة ، وتقدموا إلى المعوف (عاصمة الاحساء) ، وكان فيها أحد الديرى حاكماً من قبل عبد الله بن فيصل فحاصروه فيها ، وأحد عبد الله بمساعدة أخيه محمد بن فيصل يجمع القوات لضرب خصومه وتلك حصار عامله ؛ ولكن لبعد المسافات بين البلدان لم يتمكن عبد الله من حشد عدد كبير من المحاربين ؛ ولذلك أسرع بقوة صغيرة لتجدة البلد المحاصر ، وقد بقى حاكم المدينة محاصراً عدة أسابيع ، ولكن سداها لم لها هدوده بإتلاف البساتين ، وقد علم عبد الله سقوط المعوف وهو في منتصف الطريق من الرياض إليها ، فقرر الانتقام والأحد بالتأخر دوراً ، فقسّم قوته إلى عدة سرايا وأمرهم أن يحدوا السير من طرق مختلفة إلى الماء المسمى حودة ، حيث كانت تمسك قوة العدو الرئيسية ،

وحيث تتقابل كل هذه العرايا في ليلة معينة ليأخذوا العدو على غرة قبيل شروق الشمس ،
غير أن خصومه الذين كانوا يحتنون منازل المياه على مسافات واسعة بددوا هذه العرق
الضمنية ، وقتلوا أكثر من ألفي مقاتل من محاربى عبد الله المحلصين

أما سعود فإنه سارع وأتباعه لاحتلال الرياض عاصمة ملك عاتمه ، ودخلها في نهاية
سنة ١٨٧٠ م واستولى عليها وأقام نفسه حاكماً عليها ، وقد حاولت بعض المدن وأهمها
البكة أن تقاوم سعوداً ، ولكن عبد الله هزم هناك سرّة أخرى ، وبهذا لم يستطع الإقامة
في بلاد أجداده ، فحمل حرمته وعائلته على حائفة بئر ومار ينقل من ناحية لأخرى أمه
يحمد مصيراً أو مساعداً ، فتوجه أولاً إلى رامل السليم حاكم عبيدة ، ولكن حومه من
بطش سعود حمله يوعز إلى عبد الله بالرحيل عن بلاده ، فتوجه عبد الله إلى محمد بن الرشيد
في حائل ، غير أنه لم يحمد صدراً وحباً معه ، فوكل إلى سلطان الدويش (ولد فيصل
الدويش المعروف) وعساف أوثقين رئيسى مطير وسبيع ، وكاماً يحفظان على حاكم
الرياض سعود ويسميان لإضمار نفوذ

وأراد عبد الله أن يسمى من جهة أخرى لإضمار نفوذ أخيه سعود . فأرسل
عبد العزيز بن بطيخ إلى مدحت باشا وإلى بغداد ليستمد منه المعونة ضد أخيه ، فوجد
مدحت باشا الفرصة سانحة للاستيلاء على الاحساء وسائر البلاد التي كانت خاصة لتركيا
قبل دولة آل سعود ، فاستعان على غرضه هذا بتناصر باشا السطرون رئيس قبيلة اللاتيف ،
وعبد الله بن صباح حاكم الكويت ، وبمساعدة هؤلاء وببى خالد أبحار عبد الله احتلت
القوة التركية الاحساء وأطلقوا عليها ولاية نجد

وقد تحقق عبد الله الذى كان يحمد أخاه سعوداً على ولاية الاحساء أنها قد خرجت
من أيديهما جميعاً

أما سعود فقد بدأت القلوب تنصرف عنه بسبب الفطائح التي ارتكبها بأبحاره
وأبحاره البعجان ، فاجتمع أهل الرياض تحت قيادة عمه عبد الله بن تركي وطردوه من
الرياض سنة ١٨٧١ م ، فوجد عبد الله بن فيصل القيم في الاحساء الفرصة سانحة ،
فترك الاحساء ودخل الرياض بدون مقاومة ، ولكن سعوداً لم يهن عزمه ، فجمع

أنصاره وأصدقائه الدواسر ، ومازل أخاه عبد الله في البَجَزَة وضربه ضربة شديدة ودخل الرياض ظافراً

أراد سعود أن يسترد الاحساء من الأتراك بعد أن أصابها أخوه عبد الله ، فرأى البدء في مفاوضات مع الأتراك لحل هذه المشكلة ، فأرسل أخاه عبد الرحمن والد الملك عبد العزيز إلى بغداد ، فأقام عبد الرحمن بن فيصل في بغداد أربع سنوات دون أن يصل إلى نتيجة ، وأتى له ذلك والأتراك يرون يصرهم إلى داخل الجزيرة

ترك عبد الرحمن بن فيصل بغداد سنة ١٢٩١ هـ (١٨٧٤ م) مصراً على الاستيلاء على الاحساء بالقوة ، بعد أن فشلت المفاوضات السياسية ، فنزل إلى بادية الاحساء واستحثها على قتال الترك ، فاجتمع حوله العجمان هاجموا الاحساء واستولوا عليها ماعدا الكويث (القاعة) ولكن الأتراك بمساعدة بني حنابلة هزموا عبد الرحمن والعجمان وطردوه من الأماكن التي احتلها ، ورحل عبد الرحمن إلى الرياض وأخبر أخاه سعوداً بما مضى به من الفشل في محاولاته السياسية والحربية . ولم يكن حظ سعود نفسه بأشد من حظ أخيه عبد الرحمن ؛ فإن مُسَلِّط بن ربيعة من رؤساء عتبية حينما أنس الضعف من سعود وما مضى به في الاحساء أخذ ينهب الجانب الغربي من الرياض ، وأخيراً حينما خرج سعود لغزو عتبية أحاط به أعداؤه في واد ضيق ودخلوا أكثر أنصاره ، وجرح هو نفسه جرحاً شديداً ، وقد نقله عبيده إلى الرياض فمق بها مريضاً حتى مات في صيف سنة ١٢٩١ هـ — (١٨٧٤ م)

فيما مضى أهل الرياض أحام عبد الرحمن بن فيصل إماماً لهم وحاكماً عليهم ، ومضى على ذلك نحو سنة ، غير أن عبد الله بن فيصل عز عليه أن يرى أخاه الأصغر حاكماً في الرياض وهو طريد من عشيرة إلى أخرى ، فدخل الرياض وأعلن نفسه إماماً وحاكماً عليها ، فرأى أخوه عبد الرحمن أن يضع حداً للفتن الداخلية ، فتنازل عن الإمارة وبايع أخاه عليها ، غير أن هذا الحكم لم يدم طويلاً ؛ فإن خصومه وأعداءه من أبناء أخيه سعود تمسكوا من القمض عليه وحده سنة ١٨٨٧ م ، فأسرع محمد بن رشيد حاكم حائل إلى مساعدته بضرب أعداءه وقتل أسره وأخذ معه إلى حائل ، وأقام في الرياض

عاملاً من قبله بجانب عبد الرحمن بن فيصل ، ثم ما لبث أن استقدم عبد الرحمن إلى حائل ليقم مع أخيه عبد الله

ومن ذلك الوقت أخذ محمد آل سعود في الأول ، وأصبحت السكينة العليا في نجد لآل رشيد عمال السعود بالأمس ، فأخذوا يسطون ، ودم على سائر الأنحاء البعيدة . وشخصية محمد بن رشيد زعيم الرشيد قد ساعدت على ذلك أتم مساعدة ، فقد اشتهر الرجل بالكرم وابن الجانب وكبير العقل وحبه للعلم ، فدانت له المشار كلها راضية أو مكروهة وقد رأى أن يمدد قلوب أهل الجنوب فأذن في سنة ١٨٩٠ م لعبد الله بن فيصل يسكن الرياض بالنظر إلى تقدمه في السن واشتداد المرض عليه ، وأذن لأخيه عبد الرحمن أن يصحبه وأن يسكن الرياض أيضاً ، غير أن المية لم تفعل عبد الله بن فيصل ، مات بعد وصوله إلى الرياض بيوم واحد

أما الإمام عبد الرحمن فقد كبر عليه أن يعيش في الرياض بلد آباءه وأحدده بعيداً عن السعود ، يرى بعينه عامل ابن الرشيد هو السيد لطاع ، وكان عامل ابن رشيد من حمة أخرى لا يسير نحو آل سعود من الإكرام وحسن المعاملة مما ينسبهم تراهم الزائل ، فقام عبد الرحمن بن فيصل يشد أزره أهل الرياض والموازن لآل سعود ، وقبصوا على عامل محمد بن الرشيد ومايموا الإمام عبد الرحمن بالإمامة ، فجهز محمد بن الرشيد جيشاً حاصر به الرياض ، ولكن لم يتمكن من دخولها فصالحه أهلها على أن تترك ليد عبد الرحمن الإمارة ، وهم يطلقون عامله المدعو ابن سبتهان

غير أن الأمير عبد الرحمن الذي أصبح تحت رحمة الرشيد والذي لم تمتد سلطته الرياض وما حولها كبر عليه أن يرى من كانوا بالأمس عمالاً من قبلهم لم هذا النفوذ العظيم ، وكذلك أهل القصيم كبر عليهم أن يروا حاكم حائل يتبع هذا السلطان ، وليس أقدم منهم بيتاً ولا أكرم حساباً أو نسباً ، ولكن القوة هي التي أملت عليهم الخضوع والاستسلام

كانت فكرة الأمير عبد الرحمن ترمي إلى غرض واحد ، فقاموا على مبايعة ومباغنة محمد الرشيد في حائل ، وضر به ضربة تضعف سلطته وتقتل من نفوذه ،

ولكن محمد الرشيد لم تكن عينه عسا يكيده خصومه في الغمام ؛ فإنه ما كاد يعلم بأن حصومه أخذوا بتأهبون ، حتى باغتهم بقواته في عنيزة ، وانقض عليهم فزتهم شر ممزق . وقد قتل في هذه المعركة رامل آل سليم حاكم عنيزة وابن ميمناً حاكم بريدة ، وتعرف هذه الواقعة بواقعة المليدة

وسنة ١٨٩١ م وهي السنة التي كسر فيها محمد الرشيد خصومه ، أصبح السيد المطاع في نجد ، وإن كان لا يزال يعاني بعض الصعاب في جمع القرائب من الأقاليم الجنوبية أما عبد الرحمن بن فيصل فقد نقل أهله من الرياض إلى آل مرة قرب الاحساء ، ومكث لديهم نحو سبعة أشهر ، ثم هجم على الرياض فاستخلصها من الرشيد هي وسائر إقليم الطارض ، ولكن ابن الرشيد جهز جيشاً عظيماً التقى بمحيش عبد الرحمن بمجرى بلا ، فقتل عليه القصاص الأخير ، فأيقن عبد الرحمن أن الأمر فوق مقدوره . فترك نجداً إلى الأحساء فاقطعت الكويت ؛ حيث أتى عصا التسيار فيها منتهزا الفرصة وما تأتي به المقادير

فأقام ابن الرشيد محمد بن فيصل أخا الإمام عبد الرحمن حاكماً على الرياض ، وقد كان مستقلاً في حائل ، أما عبد الرحمن الذي احتار الإقامة في الكويت في سنة ١٣٠٩ هـ (١٨٨٣ م) ، فأخذ يقيم العرائيل في وجه ابن الرشيد - وأوغر صدر الأتراك عليه في بغداد والاحساء ، كما سادت العلاقات بينه وبين حاكم الكويت أيضاً ، فأخذ ابن الرشيد في تجهيز حملة لفتح الكويت المند المطبوع لجد سنة ١٣١٢ هـ (١٨٩٨ م) ، ولكن جميع المحاولات باءت بالفشل بعد أن كبذته خسائر فادحة في المال والرجال ، كما أنها وسعت هوة الخلاف بين الكويت وحائل

الدور الثالث لآل سعود

انند كتب القدر أن يرى عبد الرحمن بن فيصل مجد أبيه ، ويرى مأساة الخلاف بين أخويه عبد الله وسعود ، تلك المأساة التي انتهت بالسيادة إلى الكويت يعيش فيها صيفاً غريباً بعد أن كان أميراً مهيب الجباب ، ولكن الله الذي أعاد للصابرين أجرهم

عوض عند الرحمن بن فيصل خيراً ، فأراه قبل موته راية ولده عبد العزيز ترفرف لا على
مملكة الإمام فيصل فحسب ، بل على مملكة الحجاز أيضاً

في آخر سنة ١٣١٤ هـ (١٨٩٧ م) افعال الشيخ مبارك بن صباح أخويه الشيخ
محمد والشيخ حراح خلاف بينهما ، ونسوا عرش الكويت ثم استكتب أعيان الكويت
عريضة بتهم فيها الشيخ يوسف بن إبراهيم بقتل أخويه ، وأرسل عريضة إلى والي
البحر فاطم الشيخ يوسف بن ابراهيم على العريضة ، وقد كان خارج الكويت في
الصيد ، ففر ترك الكويت واتخذ المؤخرة وهي من أملاكه الواقعة قرب مصب نهر
شط العرب . وحاول مبارك في الوقت نفسه أن ينزى الشيخ يوسف بالتقدم إلى الكويت
أو أن يقص الأتراك عليه فلم يفلح ! لأن يوسف بن ابراهيم لم يأمن كيد مبارك

بلأ أولاد محمد الصباح وجراح إلى يوسف خشية من عهدهم ، وهو يتبرك حال لم ،
واستجاروا به وطلبوا منه الأخذ بشار أبيهم ، فبدأ خلاف الخطابين بيت آل ابراهيم
بعاونه قسم من أهلى الكويت وبعض عائلة الصباح وبين الشيخ مبارك

لقد حاول الشيخ يوسف أن يهجم على الكويت فيأخذها عموة ، فجهز حملة بحرية
في بعض شواطئ إيران وملا السفن بالمقاتلة ، ولكن الحظ خدم مباركاً بوقوه على
المزامرة قبل وصول السفن إلى الكويت بيوم واحد ، فرجعت الحملة خائبة حياء رأت أن
أمرها قد انكشف ، وأخيراً لجأ الشيخ يوسف إلى الأتراك وابن رشيد ، وهالك بذل
الذهب وبين الجميع سهولة الانسلاء على الكويت . وكان نتيجة هذه المحاولات
إعلان الحماية البريطانية على الكويت حينما أرسل الأتراك سفينة حربية صغيرة لنقل
شيخ الكويت إلى استنول ؛ لأنه عُيِّن عضواً في مجلس الشورى ، فلم يقف البريطانيون
مكتوف اليد فأعلنوا حمايتهم وهددوا السفينة بإطلاق النار عليهم إن لم تنسحب فانسحبت
حالا ، وقد أخبرني الشيخ مبارك واليد رجب النفيع بقصة إعلان الحماية البريطانية
على الكويت ، وسذكرها في مذكراتنا إن شاء الله

وقد ازدادت المداوة بين حاكم الكويت وعبد العزيز آل رشيد ، ويوسف بن
ابراهيم بذكي نار الخلاف ، وفي سنة ١٣١٨ هـ (يناير سنة ١٩٠١ م) ، وصلت إلى عبد العزيز

ابن رشيد أسلحة كثيرة من الأتراك ، فاستغلها في حملة ضد مبارك الذي كان يتقدم للفرز بمساعدة بعض العشائر التي تميل إلى ابن سعود ، وسن القباطل الحويية التي كانت ترغب في الخلاص من حكم الرشيد ، فاصطدمت قوات الطرفين في الصريف — الماء المعروف في القصيم — وانقضت قوات ابن الرشيد على قوات ابن صاح ومنزقهم ثم عمق ، وفر مبارك إلى الكويت لا يلوى على شيء ، وقد أصيب أهل الكويت في هذه الومعة بمصيبة لا يزالون يذكرونها ، فلم يكديت من بهوت الكويت بحلو من مأم ، غير أن هذه الومعة أنفت أن عبد العزيز الرشيد كان معسلاً لاتعرف الرحمة إلى فيه سيلاً ؛ فإن أكثر من قتلوا لم يقتلوا في الحركة بل قتلوا بعد ما سلخوا سلاحهم ، وقد سقا هذه القصة هما وإن كانت ألصق بتاريخ الكويت لما لها من العلاقة الوثيقة في تاريخ نجد الحديث

عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود

في الوقت الذي هاجر فيه الأمير عبد الرحمن بن فيصل إلى الكويت كانت سن ولده عبد العزيز (الملك عبد العزيز) لا تزيد عن اثنتي عشرة سنة ، فهو لم يشاهد مجده جده فيصل بل شاهد محبة أبيه عبد الرحمن وعائلته

لقد ذاق عبد العزيز مرارة العيش في الكويت ، ولم يحمل أن يعيش تلك الحياة الهادئة ، وقد كبر على نفسه أن يعيش تحت جناح الشيخ مبارك بعد ما كانوا بالأمس سادة نجد ، فقرأ أن يحاطر : إما أن يفوز فيكون قد أدى واجبه نحو نفسه ونحو عائلته ، وإما أن يموت فيستريح ن هذاب الضمير

بدأ الأمير عبد العزيز محاطرته بالحملة على الرياض لبعدها عن مركز قوة ابن الرشيد ، ولما فيها وفي بلاد الجنوب من الأنصار والمخلصين لعائلة آل سعود

خرج عبد العزيز بن سعود من الكويت سنة ١٣١٩ هـ - ١٩٠١ م ، ومعه أربعون رجلاً كلهم من آل سعود والموالين لهم ، وكانت خطة ابن سعود أولاً ترمي إلى صرب العشائر النابتة لابن الرشيد حتى يلف حول رؤساء البدو ، والمالعل فإنه نجح في

ذلك حتى يبع جيشه أنما وفرصاته نحو ٤٠٠ ، واتخذ هدوه نهداً لجبوية

شكا من الرشيد الدولة العثمانية من هذا المدو الصغير ، وكسب تقاسم من نافي
— أمير قطر — بحرصه عليه ، فسمعت الدولة ابن السعود أن يُمرّن من الاحساء ، وقطامت
راتب والده ، وامنض المدو من حوله ، ولم يبق حوله إلا لأربعون رجلاً الذين حرحروا
من الكويت وتماخفوا معه على الحياة أو الموت

كتب له الشيخ مبارك والده بالرحوع ، إذ لا قل له عناوة للدولة العثمانية وإن
الرشيد ، وسكن ابن سعود كان يحاول ملكا ، فإما أن يصل إليه أو يموت

أراد عبد العزيز أن يصرب صرته الأخيرة صار بمجاءته لأخيه . وقد لاف
حولهم عشرون رجلاً ، فوصل إلى حدود الرياض أول الليل ، وترك من قومه هناك
عشرين رجلاً على مسافة ساعتين من الرياض ، وتقدم بالأربعين الآخرين ، فلما وصل
الشمسية — وهي سائين خارج الرياض — ترك من جماعته ثلاثين على رأسهم أخوه
محمد بن عبد الرحمن ، ثم تساق سور القلعة ، واسكه ماداً يصنع في هذا القليل السهم
وكيف يقضى ليلته ؟

طرق باب البيت المحاور لقصر عامل ابن الرشيد المدعو مجلان

— من الطارق ؟

عبد العزيز بن سعود محبباً : — رجل من خدم الأمير مجلان يريد زوجك امراض
المرأة — اذهب لا بارك الله فيك . ماحتت إلا لتبقى النساء ، وهل يطرق باب الناس

في الليل إلا فاسد

عبد العزيز — لا والله يا حارة ما جئت لهذا ، ولكنني أخشى على زوجك من القتل

غداً إذا لم يلب نداء الأمير حالا

سمع الرجل التهديد فخرج ليرى جلية الخبر ، وكان ابن السعود يعرفه جيداً ويعرف
نساءه ، ومنهن من كن في خدمة بيوت آل سعود ، فلما خرج أمسه وقال : اسكت
وإلا قتلتك في الحال ، ثم دخل البيت فلما رآه النساء صحن : ههنا عبد العزيز ، قتل :
اسكنن ولا بأس عليكن ، ثم جهن جميعاً في غربة وأغلق عليهن الباب جميعاً ، ثم تساق

الحدار إلى البيت المحور للحصن ، فوجد اثنين نائمين فلفهما في فراشهما يهدوه ، ثم أدخلهما في إحدى الغرف وأغلق عليهما الباب ، ولما اطمان ماله أرسل إلى أخيه محمد من الخارج ومن معه فجاءوا إليه دون أن يشعر بهم أحد

كان البيت المحاور للبيت الذي هو فيه أحد بيوت مجلان عامل اس الرشيد ، وكان مجلان يزوره سهاراً وأحياناً في الليل . فتشى عبد العزيز ومعه عشرة من رجاله فدخلوا البيت ثم فتشوا غمره واحدة واحدة ، فوجد اثنين نائمين على فراش واحد ظلهما ابن سعود ومجلان وزوجته ، فدنا منهما عبد العزيز ليتحقق من شخصيتهما على ضوء سراج كان يحمله أحد الخدم ، فوجدهما زوجة ومجلان وأختها

عرفت المرأة عبد العزيز فسألته : أأنت عبد العزيز ؟ فأجابها . نعم ! أأنا هو ... !
— من تبغى ؟ وما مأربك هنا ؟ فأجابها : أريد مجلان لا سواء ، فقالت : يا بني لا تفر ببنفسك ، أنج بنفسك في هذا الليل وإلا قتلوك
عبد العزيز — ما جئنا لنسمع منك نصيحة ، ولكن نريد أن نعرف متى يخرج مجلان من القصر الداخلي

زوجة مجلان — بد شروق الشمس ساعة

عبد العزيز — هذا كل ما نريد ، وإن كن إذا الزمن السكوت والسكون فلا بأس عليك ، وإلا قالموت لا محالة ، ثم جمع النساء جميعاً في غرفة واحدة وأغلق عليهن الباب انتصف الليل ونجيم السكون على البلد كأن لم يكن هناك شيء ، ثم في هذا السكون أخذوا يحكمون الرأي في تدبير الهجوم على قصر مجلان . ابثق القجر وأخذت الشمس تشرق بنورها الساطع على البلد ، وفتح باب القصر وأخرج المبيد الخليل ، فدخل عبد العزيز القصر ومعه من رجاله خمسة عشرة فقط وكنوا في داخله ، وبعد دقائق خرج مجلان ليرى الخليل كعادته ، فصادفوه في الطريق فراعهم منظروهم ، فهم يريد الرجوع ، فأدركه عبد العزيز بطلقة لم تدرك منه مقتلته فقتله عبد العزيز ، وتصارع ابن سعود ومجلان ، ابن السعود يريد القضاء على خصمه ، ومجلان يحاول إدخال ابن السعود إلى الباب الداخلي . في هذه اللحظة أخذ رجال مجلان يطلقون التيران من نواخذ الحصن المشرقة على السوق ،

قتلوا اثنين من رجال ابن سعود ، وجرحوا أربعة وتراجع المهاجرون ، ياله من خطر دام !
هنا دخل عبد الله بن حلوى (أمير الاحساء ، وابن عم عبد العزيز بن سعود)
وعدا وراء مجلان القدي أفلت من عبد العزيز فرماه بطنفة أودت بحياته ، وبعد ساعة تبادل
رجال عبد العزيز وحرس القصر النار ، ثم سلم حرس القصر على أن يتركوا أحياء طأ منهم
أن عبد العزيز منه من الجلد ما يكفي للقضاء عليهم ، وما كاد النهار ينتصف حتى أذن
المؤذن أن الحكم قد تم لعبد العزيز بن عبد الرحمن ، وأن مجلان عامل ابن الرشيد قد قتل
فسمع الناس وأطاعوا

إن هذه القصة التي تشبه قصص أبطال اليونان ترينا عظم الأخطار التي أحاطت بابن
السعود ، وهي تمنطينا صورة من مخاطراته بحياته ، وهل المنظمة إلا ناحية من نواحي
المخاطرة ؟ وهل يمكن أن يكون الجبان عظيماً ؟

وأخذ الأمير عبد العزيز سد فتح الرياض يصل لنقض مملكة ابن الرشيد ، واسترداد
ملك آتائه وأجداده ، وقد مكث أكثر من عشرين سنة يمانه ، ويغالب المنصوم من
النجديين الأشراف والأتراك ؛ يضربهم حيناً ويأين حيناً يرى السياسة والدين أنجح من
الخصام والقتال

فتم له في سنة ١٣٢٠ هـ الاحتيلاء على القسم الجنوبي من نجد (المخرج والأفلاق)
وفي سنة ١٣٢١ هـ تم له الاستيلاء على سدير والوشم والحمل والقصيم ، وقد تداخل الأتراك
في الخصام بين ابن الرشيد وابن سعود ، وكانوا دائماً في صف ابن الرشيد ، وأعقب هذا
التداخل معارك دموية بين ابن سعود من جهة وابن الرشيد وحلفائه الأتراك ، وكانت
الحرب سجالاً بين الفريقين ، ولكن انتهى الأمر بانكسار الأتراك واستحاطهم من مجد
سنة ١٣٢٤ هـ — ١٩٠٦ م

وقد ضف أسراً آل الرشيد بقتل زعيمهم عبد العزيز بن متعب سنة ١٣٢٤ هـ ،
واستراح ابن سعود بعض الراحة لأن آل الرشيد قد كموه أمرهم بخلافاتهم الداخلية على
الإمارة ، وسمى بعضهم لاعتقال البعض الآخر

وربما كانت أشد السنين على الأمير عبد العزيز هي سنة ١٣٢٨ هـ — ١٩٠٩ م ،

فقد واجه ثلاث جيهاث مرة واحدة : ابن الرشيد من جهة ، ونورة أبناء عمه في الجنوب ،
وتقدم الشريف حسين إلى محم وأسـر سـمـد بن عبد الرحمن شقيقه ، ولكن ابن سعود لذي
لا يعرف قلبه المحور تمكن من التغلب على خصومه . استعمل السيف مع الثـمـر ين وان
الرشيد ، والسياسة مع ذلك مع الملك حسين ، ونجح في ذلك مجاحاً عظيماً ، وكانت هذه
الحادثة هي أول احتكاك بين الشريف حسين وبين الأمير عبد العزيز ، استطاع منها أن
يزن أمير محم كياسة الأمير حسين السياسية ومبلغ أطماعه وطموحه

وفي سنة ١٣٣٠ هـ - ١٩١٣ م رأى الأمير عبد العزيز الدولة التركية آخذة في الصـدع
والانهيار ، ورأى المطامع تسكتنفها من كل ناحية ، فانتـهـز فرصة خروجها من حرب البلقان
منهوكة القوى ، وانتـهـز على إقليم الإحصاء واستخلصه من النفوذ التركي ، وأعاد إلى ذلك
الإقليم الأمن والسكينة بعد ما كان مسرحاً لأطماع البدو ، واستيلائه على الإحصاء بعد إلى
خليج فارس ، واتصل بالحكومة البريطانية بعد ذلك اتصالاً سياسياً مارال أخذاً بالتوفيق
والتمو إلى الآن

ابن السعود والحكومة البريطانية

كان ابن السعود في سنواته الأولى في عزلة تامة عن العالم الخارجي لم يهتم إلا بقتال ابن الرشيد وتقوية مركزه في الأماكن التي استولى عليها
ولسكة في سنة ١٩٠٤ وجد خصما آخر قوياً وهو الأتراك ، فإن الأتراك حينما وحدوا
نجم ابن السعود ظهر من جديد في الأفق ، وعجم صديقيهم ابن الرشيد قد أخذ في الأمور
دخلوا ميدان الصراع مؤيدين لصديقيهم وهم يرون في آل سعود عامة العداوة القديمة
فرأى ابن السعود أن يتصل بالحكومة البريطانية لعلها تتدخل في إيقاف الأتراك
من التدخل في منازعات الجزيرة .

فأرسل كتاباً للسير رسي كوكس بتاريخ (٢ مايو سنة ١٩٠٤) محتجج على تدخل
الأتراك وإرسالهم القوات المسلحة لمساعدة ابن الرشيد^(١)
وفي الوقت نفسه استلم السير رسي كوكس كتاباً آخر من الشيخ مبارك أمير الكويت
مرسلاً من الأمير عبد العزيز إلى الشيخ مبارك يلوح له فيه بأنه إذا لم يجد عضداً وتأييداً
من الحكومة البريطانية ضد الأتراك فإنه يصطر لقبول مساعدة الروس الذين عرضوا
عليه مساعدتهم منذ سنة ١٩٠٣

وكان موقف الحكومة البريطانية حرجاً ، فبينما هي لا تريد أن تزج بنفسها في التدخل
في شؤون الجزيرة ومنازعاتها فإنها لم تكن تنظر بعين الازدواج إلى تدخل الأتراك في قلب
الجزيرة وتهديدهم للأمير الكويت ، فإن ذلك يضعف مركزها في خليج فارس وبمحله
عرضة للخطر . ولذا فقد قررت أن تعين الكبتين نوكن وكبلا سياسياً لها بالكويت
سنة ١٩٠٤ ليكون على كتب من بحرى الحوادث وليحيط حكومته بحقيقة ما يقع في
الجزيرة من حوادث مع القاء حل الحوادث في منازعات ابن الرشيد وابن السعود ، وإن
كانت في الحقيقة تعطف على حركة ابن سعود

(١) استقيا هذه المعلومات من كتاب حياة السير رسي كوكس

ومنذ ذلك الحين أخذ مركز ابن سعود بتوطد ويزداد قوة ومنعة حتى أصبحت ترغف تذكر اسمه قلوب أسراء السواحل

في أوائل سنة ١٩٠٦ كتب له من أسراء السواحل يخبرهم بعزمه على زيارة بلادهم في الربيع فارتدت فرائصهم وتشاوروا فيما بينهم ، وقرّر الرأى بين شيخ أبو ضبي وسلطان مسقط على أن يرسلوا محارهم إلى السير رضى كوكس الذى بدورة كتب إلى الكنتس بوكس يسأله أن يحس نص الشيخ مبارك عن نيّات صديقه الأمير عبد العزيز وأن يرسل إليه البصيرة ، لا تعاد والسكف عن التدخل في شؤون الولايات العربية الخاصة لفنوذ البريطانى فأبان مبارك لكنتس بوكس أن الأمير عبد العزيز لا يقصد أن يتدخل في شؤون هذه الولايات ، وأنه لا يرى من زيارته سوى الحصول على شيء من المال من هؤلاء الأسراء مساعدة له في جهاده ضد آل رشيد والترك

وفي نفس الوقت الذى كان يحس به الكنتس بوكس نبض الشيخ مبارك وصل إلى البحرين رسول من الأمير عبد العزيز إلى الكنتس بوكس وأخبره بأن الأمير أصبح يعتقد بأن في إمكاه طرد الأتراك من ولاية الاحساء وأنه يرغب في أن يعتقد بحاتمة مع الحكومة البريطانية وأنه لا يرى مانعاً من قبول وكيل بريطانيا في الاحساء أو التظيف على شرط أن تأخذ الحكومة البريطانية على عاتقها حمايته ضد الأتراك

ولقد أخذ الأمير عبد العزيز بنصيحة الشيخ مبارك فلم يزل ولايات الخليج ووجه همه للقضاء على قوات ابن الرشيد ، وانتهى الأمير يقتل ابن الرشيد في شهر أبريل سنة ١٩٠٦ ، فرال بذلك مزاحم قوى وحصم عديد ، وامتد نفوذ الأمير عبد العزيز في دخل البلاد العربية . وأصبح الأمير صاحب الكلمة الأولى . ومن ثم قرر السير رضى كوكس أن يهيج معه سياسة جديدة

وفي يوم ١٦ سبتمبر سنة ١٩٠٦ أرسل السير رضى بركة إلى حكومة الهند أوضح لها فيها المزايا الكبيرة التى تستفاد من وضع سياسة ثابتة لتعامم مع الأمير أولاً — أن تجامل ما عرضه في عقد معاهدة مع الحكومة البريطانية ربما يدعو إلى عداوته لنا

ثانياً — أن التناغم مع الأمير سيزيل الشكوك والخوف من نفس سلطان منط
وأمر السواحل الأخرى ويصل على تحسين العلاقات مع هؤلاء الآخرين

ثالثاً — أن مساعدة ابن مسعود ستاعدا على وضع حد للقرصنة في شمال الخليج .
رابعاً — تبدو القرائن بأن تدخل الأتراك في شؤون أواسط بلاد العرب سيدعوا إلى
توحيد كلمة القبائل تحت زعامة ابن مسعود ، فإذا لم يساعدوا وتصادم فمن الحمل أن ياجأوا
إلى طلب المعونة والتضيد من غيرنا

ولكن حكومة الهند ووزارة الخارجية البريطانية لم تقبل هذا الاقتراح من السير رسي
كوكس لأنهم كانوا يعتقدون أن مطامع هذا الأمير لا أحد له وأن نيته هي مهاجمة الأتراك
بمعرد مانسح له قوته والفرص الملائمة . أصف إلى ذلك أن مثل هذا التدخل قد يدعو
إلى تمكيد صفو العلاقات بينهم وبين الأتراك . قال أن يتم التناغم مع روسيا على إيران ومع
تركيا وألمانيا على خط سكة حديد بغداد ، كان رأى الخارجية البريطانية هو الاعتماد من
الزج بنفسها في مشاكل أواسط بلاد العرب .

واتقد كان السير رسي كوكس هو السيامى البريطانى الوحيد الذى رأى شائب نظره
أن القدر قد كتب في لوحته أن الأمير عبد العزيز سيكون القوة للسياسة المحركة الوحيدة
لشبه الجزيرة بأجمها ، كان يسعى بكل جهده لربط العلائق الودية الحسنة مع هذا السيامى
الداعية والقائد الفاتح العظيم .

وفي أكتوبر سنة ١٩٠٦ أرسل الأمير عبد العزيز كتابا إلى الشيخ قاسم بن ثنى شيخ
قطر يحدد فيه طلب بوجوب عقد محالفة مع بريطانيا ، وهذا أبلغه إلى الكيبن (بريدكس)
الذى بدوره أبلغه إلى السير رسي كوكس بتاريخ ١٧ نوفمبر

وقد جاء في كتاب الأمير عبد العزيز بأن موارد نجد قد نفذت بسبب حروبه الأخيرة
وأنه قلق بنوى أن يسترد ولاية الاحساء والقطيف ليستعين بإيرادها وليخضع القبائل المامية
فساداً ويؤمن طرق التجارة والحج . وعليه فإنه يقترح أن يعقد مع الحكومة البريطانية
اتفاقا سرىا بمقتضاه تلزم الحكومة البريطانية بالدفاع بحريا عن شواطئه ضد الأتراك إذا هو
تمسكن من طرد الأتراك من بلاد أجداده بدون مساعدة من الخارج . وفي مقابل ذلك

لا يرى الأمير ما من قبول ممثل للحكومة البريطانية في ملاحه . وقد ذكر الأمير في كتابه أيضاً أنه لا ينوي تنفيذ عزمه قبل مضي أربع أو خمس سنوات :

وقد أبلغ السير رسي كوكس مضمون رسالة الأمير إلى حكومة الهند وشعها ملحا بضرورة تنويعه بالإحاطة على رسالة الأمير لثلاثين الأمير عدم الرد بحفاة له أو إعطاء من شأنه شأن الأسراء لأحيرين الدين جاءت كتبه بواسطتهم

وفي ٩ فبراير سنة ١٩٠٧ كتبت وزارة الهند للحكومة الهند نصير رأيها في صيغة الرد الذي سيرسل إلى الأمير . بعد استشارة السير رسي كوكس اقترحت حكومة الهند أن يكون الرد إلى الأمير كالآتي :

مع رغبة الحكومة البريطانية الشديدة في توثيق العلاقات الودية مع الأمير طامنا هو يحترم مصالحها ومبادئها مع أسراء الشاطئ ، فإنها لا ترى أى ضرورة في الوقت الحاضر لإعطائه وعداً رسمياً بمحابه ، وذلك قد يجرض الحكومة التركية على مساواته

وأعقبت حكومة الهند ذلك بمذكرة تفصيلية استعرضت فيها الحالة في قلب الجزيرة وذكرت أنها على يقين من أن عاصمة آخذة الآن في الحبوب على قلب الجزيرة وأنه لا بد للحكومة البريطانية أن تكون لها رأيا وسياسة معينة إزاء التقلبات المستمرة . (وأن المسألة هي مسألة وقت فقط) قبل أن يهبط ملك الأتراك لافي شرق الجزيرة لحسب بل في الجزيرة كلها

لذا ما رأى الوهابيون ملكهم على أنقاص ملك الأتراك قائم في الغالب سيهددون المصالح البريطانية في الكويت وفي إمارات الشاطئ . وعليه فأنهم يلحون بقبول صيغة الرد على كتب الأمير عند الوزير صمان صداقته ومساواته قبل أن تقوى الفرصة .

ولكن لما استشارت وزارة الخارجية السفير البريطاني في الأمانة (السير نيكولاس أو كوبر) فإنه نصحها بالابتعاد كلية عن التدخل في شؤون الجزيرة الداخلية ، وعليه فقد أخبرت وزارة الهند حكومة الهند بأنها لا توافق على صيغة الرد على كتب الأمير عبد العزيز لأنه يوافق ضمياً على تركيز سلطة الوهابيين ، وقالت إذا كان ولا بد للسير رسي كوكس أن يعطى جواباً أنه أن يقول لوسطاء الأمير بما أن كتب الأمير جاءت باتفرحات

ترى حكومة جلالة الملك استعالة التمهيد بها فإنها لا ترى ضرورة لإرسال رد عليها . وعند هذا الحد توقفت التجارب بهذا الصدد

لم يفكر ابن سعود بعد ذلك في أمر تأسيس علاقاته مع الحكومة البريطانية . وتفرغ لبسط نفوذه في الداخل والقضاء على خصومه ومعارضيه ولبناء قواته الحاربة بعدما ملها من وعن لطول القتال المتواصل .

وفي شهر مايو سنة ١٩١٣ هجم ابن سعود على المذوف فاحتلها وأرسل أسرى الترك إلى الساحل ثم أعقب ذلك احتلاله القطيف والمذفر فتهجر الترك إلى البحرين ، وهناك وصلتهم إمدادات جديدة فخلوا على ابن مسعود في المذفر ، هزمهم شر هزيمة

ولكن نائرة ابن سعود نارت ضد البريطانيين الذي سمحوا للترك فاتحوا البحرين مركزا لتجمع قواتهم وحركاتهم الهجومية ضده ، فكتب إلى السير رسي كوكس يمتنع على هذا العمل ويطلب إليهم مرة أخرى تأسيس علاقات ودية معه . وربما ابن سعود للسير رسي في آخر كتابه أن يخرجه بصراحة عن نيانه حتى يعرف موقفه منهم تماماً وليتخير الطريق الأحسن لحماية مصالحه

وهنا يقول ابن مسعود إن البريطانيين تدخلوا في الأمر ومنعوا الأتراك من الهجوم على إقليم الإحساء وأن الأتراك أرسلوا إليه وقد تمقدوا معه مهادنة حددوا فيها موقفهم من ابن سعود لأن الحكومة البريطانية فضلت الانتظار ريثما يتجلى الموقف

في سنة ١٩١٤ اندلعت نيران الحرب العالمية الأولى واندفع الأتراك يخوضون غمارها في صف الألمان ، رأى السير رسي كوكس أن هذه غير فرصة للتفاهم مع ابن السعود

ويقول السير رسي إن الذي جعل البريطانيين على ذلك هو الظروف التي كانت محيطة بالبريطانيين فجناحهم الأيسر في الحلة العراقية كان معرضاً لحلات البدو ، ومفاوضتهم مع الشريف حسين كانت سائرة في طريق الجراح فلم يبق في الميدان إلا ابن سعود خصم الشريف والذي يخشى أن يعرقل أعمال الشريف الحسين لما بينهما من المنافسة والعداء ، ولذا فقد أسرع السير رسي كوكس إلى مقابلة ابن سعود حيث غادر البصرة في ٢٢ ديسمبر سنة ١٩١٥ حيث وصل في ٢٦ ديسمبر وقابل الأمير عبد العزيز

ابن سعود لأول مرة فأنجب كل منهما بالآخر ولم يجب ظن أحدهما في الآخر
وبعد أحداث ودية شتى أمضى الفريقان معاهدة صداقة بين ابن سعود وبين
الحكومة البريطانية تضمنت سبع فقرات ^(١).

ولا تختلف هذه المعاهدة عن المعاهدات الأخرى التي عقدت مع أمراء الخليج . وفي
هذه المعاهدة تجلّى قصر نظر مستشارى ابن سعود وجهلهم ما يجرى في العالم والاستفادة
من الفرص المتوالية

على أن هذا الخطأ قد أصلح بمعاهدة جدة سنة ١٩٣٧ حيث اعترف له بالاستقلال
التام وبمخارة الدول والاتفاق معها حسب ما تملّيه مصلحة بلاده بعد ما كان محروماً من
هذا الحق في معاهدة القطيف .

(١) تجددت المعاهدة في الدبل .

ابنه سعود وجيرانه

ابن سعود والكويت

كانت الصلات التي تربط آل صباح والسعود دائماً ودية يرعاها الفريقان عما بينهما ويقويها ، وكان مبارك بلقب أمير نجد دائماً يولدي عبد العزيز ، كما كان الأخير يقب الأول بالولد ، وكانت مصالحهما المشتركة تقصى عليهما بالتعاون ، وكان كل واحد منهما لاسيما ابن سعود كثيراً ما يعرض عن أخطئه الآخر ، لأن موتهما من أعدائهما لا يسع لهما بدقة الحساب . ومبارك الداهية المراوغ كان يعرف كيف يرضى صديقه أمير نجد ، كما كان يعرف كيف يزيل من نفسه كل أثر لسوء تفاهم يحدث .

في سنة ١٩١٥ م قامت فتنة في الإحساء ، تار المبعضان وهم من عشائر ابن سعود على حكمه ، وكان ينفخ في بوق الفتنة بعض أنشاء عمومة ابن سعود . والسبب الحقيقي للفتنة هو سعى ابن سعود لتأديب المبعضان الذين تحمروا بنهب إبل لابن صباح وأهل الكويت ، وكانت هذه الفتنة بعد معركة جراب التي وقعت بين ابن الرشيد وابن سعود وخرج منها ابن سعود مهزول القوة ، ولكن المبعضان بعد أن حاصرهم ابن سعود وضيق عليهم وجدوا لهم منجأ في الكويت ، كما وجدوا في الكويت سوقاً لبيع مهوراتهم التي أخذوها من أهل الإحساء ، فحدث هذا العمل أثراً سيئاً في نفس ابن سعود الذي أراد أن يحاسب مباركاً حتى هذا العمل غير الودي ، واسكن الدية غاضبت مباركاً فدفعت بموته كل أثر لسوء التفاهم ، وعاد الصفا إلى ما كان عليه في السنة التي تولاها الشيخ جابر بن الشيخ مبارك ، وتذكر أن ابن سعود أن يزور الكويت ليعرض جابراً في والده ، ويحمد الهدم القديم همد الصداقة والحبة يوصل إلى الكويت في ١٩ نوفمبر سنة ١٩١٦ على السفينة

H. M. Jumo.

وفي اليوم التالي عقد اجتماع خطير حضره ابن سعود والشيخ جابر والشيخ فرعل ، والميرجسي كوكس وكثير من رؤساء العشائر المواليين البريطانيين .

وفي هذا الاجتماع خطب ابن سعود خطبة كلها ثناء على البريطانيين وهم على الأتراك ووصفهم بالسكرة الملاحدة فكان أثر ذلك سيئاً في نفوس الكويتيين الذين يميلون إلى الأتراك والألمان

وقد كان هذا الاجتماع مظاهرة سياسية كبرى

ولكن ما كاد الشيخ جابر ينقل إلى رحمة ربه وبخلفه أخوه الشيخ سالم حتى عاد سوء التعام مرة أخرى ، حتى أدى ذلك إلى معركة حمص سنة ١٣٣٧ هـ - ١٩١٩ م وبها حصر الكويت من المهمات والدعائر والإبل ما لا تقبل قيمته عن ثلاثين ألف حنبله ، ثم إلى معركة الجهرة حيث حاصر الإخوان الشيخ سالمًا بها سنة ١٣٣٨ هـ - ١٩٢٠ م وكادوا يأسروه لولا استماله السياسة في ذلك الحصار

وقد توفي الشيخ سالم سنة ١٩٢١ م بعد الصفاء إلى سابق عهده ، وفي سنة ١٩٢٢ م حددت الحدود بين الكويت ومعد في مياء الأعقير

ابن سعود والأشراف

شرحنا في فصل سابق شيئاً عن تاريخ الصلات بين الأشراف وآل سعود ، كما أن الشريف حسين بدأ عهده بإطهار عداوته لابن سعود بالرغم مما كان يديه ابن سعود إليه من المجاملة والتودد .

على أن ابن سعود بعد قيام الشريف بحركته ضد الأتراك رأى أن ينتهز الفرصة لاتئلاع جذور الأحقاد القديمة ، وخلق جو جديد مع الشريف حسين بسوء الصماء والمودة في الاجتماع الذي عقد بالكويت يوم ٢٠ نوفمبر سنة ١٩١٦ والذي حضره الشيخ جابر والشيخ خزعل والبربرسي كوكس وأعيان الكويت أتقى فيه كلمة جريئة حدد فيها موقف العرب من الأتراك فقال :

إن الأتراك قد حكموا على أنفسهم بالمرقة التامة عن باقي المسلمين لسوء معاملتهم للشعوب الأخرى وعدم معاملتها بالإصاف ، ولقد عملوا دائماً على إضغاف العرب وتفريق كلمتهم ، بينما يعمل البريطانيون على جمع كلمة العرب ، ومساعدتهم على الهوض ، ثم أتى الثناء العاطر على الشريف حسين ، وقيامه بشورة ضد الأتراك وقال : إن واجب كل عربي

أن يساعد الشريف ، ويتعاون معه في محاربة الأتراك . فكان لهذه التصريحات الجزئية أثرها عند الربط بين . ولم تلبث أيام قلائل حتى أرق الملك حسين إلى ابن سعود يشكره ويهتبه عن عثرته العربية ويحذر عن عدم المراسلة .

أقدم طلال عهداً جديداً من المأون والصفاء قد حل ، وأن عهد الأحقاد والصفائف قد قصى عابه ، ولكن ظهر أساساً كما سنبالين أكثر من اللازم .

هذه شكاً أولاً الشريف حسين أن ابن سعود لا يبدل أى يهود في سبيل القضية المشتركة ، رأى السير برسي كوكس إبعاد هيئة إلى بحث أوثق عن كسب واستنهاض همّة ابن سعود . وفي أواخر أكتوبر سنة ١٩١٧ أرسل مائبة عمه مستر فيلي (كرئيس للهيئة يساعده أمير كليف أوبس وانجر هامستون (للورد الماهان) .

وقد رأت الهيئة أن ابن سعود يقوم بعمل كبير ، فلو لا صموده ضد ابن رشيد حليف الأتراك لم ان الرشيد بحرب الشريف حسين ، وفي الوقت نفسه كان ابن السعود يشجع أهل القصيم بالانحراط في جيش الشريف حسين ، فضلاً عن ذلك فإن ابن سعود كان يحاول دون أى إمداد يصل للأتراك ، أقدم صدر ٥٠٠ بعير من ابن رعون رسول لأتراك ، كما صادر بعض القوافل المحملة مؤونة والتي كان يراد إرسالها للشام .

وهذه الأعمال وإن كانت سلبية فإن لها قيمتها في حركة الشريف العنانية المدعومة الأتراك . غير أن ابن سعود لم يحف عن الإسكابر ارتيابه . في ية ذلك حسين ، لا سيما مد أن أعين نفسه ملكاً على العرب لا ملكاً على الحجاز فقط . ولكن الإسكابر طردوه من جهة الملك حسين .

وفي شهر مارس سنة ١٩١٨ عندما اشتدت وطأة القتال في فرنسا ، وناقى جيش الحلفاء فيها ضربات شديدة من الألمان اضطروا سبها إلى التفتقر . رأت الحكومة البريطانية أن تحدد موقفها من القضية العربية ، وأن تضع سياسة معينة إزاء زعماء العرب ، فتتخير الجانب الأقوى والأكثر منفعة ومساعدة لمركزها الحزنى ، فقررت عقد مؤتمر في القاهرة يضم الإحصائيين في المسألة العربية سواء منهم القاعون بأمر المكتب العربي في القاهرة أو موظفو الخليج الفارسي التابعون لحكومة الهند .

ففي يوم ٢٣ مارس وصل السير رسي كوكس إلى القاهرة ليمثل رأى موظفي الخليج ، وعقد الاجتماع تحت رئاسة السير ريموند ونجت التدويع السامى فى مصر بحضور كل من الجنرال كليتون ، والكومودور هوجارت ، والميجر كورنوالس ، وهم ممثلو المكتب العربى بالقاهرة ، وبحضور الكولونيل سيريل ولسون ممثل الحكومة البريطانية فى الجباز . وكان السير رسي كوكس هو الممثل الوحيد لموظفى الخليج وحكومة الهند . ولكن خبرته الواسعة ومعرفته بحقيقة الأمور فى الحريرة و لنامة مفاصلها الدقيقة ساعده فى إقناع المحسمين باستحالة تكوين اتحاد عربى تحت زعامة الشريف حسين . واقف بدأ باستعراض مركز ابن سعود ، فأمن بأنه يشك كنبراً فى بيات الشريف مصلا عن الميرة والتنافس القاعين بين الرئيسين ، وأدلى السير رسي بيقينه من أن ابن سعود لن يقبل رعاية الشريف مطلقاً ، رغم احترامه للشريف لمكانته العائلية ، كما أبان أن ابن سعود كان صريحاً ومخلصاً فى كل معاملاته مع الحكومة البريطانية ومعترفاً لما بكل ما قدمه له من خدمات . وهو شخصياً لا يعتقد أن ابن سعود يسوى أن يهاجم الشريف حسين طالما الحرب دائرة رحاها ، لأنه يشعر تماماً بالتراماته نسا من جهة وبلم من جهة أخرى أن الإحصاء والقطفيل اللتين هما خير ممتلكاته تصحان تحت رحمتنا إذا ما هورسم انفسه سياسة مارضة لأصالحنا ، فضلا عن أن يجد نفسها تستورد جميع حاجياتها من موايبا . وزيادة على ذلك فإن ارتياب ابن سعود فى بيات الشريف حسين تقضى عليه بأن يعزز مركزه فى بلاده ويدعم سلطانه فيها ، ودلل السير رسي كوكس على صحة عقيدته هذه ماجتهد ابن سعود فى توسيع نطاق حركة الإخوان لتكون دعامة القوية فى دعم كل عدوان خارجى على بلاده . ولقد رأى المحسمون أن لا حاجة تدعو الحكومة البريطانية لإخبار الشريف حسين بمواقفها تجاه طلبات ابن سعود ومواقفه عليها ، ولكن إذا طالب الشريف حسين معرفة موقف الحكومة البريطانية مع ابن سعود ، فليس هناك ما يمنع من إعطائه كل الحقائق .

وبحث المحسمون بعد ذلك موقف ابن الرشيد ، فأدلى السير رسي كوكس برأيه فى ذلك فقال : يجب علينا فى هذا الموقف أن لا نعارض ابن سعود فى احتلال حابل إذا سنحت له الفرصة ووجد من نفسه قوة تمكنه من ذلك .

نم محتوا في ادعاء الشريف حسين في تلقيب نفسه بملك العرب ، فأبان السير رسي استحالة قبول ابن سعود لزعامة الشريف حسين ، وأوضح لم يبلغ الخطر في فرض هذه الزعامة بالقوة على ابن سعود .

وما كادت الحرب العالمية تنتهي حتى رأى ابن سعود الأشراف يكادون يحيطون به من كل جانب في الحجاز والعراق وشرق الأردن وما كاد يستولى على حائل حتى وحده معه في مشكلة من الشاكل العويصة ، فإن قسما من عشائر شمر عر عليهم أن يحكمهم ابن سعود ، أو بعبارة أخرى عزايهم أن يقدوا سلطانهم فرحلوا إلى العراق ، وطلب من حكومة العراق تسليمهم ، فأخذت تتامل في ذلك ، ويقول فيليب حريير في كتابه حياة السير رسي كوكس الذي حمه من أوداقه ومن وثائق أخرى : إن السير رسي كوكس بد أن رأى من الحوادث ما عسى أن يقع من القلاقل ولاضطرابات طلب إلى السلطان ابن سعود أن يجتمع مع الملك فيصل لاييجاد حو من حسن النعام بين محمد والعراق في المسائل المختصة بالحدود والقبائل ، ولكن ابن سعود طلب إلى كوكس تعيين المادى وتحديد هذه لفقد اتفاقية بين البلدين قبل الاجتماع .

وتد رأى كوكس أن يكون مبدأ النعام على أساس أن قبائل المنتفق وعزة والضمير عراقية ، وأن خط الحدود يجب أن يمين بين البلدين حسبما تقتضيه حقوق الرى بالنسبة للأماكن الواقعة على الحدود . وفي هذا الوقت حصل ما يؤسف له فإن الملك فيصل عين في شهر يناير سنة ١٩٢٢ يوسف بك السعدون من عائلة السعدون الشهيرة في العراق ليتولى قيادة المجانة في الحدود الجنوبية ، وكان يوسف بك على غير صفاء مع شيخ الضفير الذي ذهب إلى الرياض وأعلن انفصاله عن العراق وليس التهمة شعار الإخوان ورجع ومعه عامل الزكاة لجمع الزكاة من الضفير . وقد اجتمع في الوقت عدد كبير من الإخوان المناصرة شيخ الضفير ، وقد أحدث ذلك قلقاً عظيماً على الحدود العراقية .

وفي اليوم الحادى عشر من شهر مارس هاجم فيصل الدويش وهو أحد أعلام الإخوان حملة المجانة وقبيلة المنتفق في مكان يسد عن الطريق الحديدي بين البصرة والناصرية بثلاثين ميلا قتل عدداً كبيراً منهم وشقت شمل الآخرين .

وبينا كان السير برسي كوكس ينظر تعليمات من الحكومة البريطانية ، أرسل قوة من الطائرات لتراقب مراكز الإخوان .

وفي يوم ١٤ مارس أطلق الرهايون النار على قوة الطيران البريطانية ، فأمر السير برسي قوة الطيران أن تقابلهم بالنار ، وسد في الوقت نفسه ابن سعود من سوء العقب .
ولقد أكد السلطان السير برسي بأن فيصل الدويش قام بمقام به من نقاء نفسه وبدون إذن منه وأنه سينزل العقاب بكل مسئول :

ولقد أطلع السير برسي كوكس الملك فيصل والنجيب على مضمون كتاب ابن سعود وحوابه عليه وأنه طلب إلى ابن سعود أن يأمر قواته بالانسحاب إلى خط الحدود بين البلدين وقد أجابه السلطان إلى ذلك وقد انتهت المفاوضات التي دارت بين مندوبي الطرفين في الحجرة على اعتبار أن قبائل النتمق والضفير وعنزة التي تسكن بين البحرين قبائل تابعة للحكومة العراقية ، وتعيين آبار المياه والمراعي التي تخومها هذه القبائل .

وقد اتفق مندوبو الحكومتين على :

- (١) متابعة القبائل المتيرة من جانبها .
- (٢) وأن تحصى طرق قوافل الحجاج في بلادها .
- (٣) وأن تبقى الرسوم الحركية على ما هي عليه في الوقت الحاضر .

واقدم أصر مندوبو ابن سعود على أن تلتى المعاهدة بين البلدين إذا قطعت إحدى الحكومتين صلاحها مع الحكومة البريطانية .

ولقد حدث أن استفتت وزارة الديب ، وبعد ثلاثة أيام من استفتاءها سافر السير بروسي إلى الخليج .

وبينا كان مؤتمر الصلح متقدماً كان من الضروري تعيين الحدود الجنوبية مع ابن سعود الذي رفض إقرار معاهدة الحجرة ، فتوجه السير برسي إلى القديومة صبيح بك نشأت وزير الأشغال السابق وعهد بك الهدال رئيس عنزة العراقية والميجر مور قنصل الكويت والميجر ديكسون ، فقابلوا مع السلطان هناك حيث قال لهم : إن حدوده هي القترات ،

ولكن السير برسي لم يقل ذلك : وبعد مناقشات حادة كادت تؤدي إلى أزمة بين ابن سمود تعيين خط الحدود الذي اقترحه السير برسي كوكس والذي هو الآن خط الحدود القائم بين البلاد العربية السعودية والمراق .

ولما رأى البريطانيون أن المماهة المذكورة لم تف بالعرض عمدوا إلى محاولة أخرى لاختلاع جذور الخلاف بين ابن سمود والأشراف ، وإزالة كل أسباب سوء التفاهم بين الأشراف وابن السمود ، فمقدوا لهذا العرض مؤتمر الكويت ، وهو الذي سنتكلم عليه في الفصل التالي :

مؤتمر الكويت

وعما كان هذا المؤتمر أهم المؤتمرات التي عقدت في حرية العرب في تلك الحقبة من الزمن ، ففي هذا المؤتمر طهر الأشراف في بغداد والحبار وشرق الأردن مطهر الخلفاء المنصاعين ضد حصصهم من السمود ، الذي أحس بالخاطر المحيط به ، فأخذ يعمل لدفع هذا الخطر ، فوجه همه إلى الشجرة الشريمية في مكة فأتتها من حذورها على ماسيحي بعد حاولت الحكومة البريطانية أن تربل سوء النقام بين الشريف حسين والملك ابن سمود ، فسمت في أثناء الحرب لاختناهما في عدن أو في مكان آخر محاييد ، وسعت لفتح باب المفاوضات بين الفريقين ، ولكن هذه المحاولات لم تشر الثمرة المطلوبة .

وقد حاولت كذلك حل مشكلة الحدود بين العراق ومحمد ، فبجحت نص الجراح ولكن النفوس كانت لا تزال تحمل الإحن ، وقد عمل « السبر برسي كوكس » صديق الملك ابن السمود لاحتياج الملك فيصل بالسلطان عبد العزيز ، ولكن الظروف — على ما يظهر — لم تكن مساعدة من كل وجه لخطب المسعى ، ثم أخذت حوادث الحدود العجدية وشرق الأردن تتكرر فيها لاعتداءات من عشائر الفريقين ، وأحد الإخوان يهددون شرق الأردن ، فمعه أهدأ بنار إخوانهم ، وأحدثت الحوادث في الحجاز تأخذ شكلا لا يقل خطورة عما يحدث على حدود العراق وشرق الأردن

ويجب أن نقرر هنا حقيقة أنه فيما عدا حادثة تربة ، سنة ١٩١٩ م التي أيدت فيها قوات الشريف حسين لم يكن لذلك ابن السمود يد ظاهرة في هذه الحوادث ، وما كان يستطيع أن يعمها تماما إلا بشورة أهلية ، ولكن طبيعة التطور الأخير في البادية واحتلال الإحوا من البادية إلى سكى الدور وتشرشهم روح الدين والتعصب ضد كل من خالفهم ، وبالأخص المخاورين لهم . والملك ابن سمود وإن لم يرغب في الاعتداءات على البلاد المخاورة المشمولة بالهدوء الإنجليزى أو يشجع عليها ، فإنه لم يكن يكره ذلك ، فمادام

الإخوان يخذلون شوكة الأعداء ويعودون بالنفائهم سالمين ، وما دام الأعداء يحسون للقضاء عليه وعلى دولته فلا بأس من تركهم والإخوان يتصارعون . لقد كان الملك ابن السعود يصيح الإخوان من وقت لآخر بالكف عن أذى الحكومات المجاورة والركون إلى السلم ، ولكن نصحه لم يكن يلقى أذناً سمية من الإخوان ، وكانوا يقولون : يا لعجب ! أليس هؤلاء كفاراً ؟ أليسوا محاربين لنا ؟ أليس كبيرهم يحول بيننا وبين أداء فريضة الحج ؟ فما بال ابن السعود يأمرنا بالكف عنهم ، وما له وما لنا ، إننا نقوم بفريضة الجهاد ، فمن عاش رجع غانماً ، ومن مات لقي الله شهيداً وهو مه راض ! ولكن الحكومة البريطانية وقد أصبح لها مركز خاص في العراق وشرق الأردن بهما أن ينجم السكون على تلك البلاد ؛ لذلك فكرت في عقد مؤتمر في الكويت تحت رئاسة الكولونيل نو كس رئيس المتشددين في الخليج التامسي لحل جميع المسائل الملقة بين الأسراف جميعاً وبين ابن السعود وصلت الدعوة إلى المؤتمر ، وكان السلطان مريضاً مرضاً خطراً ، وتأخرت الإجابة طبعاً ، وبعد أن زال عنه الخطر وعرضت عليه الدعوة رأى أن يطلب من الحكومة البريطانية تأجيل المؤتمر ريثما يتم شفاؤه ، ولكن الكولونيل نو كس الذي تقررت إحاطته على الماش كان حريضاً على عقد المؤتمر وعلى حل المشاكل الملقة التي لا تزيدنا الأيام إلا تمقيداً وإشكالا . وهل هناك خير أعظم من حل هذه العقدة التي تركها السير برسي كوكس ، وهو أفند رجل عرفه العرب وأعظم الإنجليز مهارة في حل المشاكل ؟

ظن الكولونيل نو كس ، وهو عين الحكومة الإنجليزية في خليج فارس ، أن ابن السعود يريد أن يتخلص من الاشتراك في المؤتمر ، فأرسل إليه باسم حكومته رسالة شديدة الالفة لا تحلو من تهديد ، قبل ابن السعود الاشتراك في المؤتمر على مضمض ، واشترط تصوّه أن لا يشترك الأسراف في المفاوضات مجتمعين ، بل يفارض كل حكومة على حدة ، قبلت الحكومة البريطانية هذا الشرط .

دور المؤتمر الأول

اجتمع المؤتمر في الكويت ، واجتمع مندوبو نجد والعراق وشرق الأردن ولم يحضر أحد عن الحجاز ، وبعد عدة جلسات رأينا جميع الندوبين متضامنين ، فاحتج مندوبو نجد

واعتبروا هذا إخلالاً بما اشترطه سلطانهم لقبول الدعوة وواقفتهم ووزارة المستعمرات على ذلك ، واعتدل مندوب العراق ، وبقي مندوب شرق الأردن على شططه بالرغم من تنبيه رئيس المؤتمر له سراراً ، وبكفى أن يذكرها طلسات شرق الأردن لتعلم ما يكفه القدر لمؤتمر الكويت .

بطلب مندوب شرق الأردن ما يأتي : —

١ — تمديد مقررات الهصة التي عقدت بين الشريف حسين وبين الحكومة البريطانية ، والتي نفى بأن تكون حدود حكومة محركات سنة ١٩١٩ م ، وبحسب إحصاء الحواف وشكائهم ووادي السرحن جهميه والأراضي المحاذية التي شملها مثل : تربة والحرمه والحائط والحويط وخير وبشة ووادي شهران وبلاد بني شهر .

٢ — تكون الحدود الفاصلة بين الحجاز ومجدهى الصحراء القاحلة

٣ — لا يمكن عقد صلح على غير هذا الأساس .

وبينى أن يهمهم ما أن الرض من الاعتراف بمحدود معاهدة سنة ١٩١٩ م فقط ، وهو عدم الاعتراف بما تم من التقصاء على حكومة الرشيد وإلحاقها بنجد .

ولما كانت هذه الطلمات مقبلة كأداء في سبيل الاتفاق لم يكن هناك بد من أن تؤجل الحكومة البريطانية المؤتمر . هصة أسابيع ، ورجع كل فريق إلى حكومته لإيقاظها على الخط التي دار عليها البحث وأحد تعاليمات جديدة منها ، وغوم الحكومة البريطانية بتقريب مدى الخلاف وصح كل فريق بالاعتدال كي يمكن الوصول إلى طريق الاتفاق وإزالة سوء النباه السائد بين الجميع . وقد سمت الحكومة البريطانية لحل الملك حسين على الاشتراك في المؤتمر ، فاشترط أن يرسل الأمير زلياً على شرط أن يرسل سلطان نجد أحد أولاده لم يقبل ان سعود وصرح بأنه يثق بمندوبيه ، ولا يرى أى ضرورة لتضييرهم . وهكذا مثل اشتراك الحجاز في مؤتمر الكويت ، وقد أبدى سلطان نجد مهارة فائقة ومروية سياسية دلت على مسد ظره وتقديره الظروف حق قدرها ، وأنه يعرف عقلية خصومه معرفة تامة .

لقد أوصانا رئيس المؤتمر قبل منادرتنا الكويت بأن نبذل نفوذنا لإقناع سلطان

نجد بالتساهل ، وأرسل في الوقت كنداً اعظمته يشرح له حنية الموقف . والزم من التكم الشديد الذي ساد جو المؤتمر ؛ فإن الإشاءات الكثيرة سقنا إلى نجد فقام وفد لها البعيدون . لقد كبر على الإخوان أن يسعوا شرق الأردن والعرق يلبس عليهم هذه الشروط القاسية ، وهم لم تنكس لهم راية ولم يسكسر لهم حش ، قدم الدويش ومنه رهطه من الإخوان ومطير وعجم على عشائر العراق ، كما أن بعض الأتقياء من مطير كانوا يجمعون من وقت لآخر على حدود نجد ويهيمون كل ما تصل إليه أيديهم .

الدورة الثانية للمؤتمر

لم يحضر في هذه الدورة أحد من جهة العراق أو الحضر ، بل حضر مندوبان فقط من شرق الأردن ولم يعدلا عما طلباه في المرة الأولى ، ولكن رئيس المؤتمر معهما من البحث في أي مسألة من المسائل الخاصة بالحجاز ، فاعتمر البحث في حدود شرق الأردن ونجد ، فطلبوا من نجد أن يكون حدودها البغود وتحتل عن الجوف ووردي السرحان بأكمله ، وقد طلب مندوبوا سلطان نجد استثناء أهل الجوف وأحياناً مثل المؤتمر .

أما الدب الحقيق في مثل المؤتمر هو صلاية الملك حين ونسبه ، وعدم وقوف الأشراف في العراق وشرق الأردن على حقيقة الحالة في نجد ، وأن أحكامهم على نجد المبينة على ما يصل إليهم من الأخبار كانت خاطئة . ولو أنهم تسوا على المقبات التي وقعت في طريق المفاوضات في المؤتمر شيء من التساهل لكان ابن السعود حتى الآن في نجد .

لقد أخبرني إبراهيم بك هاشم أحد مندوبي شرق الأردن أنه سمع في بغداد أن عمر سلطة نجد لا تتجاوز الستة أشهر ، كما أخبرني حصرة الصا على حلق بك أنه يستطيع أن يقضى على سلطة نجد في مدة أقصر من هذه المدة ، وقد أهتمهم بأنهم محطون جداً وأن ما يرى من الاحتلال على الحدود ومن شعب الأتقياء لا قيمة له ، وأن الدية من قديم لم ينقطع منها أمثل هذا الشعب ، وأن ستة أشهر التي قدرت عمر السلطة محدرباً كانت عمر حكومة الحجاز ، وأنه ليس كما الأسف والأسى على ما وصل إليه العرب من التخاذل ، وأن يكون موقف المتعلمين من العرب هذا الموقف المرزى . والحقيقة أن

لأشراف جميعاً وس اشغل منهم ما كانوا يظفرون إلى ابن سعود إلا أنه رجعل يندى
أوشيح عشيرة ، وأنه ليس بأهل للتصام معه ، وأنه ليس من الخطر بمكان حتى يعنى .
ولكن الحوادث كانت كفيلة بظهار حطهم ، وأن الآمال التي كانوا يقدوها على قيم
توارت في نجد لم تتحقق شيء منها ، وأن ماعجز مؤتمر الكويت عن حله قد حل في
أكبر سنة ١٩٢٥ م في مؤتمرى حذاء ونجره ، وفي سنة ١٩٣٠ م بين ملكى العراق
والحجاز ونجد .

وها هو السكون يحيم على الحدود العراقية النجدية ويعود الصفاء بين مكة وبغداد ،
ويتنامى القربان الأحقاد العائدة القديمة ويعملان كلاهما على ما فيه خير الشمين العربيين
وها هي شرق الأردن تحذو حذو العراق وتعنى مشاكلها مع الحجاز ويتبادل ملكا
الملكين الرارة ، ويتعاون القربان تماوياً صادقاً على الغرب على أيدي المفلسين من
البدو ، فيسود السكون على الحدود وتعود الحياة إلى مجراها العادى ولا تزال آمال معكرى
العرب وعقلائهم ، معقودة على اتحاد الأسراء وتعاونهم بغير العرب .

غزوة الحجاز والمؤتمر الإسلامي

كيف نشأت فكرة الغزوة ؟

لم يكن لجلالة الملك ابن السعود أى فكرة عن غزو الحجاز وفتح حتى سنة ١٩٢٣ م ؛ أولاً : لأنه لم يكن واثقاً تمام الوثوق بإمكان تطلب قواته على الحجاز ، وثانياً : لأنه لم يكن واثقاً من موقف الحكومة البريطانية ، ويحق له أن يحسب لموضعها ألف حساب ؛ هى التى أرغمته على ترك الحجاز والرجوع إلى نجد سنة ١٩١٩ م بعد ضرب القوات الشريفة فى ثربة ، وقد كان فى إمكان قواته فى ذلك الوقت أن تقدم وتستولى على الطائف ومكة ، لولا إندثار اجلترا له بأنها تعتبر تقدمه فى الحجاز عملاً عدائياً موجهاً ضدها .

من سنة ١٩٢٢ م رأينا علاقات الملك حسين تسوء مع المصريين ، فرجع الحمل من جدة ، كما سامت بينه وبين الإنجليز والمفترد على شتى المائل : على المعاهدة ، والبعثات الطبية ، وسوء معاملة الحجاج المسود ، مع عجزه من تأمين الطريق بين مكة والمدينة . ومما لاشك فيه أن فريقاً كبيراً من مسلمى الهند و مصر لم ينظروا نظرة استحسان لقيام الشريف حسين ضد الأتراك ؛ ولهذا فإبهم قالوا إعلان الملك حسين نفسه خليفة سنة ١٩٢٤ م فى فلسطين إثر إمام الخلافة التركية بالاستيلاء الشديد .

كانت نجد فى سنة ١٩٢٣ م تكاد تكون فى عرلة تامة عن العالم ، وقد أتاح لها الملك حسين الفرص ، فهل تتركها تغات من يدها ، لقد تمكن مستشارو السلطان عبد العزيز من إقناعه بفائدة الانصال بالعالم الخارجى وكتب فى المقدمة فداً بإرسال برقية منه إلى جلالة الملك فؤاد يهنئه بافتتاح أول برلمان مصرى ، ثم بأحد الأعياد ، وأعلن الأمير فيصل فى منشوراته كلها موقف نجد إزاء مسألة الخلافة ، وإزاء بعض المائل العربية ، كالاتحاد العربى ، واتصلت الهيئات الإسلامية فى الهند بسلطان نجد ، وتم التفاهم على الأغراض

الإسلامية العامة ، والجميع ينتقون على الاستياء من حالة الحجاز وسوء النظام السائد فيه أخذت كسب التأييد تترى من سائر المدن الإسلامية ، وقوى الصلة بين نجد ومصر أن جلالة الملك ابن السعود شارك علماء مصر في موقعهم حيال مسألة الخلافة وحلها في مؤتمر يعقد في مصر ، فاكتمبت بمقد قوة أدبية لا تنكر

مثل الإجماع في محاولتهم نصفية المشاكل بين ابن سعود والأشراف في مؤتمر الكويت ، وكان المشغل الأول عن هذا الفشل الملك حسين ، وخرج ابن السعود من الحركة طعناً ؛ لأنه كان مواصباً في مطالبه على خلاف الأشراف ، فإسهم كانوا مدالين ، ولو أن الأشراف انتصروا على ابن السعود في الحرب وأملوا عليه ما يريدون من الشروط لم تكن شروطهم أشد قسوة مما اشترطوا ، فكيف وهو حتى هذه الساعة لم يهزم له جيش والبلاد التي يطالب بها الملك حسين ويدعى ملكيتها لا تزال بيده . وصمتت منذ لأول مرة الكتاب الأحمر وشرحت به المسائل المختلف عليها ، وما يطالب به الحجاز وشرق الأردن والعراق ليضع الموضوع كله أمام العالم الإسلامي والعربي ، فكانت خطوة موفقة اكتسب بها السلطان عبد العزيز عطف عقلاء العرب والمسلمين ، ولكنه لم يصح إلى ما أشار به مستشاروه من المحوم على الحجاز ولو لتصفية الخلاف مع الملك حسين لاعتبارات كثيرة .

خرج السلطان من مؤتمر الكويت وهو موقن بأن الأشراف لا يريدون به خيراً ، وأهم لا يأتون حيداً في حق المشاكل له ولملاده ، ولكنه قنع أخيراً بفكرة المحوم على الطائف والاستيلاء عليه فقط ليماوم الملك حسيناً عليه ؛ لعل الرجل يعدل عن غطرسته ؛ وتقرر أن يكون ذلك بعد رجوع الحجاج إلى ديارهم دعماً لما قد يحدث من المشاكل ، سيعلى موقف الملك حسين وموقف الحكومة البريطانية بعد احتلال الطائف .

لقد كنت موقناً بأن الإخوان سيتطلبون على قوة الشريف ، وموقناً بأن انكساراً ستقف موقف الحياء ، لأن سياسة ابن السعود إراءها كانت سياسة مجاملة تامة وودية لنهاية بمكسي سياسة الملك حسين .

جاء عيد الأضحى وقدم رؤساء الإخوان — أهل الخزعة وعقبة وأهل العَلَمَط —

وغيرهم من قادة الإخوان للمعاينة على ولي أمرهم ، واشتهر هو هذه القرصة وحرص عليهم مسألة غزوة الحغار فمشوا وبشوا للشرع ، لأنهم سيظهرون بيت الله من البدع ويشرون دين الله الصحيح ، ولأنهم سيفنون الأموال وقد دقوا حلاوتها في تربة ، كما سيفنون أحر الجهاد من الله . وقد وصفت خلاصة عماد في المؤثر من الأحاديث وأرسلت إلى جميع الصحف العربية والمهدية ، فكان لها صدى استعجاب

ترك الإخوان الرياض إلى بلد هم ليستمدوا للجهاد : جهاد الملك حسين ، وما أسهل استمدادهم الفز ، وهل يحتاج الأمر إلا إلى الناقة والبديقة والزايد والدحيمة ؟ لم يتصرف شهر محرم سنة ١٣٤٣ حتى بدأ الإخوان عداوتهم مع مادية الحجاز وأكثروا ماقم على الملك حسين ، ثم أحلوا يتقدمون وحشوش الملك حسين لا تنف في وجوههم حتى استولوا على الطائف في ٥ صفر ، ثم وقفوا ينتظرون أمر مولاهم . ولقد حاول الملك حسين أن يستغل الحوادث التي وقعت في الطائف ضد حصصه في تفجير العالم الاسلامي ، ولكنه فشل في ذلك ومرت الحادثة بدون أن يكون لها أثر عظيم في نفوس المسلمين . وبرامج ان سعود خلاب يجتذب النفوس ويتفق مع الروح الطيبة التي يتساقها قتلاء المسلمين لمسط الوحى .

إن ربامحه أنه لا يريد الله ولا طولا في الأرض ولا مساداً ، وكل ما يريد هو طرد الأشراف وتطهير بيت الله وسهط وجهه من ظلمهم ومحكمهم ، وأن مكة للمسلمين عامة ، وأنه سيترك على رغبة العالم الاسلامي في ذلك كله .

ظل الإخوان في الطائف ينتظرون أمر إمامهم ، وليس هناك سيارات أو تلفراف بين الطائف والرياض . والواصلة الوحيدة هي الجمل ، والساعة ذهاباً وإياباً لا تقل عن ٢٥ يوماً ، إذن يجب أن ينتظر الإخوان هذه المدة وسلاطنتهم قد شدد عليهم ألا يتجاوزوا الطائف ، وإلا صوبوا إلى الله منهم ، أى أنهم سيكونون عاصين في عملهم ، ولا داعي إلى ذلك ، فالنظام التي استولوا عليها تحتاج إلى وقت لتثبيتها بينهم بالبدل .

جمع الملك حسين آخر ما لديه من جنود وجوزهم بأخر ما لديه من الأسلحة ، وسيرهم إلى الطائف لضرب الإخوان وطردهم منها ، وهنا كانت معركة الهدى التي انقضت فيها الإخوان على جنود الملك حسين وهزمهم هزيمة مفكرة ، واستولوا على جميع ما كان لديهم من مال وسلاح .

هنا رأى الملك حسين أنه لم يبق له مقام في مكة ، فاستند لرحيل منها وتنازل عن الملك لولده علي ، بعد أن أدخلوا مكة وشقوا كل ما يمكن نقله ، ثم دخل الإخوان مكة مسلحاً لا حرباً ، مدخلوها خاشعين ، وتولى الشريف خالد بن لؤي إمارة مكة . ولقد صدق المثل « كما ندين ندان » ، فكما سيطر الشريف حسين البدو على الأتراك ويوتهم ، فأعملوا فيها يد التهب والسلب ، كذلك سيطر الله عليه الإخوان فقاموا بنفس الرواية التي مثلت مع الأتراك ، ما هذا القتل فإن يدم لم تمتد إلى قتل أحد في مكة

و قد فتح مكة أرسلت الدول التي لها مننلون في جدة مذكرة إلى الطرودين المتحاربين يذكرونها رعاياهم وحسن معاملتهم ، ويحلوها نعمة ما يقع عليهم من الأصرار ، وأهمهم جميعاً - يفتنون موقف الحياد في النزاع بين الفريقين ، فكانت هذه المذكرة أحسن بشرى للملك الذي كان يساوره بعض القلق ، فبجل بالسفر إلى الحجاز ليتولى بنفسه استصفاء الحجاز ، وليحول دون تكرار مأساة الطائف . ولم يكن هناك ما يمنع الإخوان من الاستيلاء على جدة ، لولا ما أسرم به إمامهم ، فكانت هذه خبر فرصة لشريف علي حصن فيها جدة ، وحشد فيها من القوات العسكرية التي جمعها من فلسطين وشرق الأردن ما جعلها تقاوم نحو سنة

خلال السلطان عبد العزيز الرياض في ١٣ ربيع الثاني سنة ١٣٤٣ - ١١ نوفمبر سنة ١٩٢٤ ، فودعه أهلها وعلماؤها وكبار أعيانها ، وقد ودع أهلها بهذه الكلمات الحادة التي شررتها الصحف في حينها واعتبرها العالم الإسلامي مهناً جديداً لبلد الله الحرام

إني مسافر إلى مكة لا تتسلط عليها بل لرفع المظالم والمغرم التي أرمقت كاهل عباد الله ، إني مسافر إلى مهيئ الوحي لبسط أحكام الشريعة ، وتؤيد أحكامها ، بعد الآن لا يكون سلطان في مكة إلا للشرع ، وجميع الرؤوس يجب أن تطأطيء الشريعة . إن مكة للمسلمين كافة ، فأمر إدارتها وتنظيمها يجب أن يكون طبق رغائب العالم الإسلامي إنا سنجمع وفود العالم الإسلامي هناك وستبادل معهم الرأي في كل الوسائل التي تجعل بيت الله بعيداً عن الشهوات القياسية ، وتحفظ راحة قاصدي حرم الله

وقد وصل إلى مكة المكرمة في ٨ جمادى الأولى سنة ١٣٤٣ - ٥ ديسمبر سنة ١٩٢٤ فدخلها دخول العبد الخاضع والمسلم الخاشع ، لا اله الا الله ، ولا الجبار المتكبر ، فكان وصوله إلى مكة أكثر مصدر لطمأنينة ، وأكبر مواساة لجروج السكينة التي تركتها نسوة الإخوان في الطائف ، رأى أهل مكة والوافدون للحج من شيوخ القبائل في سلطان محمد رجلاً نبيلاً متواضعاً حسن العشر ، واسع الصدر نصيراً للضعيف ملاذاً للمحتاجين ، فأحسوه وأجلوه وأكروه ، وكانوا يقولون في أيديهم لولا غلظة الإخوان وحشونتهم ونسوتهم لكان عهد ابن سعود في استنباب الأمن ، والصرع على أيدي المسلمين ، والقضاء على البدع والمسكرات لا يهدله إلا عهد الصحابة والتابعين .

وقد رأى بنائب فكره وسد نظره أن يزيد الطمأنينة في النفوس ، ويؤكد ما سبق لكتاب هذه السطور إعلانه على كبار الحجاز وأعيان قبا ووصول عظمة السلطان بوضعة ألام فأمر بنشر المنشور الآتي :

لمن في مكة وضواحيها من سكان الحجاز الحاضر منهم والباد

نحمد إياكم الله الذي لا إله إلا هو رب هذا البيت العتيق . ونصلي ونسلم على خاتم أنبيائه محمد صلى الله عليه وسلم

أما بعد فلم يقدمنا من ديارنا إياكم إلا انتصاراً لدين الله الذي انتهكت محارمه ، ودمماً لشروك كان يكيدنا لنا ولديارنا من استبد بالأمر فيكم قبلاً ، وقد شرحنا لكم غايتنا هذه من قبل ، وما نحن أولاء بعد أن بلغنا حرم الله نوضح لكم الحيلة التي سنسير عليها في هذه الديار المقدسة لتكون معلومة عند الجميع بقول :

(١) سيكون أكبر مما تطهر هذه البلاد المقدسة من أعداء أنفسهم الذين مقتمهم العالم الإسلامي في مشارق الأرض ومقاريها بما اقترفوه من الآثام في هذه الديار المباركة

(٢) سنجمل الأمر في هذه البلاد المقدسة بعد هذا شوري بين المسلمين ، وقد أبقنا لكافة المسلمين في سائر الأنحاء أن يرسلوا وفودهم لمقعد مؤتمر إسلامي عام بقرر شكل الحكومة التي يرونها صالحة لإغذا أحكام الله في هذه البلاد الطاهرة

(٣) إن مصدر التشريع والأحكام لا يكون إلا من كتاب الله ، وما جاء عن

رسول الله عليه الصلاة والسلام أو ما أقره علماء الإسلام الأعلام بطريق القياس أو أجمعوا عليه مما ليس في كتاب ولا سنة ، فلا يحل في هذه الديار غير ما أحله الله ، ولا يحرم فيها غير ما حرمه .

(٤) كل من كان من العلماء في هذه الديار أو من موطنى الحرم الشريف أو المطوين ذو راتب معين فهو له على ما كان عليه من قبل ، إن لم تزد ولا ينقص شيئاً ، إلا رجلاً أقام الناس عليه الحجة أنه لا يصلح لما هو قائم عليه ، فذلك ممنوع مما كان له من قبل ، وكل من كان له حق ثابت سابق في بيت مال المسلمين أعطياته حقه ولم ينقصه منه شيئاً .

(٥) لا كبير عندي إلا الضعيف حتى آخذ الحق له ، ولا ضعيف عندي إلا الظالم حتى آخذ الحق منه ، وليس عندي في إقامة حدود الله هواة ولا يقبل فيها شقاء ، فمن ألزم حدود الله ولم يتعدّها فأوثق من الأمنين ، ومن عمى واعتدى فإنما إثم على نفسه ولا يلومن إلا نفسه . والله على ما نقول وكيل وشهيد : وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأُمي وعلى آله وصحبه وسلم .

عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل السعود

١٢ جمادى الأولى سنة ١٣٤٣

فكان لهذا لمشور أثره السحري لا في نفوس الحجازيين فحسب ، بل في العالم الإسلامي قاطبة ، وأخذ مركز ابن سعود يحتل قلب كل مسلم مخلص وأخذ نجم الأشراف في الحجاز في الأقوال وحكمهم في الزوال .

حاول الملك على عقد الصلح ، فوسط الأستاذ الريحاني ومستر فلي (والسيد طالب) النقيب ، ولكن البرنامج معروف : السألة إسلامية ياربماني ويا مستر فلي ، فليس من شأنكم التوسط فيها ، والرأي يا « سيّد طالب » للعالم الإسلامي ، فما على الأشراف إلا أن يرحلوا من الحجاز ، ويمنع مؤتمراً إسلامي ينظر في مسائل الحجاز ، من كل نواحيه . وقد مضت مدة والحرب دائرة بين الطرفين ، وكل يعاني شدتها ، ولكن شدتها

على الملك على كانت أشد على كل حال . وفي أبريل سنة ١٩٢٥ م عرّض قنصل السويد
ووكيل قنصل إيران ، ووكيل قنصل هولندا وساطتهم للصلح بصمة خاصة ، لأن دولهم
لم تكلمهم بذلك ، ولم يقبل السلطان ذلك

وفي مايو من السنة نفسها قدم فؤاد بك الخطيب إلى معسكر السلطان ابن سعود
محاولاً الوصول إلى طريقة يوقف بها الحرب ويضمن بها هذه الأشراف في الحجاز ولم يفلح .
وفي أغسطس وسط الملك على الدولة العثمانية للصلح ، ولكن الحكومة البريطانية
حينما عرّضت وساطتها بين التريقين صرحت بأنها تقبل الوساطة إذا رضى التريقان هذه
الوساطة ، فكان جواب ابن سعود :

« ١ » أعطى «هداً» للإسلام الإسلامي أن تكون الحجاز ومكة للمسلمين عامة »

وفي سبتمبر سنة ١٩٢٥ وصل فضيلة الشيخ المرعي وكاتب رئيس المحكمة العليا
الشرعية ومعه عبد الوهاب بك طلعت من موطنه السراي النكية ، ومعهما كتاب رقيق
من جلالة ملك مصر جواباً لكتاب سلطان نجد بمناسبة عزمه على زيارة مكة .
إنه طرف ملائم جداً وفرصة نادرة لتوثيق العلاقات بين مصر ونجد ، وسلطان نجد
كان ولا يزال معترفاً بزعامه مصر من وجهة التقدة والدية ، ويجب أن نؤكد العلاقات
بينه وبين مصر .

رأى عظمة السلطان بعد الاجتماع مع الوفد المصري والتحدث معه في شتى المباحث أن
أقوم بالبحث التمهيدى ، وما نصل إليه من النتائج نعرضه على عظته أولاً بأول .

لقد سبقت الوفد عدة شائعات : منها أن الشريف علياً طلب بسط حماية مصر على
الحجاز ، وطلب أن ترسل الصدقات المتأخرة إرسالها إلى مكة والديرة إلى جدة ، لتوزيع
على جنوده واللاجئين إليها من أهل مكة ، ولكننا لم نتم وزناً لهذه الإشاعات أو غيرها .

لقد تبين من المباحثات الأولية أن الوفد جاء لفرض وساطة مصر للصلح بين التريقين
المتحاربين ، فما المخرج من هذا اللوثيق الدقيق ؟ إننا لا نريد إغضاب مصر ، وسلطان
نجد يجب ملك مصر ويحرص على اتصال حبل المودة معه ، ولكننا لا نحب الصلح الآن ،
لأن حكم الأشراف في الحجاز قد آذن بالزوال ، فالمعلومات تصل إلينا عما تقاسه جدة
والديرة ، وأن النصر قاب قوسين أو أدنى

أخبرت الوفد بسمي الحكومة البريطانية قبل شهر الصلح ، واعتذار السلطان عن قبول هذه الوساطة ، وليس من الياقة قبول توسط مصر الآن . ماذا حنته مصر من الملك حسين ؟ ألم يرد الحمل المصري من جدة ؟ ألم ينهم البعثة المصرية بأبها تحول تسميم المياه ؟ ألم يزعج من كسوة الكعبة الشرفة اسم ملك مصر ؟ ألم يعدد إلى الإساءة إلى كل ما هو مصري ؟ إذا كنتم تريدون أداة أخرى فماكم ملفات الحكومة الهاشمية ، أقرأوها إن شئتم فإنها دلائل ناطقة على ما كانت تطوبه حوامع الملك حسين نحو مصر وملكها وشعبها . ألا يحسن أن نبحث موضوعاً آخر يكون فيه الخير للبلاد المقدسة ولأهلها وللوافدين عليها من المسلمين ؟ إذا وضعنا أسساً لذلك فإننا بلا شك نكون قد قفنا بواجب عظيم نحو ديننا ، ونكون قد خدمنا الإسلام والمسلمين أجل خدمة . أما الأساس الذي كان نتيجته البحث فهو :

(١) أن الحجاز للعجائزين من جهة الحكم ، وللعالم الإسلامي من جهة الحقوق التي لهم في إبقاع المقدسة .

(٢) اجراء استفتاء عام لاختيار حاكم للحجاز تحت إشراف مندوبي العالم الإسلامي

(٣) يجب أن تكون الشريعة الدستور للحجاز .

(٤) استقلال الحجاز الداخلي .

(٥) جعل الحجاز على الحياد .

(٦) لانتعقد حكومة الحجاز اتفاقات اقتصادية مع دولة غير إسلامية .

(٧) تحديد الحدود الحجازية ، ووضع النظم المالية والاقتصادية والإدارية موكول

لشعوب المملكة والشعوب الإسلامية .

وقد وافق عظمة السائح ابن سعود على هذا الأساس وقال للوفد المصري : لكنكم لم تعقدوا مع مصر رابطة ، والتمرة ضخمة التي له في قضي ، أوكل جلالته أن يدعوا في مصر مندوبي المسلمين يخطروا في الأمر ، وما يقررونه سنقوم بتنفيذه . فسر الوفد كبير رعد النتيجة التي وصل إليها حيدراً من المهمة الأولى . وسردنا نحن أيضاً ،

لأننا اكتسبنا مودة ملك مصر وهي شيء عظيم عندنا ، وسافر الوفد المصرى حاملا كتاب عظمة سلطان نجد المتضمن هذا الأساس .

وفي أكتوبر سنة ١٩٢٥ وصل جلال السلطنة وزير إيران المفوض عمر ، وعين الملك قنصل إيران الجبل في سوريا إلى الحجاز ، وأخبرا عظمة السلطان بأنها موفدان للوقوف على صحة أو كذب ما أشيع عن إصابة القبة البيوية بالتقابل ، وفي أثناء إقامتهما في المسكر السلطاني في حذاء وفي مكة بحثا معها شئون الحجاز : ماضيها وحاضرها ، وأحبراهما بالكتاب الذي حمله الوفد المصرى ، وبال دعوة التي سيوجهها حلالة ملك مصر إلى العالم للإسلامي لوضع مسألة الحجاز على ساط البحث على الأساس الموضح في الكتاب ، فأظهر الوزير امتناحه ، وصرح بأن حكومته لا تقبل دعوة مثل هذه من مصر ، لأن مصر دولة غير مستقلة من كل وجه ، ولا شأن لها بالبلاد المقدسة ، وفل لعظمة السلطان : لماذا لا يدعو هو المسلمين في مكة ؟ أليس هو أولى بالدعوة ؟ أو أليس هو صاحب الشأن ؟ فاجابهم عظمه أنه اختار مصر لقربها من سائر البلاد الإسلامية ، ولأن الحجاز لا يرال في حالة حرب ، وبدولت ملك مصر ولن أرحم في قولى ، اطاب الوفد الإيراني كتابا من عظمة السلطان إلى رئيس حكومة إيران ، يتضمن الأسس المتقدمة ، ورجع الوزير مسرورا من زيارته . بعدما وقف على الشيء الكثير من المعلومات من الإيرانيين المتقيدين في الحجاز عن حكم الأشراف في الحجاز ، وما زك السلطان ابن السعود في نفوس الحجازيين من تواضعه وحلمه ، وسامته واهلته ، وحسن مشوره ولين جابه ، وأنه لولا خشوة لإخوان لكان حكم السلطان ابن السعود ممة من بم الله لاتعاد لها ممة .

مضى نحو أربعة أشهر والحرب لا تزال على حالها ، ولم يصل إلى «علمته شيء عظيم في أمر المؤتمر : إن الحرب قد تطول أكثر من ذلك ، فلماذا لا يفتح طريق الحج من جهة « رابع » فيقضى القضاء الأخير على جدة ؟ لقد منح هذا الطريق بعض النجاح في الحج الماضي ، وود من الجيجاج نحو أربعة آلاف نفس .

رأى عظمة السلطان أن يوفدى إلى مصر للبحث مع حكومتها في الإخذ بالحجاج من هذا الطريق ، وقبل مفادرتي رابع دخلت جيوش السلطان المدينة ظافرة فكان ذلك شعرا بأن حكم الأشراف في الحجاز في حالة النزاع .

وصلت إلى مصر في أواخر نوفمبر سنة ١٩٢٥ م ، وبعد مدة قصيرة استلمت جدة آخر المدن الحجازية ، قرح الملون فرحاً عظيماً ، وقابلت الصحف العربية والمندية هذا الحادث بحماسة شديدة ، ونشر عظة السلطان في ٢٤ ديسمبر سنة ١٩٢٥ م مشوراً عاماً على أهل الحجاز : بحضهم على الإخلاص إلى السلكون والانصراف إلى أعمالهم ، وغتم المنشور بالجملة التالية :

« وأما مستقبل البلاد فلا بد لتقريره من مؤتمر يشترك الملون جميعاً فيه لينظروا مستقبل الحجاز ومصلحه »

العدول عن المؤتمر

وبدأ أسبوعين من صدور المنشور الأول ، أصدر عظمة السلطان بلاغا عاما بتاريخ ٢٢ جادى الآخرة - ٧ يناير سنة ١٩٢٦ م يعلن فيه عدوله عن فكرة المؤتمر الإسلامى ، لأن دعوة القى وجهها إلى الشعوب الإسلامية وإلى قادة المسلمين لم يحبه عليها أحد ، وفى اليوم نفسه بايع جلالة أهل الحجاز ملكا على الحجاز ، فأصبح قلب جلالة « ملكه الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها »

تمت هذه الخطوة الجديد وأما فى مصر فأراض حكومتها فى شئون الحج ، ولم يخف على أولو الأمر استيائهم ، كما أن التبرعات والصحف نشرت الشىء الكثير من استياء المنود وجمعية الخلافة على الأخص ، وعدوا ذلك نكثاً بوعود جلالة الملك الكبيرة ، وقد أبرقت لجلالة الملك أخبره بمحققة الحاة فى مصر والمند ، وإن جلالة لو كان تريث قليلاً لكسب الحجاز وتغلب المسلمين ، فأجابى جلالة بريقة يشرح فيها الأسباب التى دعتة لتسجيل وهى إسرار أهل نجد والحجاز على ذلك ، وإن حاة البلاد تستدعى التبت فى هذا الأمر ، وقد نشرت الصحف هذه البرقية فى حينها ، غير أن السلطات المصرية لم يقتضا هذا الجواب ، واعتقدت أن مسألة القيمة وما اكتسها من طلب الحجازيين والتجبيين إن هى إلا إغواء من حكومة الحيزل

أما أما شخصياً فكنت أهم بتوضوع المؤتمر الإسلامى لأنه وسية من وسائل تخام للمسلمين وإصلاح كثير من الشئون الدينية والاجتماعية ، وطريقة من الطرق التى القى

يمكنفنا بها خدمة الحجاز وأهل الحجاز والوالدين على الحجاز .

فالحجاز يحتاج إلى كثير من حووه الإصلاح ، وهو وحده لا يقوى على القيام بـه .
هذا الإصلاح ، وبحب أن يستعين الحجاز بقول الملين المدبرة . كما يحب على الملين
أيضاً أن يعينوا الحجاز بالأموال لتقيام هذه الإصلاحات ، وواجب على حكومة الحجاز أن
توسع صدرها لسماع كل نقد ، والأحد بكل رأى صالح .

لقد سئلت في مصر عن المؤتمر الإسلامي هل عدل به نهائياً سئلت هذا السؤال من
كثير من كبار المصريين ورجال الحكم في ذلك الحين ، فلم أكن أمك الإجابة ، لأن الفصل
في هذا الموضوع الخطير في مكة .

لقد كسب إلى كثير من أصدقائي المتوديسئون من السؤال ، ويبحثون على في بدل
معدى لعقد المؤتمر ، لأن هذا العمل من أعظم الأعمال خدمة الإسلام والمسلمين
غادرت مصر راجماً إلى مكة فاجتمعت بحلقة الملك عبد العزيز ، وأخبرته عن رحلتي
والأنز الحسن الذي تركته في مصر حكومة وشعماً ، ولم أخف صلح التأثير السيء الذي
تركه إعلان الملكية في مصر والمهد ، ولكن ليس في الإمكان الرجوع بما تم طساً ، فإذا
يمكن أن نعمل لقضاء على سوء الأثر .

محت مع جلالة الملك مسألة المؤتمر الإسلامي فلم أجد جلالة مستمداً لقبول الفكرة
فتركت الموضوع لزمين .

تكررت الكتب والفتايات من الهند وغيرها من الممالك الإسلامية بطالب عقد
المؤتمر ، ووصل عين الملك قصل إيران العام في سوريا لبحث مع جلالة الملك في شئون
الحج الإيراني ومسائل القباب والأضرحة المهدمة ، وأخبرني أن الرحوم إبراهيم وحيه باشا
لا يزال ينتظر منى أن أخبره عن مسألة عقد المؤتمر الإسلامي ، وبالتطبع أخبرت جلالة الملك
بذلك فكانت هذه العوامل الكثيرة لها أثرها في نفسه ، فقبل عقد المؤتمر الإسلامي في
مكة على شرط ألا يتعرض المؤتمر لمسألة الحكم في الحجاز ، وعلى ذلك أرسلت الدعوة إلى
التحوب الإسلامية والحكومات الإسلامية ، وحدد يوم ٣٠ القعدة سنة ١٣٤٤ هـ لاجتماع
المؤتمر ، وقد لبى الدعوة أكثر من دعوا إلا مصر ولكن مصر أرسلت مندوبها بعد ذلك
في الوزارة الانلافة التي كان يرأسها على يكن باشا .

فشل المؤتمر

ليس هناك من شك في أن الذين حضروا إلى المؤتمر كانت تحذوم الرغبة في إصلاح الحجاز والخير للملأ القدسة ، وسكانها والوافدين عليها من جميع طوائف المسلمين ، وليس من شك في أن الملك ابن سعود لا يقل رغبة عن هؤلاء . فلماذا إذن لم ينجح المؤتمر في الغرض الذي عقد من أجله ما دامت رغبة الملك والمؤتمرين تلتقي عند خير الحجاز والمسلمين ؟ إن السبب الرئيسي هو عدم التماس بين أعضاء المؤتمر ، وبينهم وبين المجدين من جهة أخرى . فإيمده النجديون أساساً للعمل وينصون له لا يشاركهم فيه بعض الشعوب الإسلامية الأخرى ، وما يعتقد المتهود من وسائل الإصلاح لا يشاركهم فيه الجلاويون والمتهود من أهل الحديث .

إن النجديين يرون أن التوحيد هو الدواء الوحيد لما أصاب العالم الإسلامي من الأمراض . لقد كانت مكة والمدينة مهبط الوحي ومصدر التشريع ، فيجب أن تبدأ فيهما . يهدم القبور وتسويتها ، وهدم القباب والمساجد القائمة على القصور ، وهدم كل مكان نشأ منه رائحة الإلحاد والتوحيد ، كما يجب إبطال جميع البدع من الحجاز .

إن سائر المؤتمرين سياسيون أكثر منهم دينيين ، فهم — وإن كانوا يتفقون مع النجديين على إصلاح حالة العالم الإسلامي وإصلاح الحجاز — ولكنهم لا يتفقون مع النجديين في طريقة الإصلاح ، ويقولون : إن العالم الآن يختلف تمام الاختلاف عنه قبل ثلاثة عشر قرناً . وإن الواجب الآن تأليف القلوب وجمع الكلمة والتدرج بالإصلاح ، وما يقع الخلاف بين الفريقين ويشند النزاع . ولا سبيل إلى التوفيق .

وهناك مسألة سياسية عربية يرى بعض المؤتمرين إثارها ، وترى حكومة الحجاز عدم الخوض فيها .

لقد كان الملك ابن السعود حكيماً ، فإنه في حفلة افتتاح المؤتمر منع الحرية المطلقة للمؤتمرين ، إلا فيما يتعلق بالسياسة الدولية ، وما بين بعض الشعوب الإسلامية من خلاف ، ولكن بعض أعضاء المؤتمر لم يصنع إلى نصيح الملك ابن سعود ، وحاولوا البحث في مشاكل

سياسية لم يكن هناك حاجة إلى تأريتها ، ولا سيما وحاجات الحجاز كثيرة ، ووجوه لإصلاح عديدة . ولكنهم على كل حال كان رثهم حسن النية وحبهم لبلدنا .
أريد أن أذكر القصة الآتية لأنها تدل على ما كان يسود جو المؤتمر وما كانت حكومة الحجاز وتشد تعانیه ، لأنها لا تريد أن تصوره علاقتها السياسية مع الحكومات الأجنبية ، كما لا تريد أن تفس عواطف أعصاب مؤتمر لندن :

أخبرني جلالة الملك أن السيد رشيد رضا والشيخ عبد الله بن بيهدي رئيس العصبة في ذلك الوقت ، أحبراه بأههما — بالانفاق مع وفد الخلافة — سيأخذون قراراً من المؤتمر ، على أن يجتمع أعضاء المؤتمر جميعاً أمام الكعبة ، ويتظاهروا في اليوم السابع أو الثامن من ذي الحجة صباحاً بأنهم سيعلنون بكل قواهم لتخليص جزيرة العرب من عبود الأجانب ، وأنهم يعتقدون أن لهذا تأثيراً عظيماً في الرأي الإسلامي

فقد جلالاته : إن بية إخواننا حسنة بلا شك ، وإسهم لا يريدون إلا الخير للإسلام والمسلمين ، وإن ما يشعرونه هو أمنية كل مسلم ، ولكن ما هي الفائدة من هذا العهد ؟ إن من يريد أن يعمل في مجال العمل أمامه واسع ، وعلى كل حال فالتشروع إلى الآن لم يمرض على لجنة المشروعات .

فقال جلالاته : إن الجماعة سيجتمعون عندي بعد العشاء ، وكنا في اليوم الرابع من شهر ذي الحجة فيحب أن نحضر لتتفقوا جميعاً على رأي واحد

حضرنا عند جلالة الملك بعد صلاة العشاء ، وكان الحضور هم الشيخ عبد الله بن بيهدي ، والسيد رشيد رضا ، والسيد أمين الحسني ، والرحوم محمد علي ، ومولانا شوكت علي ، وكاتب هذه الأسطر ، والدكتور عبد الله الحمد لوجي ، والشيخ يوسف ياسين والشيخ محمد أبو زيد المصري وغيرهم ممن لا تحصرهم أسدؤم الآن .

افتتح الحديث الشيخ عبد الله بن بيهدي ، فقرأ صيغة القسم ، وشرح الأغراض من العهد ، والروح الجديدة التي تسرى في المسلمين والعرب حين سماعهم ذلك . وبعد أن ساد المجلس السكون طلب مني جلالة الملك رأيي .

فطلبت من الشيخ ابن بيهدي الإيضاح عن المقصود بجزيرة العرب . فدل : إن المراد منها فلسطين — سوريا — العراق — وسواحل الجزيرة التي للأجانب نفوذ فيها . فقلت :

إلى أشكر أصحاب الفكرة على هذه الروح الطيبة . ولا شك أن كل عربي ومسلم يتنى أن يتمتع العرب في كل ناحية بما يتمتع به غيرهم من الاستقلال . ولم هذه المجلة ؟ إن تركيا ومصر والأمان واليمن قد أرسلوا مندوبين إلى المؤتمر ؛ وهم في طريقهم إليه أليس من الحكمة أن نأخذ رأيهم في هذا الموضوع الخطير ، وهم أعلم منا بالسياسة الدولية ، وأعرف طرق معالجة هذه الشؤون ؟ إبادا واتقوا على هذا الاقتراح فإن موافقتهم من القوة له وية ما ليس لو متنا . فقل الجميع هذا الاقتراح ، وسر جلالة الملك من هذه الفكرة التي هيأت له فرصة للتفكير .

وبالطبع لم يقل أحد من مندوبي الدول هذا الاقتراح . لأنه توريط لدولهم في مشكلة هم في غنى عنها .

وتد انتهى المؤتمر الإسلامي الأول بقرارات ورغبات وتحتيات كان نصيبها الإهمال من العالم الإسلامي . لأنه لم يمد لها القوة ولم يتمكن المندوبون من جمع الإعانات التي كانوا يؤملون جمعها ، وحكومة الحجاز لا تستطيع أن تقوم بما طلب منها ، وليس لديها من المال ما تستطيع به تنفيذ جميع رغبات العالم الإسلامي . وبالجملة فإن جميع الآمال التي كما رمى إليها المؤتمر الإسلامي من الإصلاح الديني والاجتماعي العام ، وإصلاح البلاد المقدسة إصلاحا يتفق مع مقتضيات هذا الزمن ورفع مستوى الحجاز إلى المستوى اللائق بحلاله وقديسه ، قد فشلت . فقل المسلمين ينتفعون من أءلاطهم ، ويعملون لعقد مؤتمر آخر يعدون فيه إلى الإصلاح ، ويتركون انشاعى السياسة التي ليس من ورائها فائدة إيجابية .

ابن السعود وإمام صنعاء

لم تكن هناك صلة مراسلة أو غيرها بين ابن سعود وإمام صنعاء حتى سنة ١٩١٩ م ، فإن حادثة الحج الباني^(١) في عسير كانت سبب التعارف وتبادل الرسائل من وقت لآخر ، ثم أحدث مصالح الحكومتين في التضارب بعد موت السيد محمد علي الإدريسي ، وانهاز

(١) من يرد تفاصيل غارات ابن طبراسع الكتاب الأحمر التي أصدرته وزارة خارجية المعاز

الإمام يحيى أرمسة نفي صحبته حكمهم من عسير ، وتقدم سلطان نجد في الخبر ، كل هذا حمل التفرقين وجهاً بوجه . إن الإدارة بعد ما أحسوا بالخطر الملقى بهم ولوا وحيهم شطرا ان سعود حليف محمد على الإدريسي . فعلن الحمية على عسير ، وأخبر الإمام يحيى بذلك في حريف سنة ١٩٢٦ م . ثم أحد العريز بن بندان السكب الزوود للوصول إلى حل حاسم حص فاختود وتقبض . فلم يبقوا إلى ذلك ، لأن حسن البية لم يكن متوفراً من كل وجه . وأخيراً اضطر ان سعود لامتشق الحسم بعد أن أعيته الحيل ، وهذا أن تهلك الإمام يحيى حرمة بلاده واحتلال قسم منها . وقد تمكن ذلك عند العريز في مدة قصيرة من التقدم في شهامة حتى الخليفة عيرته وهو الرجل العاقل الدند المصر — لم يكن يرى في الحقيقة أن فتح نين لأن ذلك باقى عليه مسئوليات جديدة ، وربما يرمي البلاد العربية لتدخل لأحصى ، وذلك عند العريز . مصر أن فتح قسم الإمام النين ويكتسب وده وحدته أكثر من فتح نين معها . وقد وصل إلى العرض الذي كان يرى إليه . فإمام النين قد أقيمته الحوادث قوة ان سعود ، لأن ما ثوبه من ضعف لم يكن إلا حلاً وطول أناة ، وقد ضرب ذلك عند العريز ، أصبح لدى عتده مع نين أفضل الأمثال في التسامح واكتساب صدقة حصه ، كما ضرب أفضل الأمثال في حبه لتتقدم مع أسراء العرب ، وسعيه للانحداد العربي الذي يشده أحرار العرب ومكروهم من نصف قرن . وأما نرى في المستقبل القرب الرغبة الصادقة من موكلهم وأسراهم في تقدم وإزالة ما بينهم من إحن شخصية ، وتقديم المصالح المشتركة العامة على الاعتبارات الشخصية . فإن محمد العرب لا يتردد إلا باحتجاج كلمة العرب وتقدمهم . مصر الله العرب وموكلهم لما فيه خيرهم وصلاحهم .

وبسراً أن تمتد روح جديدة من مصر تدعو إلى التقارب والتقدم ، وتبادل المصالح وتعمد جميع الوسائل الممكنة ، وتذليل الصعوبات في خالق اتحاد عربي على يرتفع به شأن العرب والمسلمين . ويقضى إن شاء الله على خطر اليهود في فلسطين بعد الكارثة التي مى بها العرب — بسبب تفرقهم وعدم إعطائهم الأمور حقها — في حرب فلسطين

حياة الملك عبد العزيز الشخصية

تعد محبت الملك عبد العزيز في السلم وفي الحرب ، وعاشرته في البادية والحاضرة ، وخبرته في حالتي الرضا والنصب ، وحياته الشخصية لا تكاد تختلف عن حياته العامة إلا يسيراً ، وهي أشبه سظام أرماتيكى لا يكاد يتغير

يقوم الملك عبد العزيز عادة قبل المجر ساعة ، فيقرأ ما تيسر من القرآن الكريم . حتى إذا أذن مؤذن المنبر أدى فريضة الصلاة ثم ينصرف إلى بيته يقرأ شيئاً من القرآن والأوراد الصحيحة النسبة عن النبي صلى الله عليه وسلم . ثم تعرض عليه الأشياء التي تقتضى الت فيها سرعة ، ثم ينام بعد ذلك قليلاً ، فيعقل كل يوم صباحاً ويلىس ثيابه ويغفر . ثم يخرج إلى محله الخاص ، تعرض عليه مهام الحكومة ، ويعطى أوامره لموظفيه . فإذا انتهى من ذلك قابل الساس من شيوخ البدو وكبار العرب مقابلات خاصة ، يسمع شكوى المشتكى ونصح الناصح ، ويبحث زعماء الزوار فيما يهم من شئونهم . ثم يذهب إلى المجلس العام الذي يجتمع فيه كل من يريد مقابلته ، ويقضى في هذا المجلس نحو ساعة يمضيها في حديث أشبه محطاة فيما يهم من أمور الدين والدنيا . وينصرف إلى الغذاء ، ثم يرجع إلى بيته فينام قليلاً ، ثم يصلى الظهر ، ثم يرجع إلى محله الخاص ، فتهرض عليه الشؤون العامة ، ثم ينصرف لصلاة العصر ، فيحضر عنده إخوانه وأرلاده وأقاربه ، وكبار الموظفين بإسارهم ، ثم يخرج بعد ذلك في سيارته إلى الضواحي للرياضة ، وبعد الشاء يجلس في مجلس عام ، وهناك يحضر قارى يقرأ نحو ساعة وشيئاً من كتب مختلفة في الحديث والفنير والتاريخ والأدب ، وبعد ذلك ينصرف إلى بيته

ومما يجب أن يذكر : أن الملك عبد العزيز — أثناء إقامته في الرياض — كان يقوم بزيارة والده الإمام عبد الرحمن — رحمه الله وغفر له — كل يوم ، وكذا سائر أقاربه الأدين ، وكذلك لا تزال هذه عادته في مكة يزور كل يوم من يكون حاضراً بها من أقاربه والملك ابن سعود مشهور في بلاد العرب بكرم الخلق وبسط اليد ، لا يعرف أى قيمة

للدرهم ، إلا أنه وسيلة للزلفى عند الله ، أو لبناء الجند ، أو حسن الذكرى . فقلنا يرد مسائلنا بطلب سعوته ، أو محاباة قصد بابه . وهو يشرف بنفسه على إعطاء القاصدين حسب منازلهم ، لأنه هو يعرفهم حق المعرفة ، ولما يعتمد على أحد آخر في ذلك ، على أن هذه العطايا قد يكون لها صرام سياسية بعيدة يرى إليها ، ودوابه مفتوح للقاصدين بقبائل زائريه . هما صفر مقامهم بوجه باش ، ويأخذ ألسانهم بالتسامية التي لا تسكاد ثباته ، وبجملته لا يخرج من خطة صغيرة براعى فيها نعية السامعين .

ولا يضيق صدر الملك عبد العزيز إلا عند ما يجد حرمانه تضيق عن الطلبات والمطايا ، فهو يتكدر خوف أن يظهر عطره العاجز أمام السائلين الذين تعودوا رفته .

وكان الملك يسخر منا كثيراً حينما نصح به بالأدخار ، ونقول : إن المستقيل لله عند الله ، وإن الزحاة ليس مدائم . فيقول . إن كنز المال لا يسمع ، هل أغادت عبد الحميد حرانته وما ادخره من المال ؟ وهل أغادت خزان ابن الرشيد ؟ وأعنفد أن الملك قد غير فكره في هذه الأزمنة التي أحدثت بالحق ، وأصبح يعتقد في المال وفائدة ادخاره لوقت الشدة .

والملك عبد العزيز من المعجبين بمحمد بن الرشيد أمير حالي ، والذي امتدت سيادته وقتنا على محمداً ، والذي في أيامه هاجر الملك — وكان لأمير الصغير — مع ولده إلى الكويت وهو يفتخرونه في طريقة العطاء ، وهو دائماً يقص القصص الآتية إعجاباً بتصرف الرجل :

وقد شيخ من مشايخ البدو الكبار على محمد بن الرشيد ، فأكرمه وأعطاه شيئاً قليلاً ، وفي نفس الوقت وفد شيخ من مشايخ البدو الصغار — وكان لأخيراً في وقته يقطع الطرق مع رجال قبيلته في شمال نجد — فأكرمه إكراماً رائداً ، وكساه وأعطاه منحة كبيرة ، فسل محمد بن الرشيد عن هذا التصرف التريب ؟ نذل : أما الأول فإنه وإن كان قوياً وكبيراً ، ولكنه يحس بما عليه من المسؤولية ، وإنه يحافظ على مركزه وماله بالولاء لنا . فهو في حاجة إلينا ، وأما الآخر مثل المصنوع يقتل من شجرة إلى أخرى يتعبك صيده ، فنحن في حاجة إلى تأليفه وإرضائه ، وما نكف به شره لا يبارى شيئاً إذا قورن بمائذته لتأديبه وعقوبته .

والملك عبد العزيز وفي لأصدقاته ، يحافظ على ودم ، ولا يحب أن يبدأ أحداً بالداء ،

ويعيل إلى استرضاء الناس واكتساب ودهم مما كلفه ذلك ، ولكن إذا تيقن أن ليس هنالك من سبيل للصدقة فإنه يعادي — ويمادي بشدة — ولكنه قلما يهاجم خصمه ، فإذا حاجه خصمه فإنه يبذل كل ما يمكنه بذله للقضاء عليه ، وهو في هذه الحالة يأخذ بسياسة « النهاية تبرر الوسيلة » .

والمالك عبد العزيز طيب القلب ، لا يكاد يضر حقداً . وهو إذا غضب — وغضبه قليل — فإليك ترى أسداً يرأر ، أو جملاً يهدر ، وتسكاد عينك تكذب أن هذا البصان هو عبد العزيز بن سعود ، الرضى الخلق الوسيم الوجه . وكثيراً ما كان يتمتر عن التصرفات التي تصدر في حالة غضبه ، كما أنه كثيراً ما يقمر خدمه الذين يصيهم من شرر غضبه ما ينسبهم ألم ما أصابهم .

وهو متواضع ، طيب العشرة ، رقيق السر ، له جاذبية لمن يعرفه تشبه السحر . وإنى لا أذكر أن واحداً من كبار الإنجليز عرفه وعامله إلا أحبه ، ولا يزال له أصدقاء من الإنجليز الذين كان لهم مهم اتصال سياسى . وهو كثير الشبه بمناوية بن أبى سفيان في حلمه وبمد نظره ، وحسن حيلته في تصريف الأمور .

في سنة ١٩٢٥م كان الملك ابن السعود يظهر إعجابه بالإنجليز — وسعة ملكهم ، وإخلاص رجالهم لبلائهم للجبرال كلايتون ، قتل الجنرال : إن ما ذكرته صحيح ، ولكن هذا الملك الواسع لم يؤسس إلا في مئات السنين ، ولكن ألا يصح لنا — نحن الإنجليز — أن نعجب بك . فإليك في ثلاثين سنة قد أسست ملكاً واسماً ، وإذا اطردك هذا النتج وهذا التقدم فأطن أنه في نصف المدة التي أسسنا ملكنا تؤسس أنت امبراطورية مثل أو أكبر من امبراطوريتنا . وهذا ليس ببعيد إذا ساعدتكم تصرفات الزمان ، وأخذتم بسنن التقدم ، فإن أصلاكم العرب قد شيدوا امبراطورية عظيمة في مدة قصيرة جداً لم يعرف التاريخ مثلاًها .

فقال الملك : هذه وإن كانت أمنية العرب ، ولكننى لا أعتقد في نفسى القدرة على تحقيق ذلك ، وكل ما أتمناه أن يجعل الله من رجالنا من يمانلكم في الإخلاص والتضحية لبلائهم . والملك ابن سعود ربما كان أسلم أمراء العرب ، وأبدم من الانتقام من الموظفين . ولا سيما الموظفين الذين يعرف لهم موابق خدمة أو إخلاص . فإن هؤلاء أقصى عقوبة لهم العزل

والملك ابن سعود يتساهل في كل شيء إلا ما يمس سيطرته الشخصية ، أو ما يمس مركز حكمه . فإنه لا يتساهل فيه بحال ، وقد يعاد المزعول إلى منصبه أو أعلى منه إذا تصرف بعد العمل تصرفاً يرضى الملك . لقد عزل الملك أمير الطائف سنة ١٩٢٧ م لشدة هـ فلما أن حصر إلى مكة قال له الملك : إما لم نعرفك من مصدك بقص في ديك ، أو شبهة في أمانتك ، ولكننا نحبك لشدة ذلك ونحن نريد لبن مع الدس ، فقال له الأمير : الحمد لله لقد ولاك الله على السمين وأنت أعلم عصاؤهم ، ونحن حرمت من لمصب في أمتع برويتكم صباحاً وساء ، وهذا لا يعادله شيء عدى في هذه الدنيا . فسر الملك لهذا الجواب لطيف وواظف هذا الأمير على الحضور إلى مجلس الملك كل يوم ، فلم تنقض بضعة أشهر على عزله من الطائف حتى عين أميراً للمدينة .

والملك عبد العزيز من الرجال الصليين الذين لا تعرم مظاهر الأمور . كان علماء الرياض لما اعترضوا عليه سنة ١٣٤٩ هـ (١٩٣٠ م) إيدنه بإقامة الاحتفالات المناسبة عيد جلوسه على عرش الحجاز ، وعاتمة ذلك السنة ، أرضاهم بالنزول على رأيهم ؛ لأن ما يتعلق بشخصه لا أهمية له في نظره ، ولكن هذا لم يمنعه من معارضتهم في تعميم المواصلات اللاسلكية في بلاده وتشييدها ، لاهتاده محطاً للمعلومات التي تصل إلى نجد عن التلغراف اللاسلكي من أنه من عمل الشيطان ، وأنها بالعكس ركن من أركان العلم وحفظ الأمن وإنجاز الأعمال .

أعمال الملك عبد العزيز الإصلاحية

لا يقدر مجهودات الملك عبد العزيز حق قدرها إلا الواقفون على أحوال البلاد العربية المتصلون بها ، الحثيرون بشئونها ، الملمون بأحوال سكانها وطرق معيشتهم . إن الذي يعرف بلاد العرب — قبل ثلاثين سنة — عن خبرة شخصية ، أو يقرأ كتب الحواريين من الإخبار . يعرف ما لهذا الرجل من مصل في استئاب الأمن ، والصرب على أيدي قطاع الطرق من القبائل .

ولدى يعرف بلاد العرب وما كانت عليه من تشاحن بين أمرائها ، وحروب مسمرة بين حكامها ، يقدر مجهود هذا الرجل في قطع دابر الخصومات بتوحيد بعض الإمارات المتخاصمة .

واقدر ذكرنا في فصول متفرقة في هذا الكتاب ما له من الأيادي ، كإدخال النظام الصحي الحديث في نجد والأحساء بالإكثار من الأطباء ، وإنشاء المستشفيات المتصلة لمعالجة المرضى ، لأن حالة البلاد المالية لاتساعد على إنشاء مستشفى في كل بلد ، كما أدخل نظام التنظيم ضد الجدري بالرغم من معارضة بعض الممصبين ، كما ذكرنا فصله على السبل لنشر التعليم والإكثار من المدارس ، ومكافحة الجهل بكل الوسائل الممكنة ، ولولا قوة الدل الذي يعوز كل مشروع إصلاحى لوجدنا البلاد العربية التي يقود سفيتها عبيد العزيز أسبق البلاد وأسرعها خطى في طريق التقدم .

والملك عبد العزيز في طريقه الإصلاحى يفضل التؤدة والتأني وإعداد الشعب تدريجاً لما يريد له من الإصلاح .

إن كثيراً من القراء لا يدركون الصعوبات التي كان يعانيها الملك عبد العزيز ، ولا العقبات التي كانت تقف في سبيل ما يريد من المشروعات .

أقد مكث الملك عبد العزيز يجاهد ويجاهد في سبيل التبليغ والتلغراف اللاسلكي جهاداً عنيفاً — مرة مع الإخوان ، وآونة أخرى مع العلماء نحو عشر سنوات — وكان هذا الموضوع من الموضوعات التي أثارته عليه حفيظة الإخوان .

سأقص عليك القصتين التاليتين ، من كثير ، لتعرف المحيط الذى كان يشغل فيه الملك عبد العزيز ، وتعرف الصعوبات التى كان يتغلب عليها .

أوفدنى جلالة الملك للمدينة سنة ١٣٤٦هـ - ١٩٢٨م مع عالم كبير من علماء نجد للتعيش الإدارى والدينى ، جرى ذكر التفراف اللاسلكى وما يتصل به من المستحبات ، قال الشيخ : لا شك أن هذه الأشياء ناشئة من استخدام الجن ، وقد أخبرنى ثقة أن التفراف اللاسلكى لا يشغل إلا بعد أن تدح عدو ذبيحة ، ويذكر عليها اسم الشيطان .

ثم أخذ يذكر لى بعض القصص عن استخدام بنى آدم للشيطان ، ولم يكن لشرحى لنظرية التفراف اللاسلكى وتاريخ استكثفه نصيب من إقناع الشيخ ، فلم أجد أى فائدة من وراء البحث . فكت على مصص .

وفى يوم من الأيام دعانى الشيخ لرافقه لزيارة قبر حمرة عم الرسول صلى الله عليه وسلم عند جبل أحد - وهو يبعد عن المدينة بالسيارة نحو نصف ساعة - فلبيت الدعوة وسرنا من المدينة بعد صلاة العصر ، وفى أثناء الطريق أوقفت السيارة عند محطة التفراف اللاسلكى ، وهنا دار بينى وبين الشيخ الحديث التالى :

سأل الشيخ : لماذا وقفت السيارة ؟ فأجبتة . لرى التفراف اللاسلكى ، فإن كان هناك ذئانح ودعوة لمر الله ، فإنى سأحرقه مهما كانت النتيجة ، فالدين لله لا لابن سعود ، وقد يكون الملك محذوعا فى أمر هذه التفرافات ، وتذكر له الأشياء على غير حقيقتها . فقال الشيخ : مبارك الله فيك . فدخلت الحطة ، وبعد البحث لم يجد الشيخ أى أثر لمظام الذئانح وقرونها أو صوفها ، ثم أراه الموظف المختص طريقة الحارة . وفى دقائق تمردات الحبارات والحيات بينه وبين جلالة الملك فى جدة .

كانت هذه الزيارة البسيطة مدعاة للشك فيما كان يستفده من عمل الشيطان فى الحبارات اللاسلكية ، ولكنه طن أنى ربما دبرت هذه المكيدة بإيعاز الملك ، فرار الشيخ محطة التفراف بضع مرات منفردا فى أوقات مختلفة ، بدون أن يخبر أحدا بهزمه ، فكان يفاجئ العامل المختص بالزيارة ، ويسأله عن كل ما يخفى عليه ، وقد أخبرنى الشيخ ونحن فى طريقنا عودتنا إلى مكة ، بأنه يستغفر الله ويتوب إليه مما كان يعتقد ، ويتم به بعض

الاس — وربما كان يقصدني بذلك - ثم ختمت الموضوع بقولي : ما تقولكم يا حضرة الشيخ في رواية أولئك الثقات ؟ أخشى أن تكون رواياتهم لكم عن أكثر المسائل العلمية كرواياتهم عن التفرفاع ! فقال : حسب الله وسم الوكيل

وقد أخبرني جلالة الملك في شعبان سنة ١٣٥١ هـ — ديسمبر سنة ١٩٣٢ م أثناء زيارتي للرياض أن بعض كبار رجال الدين حضروا عده سنة ١٩٣١ م لما علموا بعزمه على إنشاء محطات لاسلكية في الرياض وبعض المدن الكبيرة في نجد . فقالوا له : يطويل العمر ، لقد عشتك من أضرار عليك استعمال التفرفاع وإدخاله إلى بلادنا وإن « فلي » سيحرق علينا المصائب ، ونحشى أن يسلم بلادنا للإجليز ، فقال لهم الملك : لقد أخطأتم فلم يشنا أحد ، واست - والله الحمد - بصيف العقل ، أو قصير النظر لأخضع بمذاهب الخادعين ، وما « فلي » إلا تاجر . وكان وسيطاً في هذه الصفقة ، وإن بلادنا عزيزة علينا لاسلها لأحد إلا المثلث الذي استلصها . إحوى الشيخ ، أتم لأن فوق رأسي . فمساكوا بكم بعض لا تدعوني أهر رأسي فيقع بكم أو أكثركم ، وأنتم تعلمون أن من وقع على الأرض لا يمكن أن يوضع فوق رأسي مرة ثانية ؛ مستثنان لا أسمع فيهما كلام أحد ، نظهور فاندتهما لي ولبلادي ، وليس هناك من دليل أو سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم يمنع من إحداث اللاسلكي والسيارات .

وعندما وضعت الآلة اللاسلكية في الرياض واستعملت ، كان الناس يفرى بعضهم بعضاً بأن إنشاء هذه المحطة هو الحد بين الخير والشر . وكان العلماء يرسلون من ياتمنوهم لزيارة المحطة ورؤية الشياطين ولما فتح تقدم لهم ، فلم يجدوا شيئاً .

وقد أخبرني عامل المحطة بأن بعض المشيخ الصغار كانوا يترددون عليه من وقت لآخر 'سؤاه' عن موعد زيارة الشياطين . وهل الشيطان الكبير في مكة أو الرياض ؟ وكم عدد أولاده الذين يساعدونه في مهمة نقل الأخبار ؟ فكان يجيبهم بأن ليس للشياطين دخل في عمله ، وكان بعضهم يغريه بالثود وأهم سيكتشون هذا السر . ولكن العامل كان يأخذ الأخبار ويرسلها أمامهم ويخبرهم أن الموضوع صناعي محض . كانت الأيام تعمل عملها في تنوهم ، ورسائلهم ينقلون إليهم حقيقة ما يرونه ويشاهدونه حتى لسواقة ثلة سرعة الأخبار

في فتنة ابن رفاة وعيسر . فقد ساعدتم ذلك على قمع الفتنة سريعاً ، ولو كان الاعتماد على الجبال لسكانت الأخبار لاتصل قبل ٢٥ يوماً أو أكثر ، ومنها في الرجوع ، ولا يلم إلا الله ماذا يجري من الحوادث أثناء ذلك .

وتذكرنا هذه القصة بما كان يجري في القرون الوسطى في أوروبا ، فماذا قول القاتل بدوران الأرض ؟ وبماذا قاتل امبراطور فرنسا ووزرائه الساعة التي أهداها له هرون الرشيد ؟ ألم يغزوا منها . واعد حدث مثل هذا في مجد قل ستين سنة ؟ إن أول ساعة دقاعة كسرت ، وعدت من عمل الشيطان ، وحدث أن بعض الجهة أداع بين الإخوان هذه الفكرة فقامت قيامة الإخوان منكرين على الشايخ استمهلها ، وأن أنل الأحوال فيها أسوأ بدعة ، فيجدي لم أحد الشايخ ورد عليهم في رسالة صغيرة سنة ١١٣٤ هـ (١٩١٦ م) وطبعت في مصر سنة ١٩٢٣ .

فهذه القصص وأشأها ترينا ناحية من نواحي عظمة ابن سعود ، ومقدار ما كان يمايه من الصعوبات في طريق الإصلاح ، وترينا ناحية من نواحي الكفاح بين القديم والجديد . ومن أعظم المشروعات الإصلاحية التي قام بها الملك عبد العزيز : مشروع تحصيل البادية وإقطاعهم الأراضي السكى والزراعة ، وتعليمهم المبادئ الدينية ومكارم الأخلاق . ولما كان هذا المشروع قد شغل قسماً من التاريخ الجدي الحديث ، أحببنا أن نفرده الفصل الآتي ، مفضلين التفصيل على الإيجاز .

ولقد امتدت يد الإصلاح إلى كثير من المرافق بعد استكشاف الزيت « البترول » وكثرة إراداته فدأت أمابيت المياه المذبة من وادي قاطمة إلى حدة ، كما بنى مرافق حديثاً ضخماً بلدة ترسو عليه السفن وفتحت المدارس في كثير من البلدان البادية ، وأرسلت البعثات العلمية إلى مختلف البلدان وهي نهضة تبشر بنجر عظيم .

ولقد توفي الملك العظيم في ٩ نوفمبر ١٩٥٣ وترك الأمانة لحبر من يحافظ عليها ويرفع شأنها ، ويحافظها بين رعايته نجله الأكبر جلالة الملك سعود الأول — حفظه الله — وهو في أول سنة من حكمه أبدى نشاطاً عظيماً في تنفيذ شئون رعيته والوقوف على ما تحتاجه من عناية .

الدخول

بدأ ذكر الإخوة على حدود العراق ، أو شرق الأردن ، أو الكويت استولى العرب على نوب السكان ، وهب السوط طوارق الصحراء لاثنتين بالبلاد القريبة منهم يحتمون بمدنها وأراجها . فمن هم رسل الدخول وبيع في بلاد العرب ؟

إن كلمة « الأخ » قد استعملت على الخليف وسعد أول سنة الإسلام ، فقد آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين لأوس والخزرج من الأنصار وتساوا ما بينهم من العداوة والخصومات ، وإلى هذا تشير الآية الكريمة : « وتعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا » وادكروا نعمة عليكم إذ كنتم أعداء فأف بين قلوبكم فصبتهم بسمه بخواناً وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها »

أما في السوات لأخيرة : وقد أصبحت عملاً على مكان المدينة لذين تركوا السكى في الحياض واستقروا في أماكن معينة ، وسوا لكهم سوتاً من الفين سميت « هجرة » إشارة إلى أنهم همروا الحياة القديمة لمكروهة إلى حياة أخرى محبوبة .

إن أول « هجرة » بيت هي هجرة لأندرية سنة ١٣٣٠ هـ - ١٩١١ م ، وسكانها حايط من قبائل حرب ومطير ، ثم « حطط » سكانها من « عتبة » ثم « دحة » رآكثر سكانها من حرب ، ثم « لأخضر » وأكثر سكانها من شمر ، وتبلغ الهجرة نحو ستين هجرة ، ولكن أهمها ما تقدم .

ثم أحدثت هجرة تشر مرة ، وأحدثت الشتر تقدي « مصها بعضاً في ترك حياة المادية التي أصبحت آسى عدم الحاهلية كما يسون الحياة الجديدة بالإسلام .

وقد على ديين كبير من عينة في كره الحاهلية أو حياة المادية ، فزوا أن من آية الإخلاص لله ودينه ، وآية لأن الصحيح : « حصص من كل ما يشتم منه راثمة الحاهلية ، فأخذوا يبيعون إلههم وأعدسهم ، ويطعون في « هجرة » لعمارة وسماع البيرة النبوية ، وغزوات الرسول صلى الله عليه وسلم ، وتاريخ انتشار الإسلام في جزيرة العرب ، فوجدوا

أن حياتهم الأولى تشبه في كثير من الوجوه حياة الجهلية ، كما أن حياتهم الأخيرة تشبه حالة الإسلام في أيامه الأولى . فعكف أكثرهم على تعلم مبادئ القراءة وحفظ شيء من القرآن والحديث . غير أن هذا لاغلاب كان خطيراً وعديماً جداً .

لقد تشرب هؤلاء كثيراً من المبادئ والتعاليم القبيحة ، حتى اعتقدوا أنها هي الدين ، وما سواها صلاة ، كما أساءوا الظن بعيرهم من حضر نحمد ، بل وبؤس أمرهم الإمام عبد المير . أصبحوا يعتقدون أن أسس العامة هي السنة ، وأن العقل من اليدع المنكرة ، بل على بعضهم فجعله من لباس الكفار ، ويجب مقاطعة لاسيه . وكان كثير منهم يعتقد أن لا إسلام لمن لم يسكن الهجرة مها كان عليه من الإسلام ، وترك شرور البادية وعوائدها ، فلا يبدأون غيرهم من هؤلاء سلام ، ولا يردون عليهم السلام ، ولا يأكلون ذواتهم . وذهب هؤلاء عندهم هو عدم سكي الهجرة .

وكان من عوائد الإخوان إذا قدموا راثرين طاموا في المسجد ، وقالوا : السلام عليكم (يا الإخوان) إخواننا يسلمون عليكم .

وكان فريق منهم يعتقد أن الشيخ مقصرون مدهنون لابن سعود ، وقد كتبوا الحق عنه .

وكانوا يعتقدون أن الحضر ضالون ، وأن غزو المحورين واجب ، وأنه أنقذ عليهم هذا الواجب من قبل الله . فلا يسمعون كلام أحد في مع المزو .

ولقد نال بعضهم الإمام عبد المير ، فرموا بمولاة الكفار والتساهل في الدين ، وأسكروا عليه تطويل الثياب والشارب ولبس القفل ، بل غير ذلك من ضروب الجاهلة ، وأصبحوا يحرمون كل ما لا يتفق وهوام . وإن سريان هذه الروح المردة يرجع إلى هؤلاء الجاهلة أنصاف المتعلمين الذين انتشروا في قرى الإخوان باسم العلم ، وانقوم هذه التعاليم وحببوا إليهم التخصب القديم .

وربما كانت سنة ١٣٤٥ هـ من أشد السنين في نجد ، إذ كادت تقع فيها فتنة أهلية ، بين الإخوان من جهة ، وبين الحكومة والحضر من جهة أخرى ، واتقد جرد الإمام جيشاً من طلبة العلم المتقنين في دينهم وأرسالهم إلى الإخوان كي يصلحوا ما أفسد الأولون ، كما أنه انزع أولئك الذين بذروا بذور الجاهلة والتوايه ، ومنهم من السكفي في

المجر . على أن الملك عبد العزيز — وإن نجح في ذلك كثيراً — فإنه لم يتمكن تماماً من استئصال تلك الجذور التي نمكت من نفوسهم ، ولولا أنهم يحذون سيفه ، وبهاون سلطانه ومطوته لعدت القوضى جزيرة العرب .

نقد عرفت البدوى في حروبهم وفي حياتهم البدوية ، وعرفتهم بعد ما سكنوا المجر ، وعرفت كثيراً من قاذاتهم في جاهليتهم وإسلامهم ، فرأيت أن الذين قد عيرهم تغييراً تاماً كان البدوى لا يملكه إلا التهب والسلب وقطع الطريق . ثم هو بعد هذا العمل من منافع الدابة والويل للصيف والبدية . وكان لسان حالهم قول « نذل مال الله ، يولى ويملك ، يصبح فقراء ويمسى أغنياء ، يصبح أغنياء ويمسى فقراء » واقوال البجارية كانت تحت رحمة البدية ، لا تفر من المنطقة إلا بياض أو مجيز

والبدوى لم يكن أبداً مخطراً بحياته ، فإذا رأى أن السب سيكون من ورثته خطر تركه وكذلك إذا رأى دفاعاً قوياً من حصه تركه .

والبدوى لا يعرف قلبه الإخلاص تقريباً ، شينته الرياء والصدق ، لا تنفع معه إلا الشدة المشوبة بالمثل ، ولذا فلا يمول الأسماء كثيراً على عذدهم ولا على قوتهم . وكثيراً ما كانوا يبالوا على صديقتهم . فإذا بدرت منه نواذر الهزيمة فاهم بكونون أول الناهين له . ويحتجون بأنه مادام صديقتهم سهوياً ، أو مأخوذاً — كما يقولون — فهم أولى به .

أما الإخوان الآن : فهم حماة الطريق ، يرون حرمة التعدي على المسافر وإن السليل ، ويرون للعدو والمسلم حرمة ، فالمسلم حرام دمه وماله .

أصبح الإخوان لا يهاون الموت ، بل يندفعون إليه مدافعاً ، طامعاً للشهادة وإقامة الله ، وأصبحت الأم حينها تودع ابنها تودعه بهذه الكلمات « حما الله وإياك في الجنة » وأصبحت كلمة التشجيع على الحرب « هبت هبوب الجنة وين أنت يا أغنيها » . وكلتهم عند الهجوم « إياك تفيد وإياك تستعين » .

وانت شاهدت بعض مراتهم الحربية ، فوجدتهم يقدفون بأنفسهم إلى الموت قدماً ويتقدمون إلى أعدائهم صفاً صفاً ، ولا يفكر أحدهم في شيء إلا هزيمة العدو وقتله . ولإخوان على العموم لا تعرف قلوبهم الرحمة على الأعداء ، ولا يقات من تحت يدهم أحد . فهم رسل الموت أينما رحلوا .

قد ظهرت قوة الإخوان الحربية في هزيمة أهل الكويت هزيمة منكورة في واقعة «حمص» سنة ١٩١٩ م ، ثم في حصار شيخ الكويت في «الجهرة» سنة ١٩٢٠ م ، وفي إبادة جيش الشريف عبد الله في واقعة «تربة» سنة ١٩١٩ م ، وفي هجومهم المتكرر على العراق والكويت وشرق الأردن .

والرغم من أن إمامهم كان يهتم كثيراً عن هذه المزوات ، وأنه كان دائماً يأمرهم بالرفق وعدم القتل ، وبالرغم من أن علماءهم كانوا يوصونهم دائماً بعدم قتل الأمير أو المستجير ، فانهم لم يمتثلوا إلى أحد .

وإن من يقرأ رسائل العلماء في الإنكار عليهم ، وعلى أوصاف التلمذيين الذين سمعوا أفكارهم ، يرى أن علماء نجد لم يقصروا في النصيحة ، ويدل أن مايتيه بمص الإخوان مما تأباه طبائع العرب ، ولا تقره الشريعة الإسلامية ، لا يصح أن تاتي تبعته على علمه محمد أو الملك عبد العزيز .

والإخوان قصص طريفة تدل على باطنهم وشدة تأثرهم «لدين :

جاء أحد الإخوان إلى أحد المشايخ وسأله عن الدق ؟ فأخبره بحده الشرعي . ثم سأله عن الخوف في الحرب ؟ فقال له العالم : إذا لم تعط العدو طهره فلا يسى هذا قراراً أو نقاشاً ، فقال : لا ، إن شاء الله لا أعطى العدو طهرى . إن هذا كفر يا شيخ . لا ، إن في قلبي غشاً . إنى حبيبا كنت أهم وجدت في نفسى شيئاً من التردد بسبب أزيز الرصاص ، لا بد أن يكون الدق في حنى أخرج الدق بمصاك أيها الأخ . ولكن الشيخ أفهمه بصعوبة أن هذا ليس من النفاق أو الكفر أو الهزيمة .

وجاء رجل آخر حاملاً صرة فيها نقود ذهبية وجدها بعد معركة «تربة» ، فسأل الشيخ : هل هي حلال له ؟ فقال الشيخ : إنها من الغنمة . ولا يحل لك إلا ما سيصيبك بعد القسمة سلبها من فوره لمثولي الغنمة ، ثم قال : لا والله لا أستعها . فأين هذا من خلق للبادية ؟ .

إذا وجدك الأخ في الطريق ووجد شاربك طويلاً فباه يدعوك إلى السنة ، ثم يضع يده على شاربك ويفص الزائد . أما إذا كنت ماراً بالهجرة فإن السالية تم قسراً وزجراً لا بطريق النصيح والطف .

وكذلك يدّوحدوا الثوب رداءً من القطن يعمل عمله في رائد تميمه فحدث
« ماتحت الكمين في السر » و« الرغم » يأتيه لإخوان من الخطأ والحطل ، وتجاوزهم حدودهم
إزاء الحكومة ، فإن ملك ابن سعود كان يهضي عن أدهم ، ويحتل تقدم بجم وصر ، فلما
عرف عن غيره من موكب العرب . وكان دائماً يقول : إن الإخوان يجب احتالهم . ومما
ملوا لملتهم الآن خير من حالهم الأولى . وأما هذه المعصية والشدة : فالمرن كليل
مخيف حدثها

أما علة الإخوان في مكة - أول دخولهم لها - فحدث عنها ولا حرج ، لم تكن هناك
أى هيئة للحكومة ، وكل ما يعتقد لأخ متكرراً يزيه بعسه ، يبتدئته أو مصاه أو يده .
وكثيراً ما كان الملك ابن السعود ينزل على رأيهم اتقاء لفنة قد تحدث . كما أنه كثيراً
ما كان يقبض عليهم بيد من حديد إذا رأى أن السائرة قد تضعض سلطانة في جزيرة
العرب .

لأول مرة شاهد الملك ابن السعود التليفون في مكة ، ورأى العائدة العظيمة التي
يؤدبها التليفون في إيجز الأعمال وسرعة المواصلات ، ولما نقل معسكره من الزاهر
(الشهداء مقر مكة) إلى حذاء أراد أن يعد سلكاً تليفونياً بين مكة وبين حذاء ، وسلكاً
آخر بين الزعامة وبين حذاء ، حتى يكون على اتصال تام بين مكة ومقره وفي ميدان
الحرب . وكما قطع المسافة بين مكة وبين معسكره الحص في ٤ ساعات دهاءاً ، ومثلاً
إيما ، بالصل أو الإبل السريعة ، وكانت الخيل تقطع المسافة أيضاً في مثل هذه المدة من
الزعماء إلى حذاء ، ولكنه عدل أخيراً عن هذه الفكرة . لأن إنشاء التليفون قد يهيج ثورة
الإخوان ، وأرجأ هذه المسألة . وكثيراً ما كان الإخوان يقطعون أسلاك التليفون لأنه مفكر
يحب إزالته . وكثيراً ما كانوا يعمدون قطع الأسلاك الموصلة إلى قصر ابن السعود أثناء
وجوده في مكة . كل هذا كان يتحمل على مضض مسنداً على الزمن . وحدث مرة أن
أحد الإخوان ضرب حادماً لذلك يركب عجلة (بسكليت) وتسمى بامة نجد (عمرة الشيطان)
أو (حصان إبليس) بدعوى أنها بدعة ، وأنها تثير بقوة السحر وعمل الشيطان ، بدليل
أن الراكب إذا رل لم تقف ، ولكن الملك أدب هذا العقدي أدباً أرجعه إلى رشده .

وفي سنة ١٩٢٦ م اضطر جلالة الملك أن ينزل على رأبهم في إيقاف تلتراف المدينة اللاحلسكي ، وهدم بعض المساجد القائمة على التمرور ؛ لأنه لم يكن يسمه غير ذلك ، والحكمة كانت تقضى بذلك ، فهو لا يقف أمام التيار ، بل يتركه يسير طبيعته ، ثم بعد أن تهدأ العاصفة يميل فكره لضرب خصومه في الظروف المناسبة ، وعند سنوح القرمص اللأئمة . وكان أشد الناس على الإخوان : الأمير عبد الله بن جلوي حاكم منطقة الاحساء ، فكثيراً وما سمعته يقرع رؤساء بني خالد وآل سرة والمعبان على شدنهم وغلوهم ، ويقول : إن حالهم الأولى — على ما فيها من الشرور — خير من حالتهم هذه ، وإن الدين ليس في الهمم . وهو لا يسبح لأحد منهم كاتناً من كان أن تمتد يده إلى أحد من أهل الاحساء ، وإذا تجرأ أحد فخرأوه أصرم العقوبات ، ولذلك كانوا إذا دخلوا الاحساء لليرة نزعوا هائمهم وقضوا جوانجهم في هدوء وسكون . ولقد سمعت الأمير عبد الله بن جلوي وغيره من آل سعود وكبار آل الشيخ ينصحون الملك عبد العزيز بالتبصر في غلو الإخوان وخروجهم عن حدودهم ، ولكن الملك كان دائماً يقول : هؤلاء أولادى . وواحيي احتملهم والتجاوز عن سيئاتهم وخطيئهم ، وبذل النصيح لهم ، وإنى لا أبسى أعمالهم وأعتقد أنهم حسنوا النية وسيتكشف الحق لهم .

أول مؤتمر للإخوان

في عيد النضر سنة ١٣٤٣ هـ — وهو أول عيد لنا في مكة — زرت الشريف خالد بن لؤى أما والدكتور عبد الله الدمولجى . وكان لديه فيصل الدويش وجماعة من الإخوان اجتمعوا هناك بعد صلاة العيد للمائدة على بعضهم ، فخطب الحضور فيصل الدويش ، وهذه عادة من عادات الإخوان . لآعملو مجالسهم من نصيحة أو عظة ، فقال مخاطباً خالداً وجماعته :

نحمد الله يا خالد ، ويا « الإخوان » على نعمته ، فقد دخلنا بلد الله الحرام وطردنا الشريف من هذا البيت . إنا جند الله وخدم لدينه ، لا نريد إلا أن تكون كلمة الله هي العليا ودينه هو الظاهر ، ولا نريد إلا رفع المظالم وإزالة البدع والنكرات .

(١) واندحما منها آية الأمير سعود بن جلوي الذى خلف في إمارة الأحساء أباه بعد موته .

وإن هذا السيف وهذا الجند سيمثل هذا الصل في كل من يسير في طريق الشريف ويعمل عمله ، فأمّن الإخوان كلهم على كلامه .

مكّن هذا في الحقيقة أول إنذار من أحد قادة الإخوان ، ولم تخض سنة على هذه الخطبة حتى سمعنا أن هناك مؤتمراً يعمد في الأرباطوية ، حضره رؤساء الإخوان من مطير وعُتبية والمحمّان ، تعاهدوا به على حمرة دين الله والجهاد في سبيله ، ثم أنكروا صراحة على الملك عبد العزيز :

أولاً : إرسال ولده سعود إلى مصر .

ثانياً : إرسال ولده فيصل إلى لندن بلد الشرك .

ثالثاً : استخدام السيارات والبنفراطات والنفقوبات .

رابعاً : الضرائب الموجودة في الحجاز ونجد .

خامساً : الاحتجاج على إذنه لعشائر العراق وشرق الأردن بالرعي في أراضي المسلمين .

سادساً : الاحتجاج على منع المناجرة مع الكويت ؛ لأن أهل الكويت : إن كانوا كفاراً حوروا ، وإن كانوا مسلمين فلماذا المقاطعة ؟ .

سابعاً : النظر في شيعية الاحساء واقطيف ، وإجبارهم على الدخول في دين أهل السنة والجماعة .

لقد مجل الملك عبد العزيز بالرجوع من الحجاز إلى نجد عن طريق المدينة ليعالج الحالة بمحكمته ، فدعا زعماء الإخوان إلى مؤتمر أمر بعقدته في الرياض في ٢٥ رجب سنة ١٣٤٥ هـ — يناير سنة ١٩٢٧ م ، وقد ابنى الدعوة جميع زعماء الإخوان ما عدا سلطان ابن بجاد . وفي هذا الاجتماع شرح الملك عبد العزيز موقفه شرعاً وافيّاً ، فوصف نفسه بأنه خادم الشريعة ، يحافظ عليها أتم المحافظة ، وأنه هو الذي يمهّدونه من قبل لم يتغير . كما يتوهم بعض الناس ، ولا يزال ساهراً على مصالح العرب والمسلمين .

وقد انتهى هذا الاجتماع بالتقوى الشهورة التي أصدرها علماء نجد في صدد المسائل التي كانت سبب تشويش الإخوان ، وأعلن الحاضرون تلقفهم بإمامهم وملكهم ، وبايعوه بالملكية على نجد ، فأصبح لقبه الرسمي « ملك الحجاز ونجد وملحقاتها » ونيا نلى نص الفتوى :

من محمد بن عبد الطيف ، وسعد بن عتيق ، وسليمان بن سَعْبَانَ ، وعبد الله بن عبد العزيز العتيقي ، وعبد الله السقري ، وعمر بن سليم . وصالح بن عبد العزيز ، وعبد الله بن حسن ، وعبد الله بن عبد الطيف ، وعمر بن عبد الطيف ، ومحمد بن ابراهيم ، ومحمد بن عبد الله ، وعبد الله بن زاسم ، ومحمد بن هُتَن الشاوي ، وعبد العزيز السقري ، إلى من يراه من إخواننا المسلمين . سلك الله لنا وسهم الطريق المستقيم . وجنتنا وإمام طريق أهل الجحيم ، آمين .

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، أما بعد : فقد ورد علينا من الإمام — سلمه الله تعالى — سؤال من بعض الإخوان عن مسائل يطلبها الجواب عنها ، فأجيبها بما نصه :
أما مسألة البرق ^(١) فهو أمر حادث في آخر هذا الزمان . ولا سلم حقيقته ، ولا رأينا فيه كلاماً لأحد من أهل العلم ، فتوقفنا في مسألتها ، ولا نقول على الله ورسوله بغير علم ، والجزم بالإباحة والنحریم يحتاج إلى الوقوف على حقيقته . وأما مسجد حِزَة وأبي رشيد فأفتينا الإمام — رحمه الله — يهدمهما على الفور . وأما القوايين : فإن كان موجوداً منها شيء في الجباز فيرال فوراً . ولا يحكم إلا بالنشرع المطهر . وأما دخول الحاج المصري بالسلاح والقوة في بلد الله الحرام : فأفتينا الإمام بمعهم من الدخول بالسلاح والقوة ، ومن إظهارهم الشرك وجميع المنكرات . وأما الحمل : فأفتينا بمعهم من دخول المسجد الحرام ، ومن تمكين أحد أن يتسبح به أو يقبله ، وما يقوله أهله من الملامى والمنكرات بمنعونها . وأما منعه عن مكة بالسكينة : فإن أمكن بلا مفسدة تمين ، وإلا فاحتال أحد القسدين لدفع أعلاما سائق شرعاً . وأما الرافضة : فأفتينا الإمام أن يلزمهم البيعة على الإسلام ، ويمنعهم من إظهار شعار دينهم الباطل ، وعلى الإمام أيضاً أن يلزم نائبه على الأحباء أن يضرهم عند الشيخ ابن بشر ، ويأبىوه على دين الله ورسوله ، وترك دعاء الصالحين من أهل البيت وغيرهم ، وعلى ترك سائر البدع من اجتماعهم على مآتهم وغيرها بما يقيمون به شعار مذهبهم الباطل ، ويمنعون من زيارة المشاهد ، كذلك يلزمون بالاجتماع على الصلوات الخمس هم وغيرهم في المساجد . ويرتب فيهم أئمة ومؤذنون ونواب من أهل السنة . ويلزمون بتعليم ثلاثة الأصول

وكذلك إن كان لم يحال مهية لإقامة البدع تهدم ، ويعتقون من إقامة البدع في الساجد وغيرها . ومن أتى قبول ما ذكره من بلاد المسلمين . وأما الرافضة من أهل التطيف : فيلزم الإمام — أيده الله — الشيخ ابن بشر أن يسافر إليهم ويلزمهم بما ذكرنا . وأما الوادى والقرى التي دخلت في ولاية المسلمين : وأفتينا الإمام أن يبحث لهم دعاة ومعلمين . ويلزم نوابه من الأسراء في كل ناحية مساعدة المذكورين على إراعتهم بشرائع الإسلام ، ومنعهم من المحرمات . وأما رافضة العراق الذين انتشروا وخالفوا بأدب المسلمين : فأفتينا الإمام نكثهم عن الدخول في مراتع المسلمين وأرضهم . وأما المكوس : فأمينا أنها من المحرمات الظاهرة ، فإن تركها هو الواجب عليه ، وإن امتنع فلا يجوز شق عصا طاعة المسلمين والخروج عن طاعته من أجلها . وأما الههاد : فهو محمول إلى نظر الإمام ، وعليه أن يراعى ما هو الأصح للإسلام والمسلمين على حسب ما تقتضيه الشريعة العراء . وسأل الله لنا وله ولم ولكافة المسلمين الوفيق والهادية ، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

[حرره في ٨ شعبان سنة ١٢٤٥ هـ]

إزاء هذه الفتوى اضطرت الملك إلى عدم قبول الحمل ، كما اضطرت إلى هدم مسجد حمزة ، وتعطيل التلغراف اللاسلكي . فعمل ذلك على تلاق الفتن أو تأجيل وقتها .

لم يرض الدويش — وهو أول رأس مذبذبة الإخوان — أن يحيط ابن سعود عمله وتديره فوضه أمام مشكلة جديدة . وذلك أنه أرسل قوة صغيرة في أكتوبر سنة ١٩٢٧ م قتلت عمال محفر بؤصة على الحدود العراقية البعيدة ، وقتلت بضعة أعمار من الشرطة كانوا مع العمال ، فهدى هذا العمل إلى إنذار السلطات البريطانية في العراق للشأن التي على الحدود بالابتعاد إلى داخل نجد ، ثم هجوم الطائرات البريطانية واشتباها مع المقاتل البعيدة نحو ثلاثة أشهر ، فرأت الحكومة البريطانية — بعد مفاوضات مع جلالة الملك عبد العزيز — إيفاد سير جلبرت كلايتون لحل المشاكل القائمة . وقد رأى جلالة الملك أن يعقد مؤتمر بؤنة في أبريل سنة ١٩٢٨ م تهدئة فائز الإخوان وإفهامهم أنه يشاركهم الرأي في سحقهم على مناء الخافز على الحدود ، ولكنه يرى الأفضل حسم المشكل بطريق المفاوضات وأخبرهم أنه مساهم إلى جدة للاجتماع بالمفاوض البريطانى ، ووعدهم بالاجتماع معهم في الرياض بعد رجوعه من الحجاز ، ومفاوضة الحكومة البريطانية ، لإيقانهم على جليلة

الأمر ، غير أن المفاوضات البريطانية لم تسفر عن قبول وجهة النظر النجدية . وأصررت هي والحكومة العراقية على موقعهما في بناء الخافر .

رحل الملك عبد العزيز من الحجاز إلى الرياض . فوصلها في ديسمبر سنة ١٩٢٨ م وأمر بسقد المؤتمر النجدي — أو الجمعية العمومية — كما سمّتها أم القرى في ١٠ جمادى الأولى سنة ١٣٤٧ هـ — ١٩ أكتوبر سنة ١٩٢٨ م .

اجتمعت الجمعية العمومية في أحد أروقة القصر الداخلية . وكان عدد الحاضرين نحو ٨٠٠ من علماء ورؤساء حصر وبدو . ولم يحضر الدويش ولا ابن بجاد هذا المؤتمر . وقد استبح الملك المؤتمر محطة شريح فيها تاريخه في محد من بدء استرداد الرياض إلى الوقت الحاضر ، وأعماله في توحيد الجزيرة ، وتأمين الطرق ، والإحياء بين العشائر . وبعد أن انتهى من خطبته عرض على الحاضرين تنازله عن العرش ، ووجوب اختيار غيره من آل سعود ، وأنه يعاودهم أنه سيأخذ من يختارونه . وأخبرهم أيضاً بنتيجة المفاوضات البريطانية وتمسك الإنجليز بالمباي ، ولكنه ألغى على الدويش مسئولية بناء الخافر بسبب تعديه على الحدود العراقية من وقت لآخر .

أما مسألة التنازل عن العرش : فلم تقبل بالطبع ، لأنهم يعلمون أن ابن سعود لم يصل إلى ما وصل إليه إلا بمعية الله ثم بسيفه ، ولقد فقد مايموه مرة أخرى على السمع والطاعة والسير وراءه . وفي الواقع لم يكن الملك يرمى في هذا المؤتمر إلا إلى اجتماع كلمة البعدين وإنارة هميتهم ضد الإخوان المتطرفين . وهذا الماحية قد منح فيها نجاحاً تاماً .

أما الإخوان المتطرفون الذين التفتوا حول ابن بجاد وفصل الدويش وابن خثيلين : فإنهم لم يأبهوا لهذا المؤتمر . وقد أداعوا في المهجر أنهم قاتلون مأسر الدين وإقامة الشريعة التي كاد يهدمها ابن سعود ، وأن ابن سعود طالب ملك ، وموال لسكرار ، وشريك لهم في جميع الأعمال ، وأتبعوا هذا التهديد بالإغارة على حدود الكويت والعراق أحياناً ، ونهب القوافل النجدية أيضاً .

وقد أثبتت حوادث ثورة الإخوان أنه لا يزال للعصية شأن كبير في جزيرة العرب . فإن كثيراً من الإخوان الذين حضروا الجمعية العمومية من مطير والمجنان وعتيبة كانوا

تحت لواء الدويش وابن حنبلين في الثورة ، ورغم من مآيبتهم وعهودهم التي قطعوها للملك ابن السمود ، ثم أخذوا يتعدون على السيادة بدرب أن يفرقوا بين أهل نجد وغيرهم ، وأخذوا يعملون السيف في رقاب من توقعه الأقدار تحت أيديهم لأنهم كفرة .

لم يستطع ملك ابن السمود صبراً على هذه الحدة التي أصبحت تهدد البيان الذي أسسه في ثلاثين سنة ، فاستحث أهل نجد عليهم ، وكلهم ناظم عليهم ، بل أكثرهم كان ناقداً لسياسة ابن السمود في ملايتهم وإرخاء الجبل لهم .

اجتمع أهل نجد حول راية ابن السمود في القصيم . كما اجتمع حوله كثير من الإخوان — حرب ، وقحطان ، وبعض من مطير وعتيبة — الدقيقين على الدويش وابن حميد . فلما أن علم الإخوان بوصول ابن سمود إلى بريدة اجتمعوا كلهم بعد ما كانوا مشتقين ، وصمموا على مهاجمة ابن السمود ، وهم وثقون من التموز تمام الثقة . واقد كان مع ابن سمود سلاح آخر لا يقل عن سلاح الهند وهم العلماء ، ولكن الدصين لم يعودوا يتقون حتى بالمدد . استمرت المفاوضات بين ابن السمود وبين الإخوان مدة ، وانملك يقرب بمجنوده منهم حتى تقارب الجيستان في السبيلة قرب الزلّقي .

ابن بجاد يرسل رسولا إلى ابن سمود

ثم أرسل ابن بجاد رسولا إلى ابن سمود في مسكره ، فدخل الرسول يحمل كتاباً إلى ابن سمود ، فلم يسل هذا الرسول على الملك لأنه مبتدع في ذمهم . إنها لكبيرة ، وهل يصبر ابن السمود على هذه الإهانة ؟

— من أنت ؟ أئت ما جد من حيلة ؟ وأخذ يسرد عليه تاريخه . ويقرعه ، ويقول : أنتدخل على ولا نسلم ؟ اذهب من فورك إلى القدي أرسلك . وأخبره أننا قادمون للهجوم عليهم غداً ، فإذا أرادوا أن يحققوا دماءهم فليستسلوا بلا قيد ولا شرط ، والشرعية هي الحكم بيني وبينهم ، وهؤلاء العلماء حاضرون . قم واذهب إلى رفيقك .

وقد أخبرني ماجد — وكان كالوزير لابن حماد — بأنه أشار عليه بتقديم خضوعه إلى إمامه قبل أن يحم القصاص ، لأن ابن سمود ليس هو الرجل العين الذي كانوا يهودونه ، ولكن الدويش

طالب منهم أن يذهب هو بنفسه ليرى حاية الأمر ، وأخبرهم أنه إذا لم يرجع إليهم مساء يكون ابن سعود قد اعتقله .

وصل الدويش إلى المعسكر . ثم أخذ يتماق الملك ومن معه . وأظهر استعداداه للتسليم وأنه ليس على رأى ابن حيد ، وأنه سيبيت عدهم ، فقال له الملك : قم فتم عديتكم وموعدهم غداً بعد شروق الشمس ، وإن كنت صادقاً فتفتح عن الجماعة ، وإن لم تكن صادقاً فسرى وخامة العاقبة ، والله ولي الصارين .

— ماذا رأيت (يا الدويش) ؟ سزال وجه إليه من أركان حرب الإخوان .

— ماذا رأيت ؟ رأيت حصرياً ترتعد فرائسه من الخوف ، وأيس حوله إلا طبايع (طهارة) لا يعرفون إلا النوم على الدواشع (المراتب) اشروا يا إخوان . لقد وجدت لديهم خللاً كثيراً وأموالاً عظيمة ، فأشروا بالكسب والتمنية ، وسنقهر هذا الطاغوت غداً وستولى على ماله . هذه رواية بعض الإخوان الذين كانوا مع المعصاة .

وفي اليوم الثاني ٣٠ مارس سنة ١٩٢٩ م هاجمت جيوش الملك ابن السعود حنود الإخوان ، وحلت عليهم حملة عنيفة لم يقدروا على ردها ، ولم يتصرف النهار حتى ولى الإخوان الأدمار ، قهر ابن بحاد من المعركة . وحل الدويش جريحاً إلى الملك يحوط به بناته وزوجته وهن يبكين يستشعن فيه ، فخاطر الملك من هذا النظر وعفا عن الدويش الذي عاهد على السمع والطاعة بعد ذلك ، وبعد ثلاثة أيام استسلم ابن بحاد في شقراً ، فأمره الملك بسجنه . لأنه كان خطراً على الأمن ، ولا يأمن شره من الانتقاض ، ثم أمر الملك ولده وأخاه بتأديب المعصاة حسب درجاتهم ، كما أمر ابن جلوى بتأديب السجان .

الثورة تعود مرة أخرى

رجع الملك إلى الحجاز بعد أن قهر الإخوان ، غير أن الضربة لم تكن فاصلة . فإن الدويش الذي كان يظن أنه سيموت متأثراً من حراجه قد برى ، وبدلاً من أن يعود إلى صوابه ويستنقر الله مما ارتكب ، ظن أن ابن سعود قد يقبض عليه ويلقيه في غياهب السجن مثل ابن بحاد وجماعته . فترك الأرمطارية واستنقر بين الكوثر والاحساء ،

وانضم إليه العجمان بعد أن قُتل زعيمهم بيد فهد بن جلوى ، وبعد أن قتلوا هم أيضاً قهراً انتقاماً لزعيمهم ، وأحدوا يعيشون في الأرض مصاداً ، تارة جنوباً وتارة شمالاً ، ولم يقتصر أسرم على النهب والسلب ، بل تعداه إلى قتل الشيب والنساء والأطفال .

عادت الثورة أشد مما كانت ، فمتبة انتشرت بين نجد والحجاز ، وفصلوا الملكيين بعضهما عن بعض ، وكادت المواصلات تنقطع بين مكة والرياض وخليج فارس . غير أن أهل نجد — لاسيما الحاضرة — لا تحمل في قلبها إلا الإخلاص والولاء لإمامها ومليكها لتواضعه وكرمه وسهره على مصالحهم ، وتغاييه في الدفاع عنهم ، وقد كون منهم أمة لها نصيبها من الحياة تحت الشمس .

وهل كانوا يفتخرون عليه إلا تساهله مع الإخوان ، وغضه الطرف عن مساوئهم ؟ إن العرصة قد سنحت لتقليم أطراف القوضى ودعائها .

أخذ الملك عبد العزيز يبالغ الموتف بما عرف عنه من سعة الحيلة وبعد النظر ، فتقوى الحاميات في الاحساء والتقطيف وحائل ، ثم أخذ يجمع الجند فأرسل قوة كبيرة من الرياض يسدها القسم الموالي من عتية . وضرب عتية ضربة لا تقوم لها قائمة بعدها ، وصادر جهالم وسلاحهم ، وترك لهم الضرورى لحياتهم ، والتقى ابن مساعد بعبد العزيز بن فيصل الدويش في أم الرضمة ، فوقت بين الفريقين موقعة دامية قتل فيها ولد الدويش ، ولم يفلت من المصاة سوى بضعة أنفار . وهؤلاء كانوا أفضل رجال مطير الحريين ، ففتت هاتان الضربتان من عصد الدويش وهرته هزاً عيباً ، وأيقن أنه مقضى عليه لا محالة ، ولكن كيف يكون المصير ؟

الدويش يطلب الصلح

أخذت الرسل تصدو بين الرياض وبين الدويش لطلب الأمان ، ولكن الملك أصر على التسليم بلا قيد ولا شرط ، ثم الخضوع لحكم الشريعة ، وأنه يعد بالوفاء عن حياة الدويش فقط .

خرج الملك يقود القوات بعبه مستعيناً هذه المرة بالسيارات والدافع الرشاشة .

وفي ٣٠ ديسمبر سنة ١٩٢٩ م هم على الدويش تحيين الزعيم (من حرب) من الإخوان ،
ومعه عرابان العراق ، ابن طوالة وابن سويط ، وهؤلاء كانوا متورين من الدويش ،
فاتهموا القصة السابقة للانتقام قرب الخمر . وسهموم وأشعلوا النار في حبة الدويش ،
وهؤلاء لم يكن لهم علم بوجود ذلك ان السعود قرب آصافة^(١)

وكان الدويش — حتى تلك الساعة — يكذب بوجود ان السعود في آصافة ، ويقول :
إنه يسحيل أن يقدم اس سعود لأن محمداً تحل وليس هناك ما ينقل عليه ان سعود تونه .
ومع أني أما الذي أدعت الخبر إذ كنت بالكويت أمثل ان السعود لدى السلطات
الإجليزية ، ومع أن الخبر وصل إليا سيارات خاصة ، فإن الدويش كذب هذه الأخبار
حتى لا ينقص من حوله العشائر والطامعون في الذهب واللب ، ولكن بالرغم من تكذيب
الدويش هذه الأخبار ، فإن الأخبار انتشرت في جميع القبائل المشتركة منه في الصحيا
وأيقنوا أن ايس في طاعتهم المقدومة ، فعرفوا من حول لدويش كالجأ بمضهم إلى
الحدود العراقية ، وفر مضهم إلى نجد ، واستسلم الدويش وبعض رؤساء مطير والمحمان
إلى السلطات الإنجليزية التي كانت بالهجرة في ٩ يناير سنة ١٩٣٠ م .

مؤتمر خباري وأخوة^(٢)

كانت المفاوضات منذ سنة تقريباً بين الملك ان السعود والحكومة البريطانية
بخصوص العصاة ، وطلب تسليمهم إذا لحأوا إلى حدود العراق والكويت ، وهام
الإخوان قد استسلموا الآن .

أرعدت الحكومة البريطانية في ١٩ يناير سنة ١٩٣٠ م الكولونيل بيكوت رئيس
قناصل خليج فارس بإساعده الكولونيل ديكنسون قنصل الكويت ، وفي عشرين منه
سافرت على الطائرة فيكتور ياسع اليمنة إلى خباري وأخوة في جنوبي الكويت حيث
عقد المؤتمر . واستمر المؤتمر متقدماً نحو أسبوع ، انتهى بموافقة الحكومة البريطانية على

(١) اسم لما .

(٢) اسم مكان .

تسلم الدويش ورفاقه على أن يبقى الملك على حياتهم ، وعلى أن يعتمد بتسليم الشهوات التي نهبها من أهل الكويت والعراق .

وفي يوم ٢٨ يناير وصل الكولونيل ديكون وفائد البارحة الحربية في طائرة إمبريزية ومعه الدويش ورفاقه المعتقلون ، فاستقبلتهم بالنيابة عن حلالة الملك ، ثم أخذتهم السيارات إلى خيمة جلالة الملك .

الدويش في حضرة ابن سعود

وصل الدويش إلى خيمة جلالة الملك بعد أن احترق المسكر ، ولم يسمع اللغات التي كانت تصب عليه بسبب ضجيج حركة السيارة . دخلوا خيمة جلالة الملك فقدمت فائد البرجة إلى جلالة الملك ، ثم الكولونيل ديكون بالنيابة عن حكومة بريطانيا ، وأهم قدموا لیسلموا الدويش ورفاقه إلى حلالة الملك ، مشكرهم وشكر الحكومة البريطانية على صداقتها ومودتها ، وأنها في كل يوم تقيم له برهاناً جديداً على مودتها الوطيدة ... ثم انصرفوا .

أقد رأيت الدويش هذا اليوم ، ورأيت صراراً يزور الملك في الرياض ، فما أعظم الفرق بين الحالين ! كان الدويش حينما يقدم على الرياض يصحبه نحو ١٥٠ رجلاً مسلحاً ، يدخلها كقائد كبير ، وكرجل عظيم له منزلة عظمى في نفوس أهل الرياض وعلماؤها وملوك نجد ، إذا جلس لا يحس إلا محوار ابن سعود ، يعتبره لذلك كصديق قديم وفائد من قواده المطام . أما عطسة الدويش وجذوه وترصه عن السلام على أي مخلوق يرضه القصر — ماء العلاء طعماً — فحدث عنها ولا حرج ، وكان كل من يعرف الدويش في الجاهلية ، ويعرف أحلافه الشخصية ، يحزم بأنه منافق في دبه ، وأن ما يظهره من الشدة والعلو مصطنع . أما إذا استأذن الدويش الملك في الرجوع إلى الأوطان فإن القائمة التي اعتاد تقديمها لذلك تبدى من حبال الآبار ونعاله إلى السلاح والجواري وما بين ذلك من ملابس له ولأولاده وزوجاته والطيب والعود ، وكل قائد من قواد الإخوان يطلب هذه الطلبات ، ولكن قائمته تكون محلاً للرفض أو التحوير ، أما قائمته الدويش فلا يدخلها أي تحوير أو تعديل .

اليوم يقف الدويش ذليلاً أمام الملك ابن السعود وأمَام قواد الجيش ، وكلهم كانوا بالأمس دونه منزلة .

ابن السعود يخاطب الدويش

إليك تعلم يا فيصل ما عملت معك في الماضي ، ما قصرت في شيء نحوكم ، لقد كنت في حرب دائمة مع أهل نجد من أجلكم ، هل هذا حرائي منكم ؟ هل كنتم تريدون الملك ؟ لقد كنتم كلكم ملوكاً في الطهات التي كنتم فيها ، من مسكم له الفضل على ؟ الفضل لله وحده . من منكم لم آخذه سبيي ؟ ليس منكم إلا من قتل أماء أو آخاء ، ولم أخضعكم إلا بالله ثم بالسيف . قد كنت أعتقد رغبتكم . فكنت أشقى لأجلكم ، وأواصل الليل بالنهار لراحتكم وسعادتكم . ألا تخاف الله حينما تكتب لـ *يُجْلُو* ^(١) : ألك تريد المحرة قهقراق ، وألك تحب أن تكون ناساً له ؟ هل تظن أنك كنت ستكون في مرة أعلى من منزلتك التي كنت عندي فيها ؟

الدويش يتكلم

— يعلم الله يا عبد العزيز أنك لم تقصر معاً ، وقد نطقت كل ما بين يدي وحبك ، وقد قابلتنا معروءك بالإساءة ، لقد فررنا من وحبك إلى الكفار . فجللوا إليك في طيارة من طياراتهم ، ويكفي ما أشعربه من الهوان والصغار أمام الإحوان بعد ما كنت عزيزاً محترماً ، قاتل الله الشيطان ! لقد أغرانا وزير لنا سوء أعمالنا . فأرسلنا إلى ما أصبحنا به الآن ! فأمر الملك أن ينتقل الدويش وزملائه إلى خيمة قريبة منه وأحاطها بالحرس ، وبعد ثلاثة أيام نقلوا إلى الرياض في سيارات حيث اعتقلوا فيها . ويصح أن تعتبر هذه الحركة من المعارك الفاصلة بين الفوضى والنظام ، ونصراً للتقدم على الرجعية ؟ ولا أمل عن مرور أهل نجد والحجاز . فهؤلاء قد قاسوا الشيء الكثير من تعذيبهم وإساءتهم وغلوهم .

(١) جلوس : القنصل الإداري على الحدود ، وهو قائد الجيش الأردني اليوم .

أما الملك عبد العزيز : فإن سروره قد عبر عنه بمجملتين في خيمته بعد تسليم الدويش :
« من اليوم سنحيا حياة جديدة »

نعم إن الملك ابن السعود قد حوى حياة جديدة ، فقد ربط ملاده بالتفرات
الاسلامكية ، و ربط مكة والرياض بالتقوى الاسلامكي . ولم يعد للإخوان ذلك السلطان
القاهر ، وأصبح شأهم شأن غيرهم من الرعية .

ولقد عاقت حركة الإخوان الأخيرة تقدم المشروع الأصلي ، وهو تحضير البادية ، فإننا
لم نسمع منذ سنة ١٩٣٠ م أن قبيلة من القبائل رغبت في سكى جهة من الجهات ، على
أن حركة وعظ البادية وإرشادهم إلى مبادئ الدين ومكارم الأخلاق لا تزال سائرة في
طريقها ، وبذلك يعمل الملك عبد العزيز لاستئصال شرور المادية بالسيف من جهة ،
والعلم من جهة أخرى

وبالجملة فإن حركة الإصلاح الموحدة الآن في جزيرة العرب هي غرس يد هذا
الرجل النذ الذي كان — رحمه الله — يرعاها برعايته وعمايته حسب موارد بلاده المادية ،
وحسب اعتماد أمته وشعبه لقبول الإصلاح .

ولا شك أن حلته جلالة الملك سعود سيحذو حذو أبيه في خطته الإصلاحية . وأهل
الظروف الموانية للملك سعود مساعدة له أكثر مما كانت في عهد والده رحمه الله . فقد مهد
والده الطريق . وأزال كثيرا من العقبات والصعوبات التي كانت تعترض طريق
الإصلاح . وسيعمل الله نجاح حلالة سعود بذلك أوفر ، وتقدم البلاد إلى الحياة العلمية
الآمنة أسرع إن شاء الله .

الدعوة الإصلاحية في نجد

رى واحداً علياً أن تتحدث عن حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب والدور الإصلاحي العظيم الذي قام به في نجد ، وعهد لذلك يذكر نبذة يسيرة عن حياة مصاح عظيم آخر : هو أحمد بن تيمية الذي قام في القرن السابع الهجري وأوائل القرن الثامن سنة ٥٦٦١ هـ - ٥٧٢٨ هـ ، لما بين الرجلين من التشابه العظيم في الدعوة إلى الحق ، ولأن ابن تيمية كان للمثل الأعلى للمصلح النجدي الشيخ محمد بن عبد الوهاب .

كان الإمام ابن تيمية آية من الآيات في فهم الشريعة الإسلامية وأسرارها ، كما كان آية في ربح علم الدعوة إلى الحق ، واحتمال كل أدى في هذا الليل .

كان ابن تيمية شجاعاً لا يخشى إلا الله ، ولا يحاف سطوة سلطان ، وعقيدته : من كان مع الله كان الله معه ؛ وله مواقف معروفة في غزوات التتر أثناء هوسهم على الشام كانت الدعوة التي يدعو إليها ابن تيمية ترمي إلى ما يأتي .

(١) الرجوع إلى الكتاب والسنة في كل شأن من شئون الحياة ، وإنباع ميل السلف الصالح في فهم آيات وأحاديث الصفات ، وترك طريق الفلاسفة والمتكلمين والصوفية ، حيث إنها لا تتفق مع الروح السلفية القديمة .

(٢) محاربة البدع والمسكرات . ولا سيما ما كانت وسيلة للشرك ، أو شركاً ، كالتمسح بالقمور والصلاة عندها ، وطلب الحاجة منها ، والاستعانة أو الاستعانة بغير الله ، والتبرك بالأشجار والأحجار التي يعتقد فيها العامة الخلق أو دمع الشر .

(٣) ترك العلو في الرسول صلى الله عليه وسلم وتمطيه بالاهتداء بهديه وإنباع رسالته .

(٤) فتح باب الاجتهاد على مصراعيه ، وإعلان الحرب على المقلدين التمسجين .

هذه هي الأسس التي قامت عليها دعوة ابن تيمية ، والتي وثف عليها حياته ، وهي نفس الأسس التي قامت عليها دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في نجد .

أثارت دعوة ابن تيمية - في الشام ومصر - نائرة المقلدين وأرهاب الطرق الصوفية عليه ،

كما أثار أيضاً ثائرة المنعصين للتكلمين والفلاسفة ، وأكثرهم من القضاة وأهل المناصب في الدولة وذوى النفوذ فيها ، فأوغروا صدور الأسراء عليه ، وصوروه خطراً على مستقبل الدولة ، وأن أسره قد يعظم كائن تومرت في العرب . فيصبح صاحب الحول والطول ، فيضلل بخودهم أمام غوذه . وفي كل زمن لا يحد الخوصم ذور الضائر اللينة سبيلاً إلى النكابة بمخسومهم إلا التوسل بوسائل الخوف على للملكة وسلامتها وأمن الدولة ، وغير ذلك من الوسائل التي تحس الساحة الحساسة في الأسراء ، وتتن من الأسراء يسع أن حياته وملكه في خطر من شخص وبسبب عيه عن هذا الشخص ؟ إن كثيراً منهم في سبيل الملك يقتلون الإحوة والأقارب ، ولا يردعهم رحم أو يؤنبهم ضمير ، هل يكونون من رجل أجنبي ؟

تعتبر سنة ٧٠٥ هـ بدء عهد الاضطهاد لأن تيمية ، ففي هذه السنة اجتمع العلماء لمباحثة ابن تيمية في قصر نائب السلطنة ، غير أن هذه المجالس كانت في صف ابن تيمية ، لأن نائب السلطنة كان يؤيده ويأخذ بناصره .

وأخيراً لم يسع نائب السلطنة في الشام إلا أن يرسل الإمام ابن تيمية إلى مصر حسب أمر السلطان المملوكي ، فإن دسائس الصوفية وخصوم ابن تيمية قد ملأت قلب السلطان حقداً وغضباً على الرجل .

وصل ابن تيمية مصر في رمضان سنة ٧٠٥ هـ . فأحضر أمام العلماء للناظرة وكلهم من خصومه ، وهل تكون أمثال هذه للناظرات وسيلة من وسائل الإقناع أو الرجوع من الخطأ ؟ أدخل الشيخ ابن تيمية السجن لأنه امتنع عن الإجابة . لأن القاضي ابن مخلوق المالكي التي كانت الدعوى أمامه كان من خصوم ابن تيمية .

وقد أعيدت للناظرات عدة مرات بدون طائل ، وبعد ثمانية عشر شهراً أخرج من السجن . فناد إلى الدعوة الإصلاحية ، وأعاد الكرة على الصوفية وزعمائهم : ابن سيمين وابن عربي وأشباههم ، كاشف القارة على سائر البدعة ، فاعتقل ثانية في شوال سنة ٧٠٧ هـ ، وفي السجن اشتغل بإصلاح الساجين ، وترك مام فيه من العبث وإضاعة الوقت . حتى اشهر أسره ، وصر الناس يترددون على السجن لاستماع وعظه ودعوته ، فقتل إلى الإسكندرية وضيق عليه ، ومنع الناس من الاختلاط به والتردد عليه . خشية اقتلاد دعوته الإصلاحية .

وفي ٨ شول سنة ٧٠٩ هـ أطلق مراحم الشيخ ابن نيمية من رح لاسكدرية وأرسل إلى انقرة ، بجاية لرعية السلطان الملك الناصر الذي تعبد على خصومه ففر به إليه ، فقام بالقاهرة داعياً إلى مة ومة البدع ووحوب الرجوع إلى الله في كل المذاهب ، وترك البدع التي تناف على القبور لمخافتها للوحيد الذي جاء به النبي الكريم

وفي ذي القعدة سنة ٧١٢ هـ رحع الشيخ إلى دمشق بعد أن تميع عنها سبع سنوات ، فكان يوم رجوعه إلى دمشق يوماً مشهوداً خرج فيه لاستقباله مريدوه والمناصرون لدعوته في خلق كثير .

وفي دمشق أسس الشيخ دعوته الإصلاحية «شاطر» وعكف على شردعوة الوحيد ومقدمة المدعة والرجوع إلى الكتاب والسنة . وقد كان يفتي بمائل تحتنب من رأى الأئمة الأربعة ، ولكمها في طهره تنفق مع بصوص الكتاب والسنة ، ومع من الأئمة الآخرين ، وهو يعتقد أن هذا الرأي أقرب إلى السنة

فقد كان طبعياً أن يتور الرحيمون الجامدون والمتمسكون بالقبور والمقصود على الشيخ ، كما تاروا عليه بالأمس . وكان طبعياً أن تعود المذطرات مع الشيخ مرة أخرى .

واقدر أراد الله أن تتفك قوة حصوم الشيخ ابن نيمية ، وم أهل المل والمقد في الدولة ، وأخيراً حسن الشيخ مرة أخرى في سنة ٧٢٠ هـ ثم أطلق مراحمه مدحمة أشهر ونصف . فعاد إلى ما عاهد الله عليه من الدعوة إلى الله والرجوع إلى الكتاب والسنة فتاب عليه خصومه مرة أخرى ، ووجدوا الفرصة سانحة لئلا من الشيخ وانهاه بدم احترام الأنبياء والصالحين ، لأن الشيخ أفتى بحريم شد الرجل إلى غير المساجد الثلاثة فلا تشد الرجل إلى قبور الأنبياء والصالحين .

لقد احتجعت كلّة خصوم الشيخ على القضاء عليه وعلى الدعوة التي قام بها ، فطلبوا من السلطان قتله . فلم يوفقهم على طلبهم ، ولكنه اكتفى بحجبه انقاء الفتنة ، وإلّا لمؤلا الخصوم من قوة لا يستهان بها اعتقل الشيخ مرة أخرى في سنة ٧٢٦ هـ بقلعة دمشق ، واضطهد تلاميذه والمتسبون إليه حتى حوت صوت الدعوة إلا من تعوب المحضين ، وقد بق الشيخ في معتقله حتى توفي سنة ٧٢٨ هـ فلم يصبح لهذه الدعوة القوة التي كانت لها

من ، ولئن قام تلاميذ الشيخ وأنصاره بالدعوة الفتنة بعد الأخرى ، فلم يكن لهذه الدعوة القوة والنشاط اللذين كانا لما في أيام الشيخ رحمه الله .

ولا يسع الإنسان بعد أن يلم بيرة ابن تيمية ، وما لقيه من الاضطهاد في سبيل الدعوة إلى الحق إلا أن يجد تشابهاً عظيماً بين حياته وبين حياة لوثر المصلح البروتستانتي ، الذي جاء بعد عصر ابن تيمية بنحو قريب ، فإن الأركان التي قامت عليها الدعوتان واحدة بالرغم من الاختلاف الديني ، والوسط الديني الخاص .

كان ابن تيمية يدهو إلى الاجتهاد ، وبهذا التقاليد المخالفة للكتاب والسنة ، والرجوع إليها غير ملتفت إلى ما سواهما .

وكان لوثر يدعو الناس إلى تفهم الكتاب المقدس ، وقد عمل هو على ترجمته تقريباً لأفهم الناس . وكان يسكر على رجال الدين دعواهم أن حق التفسير والتفهم خاص بهم . كان ابن تيمية ينكر على الصوفية تعاليمهم التي لا تتفق مع الكتاب والسنة ، كما كان يسكر العلوفى حب الأنبياء ولأولياء : بالصلاة عند القبور والدعاء عندها والاستعانة بالموتى وطلب العفان منهم . وكان لوثر ينكر على القسيس بيع صكوك العفان ، كما كان يسكر عليهم حق التدخل بين العبد والرب .

وليس من غرضنا في هذا الفصل البحث التفصيلي في وجوه الشبه بين الدعوتين ، ولا بين الرجلين لمروحه عن موضوع الكتاب .

غير أن الذي يريد أن نقره : هو أن الدعوة الإسلامية والإصلاحية التي قام يدهو إليها ابن تيمية في آخر القرن السابع ، وأول القرن الثامن من الهجرة (أى الثالث عشر وأوائل القرن الرابع عشر الميلادي) قد انتهت بالفشل ، وأن اليهود التي بذلها ابن تيمية لم تشر النمرة المطلوبة ، لأن رجال الدولة كانوا ضده ، ولأن الرجل كان ينقصه الإلمام السياسي .

أما مارتن لوثر — الذي جاء في القرن الخامس عشر — فقد نجح بفضل المؤازرة التي أقيها من الأمراء والحكام . ولقد أراد الله أن تحيا دعوة ابن تيمية وتنال نصيبها من القوة والانتشار والذيعوع على يد الشيخ محمد بن عبد الوهاب في نجد ، بمساعدة الأمير محمد بن سعود في القرن الثاني عشر الهجري ، أى بعد عصر ابن تيمية بأربعة قرون

تقريباً . والذي كان له الفضل الأعظم في نشر كتب ابن تيمية وكتب تلاميذه ، وبنها من جديد ، والتنويه بفضلهم وعظيم أثرهم هو :

الشيخ محمد بن عبد الوهاب

ولد الشيخ محمد بن عبد الوهاب سنة ١١١٥ هـ الموافقة سنة ١٧٠٣ م في بلدة العيينة الواقعة شمال الرياض عاصمة نجد الحاضرة . وقد تلقى على ولده دروسه الأولية ، ثم سافر بعد ذلك إلى الأحساء والحجاز والبصرة^(١) باحثاً وراء العلم بمحصولاته ، ولذلك صار حجة في الحديث والفقه واللغة العربية . وصار أيضاً ذا بدم ثابته في كل ما له علاقة بدراسة الدين وقد وقف في رحلاته على الأمراض التي انتابت المسلمين ، وما أصاب الشريعة الإسلامية في كثير من الأمصار من لصوق كثير من العقائد الجاهلية والبدع والخرافات ، ومن انحراف العلماء إلى الدنيا وما بهنهم لأهواء المسكاه ، فرجع إلى نجد وقد أخذ على غايته التفرغ للذهوة الإصلاحية الدينية الصحيحة ، ومحاربة البدع والخرافات ما استطاع إلى ذلك سبيلاً ، ودرس دراسة وافية كثيراً من كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وأتباعه ، وخاصة ابن القيم وابن كثير .

نجد في أيامها الأولى

كانت نجد — من الوجهة الدينية — كاسر الأمصار الأخرى : مرتدة الخرافات والعقائد العائدة التي تساق مع أصول الدين الصحيحة . فقد كان فيها كثير من القصور التي تنسب إلى الصحابة يمج الناس إليها . ويطلبون منها حاجاتهم ، ويتوسلون بالمتوسلين إلى دفع كربهم . فكانوا في الجبيلة يؤمنون بقريريد من الخطاب ليجيبهم سلم ، وحاة مدهمهم ، كما كان أهل الدرعية — التي صارت فيما بعد معقل التوحيد وقر حاكم آل سعود — يضرعون إلى مثل هذه القصور لمثل هذه الأغراض . وأغرب من ذلك توسلهم بفعل النخل

(١) في كتابه : لمع النهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب ، أن الشيخ رحل إلى فارس أيضاً وتعلم بها المسئلة للشرعية ، كما نظم في رحلته أيضاً صح البادق وتحصير الفخيرة وغير ذلك من فنون الحرب .

في بلدة « منفوحة » واعتقادهم أن من تؤمه من العوانس تزوج لأمها . فكانت من تقصده تقول « ياغل الحول ، أريد زوجاً قبل الحول ! » .

وكان في الدرعية غار يقدره ويرعون أنه كان ملجأ لإحدى بنات الأمير التي فرت هاربة من تمذيب بعض العامة . وأحدث في أحد الجبال الصخرية مأوى لها ، فاشق لها الكهف معجزة لتأوي إليه . فهذه الروايات تكشف عما كانت عليه معدن العقيدة الدينية العامة . أما من حيث الأحكام : فلم يكن هناك قانون أو شريعة إلا ما اقتضت به أهواء الأمراء وعالمهم . ومن حيث السياسة : فقد كانت بلاد العرب منقسمة إلى ولايات عديدة ، يحكم كل واحدة منها أمير لا تربطه وجاه أية رابطة . ومن أشهر هؤلاء الأمراء بنو خالد في الأحساء ، وآل معمر في المينة . والأشراف في الحجاز ؛ وآل سعود في الدرعية ، والسعدون فيما بين النهرين ، وعدا هؤلاء أمراء لا داعي لذكرهم هنا . وقد كان سكان بلاد العرب — وهم الحضر — في حروب دائمة مع البدو سكان البادية ، وكذلك كان الأمراء على قدم الاستعداد عندما تسح القراص لتتعدى على جيرانهم إذا بدا من هؤلاء الجيران ضعف أو عدم اعتماد . واحتصار هذه كانت حالة بلاد العرب عندما رجع الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى وطنه ، وقد استقر به الموى في المينة ، حيث جد به العزم أن يقدر نعداً مما حلق بها من البلاء . فبدأ يدعو الناس أن يودوا إلى دين الله الصحيح ويتركوا كل ما جد من البدع ، وغيرها مما يتنافى معصوص الكتاب والسنة . وفي الوقت نفسه طلب إلى الأمراء ذوي الشأن أن يعاقبوا أحكام الشرع وقد قام بدعونه مسلماً لا يدعوى إلى شدة أو عنف . وراسل علماء عصره في البلاد الإسلامية الأخرى . وأظهر أنه لما أصاب المسلمين . وحضم على أن يكونوا من زمرة المصالحين الدينيين . فكان ذلك سبباً طبيعياً لعصب خصومه . أولئك الذين خافوا على سلطانهم من دعونه ، وأخيراً فقد اضطروا أن يهاجروا من المينة التي هدها مانفرو سليمان آل محمد رئيس بني خالد ، وأمير الأحساء والتظيف إذا لم تطرد محمد بن عبد الوهاب . ففي عام ١١٥٧ هـ — ١٧٤١ م تركها إلى الدرعية مقر آل سعود حيث قابل زعيمهم محمد بن سعود ، وهناك تحالفا على الدفاع عن الدين الصحيح والعمل على الرجوع إلى الكتاب والسنة ، وإغاث جزيرة العرب من البدع ، وتعميم الدعوة بالإسلام

بين البدو والحضر ، وتوطيد النفس على ما يواجههم من الصعاب ، فإنهم متى نصرنا الله نصرهم تحقيقاً لوعده الله « وكان حقاً علينا نصر المؤمنين » وهكذا كان ، فإن ما تمكن من قلوبهم من حب الحق جعلهم يتذلبون على خصومهم معردين ومحتسمين .

لقد سكن الشيخ محمد بن عبد الوهاب « الدرعية » واصل ليلة نهاره في نشر الدعوة بالوفاة ركناً للرسائل ، مكتفياً بهذه الوسيلة الحلية ، ومحمد بن سعود بؤارته في ذلك من الوسائل ولكن حصوم الدعوة كانوا يعملون على تضييق الملوك تجرية الدعوة بكل وسائلهم ثم يرسلون محمد بن سعود بدءاً من الاستعانة بالسيف محارب الدعوة الدينية . ولقد استمرت هذه الحرب الدينية التي تشبه — في كثير من نواحيها — الحروب التي استمرت براسها بين الكاثوليك والبروتستانت في الغرب أكثر من سنين عاماً .

وفي عام ١١٧٠ هـ (١٧٦٥ م) مات الأمير محمد بن سعود رحمه الله « عبد العزيز » الذي اتقى أترابه في مساعدة الشيخ ابن عبد الوهاب على نشر دعونه في سائر بلاد العرب وفي سنة ١٧٩١ م مات محمد بن الوهاب بعد أن قام بنجاحه خير قيام ، وورثه من الكتب والرسائل ما أصبح أساساً يسير عليه خلفاؤه ، وقد سار أولاده على خطى أبيهم من التحالف مع آل سعود والتعاون معهم حتى أصبح الجميع كبيت واحد . وفي سنة ١٨٠٥ م كان جميع شبه جزيرة العرب ، بما في ذلك حرة كبير من اليمن وعمان يخضع لسلطان آل سعود ، تؤدي واهباتها الدينية سبب الدعوة الإصلاحية التي قام بها محمد بن عبد الوهاب . ولقد عز على الترك أن يروا دولة دينية تقوم في بلاد العرب — بلاد رسول الشريعة الإسلامية — كما عز عليهم أن يروا دولة حديثة مدنية يقوم دعائمها محمد بن عبد الوهاب ، فاشملوا مار الحرب بين الاثنين ، فكانت محبة عظيمة على مجد عامة ، وعلى آل سعود خاصة ، ولكن القوة المشوم ، وإن مالت من سلطة الحكام ، فيها ما كانت لتصل إلى قلوب أهل الإيمان .

ما هي الدعوة الوهابية ؟

لم يكن الشيخ محمد بن عبد الوهاب نبياً كما ادعى زعيم الداعية ، ولكنه مصلح مجدد داع إلى الرجوع إلى الدين الحق ، فليس للشيخ محمد تعاليم خاصة ، ولا آراء خاصة

وكل ما يطبق في مجد من القروع هو طلق مذهب الإمام أحمد من حنبل ، وأما في المقند
 فهم يتبعون السلف الصالح . ويحرمون من عداهم ، وتكاد تكون عقائدهم وعاداتهم مطابقة
 تمام المطابقة لما كبه ابن تيمية وتلاميذه في كتبهم ، وإن كانوا يحلّونهم في مسائل
 معدودة من فروع الدين . وهم يرون فوق ذلك أن ما عليه أكثر المسلمين من العقائد
 والعادات لا يطبق على أساس الدين الإسلامي الصحيح . وإنما يلخص بها على المسائل التي
 اشتهروا بها ، والتي تمتد كأها طامع خاص بالمجذبين .

أولاً « التوحيد » يستقون — استناداً إلى كلام الأئمة الأربعة وغيرهم من أئمة السلف —
 أن معنى « لا إله إلا الله » الرادة من كل معبود غير الله ، وإحلال التوجه إلى الله وحده ،
 وأن العبادة إذا صرحت لعبر الله صار ذلك المعبر لها مع الله ، وإن لم يعتقد القاعل ذلك ،
 فالمشرك مشرك سواء سعى شركه شركاً أو توسلاً . وليس لديهم من شك في أن من قال :
 يا رسول الله ، أو يا ابن عباس ، أو يا عبد القادر ، أو غيرهم من الخلقين طلياً بذلك دمع شر
 أو جلب حير من كل مالا يقدر عليه إلا الله تعالى فهو مشرك يهدر دمه ؛ ويستباح ماله .

ثانياً « الشفاعة » لا ينكرون شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم يوم القيامة حسبما ورد .
 وهم يشتمونها لآثار الأتباع . والملائكة والأولياء والأطفال حسبما ورد أيضاً ، ولكنها تستل من
 الملائكة لها وهو الله ، وبذنه فيما شاء من الموحدين ، يقول : اللهم شفّع بيننا محمداً فينا
 يوم القيامة ، اللهم شفّع فينا عبادة الصالحين أو نحو ذلك . وأما ما يجري على ألسنة الناس
 من قولهم : يا رسول الله ، أو يا ولي الله أسألك الشفاعة أو غيرها ، كأدركي أو أغثي أو نحو
 ذلك ، فإنه من الشرك ، إذ لم يرد ذلك نص من كتاب أو سنة ولا أثر من السلف الصالح

ثالثاً « القبور » الكلام على القبور يقاوم أولاً : البناء عليها وزيارتها ، ثانياً : ما يفعله
 الناس عندها من الدعاء والصلاة وغيرها ، ثالثاً : ما يقام عليها من القيات والمآجد . رابعاً :
 السفر إليها . أما زيارة القبور : فهي مندوبة للاعتبار والاتعاظ والدعاء للديت وتذكّر
 الآخرة . ورأى فيها الطريقة التي سنّها النبي صلى الله عليه وسلم في الزيارة . أما الدعاء
 للقبور والاستغناء به والسجود له ، فهي شرك . وأما تخصيص القبور والبناء والكتابة
 عليها فكأها من الأمور المبتدعة المنهى عنها .

وم يستدلون على ذلك بأحاديث كثيرة . وردت ، ونأقوال السلف الصالح وعوامهم .
ولذا نجد أمموا في مكة والمدينة القصور المرتفعة وسورها بالأرض كما أروا القباب عند استيلائهم
على الحرمين الشريفين في القرن الماضي ، كما أروها مرة أخرى في الفتح الحاضر
سنة ١٣٤٣ و ١٣٤٤ هـ (١٩٢٥ و ١٩٢٦ م) أما شد الرجال والفر إلى القصور مدعة .

راحاً . إعلاب الحرب على الداع الشائعة في لأمر مثل الاختراع في وقت
مخصوص على من يقرأ سيرة دولة الشريف اعتقاداً منه أنه قرابة ، ومثل الريادات على
الأذان المشروع .

والجملية : فإنهم يحرصون على العادات الشريعة أن تكون على السنة التي وردت عن
النبي صلى الله عليه وسلم ولا زيادة أو نقص .

ويلحق بهذا هو شائع في كثير من الأمصار من خروج النساء وراء الحائض ، وحروجهن
لزيارة القبور ، ولاحتفالات السوية المسماة بالموالد ، وإقامة الحفلات لأدكار البديعة ،
وما يبعث بعض الدراويش من الرقص وأرمار ؛ فإن ذلك كله محرم ، وقد منعوا ما كان
موجوداً منه في الحجاز .

وسبب ذلك كان اختلاف بين الحكومة العربية السعودية وبين الحكومة المصرية
على الحمل وقوله في الحجاز . والمجددون يحتجون بأنه مدعة لا يصح إقرارها في يد
الوحى والدين ، والصريون يقولون : إنه عادة وشعار للحج ليس إلا .

حاشاً . الهامد : مما لا حدال به أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب لم يتر ما عرفت
من العادات لعبارة إسلاماً ، ولذا فإنه كان يبدأ الأمر بالدعوة إلى التوحيد ونفي أوامر
الله بلا عوادة فمن أطاع فقد سلم ، ومن حالف أو عاند فقد حل دمه وساله ، وعلى هذا
الأساس كانت عرواتهم في نجد وخارج نجد من اليمن والحجاز وضواحي سوريا والعراق .
كل الله يدخلونها حرماً فهي حلال لهم ، إن أمكنهم الله بها الحقوها بأملأكمهم ،
وإن لم يتمكنهم القاء اكتفوا بما يصل إلى أيديهم من العنيفة . وما يحىء الخلاف بينهم
وبين معارضهم فإن غيرهم يقول : إن من قال « لا إله إلا الله محمد رسول الله » فقد عصم ماله
ودمه ، أمام فيقولون : إن القول لا عبرة به ما لم يدعمه العمل ، فمن قال « لا إله إلا الله »

الله محمد رسول الله، وهو لا يرال يدهو الموتى ويستغيث بهم ويسألهم قضاء الحاجات وتفريج
الكربات، فهو كافر مشرك، حلال الدم والمال. ولا عبرة بقوله. ولم على هذا أدلة
كثيرة من الكتاب والسنة. ايس هما موضع تفصيلها.

والجهد — أو إعلان الحرب — من حقوق الإمام يطر فيه إلى المصلحة أو دفع الضرر،
فإن رأى للمصلحة تعين عليه إعلان الجهاد ووجب على سائر رعيته مناعته والدخول في
سلك الخدمة، وعلى هذا كانت العزوات القديمة والحديثة معتبرة من الجهاد الشرعي.

سادساً، الاجتهاد: الشيخ محمد بن عبد الوهاب بعص رسائل في الدعوة إلى
الاجتهاد، والرد على أهل التقليد والمعادين، استند في أكثرها إلى ما كنيه ابن القيم في
أعلام الموقعين.

ولكن الشيخ محمد، وإن كان له بعض مسائل اجتهادية — مثل حمل دية المسلم
٨٠٠ ريال بدل مائة سنة — فإنه في الحقيقة يحطو سطوات الإمام أحمد، ويعتمد على كتب
الفروع المؤلفة على طريقته.

وبما لا شك فيه. أن علماء محد في هذه النهضة الإصلاحية كانوا أكثر راحة بالسنة
وعلماً بالشريعة، وأوسع مدارك. وأبعد نظراً في فهم الأحكام.

إن الحكومة العربية السعودية الحاضرة — وهي الحكومة القائمة على أساس دعوة
الشيخ محمد بن عبد الوهاب — اضطرت إلى انقباس كثير من القوانين التجارية وسمتها نظاماً،
لأن كتب الفقه لم تدول كثيراً من المعاملات التجارية التي يتعامل بها أهل هذا الحبل،
كما اضطرت إلى تشكيل محكمة تجارية ستمها «المجلس التجاري» للظفر في المازعات التجارية؛
ولا أعلم لماذا لا سحق هذه المظم بأبواب الفقه كي يدرسها الطلاب أسوة بالمسائل الفقهية
الآخرى التي أصبحت ملحقة بالتاريخ، مادام هناك يقين بأن هذه المظم لا تتعارض
مع أحكام الكتاب والسنة.

إن هناك مجالا واسعا للإصلاح الديني، وإدخال كثير من الجديد على أبواب الفقه،
ولكن بموزانة وفهم المتلاء ورغبة الأسراء.

والنجديون يحرمون أشد الحرص على تنفيذ أحكام الشريعة في تحريم لبس الحرير للرجال وتخليصهم بالذهب ، كما يحرمون التدخين ، ويحذرون المدخن أربعين جلبة . ومما لا شك فيه : أن حكومتهم الأولى كانت أصرم في هذا من الحكومة الحالية .

ولقد كانت مسألة الدخان من المسائل التي دار البحث فيها بين الحكومة المصرية والحكومة السودانية سنة ١٩٢٦ م ، وصال مبعوث مصر فيها إلى الكراغة ، كما أنه أورد رأى فريق من العلماء عن يرى التحريم .

لقد روى كالحريفي في رحلته إلى نجد سنة ١٨٦٢ م أنه سمع من بعض البجديين : أنهم يرون أن شرب الدخان أشد لديهم من الخمر والز ، وبعض المحرمات المخصوص عليها ، ولا شك أن هذه الرواية قد سمعها من جاهل . فقد سمعت شيئاً قريباً من هذا من بعض البجديين القيسين بالكويت ، ولكنهم لم يكتفوا من العلماء . ولا يعمرون عن رأى علماء نجد الذين يهدون مثل هذا القول حراً على الدين .

إن علماء نجد وإن أجمعوا على تحريم الدخان — فلم أسمع أحداً منهم يقول مثل هذا القول ، كما أني لم ألق على شيء مثل هذا فيما كتبه مقدوم أو متأخروم . وعلماء نجد يحرمون التصوير ويكرهون الموسيقى ، ولا يقلعون أي تأويل في ذلك .

ما ينسب إلى النجديين وهم أرباب منه

لا شك أن الحرب البجدية المصرية في القرن الماضي وما أعقب ذلك من خلافه بين آل سعود والأراكان قد حصبه كثير من الدعايات السيئة ضد البجديين وكثير من الأشياء التي نسبت إليهم مكنوبة .

(١) لقد نسب إلى الشيخ محمد بن عبيد الوهاب والآخذين بدعوته كراهية النبي صلى الله عليه وسلم ، والخط من شأنه وشأن سائر الأنبياء والأرباب الصالحين .

لقد نسب هذا إلى الإمام ابن تيمية وإلى تلاميذه ، كما لا يزال ينسب إلى كثير من العقلاء والمصلحين في الهند وغيرها حتى ممن ليست لهم أي صلة بنجد وأهلها .

إن منشأ هذه النسبة : هو أن النجديين استناداً إلى حديث « لا تشد الرحال إلا إلى

ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ، ومسجدى هذا ، والمسجد الأقصى . يرون أن السفر إلى زيارة قور الأنبياء والمصلين بدعة لم يصلها أحد من الصحابة أو التابعين . ولم يأمر بها النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد سبق ابن تيمية وابن عبد الوهاب طوائف كثيرة من العلماء المتقدمين بهذا الرأي .

(٢) إن المجديين يعمون استبدال قبر الرسول صلى الله عليه وسلم عند الدعاء ، كما يعمون السجود عند قبره وقبر غيره ، ويؤمنون المسح والتمتع عند القبر ، كما يعمون كل ما من شأنه الاستعانة أو الطلب مما شاع عمله عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم وقبور الصالحين في مصر وبلاد الهند وكثير من الأمصار

(٣) هدم القباب ولأية المقامة على القبور وإطالم أسائر الأرواف التي رصدت على القبور والأضرحة :

(٤) إسكارهم على الوصفي قوله في البردة :

يا أكرم الخلق ما لي من ألوذه سواك عند حلول الحادث الدم

وقوله : « ومن علومك علم الوح والتم »

وقوله :

إن لم تكن في مبادئ آحادى بيدي فصلاً وإلا فقل يا رلة التدم
إن هذا القول محاربة وعلو ، وبهجة صريحة لصوص القرآن والأحاديث الصحيحة ؛ وهم — موق هذا — متقدون أن من اعتقد هذا على ظاهره فهو مشرك كافر فانهم خصومهم بكرهية النبي . وسواهم أنولاًهم أرياء منها ، سواهم القول بأن الصاخير من النبي ، إلى غير ذلك من التهم الباطلة . ولقد سمعت في نجد أن حكاهم نجد الشمالية أثناء خصوصتهم مع آل سعود كانوا يكتبون إلى الأترك أن آل سعود اتخذوا راية شعارها : لا إله إلا الله محمد رسول (محمد ميم محمد) أي لا أحد رسول الله ، وهذا كله تنوير للأترك من خصوصهم ، وهم يعلمون حق العلم أن هذا كذب .

ولقد حضر إلى مكة أثناء الحرب الحجازية الحدية في سنة ١٩٢٥ م بعض أهل السفالين ونطوان ، وكانوا أثناء حديثهم بيبكون لشدة تأثرهم ؛ لقد أخبرونا أنهم سمعوا

في الإسكندرية أشياء كثيرة تنسب إلى المجدين ، لم يحدوا لها أنراً في الحجاز ، لقد سمعوا من بعض الناس . أن الرومانيين هدموا السكبة لأنها حبر ، وسموا أهم في الأدان يقولون « أشهد أن لا إله الله » فقط ولا يقولون « أشهد أن محمداً رسول الله » .

إن المجدين أحرص الناس على محبة الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولكم يكرهون الملوك ، ويقادمون الذع مهما كان نوعها ، ومهما كان الدافع لها ، ويقولون : إن لمحبة الرسول هي الهدى هدى الرسول واتباعه ، أما الانتداع وتطيل الشريعة وتقديم الأهواء فهو كراهة لا محبة . وفي القرآن الكريم « قل إن كنتم تحبون الله فأطيعوا »

ومما ينسب إلى أهل محمد : تكفيرهم من عدائهم ، وهو بلا شك تزوير من خصومهم ، وإن وتمت بعض أشياء من بعض حفاة الأعراب والمجاهل . وليس من الإصاف أن ينسب ذلك إلى أهل محمد .

أما الشيخ ابن عبد الوهاب وتلاميذه : فإيهم لا يكفرون من صحت ديانتهم ، واشتهر صلاحه ، وحسنت سيرته ، وإن أخطأ في بعض المسائل . ولكم يكرهون من يمنعه دعوة الحق ووصحت له المحبة وقامت عليه وأصر مستكبراً ، هذا في الأفراد . أما في البلاد (ما يعتبر منها بلاد إسلام وبلاد كفر) فإننا نقسم ما كتبه العلامة الشيخ محمد بن عتيق من رسالته التي وصدها عن مكة : هل هي بلاد كفر ، أم بلاد إسلام ؟ فقال : هناك أصلاً لا اعتبار للبلدة مسلمة :

(١) التوحيد : وهو أن يكون الله معبود الخلاق لا سواء ، والتوحيد لا يصح مع وجود الشرك .

(٢) طاعة الله في أسرته ونحبه في دقيق الأمور وجباها . وتطبيق شرعه ودينه والإذعان لأحكامه في أصول الدين وفروعه .

بإذا تحقق وجود هذين الأصلين ، علماً وعملًا ودعوة ، وكان هذا دين أهل البلد ، أي بلد كان ، بأن عملوا به ودعوا إليه ، وكانوا أولياء لمن دان به ، ومعادين لمن خافهم ، فهم موحدون .

أما إذا كان الشرك فاشياً ، مثل دعاء السكبة واللقام ، ودعاء الأتنياء والصلحين ، ونشا

مع ذلك الربا والظلم ، وبذت السنن ، وهشت البدع والصلالات ، وصار التحاكم إلى الطلعة وصارت الدعوة إلى غير القرآن والسنة . فلا شك أن هذا البلد يصير بلد كمر . ولا عبرة بالصلاة والحج والصوم والصدقة .

إن الوحيد قد تقرر في مكة بدعوة إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام ، واستمر أهل مكة عليه ردها من الزمن ثم مشايهم الشرك صاروا مشركين وصارت بلادهم بلاد شرك ، مع أنهم يدكوا على بعض أشياء من الدين ، فكأنوا يمحون ويتصدون على المحاج وغير المحاج .

أثر التمسك بالشرعية الإسلامية في الحياة العامة

وأثر الانصراف عنها

إن العقيدة الراسخة عند المحدين — أسرارهم وعلماهم — أن الله مكنهم في جزيرة العرب ، وأن ساططهم في تلك الجزيرة لإحياء معالم الشريعة ، وإظهار دين الله وحمل سلطان التوحيد في الجزيرة هو السلطان الأول ، وإزالة كل أثر من آثار الشرك .

وقد قال الإمام سعود في خطبته بعد دخول مكة سنة ١٢١٨ هـ « إنا كامن أصف العرب ، ولما أراد الله ظهور هذا الدين دعوا إليه ، وكل يهزأ بنا ويقاننا »

وكان الملك عبد امرير رحمه الله في كل مناسبة يشير إلى هذا ، ذاكرًا نصل الله عليه وعلى أحواده من قبل ، وأن ما وقع على آل سعود في أيامهم الأولى لم يكن إلا عقوبة لهم من الله لهم في أسرار المظفة على الدين والاصراف إلى أمور الدنيا . وكذلك حلالة ذلك سعوده مد الله في عمره .

ولد ابن الشيخ — من وقت لآخر — ما رلوا يقدمون النصيحة لإيمانهم وبوصوه الجماعة على أمين ، ولأحد على أيدي مشاييرهم ، داروا شيئاً من الرعي والتهاون من ذوي النفوذ والسلطان .

في أيام الإمام فيصل كان الشيخ عبد الرحمن بن حسن وولده الشيخ عبد اللطيف لايتوايان عن النصيحة ولقت نظر الامام إلى عماله ورعاياه ، وتذكيره بحاقبة التفريط ، وأن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم .

المراجع العربية

أحبار مكة	للأزرق
تقوم المدارس	لأبي الفداء
مجم المدارس	لباقوت الحموي
رحلة ابن بطوطة	
رحلة ابن خلدون	
الفاوس المحيط	لهمدور إبادي
تاريخ ابن عسار	(نسخة مطبوعة بالمكتبة الملكية البريطانية)
تاريخ ابن بطر	مطوع بمكة
لم الفهات في سيرة محمد بن عبد الوهاب (نسخة مطبوعة بالمكتبة الملكية لبريطانيا)	
مقدمة ابن خلدون .	
تاريخ الجبرتي	
المعنى والشرح الكبير	
فتح الباري شرح صحيح البخاري	لابن حجر العسقلاني
مجموعة السائل والرسائل النجدية	
تاريخ مكة	لأبي دحلان
النفد الثمين	لعماد
الإعلام بأعلام علماء الحرام	لنظير الدين السبكي
تاريخ أمصام	
مسالك الأحبار	لابن فضل الله العمري

الكتب الإنجليزية

- Travels through Arabia, M. Niebuhr, 1792, Vol. 2.
 Notes on the Beduins and Wahabians, J. S. Burckhardt, 1831, Vol. 1.
 Travel in Arabia, J. S. Burckhardt, 1829, Vol. 2.
 A Brief History of Wahabism, Sir H. J. Brydges, 1834 (One Vol.)
 Historical Geography of Arabia, C. Fawcett, 1844 (Two Vols.)
 Central and Eastern Arabia, W. G. Palgrave, 1877.
 The Southern Arabia, J. T. Bent, 1900.
 The Penetration of Arabia, T. G. Hagarth, 1904.
 History of Arabia, Andrew Crichton, 1833 (Two Vols.)
 The Heart of Arabia }
 Arabia of the Wahhabis } History B. Ph.D.
 Arabia Deserta, Charlie Daughly.
 In unknown Arabia, R. E. Chessman, 1926 (One Vol.)
 The Persian Gulf, Sir A. Welton, 1928 (One Vol.)
 Revolt in the Arabia, T. E. Lawrence, 1927.
 The Independent Arab, Young, 1933.
 Northern Negd, A. Muir. 1928.
 Handbook of Arabia, 1920.

(ومذا في المجلات والصحف)

ذيل

خاص بالوثائق والمعاهدات التي جاء ذكرها في مواضع من الكتاب

المعاهدة الإنجليزية مع عبد العزيز بن سعود

في ٢ كانون أول (يناير) سنة ١٩١٥ ميلادية

النص

بسم الله الرحمن الرحيم

بين الحكومة البريطانية من جهة ، وبين عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل آل سعود أمير نجد والإحساء والقطيف وحيدل وجميع المدن والمراعي التابعة لهذه المقاطعات من جهة أخرى .

الحكومة البريطانية باسمها وعبد العزيز باسمه وباسم ورثته وأحلامه ورجال عشيرته ، عيت الحكومة البريطانية الكولونيل السير رسي كوكس ممتدّها في سواحل خليج المعجم مفوضاً لأجل أن يعقد معاهدة مع عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود ضمن المقصد الآتي :

توطيد وتأكيد الصداقة الموجودة بين الطرفين مدد زمن طويل ، وتأيد مدفهما المتفالة : إن الكولونيل السير رسي كوكس ، وعبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل آل سعود — المعروف بابن السعود — اتفقا وتعايدا على المواد الآتية :

أولاً : إن الحكومة البريطانية تعترف وتقبل بأن مجداً والأحساء والقطيف وحيدل وملحقاتها ، التي تبين لها ، والمراعي التابعة على سواحل خليج المعجم — كل هذه المقاطعات هي تابعة للأمير ابن سعود وأبائه من قبل ، وهي تعترف بابن سعود حاكماً

مستقلاً على هذه الأراضي ، ورئيساً مطلقاً على جميع القبائل الموجودة فيها ، وتعترف لأولاده وأحفاده الوارثين من بعده ، على أن يكون خليفته منتخباً من قبل الأمير الحاكم ، وأن لا يكون محاصراً لإنجلترا بوجه من الوجوه ، أى أنه يجب أن لا يكون ضد المبادئ التى قبلت فى هذه المعاهدة .

ثانياً : إذا تجاوزت إحدى الدول على أراضي ابن سمود أو أحفاده من بعده دون إعلام الحكومة البريطانية ، ودون أن تمنح الوقت المناسب للمحاربة مع ابن سمود لأجل تسوية الخلاف ، فالحكومة البريطانية تعاون ابن سمود ضد هذه الحكومة ، وفى مثل هذه الظروف يمكن للحكومة البريطانية بمساعدة ابن سمود أن تتخذ تدابير شديدة لأجل المحافظة وحماية منامه .

ثالثاً : يتعهد ابن سمود أن يمتنع عن كل محاربة أو انشقاق أو معاهدة مع أية حكومة أو دولة أجنبية ، وعلاوة على ذلك فإنه يتعهد بإعلام الحكومة البريطانية عن كل تعرض أو تمرد يقع من قبل حكومة أخرى على الأراضي التى ذكرت أعلاه .
رابعاً : يتعهد ابن سمود — بصورة قطعية — أن لا يتحلى ولا يبيع ولا يرهن ولا بصورة من الصور يقبل بترك قطعة أو التخلل من الأراضي التى ذكرت أعلاه ، ولا يمنح امتيازاً فى تلك الأراضي لدولة أجنبية أو اتبعية دولة أجنبية دون رضا الحكومة البريطانية ، وأنه يمنع صانعها التى لا تضر بمصالحه .

خامساً : يتعهد ابن سمود بأن يبقى الطرق المؤدية إلى الأماكن المقدسة مفتوحة ، وأن يحافظ على الحاج آمناء ذهابهم إلى الأماكن المقدسة ورجوعهم منها .

سادساً : يتعهد ابن سمود كما يتعهد والده من قبل بأن يمتنع عن كل تجاوز وتدخل فى أرض الكويت والبحرين وأراضى مشايخ قطر وعما و سواحله وكل المشايخ الموحدين تحت حماية إنجلترا والدين لهم معاهدات معها .

سابعاً : الحكومة البريطانية وابن سمود يتفقان فيما بعد بمعاهدة على التفصيلات التى تتعلق بهذه المعاهدة .

المعاهد الموقودة

بين السيد الإدريسي وبريطانيا العظمى

في ٣٠ نيسان (ابريل) سنة ١٩١٥

(١) إن هذه المعاهدة التي هي معاهدة صداقة وولاء قد وقع عليها الماجور جنرال شو Shaw المند في عدن باسم حكومة بريطانيا العظمى ، والسيد مصطفى بن السيد عبد الله باسم حضرة السيد محمد علي بن محمد بن أحمد بن إدريس — السيد الإدريسي أمير « صيا » وأطرافها .

(٢) المقصود من هذه المعاهدة : هو إعلان الحرب على الأتراك وتوطيد عرى الصداقة ما بين حكومة بريطانيا والسيد الإدريسي المذكور آنفاً وأعضاء قبيلته

(٣) للإدريسي يتعهد قتال الترك ، وأنه سيجتهد الطردم من موانئهم في اليمن ، وأن يتمتعهم ، وله أن يوسع أراضيه على حساب الأتراك .

(٤) حمل السيد الأسامي يتعه ضد الترك فقط . ويتنح عن كل حركة عدائية ضد الإمام يحيى ما دام هذا لا يضع يده بيد الترك .

(٥) تتعهد الحكومة البريطانية بالمساعدة على أراضى السيد الإدريسي من كل اعتداء يقع من قبل أى عدو كان على السواحل ، وبمجانة استقلاله في أراضيه الخاصة ، وباستعمال كل الوسائط السياسية عند ختام الحرب في حبل تأليف مطالب السيد الإدريسي مع الإمام يحيى أو أى خصم آخر .

(٦) إن الحكومة البريطانية لا تقصد توسيع أراضها في غرب البلاد العربية . ولكنها تنفى بصورة صريحة أن ترى رؤساء العرب في حالة سلبية وأخوية ، كل منهم في منطقته . وكل موال للحكومة البريطانية .

(٧) إن — كدليل على تقدير الحكومة البريطانية للأعمال التي سيقوم بها السيد الإدريسي — فهي ستعاهه بالمال والمؤونة ، وتسنح على معاونه طول الحرب . وسكون

هذه المعاونة متناسبة مع ما يقوم به السيد الإدريسي من الأعمال .

(٨) تسمح الحكومة البريطانية للإدريسي — أثناء الحصار البحري المفروض على سواحل تركيا في البحر الأحمر — أن يتاجر مع عدن وسواحلها . وهي تضمن استمرار هذه الحالة ما دامت العلاقات الحسنة موحودة بين الطرفين .

(٩) تكون هذه المعاهدة نافذة المفعول على إثر موافقة الحكومة الهندية عليها

يوم الجمعة ٣٠ نيسان (أبريل) سنة ١٩١٥

الموافق ١٥ جمادى الثانية سنة ١٣٣٣

التوقيع

B. O. L. Shaw

مستهد بريطاني في عدن

التوقيع

السيد مصطفى بن السيد عبد الله

ترقيم

هاردمج

حاكم الهند العام

ملحق : تمطى جزيرة فرسان الإدريسي متما لمطالب إيطاليا .

معاهدة سايكس - بيكو سنة ١٩١٦

ترجمة عن الإنكليزية

قد تمّ العام بين كل من الحكومتين الفرنسية والبريطانية .

(١) إن فرنسا وبريطانيا العظمى مستعدتان أن تمتثلتا بحكومة عربية مسندة أو حكومات عربية متحدة أو مستقلة وتزويدها في الأماك للشار إليها بحرف (A) وحرف (B) على الخريطة الملحقة بهذا ، وأن تكون هذه الحكومة أو الحكومات تحت سيادة زعيم عربي ، وأن يكون لفرنسا المكان المشار إليه بحرف (A) ولبريطانيا العظمى في المكان المشار إليه بحرف (B) أولوية الحق في الشريع والقروض المحلية ، وأن كلام فرنسا في حرف (A) وبريطانيا في حرف (B) تقدم وحدهما للتشاورين والموظفين الأجانب الذين يطلبهم الحكومة العربية أو الحكومات العربية المتحدة .

(٢) يسح لكل من فرنسا في المنطقة الزرقاء وبريطانيا في المنطقة الحمراء أن تنشئ من الإدارة أو الحكومات مباشرة أو غير مباشرة ، ما تريد أو ما ترى تديره موافقاً مع الحكومة العربية أو الحكومات العربية المتحدة .

(٣) أن يشأ في المنطقة الحمراء إدارة دواية مشتركة يقرر شكلها بعد استفتاء روسيا أولاً ، ثم استفتاء الحلفاء الآخرين واستفتاء مدوى شريف مكة .

(٤) أن يعطى لبريطانيا العظمى ثمر حياء وثمر عكا ، ويضمن لها القطار الكافي من مياه دجلة والفرات في منطقة (A) لأرواء منطقة (B) وتمهد حكومة جلالة الملك أن لا تخاف في أي زمن كان دولة من الدول لتنازل لها عن جزيرة قبرص بلا موافقة حكومة فرنسا .

(٥) تكون الإسكندرونة ميناء حراً فيما يتعلق بتجارة الإمبراطورية البريطانية ، وأن لا يكون فيها تمييز في تعيين ضرائب الميناء أو التسهيلات فيما يتعلق بالبضائع أو السفن البريطانية ، وأن يكون المصانع البريطانية حرة المرور في الإسكندرونة وفي

سلك الحديد التي في المنطقة الرقاع ، سواء كانت هذه البصائع صادرة عن المنطقة الحمراء أو المنطقة حرف (B) أو المنطقة حرف (A) أو واردة إليها ، وأن لا يكون تمييز سواء كان ذلك مباشرة أو غير مباشرة ضد البصائع البريطانية على أية سكة حديد كانت أو ضد البصائع البريطانية والسفن البريطانية في أى ميناء من الموانئ المذكورة سابقاً لهذه المناطق ، وأن تكون حبياء ميناء حراً فيما يتعلق بحارة فرنسا وعمسكاتها ومحيطاتها ، وأن لا يكون فيها تمييز تعيين صرائب الميناء أو التتميميلات فيما يتعلق بالسفن الفرنسية والبصائع الفرنسية ، وأن يكون للبصائع الفرنسية حرية المرور في ميناء وفي السلك الحديد البريطانية التي في المنطقة الحمراء سواء كانت هذه البصائع صادرة عن المنطقة الزرقاء أو المنطقة حرف (A) أو المنطقة حرف (B) أو واردة إليها ، وأن لا يكون تمييز سواء كان ذلك مباشرة أو غير مباشرة ضد البصائع الفرنسية على أية سكة حديد كانت ، أو ضد البصائع والسفن الفرنسية في أى ميناء من موانئ المناطق المذكورة أعلاه .

(٦) أن لا تمتد سكة حديد بغداد جنوباً في منطقة (A) إلى ما وراء الموصل ولا تمتد شمالاً في منطقة (B) إلى ما وراء سامرا إلى أن يتم إنشاء سكة حديد تصل ما بين بغداد وحلب في وادي الفرات وذلك بموافقة الحكومتين .

(٧) أن يكون لبريطانيا المطلق وحدها الحق بأن تنشئ وتدير وتلك سكة حديد توصل حبياء المنطقة (B) ويكون لها الحق الدائم في نقل الحبوب إليها في أى وقت كان . والمعروف بين الحكومتين أن هذه السكة هي التتميميل المواصلة بين بغداد وحلب . والمعروف أيضاً أنه إذا حالت الصعوبات الهندسية والعقبات دون إنشاء هذا الخط في المنطقة الحمراء وحدها فإن الخطوط لآنية وهي - مايناس - نيس - معرب - صند - نذا . صدى رسمية تصل إلى المنطقة (B) .

(٨) تبقى الرسوم الجمركية معمولاً بها عشرين سنة في جميع أنحاء المظنتين الزرقاء والحمراء كذلك في المنطقة (A) والمنطقة (B) ، ولا تتراد الرسوم إلا بعد اتفاق الحكومتين ولا تصرف رسوم داخلية تكون عاقبة بين المناطق المذكورة أعلاه . أما الرسوم على البصائع الواردة فتؤخذ في الميناء التي تصل إليها البصائع ، وتسلم إلى حكومة المنطقة الواردة إليها .

(٩) لا يجوز للحكومة الفرنسية في أي زمن من الأزمان أن تخبر دولة ثانية في أمر النازل لها عن حقوقها ، ولا يحق لها التنازل عن هذه الحقوق لغير الحكومة العربية أو الحكومات العربية المتحدة إلا إذا وافقت الحكومة البريطانية على ذلك . وعلى الحكومة البريطانية مثل هذه الهدوء للحكومة الفرنسية فيما يتعلق بالمطالبة الحمراء .

(١٠) تهدد كل من حكومة فرنسا وحكومة بريطانيا العظمى أن لا تملك أرضاً في جزيرة العرب ، وأن لا توافق على استلاك دولة ثانية لأرض هناك سواء كان ذلك على السواحل الشرقية منها أو حزر البحر الأحمر . على أن هذا لا يمنع من تعديل حدود عدن بسبب اعتداء الترك .

(١١) إن الخبرات مع العرب لو صحت لحدود الحكومة العربية أو الحكومات العربية المتحدة يستمر كما كان بالديار من الحكومتين الفرنسية والبريطانية .

(١٢) قد وقع الاتفاق على أن الوسائل اللازمة للسيطرة على توريد السلاح إلى الأراضي العربية نقتار فيها الحكومتان .

كتاب من أمير نجد إلى الشريف حسين

بسم الله الرحمن الرحيم

حصرة حباب الأحل الأتم هي الشيم أمير مكة المكرم سيدنا الشريف حسين باشا ابن السيد علي دام مجده وعلاء آمين .

بعد إهداء مزيد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته على الدوام مع السؤال عن شريف خاطركم الطاهر . لا زلتكم بكال الصحة والسرور حانين الأوصاف الحيدة . أحوالنا من كرم الله جميلة ، وتقدم أسماؤكم قبل هذا كتاب نرحو أنه وصل وأنتم مسرورون . ثم عرض لدولتكم العزيزة : أنه بموجب شفقتكم وعلو هممكم وأطاركم العالية قدما أخاها عبد العزيز عبد الله السعود لموجب خدمتكم وأحبنا المصاوعة معه لموجب التبرك بإفادكم ، وأرسلنا معه الصقلوية والجداني وكيلان ، ولا والله قصدنا في إرسالنا لأنكم بحاجة ولا شك في

عائنا نبي «ينبي» تقرب منكم . فإننا هنا حاسدين أنفسنا من خواصكم ، وقد تم لكم ، وإلا
هديننا لمصرتكم رؤسنا وما تحت أيدينا ، وليكنها هي صوغة للأولاد والكرام ، وحررتنا
هذا الكتاب لموجب التعرض لخدمتكم وما يدومنه اللازم ، وإلا أمرتكم علينا تام على كل
حال ، ومهما تفعلوه معنا ونخطوا أظاركم علينا تحدره إن شاء الله مصاعفا بالخدمات
والسمع والطاعة . هذا المزمع تعريفه والولد رسم الخدمة مع إبلاغ السلام حضرة لإخوان
السادات الكرام على ويصل وزيد ، ومن عندي أولادنا محمد وسعود وكالة السعود
يلدون ودمتم محروسين ؟ :

خادم الدولة والملة والوطن
أمير نجد ورئيس عقارها
عبد المميز السعود

١٨ من سنة ١٣٢٨

(ختم)

من أمير نجد إلى الشريف حسين

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة حناب الأهل الأجدد الأتم بهي الشيم أمير مكة المكرمة سيدنا الشريف
الحسين فاشابن السيد على دام بحده وعلاه آمين .

بعد إهداء مريرد السلام الدم عليكم ورحمة الله وبركاته على لدوام مع السؤال عن
شريف حاطركم الماطر لارتم بكم الصحة ووفر السرور حائزين الأوصاف الحميدة ،
أحوالنا من كرم الله جيلة . بأشرف وقت أخذنا مشرفكم المكرم . فسرا ما تنصه من حجة
أوالكم واعتدال أوفاكم ، وما عرف حاسكم كان لدى ابينكم معلوما خصوصا ما عرف
جناكم من حجة عتيبة والفصيح وأنهم يلقون إليكم من الأكاذيب الذي ليس لها حقيقة
ويطلقون دند حضرتكم . فنحن نقول عما قالوا سبحانه لك هذا هتان عظيم ، فأما من حجة
نظركم علينا وعليهم فهذا شأن مثلكم وهو مقامكم المزير ، ونحن متيقنون أن حنا بأنفسنا
أقرب منهم ومن غيرهم لساداتكم ، وأدنى جواب بصدر منكم إلينا بمنع السوء عنهم إذا

كان صادر مناشي . ونحن نعتل به لوجب رضا الله ثم غلظة سمانكم . مع أي والله ما أعلم
أن أحداً من أهل مجد يطالب مني مثقال حبة من حردل من طم ، إلا إن كان عدو صيف
جاني ولجانيه سب ، وقول العدو ما يؤخذ في عدوه ، وإلا أدام الله وجودكم نحد يوم
حيته ما به من جميع مأموريته أحد كلها ما صيب لأن رشيد ، ولولا الله عليه هداية
الله ثم هدايتكم ، وأمرنا كل في مصه ، فهم من أطاع وسنقر وإلى الآن تمكاه ،
ومهم من طم الرعية وما عذر وأعانا الله عليه وأحب فيه ، فلان . نكم وحادكم ومملوك
فصلكم فان . منه سامع مطيع لله ثم غلظتكم لأدنى واحد من أهل الفصم أو من . بية
يدعى على يدي شيء من طم . سكا نسرور أمل . لاسدلاً لأسر الله ثم أسركم ، وجميع ما
رورده على حضرته دواء الكذب للذيل ، فإن كنت اعرج فما تحت أسركم كما نسرور
أمل ومطير لأدركم . فإن كانوا هم السكادين ونعفق عذركم ذلك ، فحق قد دحما
لمن من الزلات أكثر . وحققا على جنابكم أن نكروا على حذر من أقوال الله شين الإسلام
واللهين ، وأما والله والله ونشأ إن رساكم وامتنال خدمتكم عدى أعز من رس عبد الرحمن
وخدمه ، ثم أنا ما مطيع عهد الله وأمان الله ، أي ولد لك سامع مطيع ما أحذف شومتك في
جميع أسر ، وأما تحت أسركم تريدون المقاتلة بيني وبين الرورين في أي وقت تسووه
أحضر ، فإن كان تحمونه من بعيد فالراحة بسا ونحن تحت تدبير الله ثم تدبركم ؛ وإند
لا يرورون على حضرته أي مستغزى أهل نحد قصدي محاربتكم أو مكاربتكم لا والله
لا والله ، لا والله . إني ما استعزيتهم إلا لوجب بي خيما وعص الله - د إلى بيحيى حاكمكم .
ولا يقطع عقدكم أن قدومي بها المحل قصدي محاربة أو أسرى نصب حواطركم ، إلا إنا هو
تقرب غلظتكم وعن الجند الذي يحصل به الاتحاد للأعداء ، ويرورون أعظم مما زوروا
سائق ، واحسنا تمجيل الطارش لوجب رد حواكم العزيز ، ونحن ما نطار تدبير الله ثم
تدبركم ، وتحت لأمر هذا ما لرم . والرجاء الملاح سلاما لأخوان السادات المكرام ومن
عندنا أولادكم محمد وسعود ، وكافة الممود يقولون أيادكم ودمهم محروسين ؟

خادم الدولة ولاة والرش
أمير نجد ورئيس عقائرها
عبد العزيز السعود

١٥ ل سنة ١٣٢٨

(ختم)

مشروع الوحدة العربية كما كان يفهمها الملك حسين

(صورة وثيقة)

الأساسات المتعددة متحد التي يتمكن منها سكان البلاد وصيانتها من كل مواقع الترقى والمعادة والتفاح المطلوبة لها حسب فكري الخصوص ، والأصل الأصل لدى يمكن قوله قرر عن هو تعريق سكان المطاط والإطابة والفروني وبريقان ومجوم من الدارل التي يسكنها الزمرة الموسومة بالإخوان الحادثة من ستين التي هي عبارة عن معسكرات ، وقبل هذا والتمهده أي بتعريق سكنة تلك الدارل ، وأن كل شخص يذهب إلى قبيلته المنسوب إليها لا ثمة لأي عمل كان كما أشير بريقنا ١٢ الحجة سنة ١٣٣٦ هـ ، ومع ذلك على سبيل المعلومات والتسهيل لا نأس من الإنيا من سيدكر أدناه على وجه الاختصار

- (١) الأحكام بكتاب الله وسنة رسوله .
- (٢) أمراء محد يكون تعيينهم على تعاملهم وقاعدتهم الجارية المرفوعة .
- (٣) إلهاء العربية التي تؤخذ على جهال المتسعة بصورة كلية وهو المعروف بالباح
- (٤) أمير محد له حق تعيين صفوف المناورين في داخل إمارته .
- (٥) لا حق لأمر محد أن يحضر أي دولة كانت في أي مسألة كانت ذي شكل وصورة ، وهذه أيضاً من حقوق المركز وعائد إليه ، وتكون رأيه واسطة واستحسانه .
- (٦) الحدود من الجنوب والحدوب الشرق والغربي لحل المعروف بالمرض وما سامته والتشقر ومسكة وتربة ووادي الدواسر تكون جميعها تابعة للمركز ، والغرب والشرق الحدود عبيرة والقسم والشمال والشرق معلومة .
- (٧) القبائل السهول وضيع الأسفلين تابعون للمركز .
- (٨) لا يمنع القبائل التابعين للمركز ولا سواهم من أي أرض يحتلونها للرعى أو أن يمتاروا من أي قرية من القرى التابعة للأمير نجد وإن وقع من القبائل المذكورة نكدي في الحال يرفع خبره للمركز لإجراء مقتضاه .

(٩) امتثال أوامر المركز وتنفيذها في حق من يرد إلى داخل حدود الإمارة المذكورة ممن لم يكونوا من أهلها .

(١٠) كل من يرد من أهالي نجد إلى المركز أو إلى أى بلاد في داخلية المملكة ساملون مثل معاملة أهالي تلك البلاد في كل شئونهم .

(١١) المحافظة على كل حقوق وكافة معاملات من يكونون في الخارج من أهال نجد أى في بلاد أجنبية معى عائلة للمركز ومن حقوقه .

(١٢) المركز يتمتع بحفظ كيان وصيانة أدى حقوقه من كل تعدى

(١٣) يحتجب بكل حذر واهتمام ما يرحب القلائل والشتب في داخلته أو فيما جاوره من المملكة .

هذا يكون دستوراً للسكاة الأسراء ومن يكونون أمثال أمير نجد ، على أن الإديسي حدوده نصاء صبة المعروفة في زمن الترك ، وكذا إمام صماء ما كان ينصرف به من الأراضي في زسهم هذا ملخصه ولكل من تأمل مسدكى وحطى في ظروف هذه الأعوام نحو الإمارة المذكورة رغماً عن محرفاتها ، وحطى عند ما توجهت لأنها ، وسج اسو فيصل على ذلك الأمر عند توجهه إلى تهايم عبر لمين تلك العاية التي توجهت إليها يدرك لأول وهنة سلامتها من شوائب المقاصد مما تدور أعلاه أما عنبرة والقسم — أى ريدة ومسحقتها — فلهم الرأي يقتخبون ان سمود للاتحادق به أو ان الرشيد أو يكونون مستغلين على أعينهم . الحيارلم في ذلك ، ولزيادة الإقناع والسلامة من الشوائب فـهـم إذا سحموا المركز هو لا يقتلهم وعلى أى حال فهم تحت ما ذكر من الشروط ، على أن مسنة تعريق سكان المطةط ولارطاوية لقرى المذكورات أعلاه من أهـت لود المنسقة بقول الفقه في ريادة البلاد

صورة بلاغ من المعتمد البريطاني بحجة عما أشاعه الأتراك من تقسيم البلدان العربية

حقة في ٨ فبراير سنة ١٩١٨ .

جلالة صاحب السيادة المعظمي ملك الحجاز وشريف مكة وأميرها المعظم

بعد بيان ما يجب بيده من الاحترام والتوقير ، قد أسرى حجاب ثمة نائب جلالة
الملك أن أبلغ حلالكم العربية التي وصلت إلى مقامه من مطارة الخارجية البريطانية
بلندن ، وقد عنوانها حكومة جلالة الملك ملك بريطانيا المعظمي باسم حلالكم ، وهذا
نصها بالحرف الواحد :

إن الرغبة والصراحة التامة التي اتحدتموها جلالتكم في إرسالكم التبريرات التي
أرسلها القائد التركي في سوريا إلى سمو الأمير فيصل وسمو الأمير عبد الله إلى صاحب
جلالة الملك كان لها أعظم التأثير الحسن لدى حكومة جلالة ملك بريطانيا المعظمي ، وإن
الإجراءات التي اتحدتموها جلالتكم في هذا الصدد لم تكن إلا رمزاً يبرر عن تلك الصداقة
والصراحة التي كانت دائماً في هذه العلاقة بين كل من الحكومة الحجازية وحكومة جلالة
ملك بريطانيا المعظمي . وبما لا يحتاج إلى دليل أن السياسة التي تدفع عليها تركيا هي
بمبدأ الارتياب والشك من دول الحدة والعرب ، الذين هم تحت قيادة وعظيم إرشادات
جلالتكم ، قد نسروا خطة انشاء بطفر وابتداء حريتهم القومية في السياسة التركية
لأنهم حرصوا على لا يثبت أن تونس العرب أن دول الحدة يرغبون في الأراضي
العربية ، وعلى يدهم دول الحدة أنه يمكن إرجاع العرب عن مقصدهم ، ولكن
أدوال الدسائين أن تقوى على إيجاد الشقاق بين الدين انجبت عقولهم إلى ذكر واحد
وغرض واحد .

إن حكومة جلالة ملك بريطانيا المعظمي وحلفاءها مازالت واقفة موقف الثابت لسبب
همة تؤدي إلى تحرير الأمم المظلومة . وهي مصممة أن تنفذ بمجايب الأمم العربية في جهادها ،

لأن نبي عالمياً عربياً يسود فيه القانون والشرع بدل الظلم المماني ، ويتحدد الناس الصاعى الذى أحدثته الصدت الرسمية التركية .

إن حكومة ملك بريطانيا العظمى تكرر وعدها السالف مخصوص تحرير الأمم العربية ، وإن حكومة جلالة ملك بريطانيا العظمى قد سلكت مسلك التحرير ، وتقصده أن تستمر عليه بكل استقامة وصميم بأن تحفظ العرب الذين تحرروا من القوط فى وعدة الدمار ، وتساعد الدين لا يزالون تحت يديها لينالوا حريتهم

وإن الختام التمس قول حالس الحيات وعظيم الاحتشامات والتحيات فى

نائب الحشد البريطانى بمكة

الكوفونيل باس

صورة ما تحرر لفخامة نائب الملك بمصر

من الملك حسين وشرح أغراضه من الثورة العربية

مارأيت حصوصاً بهذا الأثناء عن اعتناء فخامتكم وأنا كبذاتها فى إزالة أسباب دواعى سوء الظن الذى لا أرتاب بأن المقصود بذلك الاعتناء هو صيغة تثير حذريات عنكم خاصة لنا ولما تكون المواد البسيطة أيضاً من ذلك المعنى رأيت أن أعبئ من حكومة جلالة الملك فى الأساس لقرع مع عظمتها فى المهصة وما يبت عليه من مواد الاتفاقية تقدم عليه بياها بأن ما طابت للبلاد أمام حكومة جلالة الملك ما طابته من المواد التى تعهدت عظميتها بها رغبة منى فى تأسيس حكومة ، أو تشكيل دولة لأستأثر بحكيتها ، أو حرصاً على جاهها وأرياسنها ، ولكن عند ما دعيت بريطانيا إلى ما دعيت إليه ، وعلمت أن مقاصدها بهذا أيضاً تأمين مصلحة المسلمين عامة والعرب خاصة ، لم يسعنى إلا الإجابة وطلبها أقله تلك المواد المؤيدة فى اعتقادي لما يأتى :

أولاً — لحطة الكيان الإسلامى بالنظر لما حل وما يجعل تركيا .

ثانياً — صيانة المنظمة البريطانية من الاستهداف مما سقضى به عكس مقاصدها .

نشأ — سلاحي من الاتهام بالنواطئ منها ضد الأساس المقصود بالنهضة .

نعم إنى لم أحد من جناب الفاضل الأديب المستر استورس عند اجتماعي بمحضته في السنة الأولى بمجدة ، ثم بملء محصرة الشهم المهام السير مارق سايكس ، ثم في السنة الماضية بالقيمتان المهام هو عارت الموقر ما يشير إلى ما يخالف أو يحمل بتلك المقررات ، عبر أن ما في طبيعة مشروعتنا وتنازه الحيزية من الرقة وما يصادف من بعض حالات يستدعى سياقها زيادة تعين الأمر وتأكيد الحقيقة عن الحدود ، ولأن ما في المواد « بما محرز عن أداء شكر الوفاء بها شكراً بتأليف الحذوق ، خصوصاً أمر الإنابة عما لو همت النمط في مقررنا المذكورة أساساً ، أو حدث ما يوجب تعديدها ، الأمر الذي لا أقول به بمس كيان العالم الإسلامي ، ولكن أظن — وعص الطن إنم — أنه لا يجوز من شيء من ذلك هذا على فكرى الخصوصى . ففى أصها عليه تطهر بحرى بعدم حصول ما كان يؤمل من السمع يحتم على الانسحاب من الأمر والزل عنه ، لاعتقادي الشحوى أن تعديل مقرراتنا المذكورة ، صرف النظر عما في إخلاله بالامبات المقصودة ، وعرضتها لحذر موادنا الثلاثة آمة البيان وطس صحيفة تاريخي ، هو بربل ويسقط من ثقة واعتماد بلادى وأنواعي الأوربين ، حينما يظهر لهم عكس تلك المقررات التي أعلنتها لهم ، وصرحت به شهاهاً ونحرياً في ظروف هذه المدة وأست عليه لأعمل ، وأكون حدثت مسى وعششكم يا أصدقائي . ورو هذا من اضطراب البلاد ما فى التورات وبحوه ، مما لا يمكن لى معه حتى الاستددة لى وما بربل كل طل حكومة حلاة تلك لى ، وأكيد إخلاصى بحبرى أن أقول من لآل ر. دى هذه الخطرية على وشك المحسس بها بالنسبة لاطلمات المتكررة المحدة عن أسرم لإعلان استقلال بلادهم ، ولم أحد ما أدهم به إلا قولى إن استلانى هو استقلال عموم أنحاء البلاد ، ولكهم يقيموا الحجة على دوى هذا بأوجه أخر ، وعليه إن كان ولا بد من التعديل فلا لى سوى الاعتزال والانسحاب ، ولا أشتبى فى مجد بريطانيا بالآ يتلقى هذا منا إلا أنه أمر يتعلق بالحياة ، لا لقصد عرضى أو فكر غرضى ، وإنها لا ترتاب فى أنى وأولادى أصدقائنا الذين لا يتغير ولاؤهم وإخلاصهم ، ثم تيمينوا البلاد التى نستحسن إقامتنا فيها لسفر إليها فى أول فرصة وإن رأت ذلك ، ولكن مشاكل الحرب

المخزرة تنصى تأجيله إلى حسمها ؛ شعرونها وجبيل مكارها يفرض عليها الثبات أمام ما سيصايف عليها من المهمات وبحره من العموم مما لا مقدومة لديها أمامها إلا حسن النية فالأسر إليها أما عطف لأمر وتخليقه بمؤتمر الصباح فالجواب عليه من الآن بأن لا علاقة لما به ولا مناسبة يسما وإياه ، حتى ينتظر منه سساً أو ينجباً ، ولو قرر المؤتمر المذكور أصعب مقررانا وكان ذلك عن غير وساطتكم وتبناها ممكن من المطرودين من رحمة الباري جل شأنه الرقيب على قولي هذا الذي أوصل إليه الآن أن يتولاها جميعاً بصايات رآته الأخدية ، وتقبل ما أقدمه لغفائلك في الختام من جزيل احتشاماتي هو من سجايا شيمكم

٢١ ذي القعدة سنة ١٣٢٦

٢٨ أغسطس سنة ١٩١٨

الإعانة الانكليزية

حدا في ١٣ إبريل سنة ١٩١٩ — رجب سنة ١٣٣٧ .

صاحب السيادة العظمى جلالة ملك الحجاز وشريف مكة وأميرها العظم صاحب الجلالة
مديان ما يجب بيانه لجلالتكم من التوفير . أشرف بإحاطة علم جلالتكم بأن حكومة
جلالة الملك قد رحمت بدفع مبلغ ١٠٠,٠٠٠ جنيه (مائة ألف جنيه) لإعانة شهر إبريل ،
وهذا بتقريب ٢٠,٠٠٠ جنيه (عشرين ألف جنيه) ، أما الثمانين ألف جنيه الشهرية
فجارى معها طبعاً إلى دمشق علاوة على المائة ألف . ومن حيث هذا التحفيض لا يحق
على جلالتكم أنه عند ما نشرت بالبحث مع جلالتكم في مسألة الإعانة في شهر فبراير
الماضي قد أحييت جلالتكم أن حكومة جلالة الملك رغبت في حمل تخفيض عظيم في
إعانة شهر مارس بناء على ما كنتم جلالتكم قد وافقتم عليه مع ذلك طلبتم جلالتكم أن
إعانة شهر مارس يجب أن تبقى كما كانت بلا تغيير إلا أنكم وعدتم بتقريب كبير في إبريل
فرضت رغائب جلالتكم على حكومة جلالة الملك نصارت موافقة خصوصية على صرف
إعانة شهر مارس بنائها ، مع العلم بأنه كان مفهوماً أن تنقيصاً عظيماً قد عمل لشهر إبريل

بناء على وعد جلالتكم ، وعند ما كنت بمصر كانت حكومة جلالة الملك قد عيّنت هذا
التعميم إلى أمين ألف جبيه ، إلا أن لخامة نائب جلالة الملك رأى أنه لمناسبة الأحوال
الحاضرة بمحتل أن جلالتكم تفصلون أن يحسم من إبريل عشرين ألف جبيه فقط ، وقد صارت
الموافقة لذلك من قبل حكومة جلالة الملك على شرط أن جلالتكم تعملون كل سعى
المتضمن مع شهر مايو إلى تمدين ألف جبيه وأن تعطون المبرانية بيان مطالب جلالتكم
المستوعبة ، وإن قد أخبرت حكومة جلالة الملك مدبعة شهر أن جلالتكم قد
وعدتوني بالمبرانية بمدد مقوط المدينة مباشرة . وأؤمل أن جلالتكم تنسكون من إعطاني
التفاصيل عن الإيراد والمصاريف المنتظرة للمصارف ما أشرف بمواجعة جلالتكم
قريباً وعدت أن أستطيع أن أرفع طلبات جلالتكم بصورة عملية ، وإنني سوف أستطيع
طبعاً البحث مع جلالتكم في جميع التفاصيل ، إلا أن المبرانية المطلوبة من قبل حكومة
جلالة الملك لا تشمل مثل تلك المفردات ، كتصليح الخط والاحتياجات الخصوصية (خلاف
الإدارية) للمدينة وحلاهما التي لا تدخل في مبرانية اعتيادية . ولكنها تكون في الواقع
وتمس الأمر مخصصة بقروض محصورة وما شاكل ذلك ، ولا تشمل أيضاً مصاريف
الإدارة العربية بدمشق ، لأن تلك الإدارة تتناول اليوم مائة وخمسين ألف جنيه شهرياً ،
وإنني لمطلع فاشتيق لشاهدة جلالتكم ثانياً ، وأرجوا الله أن تكونوا جلالتكم بصحة جيدة
وتفضلوا بقول خالص تيمناً الطيبة وعظيم احتراماتي ؟

مخلصكم

ولسن باننا

جدة في ١٧ يونيو سنة ١٩١٩ الموافق ١٨ رمضان سنة ١٣٣٧

صاحب السيادة المعظمي جلالة ملك الحجاز وشريف مكة وأميرها المعظم صاحب الجلالة
 بعد بيان ما يجب بيانه من التوقيف قد اندثرت جداً عند تنقي تحرير جلاتكم مرة
 ١٥٣٤ شربح ١٦ يوبه ؟ وإن لم أنهم الساب الذي حمل جلاتكم نكتفون أسكنكم
 طلب الاستقالة ولا سحب رداً على خطائي بخصوص الإغاثة ، وإنني قد أشرت لجلاتكم
 عندما أظمت على برقيكم لسمو الأمير زيد التي قولون فيها : أن لا إغاثة تدفع بعد الشهر
 القادم ، وذلك أكد لي أن خطائي لم يكن كامل لوصوح أو غير طهر الامارات الأمر لدى
 احدى مزيد أسقى عنه . وأن جلاتكم تذكر أن حكومة جلالة كانت رعت في تقبيل
 الإغاثة وجهها ثمانين ألف حبيه في شهر أبريل الماضي ، وأسكنكم عن تفصيلات ليراية
 الحجاز ، وقد أعطيتوني جلاتكم ذلك وقد أرسلت إلى المدرة ، وبعد ذلك قررت
 حكومة جلالة الملك عدم جوابها ثمانين ألف وصدت على اسرارها مائة ألف حبيه إلى
 نهاية شهر يوليو ، وهذا منصدت إيداءه لجلاتكم في تحريري ، وهذا لا يدل على أنه مد
 شهر يوبه لم يكن فيه إغاثة كما ذكرت جلاتكم في برقيكم لسمو الأمير زيد ، وعليه التمس
 أمركم بأن أرفع العبارة الخاصة بالإغاثة من العرقية ؟ وإيا اليوم في وقت حرج . ولذا
 أرجو جلاتكم رجاء صدياً أن تطرحوا فكرة طلب الاستقالة في هذا الوقت الذي فيه
 بلادكم ، وأمر الإسلام في أشد حاجة لكم . وأحب أن أصب من جلاتكم أن تسعروا
 على انبائكم لحكومة جلالة الملك وفضامة الجبرال القبي واسقى كما منتم على لدوم ،
 وقد طلبت نفس هذا الطلب في خطائني بتاريخ أمس ، ورعاً من عظيم ارتياحي لاشته لي
 لأهل البهصة العربية ، ثم وعظيم سروري لاشتهالي في هذه السنين كلها مع جلاتكم ، كما
 ورعاً عن انتحاري تمثيل بريطانيا المعظمي مع جلاتكم ، فاني مشتق لانتكن من
 القيام للإجارة والاستراحة قليلا ، ولكن هو واجب أن أنق كل ما أمكن من الزمن ،
 وبذلك أوصل أن أكون مقدماً بذلك من الخدمات الصغيرة لجلاتكم ، نعم إنه بعد
 عناء الثلاثة سنين الماضية الشديد ، أنا أعلم أنه من المتعب جداً لجلاتكم ملاقة هذا

الوقت الحرج الحالى ، ولكننى أطلب من جلالكم طنباً صميماً أن تطرحوا طهرىاً كل
مسكرة خاصة بترككم مركزكم العظيم مهما صعبت الوضعية ، ولا شك حيث إن جلالكم
قائد النهضة العربية العظيم ، ال وحيد بريطانيا العظمى المحض إذا تنزلاتهم عن الأعمال
فى لآونة الحاضرة كل فى ذلك البلية العظمى ، وقد عرروهمو جلالكم هذا الزمن
الطويل ، وأنا على يقين أن جلالكم تمتعونون فى صدق إحلاصى ، وأن هذا الخطب
لم يكن إلا ليكل الإحلاص المحض ، ومالى إلا أن أرمع أكف انحاء فى حصرة
دى الحلال أن يمس على جلالكم مافوة والمفدرة على الاستمرار على العمل . وى حاتمة
حطى أئمس نول حاص نيبان وعظيم احتشامنى القمية الخاصة ؟

خلص

ولسن باشا

مذكرة المستر لويدي جورج

رئيس الوزارة البريطانية

عن الاعلان المؤقت لسورية والسطين وال عراق ريثا بزم أمر ال اذات

- (١) تمتد التذاير الازمة حالا لاعلاء الحدود البريطانية عن سورية وكيلىكية
ومن جعلها فق جبال السلة (طورس) .
- (٢) لقد اعلن كل من الأمير فيصل والحكومة الازمسية أن فى القدرة الشروع
فى الاعلاء عن سورية وكيلىكية فى أول نوفمبر سنة ١٩١٩ .
- (٣) إن المسئولية فى وضع الحاميات فى انقاطعات التى يتم إحلاؤها يكون على
مقتضى عهود ونصريحات الحكومة البريطانية والحكومة الازمسية ليس فقط بينهما
بل بين كل منهما وبين العرب .
- (٤) لتبديل على مقتضى ذلك حاميات سورية فى غرضى حط (سايكس —

يكو) وحاميات كيليكية محمود فرساوية ، وتبديل حاميات دمشق وحمص وحماة وحلب محمود عربية .

(٥) إحداء الحدود البريطانية لا تنق مشاوية ما على الحكومة البريطانية ولا على القند البريطاني العام في المناطق التي أحتلتها الحدود

(٦) نقطحات التي تنق فيها الحدود البريطانية هي للسلطين وتكون حدودها مطقة لحدود القديمة المسماة (دان - إلى ترالسع) والعرق ومن جهتها الموصل ، يكون هذا الاحتلال مطابقاً للاتفاق المفقود في ديسمبر سنة ١٩١٨ بين الموسيو كليدهو والمقروليد جورج .

(٧) إن الحكومة البريطانية -منعذ في أي وقت كان أن تحت في أسر الحدود بين فلسطين وسورية ، وإذا وقع خلاف بشأن هذه الحدود فالحكومة البريطانية مستعدة أن تقبل تحكيم (حكم) يعينه الرئيس ولسون .

(٨) إبه تقتضى مبادئ إتفاق (سايكس - بيكو) بحق للحكومة الفرنسية أن تعترض على منح الحكومة العربية للحكومة البريطانية الحق في إدارة وإنشاء وامتلاك سخط حديدى يصل ما بين حيفا والعراق . وذلك في طريق نقرر بدل التخطيط في أية حمة كانت إلى مواراة (دير الزور) شمالاً ، وبحق كذلك للحكومة البريطانية أن تنشء أمانب البترول ، كما يحق لها إنشاء سكة الحديد ، ويكون للحكومة البريطانية علاوة على ذلك حق دائم في جميع الأزمنة لتقيم تنحسين التسهيلات للسكة المذكورة والأمانب وأن تنقل الحبوش على السكة الحديدية ، ويمكنها أن تمنع هذه الحقوق حتى في زمن الحرب ، وذلك بدون خرق حياد الحكومة الفرنسية والحكومة العربية ؛ وإذا وقع خلاف في رسم الطريق لسكة الحديد وأمانب الزيت (البترول) فالحكومة البريطانية مستعدة أن تقبل تحكيم (حكم) يعينه الرئيس ولسون .

(٩) الحكومة البريطانية تعلن الحكومة الافرنسية والأمير فيصل أن غايتها الإسراع في الرسم لتجد طريقاً إن أمكن لسكة الحديدية ولأمانب البترول في الأراضي التي هي تحت الوصاية البريطانية حتى تجتلب بذلك التمتع بالمقوق المذكورة آمناً (أي حتى لا تستعمل حقها في المرور في الأراضي العربية) .

(١٠) — به إلى أن تقرر الحدود بين فلسطين والعراق — يكون القائد العام البريطاني الحق في احتلال محتملة على الحدود التي تدعيها الحكومة البريطانية .
(١١) لما كانت الحكومة البريطانية قد اتهمت على عانتها حماية الشعب الأرميني فالحكومة البريطانية توافق على إرسال جنود فرسايين حالا عن طريق مرسين والاسكندرية لهذا الغرض ؟

باريس ١٤ سبتمبر ١٩١٩

رد سمو الأمير فيصل بن الحسين

على مذكرة المستر لويد جورج الأولى

« النص »

لندن في ٢١ سبتمبر ١٩١٩

حضرة صاحب القنصلية :

لي الشرف بأن أصعب بين يدي خاتمتكم خلاصة جوابي على الذكرة التي تفضلتم باعطائي صورة منها يوم الجمعة في ١٩ سبتمبر ١٩١٩ وذكركم أمكم دفعتم المسيو كذا في ١٣ سبتمبر نسخة منها أصاً ، وكذلك للمدرب الأبركي المستر فولك في ١٥ منه أقول :
(١) إن هذا الاتفاق الأخير محقق تماماً بموافق العرب وبجانب ما كانوا يتوقعونه من الحكومة في الميثلين خاصة . ومن العالم المسلمين عامة ، بعد الذي قاموا به من مقالة الخلافة وحمل البلاد المقدسة ميداناً للحرب ، انتصاراً لبدأ جاهر به الخفاء رسمياً وفي محرم وكتاباتهم الماثورة .

(٢) إن العرب الذين جرى الاتفاق على ملادهم ، وبدون علم منهم أئمة ، لا يمكنهم أن يعتبروا بما وقع ، ولا أن يتحملوا ثمة الرضى بما يفضى إلى بوارهم على غير ما تم اجترحوه
(٣) إن معاهدة سنة ١٩١٦ التي جاءت دعامة هذا الاتفاق ليست معروفة رسمياً عند العرب ، ولا هي مما يسوع أن يمول عليه بعد الذي وقع من إجماع الحلفاء والدول المشتركة على نحو المعاهدات السرية وبعد الذي تلقاه العرب بشأنها من وزارة خارجية

خارجية جلاجل الملك فصار دأ على اعتراض والذى عليها ، عند ما وقعت إليه سحنة منها مشورة في حريدة (المستقبل) الباربية نقلا عن صحف الشام القى أداها فيها حمل باشا التركي في يونيو سنة ١٩١٨ لإثارة الحواطر ، وهذا من البرقية :

« إن الوثائق لم يحدوا في وزارة الخارجية في بتعداد مساعدة مقودة ، بل محاورات ومعادنات مؤقّة بين إنجلترا وفرنسا وروسيا في أوئل الحرب لمع دهااب من الدول أثناء مواصلة القتال ضدّ الترك . وذلك قبل الهبة البرية ؛ وإن جبال باشا — إما من الجبل أو انلبث — غير في مقصدها الأساس . وأهل شروطها القاضية ضرورة رمى الأهالي ، وحماية مصالحهم . وقد نعامل ماوقع بعد ذلك من أن قيام الحركة العربية ونجاحها الباهر ، واسحاب روسيا قد أوجد حالة أخرى تختلف عما كانت عليه بالسكية منذ أمد مضى » .

وقد زكى هذا القول المنوط مرضى الشعب وشيئته ما فسته لدوتان المظلمات (إنجلترا وفرنسا) من تأكيد ذلك بالشور القى أصدرناه معاً في نوفمبر سنة ١٩١٨ فضلاً عن قانون جمعية الأمم ، القى لم ينضب مداده بعد ، وآخرها بلاغ السكولونيل ماينس هارجن بحضور السيولافوكارد « إن الحكومة البريطانية لا ترغب أى شعب على قبول انتداب لاجريده » .

(٤) إن القائد العام الذى يقود جيوش الحلفاء المشتركة قد بلما رسمياً في أوئل احتلال سورية وغيرها ، مرة عن طريق المندوبين السياسيين بالقول والسكابة : إنه المسئول الرسمي الوحيد من إدارة البلاد جميعها باسم الحلفاء ، ولدى مؤتمر السلام واسطة نظارة الحرية البريطانية . وقد أيد هذا القول الضابط السياسى الأعلى البريطانى السكولونيل (ماينس) أثناء الاحتجاج الرسمي في الشام يوم الثلاثاء ٩ ستمبر سنة ١٩١٩ محصور المتمد الإفرنسى السيولافوكارد . وقد دام هذا الاحتلال سنة كاملة . ولا أرى من الأمهات السكابة ما بدعو إلى تمييز هذا النظام في هذه البرهة القصيرة الباقية لفقد الصالح — كما تقولون — مع تركيا .

(٥) يأبى العرب أن يعترفوا بأمر لا علم لهم به ، وباجتماع لم يشهده أحد منهم

وبقرار لم يشتركوا فيه في الوقت الذي تسوى فيه مسئولية الجميع لدى القائد العام للجيوش الحلفاء .

(٦) إن المرفوف رسمياً أن الدباير الحاضرة المتخذة في سورية مؤقتة . وقد جاء في تلك (المذكرة الملحقة) أيضاً أن الدباير المقصودة مؤقتة . فامضى استبدال أمر مؤقت عنه ؟ وما الفرق بين التدبيرين حتى يقوم أحدهما مقام الآخر ، ويعمل عووجه في وقت غير مناسب ، ومع سهولة إتمام الحطة حتى القرار الأخير ؟ وإني أحذر أولى الشئ من فائدة الأمر أن تنفيذ هذه الحطة الجديدة سيؤدي إلى ما لا نحمد عقباه في البلاد العربية . ونفع المسئولية على عاتق الذي أبرم ذلك القرار الطالم المفقوت .

(٧) جاء في الفقرة الثالثة من المذكرة المحقة بأن هذا التدبير والتنفيذ في مواقع الحمايات العسكرية قد جرى على مقتضى عهود وتصريحات إنجلترا وفرنسا ، ليس فقط بينهما ؛ بل بين كل منهما وبين العرب . وما أرى لا أملك سعة من هذه العهود والتصريحات القضية تمزيق وحدة البلاد . ولا سيما بين العرب وفرنسا مباشرة ، فزعمكم أن تنصلوا ما عطيني سعة منها موقعة فإنه لا علم لي بغير المساعدة المتعددة بين بريطانيا العظمى والعرب وعلى خلاف ما يقضى به الاتفاق الأخير وبالصریح الذي أصدرته الحكومتان معاً لإعطاء الشعب حرية الاختيار (١٩١٨) .

(٨) ومع أن المعاهدة تذكر أن التدبير مؤقت . فإنني أحتج بشدة على ما ورد في المذكرة للملحة بشأن الترخوم وتهددها . وإني أرى في ذكر الحدود واستعداد الحكومة البريطانية لقبول الحديد برهاناً قاطعاً على تمزقة البلاد ، ودخولاً لا مدحوع له في شأن مصيرها قبل أن يصدر أي قرار من مؤتمر السلام عنه .

(٩) إني أسأل بريطانيا العظمى التي صرحت أنها لا تقبل انتهاكاً في سورية مما جرى معها السابق الذي انتهت عليه معاهدتها مع العرب . فإنها أكدت لم (أنها تنقره باستقلال العرب وتأخذ مناصره) فهل ترضى بريطانيا العظمى أن تقول للعرب : لا شأن لي معكم منذ فإن مصالح اليوم غير مصالح الأمس ، وهي التي قد طالما جازمت بإصاف الشعوب الظلومة ، وقائنات دون الضعيف المستهدف للطامع الحسيسة الأشمية ؟ ذلك

ما أنكر الحكم فيه لوحدان لغضبتكم وللرأى العام البريطاني الكريم .

(١٠) إذا كان لابد من (انسحاب) الجيوش البريطانية في سورية ، فلماذا لا تنسحب أيضاً سائر الجيوش الأوربية ، وتترك المسؤولية للحكومة العربية المستعدة لقبول تلك المسؤولية لدى الحلفاء والدول المشتركة معهم لحماية الأمن العام في البلاد ربنا يرم مؤتمراً السلام قراره بشأن مصير سورية .

(١١) هذه هي المحاورات الابتدائية التي أردت سطها تقديمكم .

وفي الختام أطالب إزاء ذلك التدبير المقترح بين فرنسا و إنجلترا والسككية . لأنه يحرف المراد من قانون جمعية الأمم . وينافس اليهود ا بية على أساس الشرف القوي ؛ وإياه فوق ذلك رجوع غير عادل إلى سياسة الاستعمار الأشمعي الذي يسى هدم بنيانه بصد هذه الحرب هدماً لا قيام بعده . وسيضططر العرب من أن يدافعوا عن وحدتهم ووجودهم بأقصى ما لديهم من قوة وحجة ، ثم إهم لا يدمون وسيلة يفشرون فيها العالم المتشدن أجمع ما جرى من تمزيق الماهدات وتبديل الخطة الموصوعة ، مهما قيل في شأنها إنها مؤقتة ، فإن الحالة النفسية لأهالي البلاد تحملهم على الاعتقاد بأن هذا الترتيب مقدمة إلى تقسيم واقع ، ولن يقبلوا في ذلك مطرفة أو حجة . ولا أدري كيف رضى القائد — مع معرفته بذلك الحقائق — أن يعرض البلاد التي ساعد على تحريرها إلى قلاقل مؤكدة . ولا حرم أنه من الأنوع ترك الحالة على ما هي عليه ، أو انسحاب الجيوش الأوربية برمتها ربنا يرم القرار الأخير .

هذا ما أردت بيانه لغضبتكم تحلياً من كل مسئولية لديكم ولدى العالم أجمع وتفضلوا قبول فائق احترامي وتعتياني ؟

التوقيع

.....

نص الكتاب الإضافي

لندن في ٢٣ سبتمبر سنة ١٩١٩

رئيس الوزارة البريطانية العظمى :

حضرة صاحب العظمة :

لي الشرف أن أئتمن لكم الملعونة التالية - علاوة على المذكرة التي تقدمتها
إليكم بالأمس والمؤرخة ٢١ سبتمبر ١٩١٩ .

استدعى حضرة القائد العام للجيش المحافظة في سورية ، وسألى بالأمس أن يبحث
معه بشأن (انسحاب) الجيوش البريطانية من البلاد . وقد أبدت عائلته بأن أرض
البحث في هذا الموضوع ، ويبت الأسباب لذلك الرفض .

وها هي أدكر قمتكم أيضاً بأن الخيال البريطاني في بيروت عند ما أحبر الجيوش
العربية على الإسحاب من المنطقة الساحلية قد كتب لقائدنا العربي الخيال شكرى باشا
بأن الموجب لهذا السير عسكري محض ومؤقت إلى أن يصدر قرار مؤتمر السلام بشأن
مستقبل البلاد . والقوات البريطانية هي التي تولت نفسها إزال الأعلام العربية المروعة
على سايات الحكومة وغيرها واسطة الأهلين .

ولقد الأسباب أطلب أحد أمرين : إما إعادة السواحل إلى الجيوش العربية كما
كانت عليه الحال في أوئل الاحتلال . وهي تتولى مسئولية الأمن وحماية البلاد إلى أن
تتم النهاية ، وإما بقاء الحال على ما هي عليه الآن إلى الحين المذكور . وتعضلوا بقول
قائنا الاحترام والاجلال ؟

الوقيع

.....

كتاب آخر من الأمير فيصل لرئيس الوزارة البريطانية

١٩ أكتوبر سنة ١٩١٩ .

رئيس الوزارة البريطانية المظم :

حضرة صاحب المعظمة :

قد تفصلتم فأبأنتموا عدد اجتماعي (حيد حول) مذيومين : أن الأزمة لأحيرة
حالت بيسكم وبين الرد على مذكرتي المؤرخة في ٢١ سبتمبر سنة ١٩١٩ وأمسك غارمون
على إرسال الجواب في أقرب مدة . فأشكركم عن ذلك اللطف الخزيل ، وإنما لما كانت
الأزمة قريبة الوقوع تعاسرت على تقديم هذا الكتاب سلفاً وإني أصع فيه أتمسك
المطالب الآتية .

لقد بسطت لكم ساعفاً آرائي عن الوفاق الأخير في باريس ، ولا أقصد الآن
إلا أن أؤكد لكم بأني لم أدل على ذلك الرأي . ومهما يكن في ذلك الوفاق من حسن
أوقع ، فالواقع أنه سينظر إليه من جمهور السكان بسخط عظيم . ولأوضح أن اسحاب
الجيوش البريطانية من سورية يؤدي إلى كارثة عطية ، يكون فيها القضاء على العالم
العربي وعلى المشروع العمومي الذي يدود عنه الخلاء ، وإني شديد الرغبة أن أتحب كل
ما يؤدي إلى إحراج المركز ، أو ما يؤل إلى اضطراب الحبل بين الحلفاء والعرب ، وما يمكن
أن يقضى أيضاً إلى جعل النسوبة على قاعدة مقبولة من المسحيل ، وأريد أن أبدل
جهدى لأؤيد الوفاق المكتوب بالدم المراق من الجميع بصرة الحق والدل . ورعة في
مع أي حادث يؤدي إلى زيادة الخطورة في المركز رأيت أن أعرض انتم منكم ما أتاني :

(١) إمام القرار الباريسي ، أوفي الأثل إرجاء العمل به

(٢) أن تعرض المسألة كلها على مؤتمر السلام لتسويتها النهائية بدون تأجيل ، وبالطرق
فيها من قبل المؤتمر بأجمعه ، أو من لجنة أخرى فرعية يبينها المؤتمر ، تؤلف من أعضاء
بريطانيين وفرنساويين وعرب تحت رئاسة أحد الأمريكان للبحث في هذه المسألة الخطيرة
ولتقديم قرار عن ذلك إلى مؤتمر السلام .

إني أعتبر إلغاء ذلك القرار الرئيسي من الأوليات الجبوية للوصول إلى حل مرضي .
وبأنه إن لم يعمل ذلك فالسكارتنة في سورية يجعل وقوعها . وربما نظراً أمور تجمع
المباحثات الودية . ولذلك فإنا أثق بأن مطالبي هذه التي هي جوهرية لصالح الجميع تقابل
من في منكم بالاستحسان ، وإني معتمد على مساعدة الحكومة البريطانية لنا كيدها .
وأرجو من في منكم أن تتكرموا على المخابر في أسرع أوان ، وتوصلوا بقبول فائق الاحترام .

التوقيع

...

صورة الكتاب الوارد من رئيس الوزارة البريطانية

١٠ دوتج - سويت

(لندن) ١٠ أكتوبر سنة ١٩١٩

يا صاحب السمو :

وصلني كتابكم المؤرخ في ٩ أكتوبر الذي تترأون فيه أن الاقتراحات عن احتلال
سوريا بعد الاستباحة البريطانية ينبغي أن تلتفى ، أو على الأقل تؤجل ، وأن القضية كلها
تعرض على مؤتمر الصبح ، أو على مؤتمر فرعي يعينه المؤتمر لأجل التسوية النهائية بدون تأخير .
لأظن أنه يجب على أن أبحث مرة ثانية في الدواعي التي حملت حكومة جلالتك
على عرض الاقتراحات المذكورة في المذكرة ، لأنها قد أوضحت كفاية في الكتاب المرسل
إليكم من قبل وزير الخارجية . وانلك الأسباب المذكورة لا يطهر لي أن الاقتراح الذي
تدوم الآن يمكن العمل به . لحكومة جلالتك قد أقرت عزمها على أنه يستحيل عليها
أن تدوم على احتلال سورية بالخيش البريطانية . وقد أعلنت منذ ستة أشهر مضت
لمؤتمر السلم ولذا نكم أيضاً أنها لا تقبل انتداباً في سورية في أية حال من الأحوال ،
فاحتلالها للبلاد الذي كبدها مبالغ قد طال أكثر مما كان في انتظاراتها على أمل
أن مؤتمر السلام يقدر على مباشرة البحث في القضية التركية بعد بضعة شهور ، ومرض
الرئيس ولسون المسكن الذي بدون مشاركته بالعمل معنا لا يمكن الوصول إلى بت نهائي

سيؤجل عوضاً عن أن يجعل البت في هذه القضية .
وعليه فن المستحيل لحكومة حللته أن تدع الاقتراحات التي أعلتها لفصل في
القضية السورية أثناء التأجيل إلى أن يفصل فيها مؤتمر السلام .

على أنها نسر حلاً بأن تدرس سريعاً اجتماعاً بين ذنكم ومفوض فرساي وأمريكا
وبريطانيا لتسوية القضايا المتعقدة بالانسحاب الذي وقوعه لحيوش البريطانية في أول
نوفمبر على أحسن طريقة حية مرضية للجميع .

وكما أبلغكم ببلأ ان أرفع في استماع مطامع سموك شعصياً في مواجهة ناية عن
هذه المسألة نهار الاثنين القادم الساعة الرابعة في ١٠ دونج سقرت ، وإن لي الشرف أن
أكون خادم سموك المطيع .

لويد جورج

رئيس الوزارة للبريطانية

مذكرة من وزارة الخارجية الانكليزية للأمير فيصل

مظارة الخارجية البريطانية .

لندن في ٩ أكتوبر سنة ١٩١٩ :

بإصاحب السمو :

لي الشرف أن أسنكم موصول الملاحظات الابتدائية التي فصلتم بتمليها على مذكرة
رئيس الوزارة التي قدمه للدو-يو كايمنصو واشخصكم عن الاحتلال العسكري في سورية
ود-طين والفرق و نأيا يرم مؤتمر السلام قراره بشأن الاتذاب . وقد أرسلت سحاً منها
أبعاً إلى كل من الستر فولك مندوب الولايات المتحدة الأميركية وإلى السنيور تينوني
مندوب المملكة الإيطالية :

وباء على مايلوح لنا من أن هالك سوء تفام في مفرى المذكرة فاني أريد — قبل كل
شيء — أن أبين أن تلك الوثيقة المذكورة لا تمثل بأي وجه من الوجوه اتفاقاً بين الحكومتين

الإفريقية والبريطانية ، بل تشمل على مقترحات قدمتها الحكومة البريطانية من نقام
مها عن الاحتلال العسكري والولايات التي كانت فيما سبق من الزمن تابعة لتركيا —
إلى بقرار مؤتمر اللام مسألة استقلالها نهائياً .

وهذه المقترحات التي تنسك بها الحكومة البريطانية لم تضمنها إلا بعد أن قررت أنه
يستحيل أن تستمر على احتلال سورية بالجيش البريطانية . وقد دعمت الحكومة
البريطانية إلى أوروبا وأسرت في تدبير أمر سرهم قبل أن نابع هذا القرار للحكومة
الفرنساوية أو المؤتمر ، وروعت تلك المقترحات في يدكم للفظر فيها على أن وصولكم .

وبعده أن سموكم تطرون إلى هذا التدبير المقترح لا سفندال الجيوش البريطانية
بالإفريقية والعربية كأم من بعض الرجوع معاذر اليهود التي عقدتها حكومة حلالة الملك مع
والدكم الحليل جلالة الشريف حسين ملك الحجاز .

ودمما لحصول أدنى سوء نعام بشأن هذا الأمر ، فإنني أبعث إليكم بالمراسلات التي
دارت بين والدكم الحليل ملك الحجاز وبين نائب حلالة الملك بمصر وأدت بموجب
الشروط التي تشمل عليها إلى دخول العرب في الحرب ضد تركيا . وهذه الأوراق تحتوي
على جميع المستكبات المختصة بهذا الموضوع وهي في حيازة حكومة حلالة الملك .

أما الوثيقة التي قدمنوها سموكم لرئيس الوزارة في الاحتجاج الذي ابتعد مدد بصفة أيام
بعض فقط خلاصة الشروط التي طلبها الملك حسين في وقت سابق ، ولكها لم توجد حين
لاعتدروا ولم تُقبل . ولذلك لا دخل لها في مسألة الموضوع على ساطع البحث .

وإنه لمن الواضح لسموكم من المستكبات المرسلة طيه أن حكومة حلالة الملك
تبيئت من لأول أنه في رأيها أن مقتضات — مرسين واسكندرية وبعض أنام سورية
و... بل عرب مدفدت دمشق وحما وحلب — لا يمكن أن يقال عنها : إنها عربية
... ، وإنه يابى إحراجها من الحدود مقترحة وإحوم التي كانت الحكومة البريطانية
مسجلة أن تعترف باستقلال العرب فيها ، ولها ملء الحرية أن تنصرف فيها بما لا ينافي
مصالح حليمتها فرنسا . وهذه الفقرات واردة في كتاب السرمدي مكهاون إلى حلالة
الشريف بتاريخ ٢٥ أكتوبر سنة ١٩١٥ . وقد أجاب جلالة الشريف حسين عن هذا
الكتاب في ٥ نوفمبر بقوله .

« به يتدخل عن الحاجة بإدخال ولايتي مرسين وأطنة في المملكة العربية »
ولكنه صرح بأن :

« ولاية حلب و بيروت وسواهما بما هي ولايات عربية خالصة »

ورداً على هذا الكتاب قال نائب جلالة الملك عصفري ١٤ ديسمبر ما يأتي :

« إني برحب بمعرفة جلالة الشريف على إنشاء ولاية مرسين وأطنة من حدود
الأماص العربية » .

وزاد على ذلك ما يأتي :

« أما بما يخص ولاية حلب و بيروت : الحكومة البريطانية العظمى قد نظرت بعين
الاعتبار إلى ملاحظتكم . ولكن بما أن مصالح حلبنا داخلية في هذه المسألة فيقتضي
لذلك اعتبارات مهمة ، ومراسلات أخرى عن الموضوع تقدم لكم في حينها »
وأما الحاجة إلى مكتوبة جديدة فقد استمى عنها ، لورود كتاب من جلالة الشريف
حسين مؤرخ في أول يناير سنة ١٩١٦ يقول فيه :

« به بخصوص الأقسام الشمالية وسواها قد أوصحنا أولاً في كنت لا في ما يمكننا
القول به من الحيريات ، وقد وجب ذلك لإتمام المطلب التي بلوغها مسوط بمشيتنه
سمحيه وتدل ، إن هذا الشعور ذاته . وهذه الرغبة التي تمشا على تحسب كل ما يمكن أن
يصير ما أهله ، من إحتنا وفرنسا والاتفاق المعتقد بينهما مدة الحرب و رأيها ، على أما
يحد أن من واجبنا أن نؤكد لحصرة الوزير أنه عند ستوح أول مرة بعد انتهاء الحرب
طدكم بما نحن المظر عنه الآن افرسا في بيروت وسواها »

وقد شرح جلالة ذلك الرأي بقوله فيما بعد :

« من المؤكد أن الأهليين في بيروت لن يقبلوا هذه الاستثناءات وربما أجبروا أن
سخذ أموراً جديدة قد تعود على بريطانيا العظمى بما لا يقبل عن مشاكلنا الحاضرة ،
لأننا نعتقد ونؤكد أن مصالحنا متبادلة . وهذا الأمر هو الذي جبلنا أن لا نخطب دولة
غيركم ، ولذلك يستحيل علينا أن نسمع بأي تموير يحول فرنسا أي نفوذ أو أي شيء
واحد من الأرض في تلك البقاع » .

وفي ٢٥ يناير أجاب نائب الملك بمصر بما يأتي :

« أما عن الأقسام الشمالية : فقد لاحظنا بمزيد الرضى أسكن ترغبون أن تتجنبوا كل ما يصير بالمعاهدة بين بريطانيا العظمى وفرنسا . لأن ذلك كما تعلمون عززنا الأكيد ، وأنه لا يمكن أن يطرأ أى شخص بمحور ولو فى أقل الدرجات تصاممتا على مداومة الحرب إلى نتيجة الضرر . وعلاوة على ذلك فالمعاهدة بين بريطانيا العظمى وفرنسا متى تقرر الضرر تزيد رسوخاً وثباتاً لأنها تكون موقعة بدماء البحار والفرسبين الدين ماتوا حياً لحب ذاتين عن اللدل والحريه »

تلك كانت آخر المكائنات التى دارت عن هذا الموضوع قبل الحاجة المشتركة التى انتهت فى نوفمبر سنة ١٩١٨ بإندحار الحىوش التركية التام .

ويتضح من هذه الرسائل أمران :

الأول « أن الحكومة البريطانية مرتبطة بمواثيقها مع الملك حسين أن تعترف بتأسيس مملكة عربية مستقلة ، تشمل حدودها على المثلث الأربع ، وهى الشام وحماة وحمص وحلب »

الثانى . « أن الحكومة البريطانية قد أوصحت بلا إلهام بجلالة والدهم قبل دخول العرب فى الحرب أنهم يعتبرون أن امرئنا حقوقاً خاصة فى البقاع الواقعة إلى غرب هذه المدن الأربع »

وحكومة جلالة تحب أن تزيد على هذا : أنه فى سنة ١٩١٦ حينما انتفضت المصاحبة الحربية العمومية أن يبرم اء مع فرنسا وروسيا عن احلال الولايات التركية — عند سقوط تركيا — ألحت حكومة جلالة الملك على الاحتياط باستقلال العرب فى الولايات التى وعدت أن تحتفظ بها فى مراسلاتها مع الملك حسين . ولم تبلغ هذا الاندق هناك حسين . لأنه كان له القاد لمهود التى دخلت معه بموجبها من قبل .

وفد كل موقف حكومة جلالة الملك فى كل هذه المخابرات واصحها دائماً وغير متبدل ، وقد دخلت مع حليفها الفرنسي والعرب بموجب شروط لا تتغير ، بل كل واحد منها متمم للآخر . وحكومة جلالاته تلتقى اهتماماً عظيماً على صداقه حليفها واشتراكهما فى الصل ، وتنوى أن تقوم تهمذاتها لكل واحد منهما .

وأما الآن : فأقول شيئاً عن سؤال سموكم عن السبب الموحب لنهاية الاحتلال العسكري
البريطاني لسورية ، عوضاً عن تأجيله حتى يتقرر الصلح مع تركيا وحلفائها .
إن حكومة جلالة الملك يسرها أن تعترف اعترافاً تاماً بالمساعدة التي لم يكن غنى
عنها والتي دلهها الملك حسين وشخصكم الكريم والحيش العربي الدامل تحت قيادةكم
تأييداً لقضية الحلفاء . فإن حماسة وشايط جيوش سموكم كانت عضداً مهماً في الحرب التي
انتهت بفقر الاستبداد التركي . ولكن حكومة جلالة الملك لا يمكنها أن تدعي أن الحصة
العسكرية في فهم تركيا قد كانت من نصيب المملكة البريطانية . فإنها منذ البداية إلى
النهاية قد أرسلت إلى ميدان الحرب الشرقي ما يفي على ما بين وأرسلت ألف جندي ،
وأعطت سبعائة وخمسين ما يونياً من الحيات . وقد كانت هذه الأتقل علاوة على الصحايا
العسكرية التي اضطرت لإيها في أوروبا لحطم قوة الألمان التي كانت تدعم الإمبراطورية
العثمانية . فشعوب الإمبراطورية البريطانية قد حشرت أكثر من ثمانية وخمسين ألف
سنة في ذلك السيل . وحرت على نفسها ديناً طامساً يبلغ تسعة آلاف ما يون جنبيه
لتأييد حرية أم أوروبا والشعوب التي كانت من قبل تحت الير التركي . وقد تمكنتم
شعوب الإمبراطورية البريطانية هذه العقبات من مساعدة الشعوب العربية والأمم
الأوربية المستند بها وحطمت بير المستند ، لتسير في الطريق المؤدية إلى النجح والاستقلال
والنفوذ في العالم ؛ وعلاوة على هذا الجهد أثناء الحرب ، فالامبراطورية البريطانية قد تركت
حاميات في الولايات المحتلة مدة ستة منذ إمضاء الهدنة واحتمات الأتقل العاطية والتمعة
لأيد الظلم والسلام في البلاد التي نحررت من الحكم الأجنبي ، راحية أن مؤخر الصلح
يأتي محل مرض عاجلاً لجميع المشاكل الصعبة المتعلقة بمقتل الشرق الأوسط . ولكنه
ليس من الإنصاف أن يسأل « المكلف » الانجليزي بأن يتحمل أكثر مما تحمل من أتعال
احتلال الولايات التي لاتدوى الإمبراطورية أن تقبل فيها مسئولية دائمة . وقد جاهرتم
حكومة جلالتهم في مارس الأخير بمؤتمر السلام وقد أنكم أيضاً : أنها لاتقبل امتدداً في سورية
في أية حال كانت . والآن بناء على تأجيل الولايات المتحدة الأمريكية قرارها باستعدادها
للقول أورفض المشاركة في تأييد خير ونجاح شعوب الشرق الأوسط . فلا أمل في تقرير
سلم نهائي مع تركيا قبل مضي بعض الوقت من السنة المقبلة .

وعلى هذه الحالة قد قررت حكومة جلالة الملك : أنه يستحيل عليها إبقاء حيونها بعد في سورية . وأعلنت المؤتمر بذلك . وهي تنوي سحبهم في أول نوفمبر القادم .

وقد ذكرتم سموكم في مذكرة أخرى مؤرخة في ٢٣ سبتمبر مسألة الشروط التي عليها أحست القوات العربية مدس السجل حين تقدم الجيش . فحكومة جلالة لا تريد أن تذكر بأن سموكم تعتبرون امتثال أوامر القائد العام الذي كنتم تحت أمره (وهي أوامر كانت عنده قوة كافية لإبادة دها) نتيجة مقاومة . أما إن سموكم قد اعتقدتم أن الاحتلال العربي سيؤدي إلى إفساد السلام فأمرهم جيداً . لأن ذلك كان أيضاً في رأي حكومة جلالة في ذلك الوقت . وقد أطالت أجل الاحتلال البريطاني أكثر مما كانت تظن هي أو غيرها من الأرحح ، لكن بالنظر إلى المساء القادح الواقع عليها فمن حقها أن تلجأ أن احتلالها ينسحب أو ينهي . وهي عندما أسأت مؤتمر السلام بما سبق ذكره عن عزها على سحب حيونها حالاً عرضت حكومة جلالة مشروع الاحتلال المؤقت للبيع التي كانت سابقاً تركية ، كما هو منشور في المذكرة . وهي لا ترى أن هناك اقتراحاً يمكن العمل به في خلال هذه الدعة . ولا يوجد رجل ثقة يعتقد بقدرة الشعب السوري على القيام بشئون نفسه في الوقت الحاضر ، فتجربة هذا الحل الذي تشيرون به يكون مصراً لفرق الشعب السوري سريعاً ، وبجلاء الحرية . وبالنتيجة لاستقلال الشعوب السورية والعربية ، وعلاوة على ذلك فإنه ينبغي — ربما يتقرر الصالح مع تركيا — أن تحمل قوة أوربية من الدرجة الأولى الدفاع الواقعة إلى الحروب الشرق من الأماضول ، وعرضها هذا الاقتراح ، كما هو مفصل في المذكرة ، قد نظرت حكومة جلالة إنك إلى المبادئ التي تحتلها نحو حلها العرب والفرنسيين . وهي تهدات — كما سبق إيضاحه — قد بُيئت للملك — بين قبل دخوله في الحرب . وهي لم تستطيع إلا بعد صعوبة أن توطن لسموكم تأسيس مملكة عربية مستقلة في ذلك القسم من سورية المشتغل على دمشق وحماة وحمص وحلب كما سبق الوعد العرب مع الملك — بين .

أما فيما يتعلق باحتلال فرنسا لبقية سورية فهي تسأل سموكم : أن تذكروا إن العرب مدبرون بنيل حريتهم بدرجة عطشى للضحايا المظلمة التي تكبدتها الأمة القرواوية

في هذه الحرب . وحقيق أن المساعدة الفرنسية في سوريا عينا لم تكن عظيمة لاشتغال فرنسا بالمرآك في جهات أخرى غيرها ، ولكنها في ميادين الحرب الحيوية في أوروبا قد خسرت مليون وأربعمائة ألف جندي ، وتكبدت دينا لا يقل عن الدين الذي تكبدته بريطانيا العظمى لحرق القوة التي أبدت الاستبداد التركي ، والتي لولا موتها لم تستطع القوة الحربية التركية من أن تدوم أكثر من بضعة أسابيع .

ولذلك لحكومة جلالة الملك تؤمل من سموكم أن ترسموا بالانفراحت التي يمنحها في مذكرتها عن احتلال سورية ريثما يتم الصالح مع تركيا . وأما الاعتبارات التي تذكرها عن مستقبل الشعب السوري والعري فمطلب بالخاص من مؤتمر السلام — الذي أنتم أحد أعضائه المقربين — والذي يكون له القوة النامية للبت في المسألة العربية كلها ، والذي لا يقتصر في أمثاله على رأي سموكم ورأي الشعب العربي فقط ؛ بل يتناول سائر التدهانات والجاهرات الصادرة من الدول العظمى .

وإن حكومة جلالة الملك لا تشك أبداً في أن أحسن الطرق للشعب العربي : هو أن يقبل التدبير المؤقت المقترح ، وأن يدخل في تدابير حامية عملية لأجل بهده مع حليفه بريطانيا العظمى وفرنسا ، وهي كما أشارت سابقاً تلعب الآن بأن سموكم تمشون حالا في هذه التدابير مع الحكومة الفرنسية ، وحكومة جلالة تعمل ما في وسعها كل مرور لتسهيل اتفاق مرضي بين حليفها فيما يتعلق بالاحتلال — بحماية هذه المدة

وتعتبر الحكومة البريطانية أنها مقصرة بواجبها نحو حلفائها العرب إذا لم توضح حرصها وبكل مودة أنها لا تقدر أن تتصور شيئاً أشد خطراً لآمال العرب ومحاسنهم في مؤتمر السلم وبعده من طريقة المقاومة العسكرية الملح إليها في كتاب سموكم ، وهي بصفتها صديقة العرب الحفصة والمريدة لم كل خير ندعوم إلى قبول التدبير المقترح .

وعلاوة على ذلك أرجو أن يكون هذا الكتاب معينا على نجاح محادثتنا في المستقبل مع سموكم ، والتي أنطلق إليها بكل سرور ، وإلى أنق أنه يكون وسيلة لتقريب العلاقات بين هذه البلاد وحليفها الرئيس والعرب .

وإني أتمنى من سموكم أن تثقوا بأن للحكومة البريطانية العاطفة والإعجاب بالشعب العربي الذين حملوها على تأييد جلالة الملك حسين في نوره ضد الترك ، والذين يمثلون

طرق الملاقة مع سموكم في الحرب العظيمة الظافرة التي اشتركتم سموكم في الجهاد فيها زمناً طويلاً .

ولي الشرف أن أكون خادم سموكم الخاضع الطائع ؟

الغورد كرزون أوف مدلتون

وكيل خارجية حكومة جلالة الله

مذكرة

إلى المجلس الأعلى لمؤتمر السلام في فرساي

استدعاني فخامة رئيس الوزارة البريطانية من دمشق في خلال شهر سبتمبر لمناقشة الدول العظمى في المسألة السورية . ولعلني فخامته في لوندرة مذكرة تحتوي على تلميحات معينة في الإدارة الحالية في سورية . وقال إن سعياً منها سلت لندوني عرساً وأمريكا وإيطاليا . وقد فهمت من الكلمات والمعاملات التي تبنت ذلك أن المذكرة المشار إليها لم تكن مبنية على اتفاق بين بريطانيا العظمى وأية دولة أخرى . وإعنا هي بيان لقرار اتخذه بريطانيا العظمى لأسباب اقتصادية فيما يتعلق بإسحاب جيوشها من بعض الولايات العربية ، ويقال إن المسألة كلها اتفاق عسكري مؤقت . وليس له صفة إدارية أو سياسة ، وإنما اتخذ لحفظ النظام إلى القرار النهائي الذي سيصدره مؤتمر السلام عن حكومة البلاد المستقلة .

فأعنت الطرق هذه المكابيات ، ولما كنت أراقب عن كثب الحالة العامة في اسلاد العربية منذ عقدت الهدنة مع الترك . ولا يخفى على حضراتكم أي في مواقف يؤهلني للحكم بأحوال بلادى . فقد وصلت إلى النتيجة الآتية :

إن تنفيذ هذا المشروع بحاف لحقوق الأمم ، وبحرف بحقوق شتى وبلادى ، ومحل بالأمن العام في الشرق كله ، وإني واثق أن الدول العظمى ذات المصالح في الشرق يصعبه من الضرر بقدر ما لها من المصالح هناك ، وأن الدولتين لا يمكن أن تكونوا عاتين

بالمشاكل التي قد تقع من تغيير الحالة الحاضرة المؤسسة منذ لاحتلال ، لأن هذا الاتفاق يعبر الإدارة المؤقتة منذ الاحتلال ، فلا اتخاذ تدبير مؤقت يقوم مقامه .

لما أحترمت الحكومة البريطانية عن هذا المشروع الذي يسموه (مشروطاً مقترحاً) منبياً على معاهدة سايبكس — بيكوس سنة ١٩١٦ احتجحت ودونت الأسباب التي دعيت إلى ذلك . فلما تحققت الحكومة البريطانية حرج الوافد فبات اقتراحى بتعيين لجنة أمريكية وبريطانية وفرنسية وعربية للطرفين المسائل المتنازعة بالجللاء الآلى ، وإنـسـيس إدارة واحدة مؤقتة تقوم مقام الإدارة الحاضرة . فلما عرض هذا الاقتراح على الحكومة الفرنسية أخرى الورد كردن وزير خارجية بريطانيا العظمى أن المسيو كلمصور لم يستحسن هذا الاقتراح ، وأعرب عن رغبته في أن يرأى في باريس ، وعلاوة على ذلك فإن الحكومة الفرنسية رفضت الموافقة كما هي وأحترمت نفسها على اقتراح بريطانيا إلا فيما يخص عملاء الجيوش البريطانية في أول نوفمبر ، فالحكومتان بطرقتا فقط إلى ما يمتص عصلهما في المسألة ولم تقدر التقدير اللارم لما يكون لذلك من التأثير في الشعب السورى ، ولما كانت على مسئولية سلامة وبماح بلادى فقد أحترمت الحكومة الفرنسية كذلك عن الأسباب التي تمنعني عن الموافقة على هذا الاتفاق ، وأعدت عليها الاقتراح بتأيم اللجنة المختصة ، ورئيس الوزراء الفرنسية في رده على رفض قبول أى اقتراح من اقتراحاتى ، عتقاداً منه أن المجلس الأعلى قد اتخذ قراراً في هذا الأمر . وقال إن : الجيود الفرنسية مستعدة لحفظ النظام في ممتلكاتها ومساكنى على ذلك في ممتلكي حاسبا أطلب ذلك منها . وطئ أن المسيو كلمصور يعتقد أن الحركة التي عمتها يكون سبب المحرضون ، وليس انجباراً ذاتيا لشعور وطنى . وإنى في ريب من أن المجلس الأعلى ولرأى العام في العالم اللسدن أجمع يوافق على اتخاذ الوسائل لاتخاذ الحركات الوطنية المشروعة مما لا يكون من نتائجها إلسفك الدماء . وقد همت أن المجلس الأعلى لم ينعقد أى قرار في هذا الأمر . ولقد أعلمه أن غاية مامعه : أنه دون هذا الاتفاق في ١٥ سبتمبر . ويظهر أن المجلس الأعلى فهم أن هذا المشروع المقترح لم تكرر العاية منه سوى استبدال الجيوش ، وأنه لم يشمل أى تغيير سياسى أو إدارى في بلاد العدو المحتلة التي تدارشونها الآن باسم الحلفاء . من الواضح إذن أن المشروع المقترح لم يوافق عايله أولو الأمر المنط بهم ذلك ، وبمجب

أن يعاد النظر والمناقشة فيه في المجلس الأعلى ، وإني أعرض فيما يأتي الأحكام الجوهرية التي قد تدفع الشعب إلى اليأس من مستقبله ، والتي أرى اعتراضاً عليها على الاقتراح :

(١) يصح على أن أهم أن المشروع عسكري محض ، وبطوري أنه يتناول على أمور اقتصادية وسياسية لا يمكن استبعادها إلا في مؤتمر السلم ، فإن مجرد رفع السلطة العليا في الإدارة من يد واحدة ، وفسدة البلاد إلى ثلاث مناطق مختلفة مبرمج كل منها حكومة دون غيرها ، وكل منها تعمل على طام محض — هو لا ريب تغيير ذو شأن لا يمكن أن يقال به إجراء عسكري — فإن بعض المسائل كالاعتاق على السكك الحديدية ومناطق الحدود وغير ذلك لا تدخل في حمة الوسائل المتخذة لحفظ النظام حتى يصدر القرار النهائي في المسألة السورية من قبل مؤتمر السلم .

(٢) إنه بموجب المدير المقترح تقسم الولايات العربية إلى ثلاث مقاطعات : واحدة منها تحت الإدارة البريطانية ، والثانية تحت الإدارة الفرنسية ، والثالثة تحت الحكومة العربية . ومعنى ذلك : أن الأمة السورية التي طامست تفتت إلى وحدة الإدارة قد تقطعت أوصالها وحمل شكل جبر منها حكومة خاصة ؛ فاضطر الناس عن ذلك هو حرية فاصية على البلاد ؛ بين دواعي بين سكان المقاطعات المختلفة التي قد تكون تحت رحمة — أو رحيل — المواطنين الذين قد يشغلوا منها ، أو ترداد المواجهة بين الحكام الخاضعين ، يفتت ذلك في سبيل الفوائد التي تنجم من وضع البلاد تحت إدارة واحدة .

نعم إن لحظه لدى ترك الحكومة العربية يقال : إنه ولاية عربية مستقلة ، ومع ذلك فقد وضع تحت مودين محبين : أحدهما بريطاني . والآخر فرنسي ، وكل مساعدة لأحد هذين الجبرائين يجب أن تطالب من الدولة التي لها التفويض هناك . فهل سمع في تاريخ العالم أن أمة من الأمم أمكنها إرق في أصول مما كسبه كهذه ؟ ولا شبهة أن هذا المدير ينط عن جرائم الأمة ، ويكون مدعاة لحدتها ، فتدور نقتها بالحلواء ، وتبذل جهدها في الدفاع عن وحدة البلاد . نعم إن الأمة صعبة ، ويتنذر عليها المقاومة الطويلة ، لكنها لا تنجم عن الموت في سبيل مطالبها العادلة ، فمن يكون مسؤولاً أمام العالم المتتمدن عن مسؤولية كهذه ؟ ولا يستطيع أحد أن يقنع الأمة أنها على ضلال فيما قد وضعته نصب أعينها . وكل من

اختبر الشعور الطالب على الأمة لا بد من أن يعتقد بأن الأمن العام يمكن توطيده بدون إرادة الشعب .

(٣) قد اقترح سحب الجيوش البريطانية على أساس لا يعترف به العرب ولا حكومة الولايات المتحدة التي أعلنت عند دخولها الحرب أنها لا تعترف بأى اتفاق سرى ، وأما أشوري هذا إلى اتفاق سايكس — بيكو المبرم سنة ١٩١٦ م الذي تصرف بالبلاد كأنها خضعة من الصباغ ، أو سلعة من السلع في رسن كان فيه فتيتها يهرعون من سورية إلى الصحراء ليدل نفوسهم في سبيل استقلالها . وإن كل عمل يكون أساسه غير معترف به في مؤتمر السلم لا يمكن تمييزه بلا مشاشة خاصة في ذلك للزعم .

(٤) لما احتل الحلفاء سورية أسرى القائد العام أن استدعى عمالي من السواحل ، وصرح للشعب السوري : أنه يريد احتلال البلاد وتأسيس حكومة موحدة فيها باسم الحلفاء وأن تبقى إدارته المشكلة على هذا النمط معمولاً بها إلى أن يحين الزمن الذي يوصى فيه مؤتمر السلم قراره النهائي ، وقد اعتبر السوريون هذا الصريح عهداً من العهد ، وأن بلادهم تكون أمانة في ذمة القائد نيابة عن الحلفاء ، وأن ذلك يكون أساساً للحكومة واحدة ، وعِد على القيام بها كما ذكر آتياً . وإنى أعتقد أنه لا يمكن تشيير القواعد الأساسية في هذا التديير قبل حلول الأجل ، أو قبل إنشاء إدارة أخرى منفية على المبادئ عينها . أما بريطانيا العظمى فإنها تعترف بهذا العهد ، ولكنها تقول : إنها لم تكن تحس حساباً أطول الزمن إلى أن يفضى مؤتمر السلم قراره . فهل هذا التأخير واقع ذنبه على الأمة العربية السورية ، أو هل ظهر منا أقل إحلال بولاننا نستحق عليه هذا المقاب ، فقد كنا دائماً على تمام الولاء للحلفاء من اليوم الذي ثرما فيه على الترك ، وأقبل ما رجوه هو القيام بوعده القائد العام .

(٥) إن ثورة المواطنين الشاذلة الآن للولايات العربية وجميع الولايات الإسلامية في تركية الآسيوية التي أعظم أسسها المداخل الأجنبية بلا تروم تعد خافية على أحد ، وكل من له أنى إلمام بما هو جار في المقاطعة السورية لحوى أشد الاقتناع أنه لابد من وقوع المشاكل وفي أماكن متعددة إذا تهيأت الحالة الراهنة في الإدارة الحاضرة .

بإى لذلك أنوسل إليكم باسم الإنسانية ، وحفظاً للسلام ، وباسم الأمة العربية وباسم

المصالح المتعددة التي لفرنسا وبريطانيا وإيطاليا وأمريكا في الشرق : أن لا تفتح أبواب جديدة لمشاكل أخرى قد ترى أوائها ولا يسلم أو آخرها إلا الله ، وإن حوادث إرمير وغيرها لا تنزل حديثة العهد ، وأما أحسن أن يمتد الشر إلى جميع العالم الإسلامي طبعاً من الناس أن هناك غاية معوية للسكينة ، الإسلام ، وأصكم تفكرون أن قيام العرب زعامة والذي لذلك كانت الصرة الأولى على سياسة التعصب الدينية . فالعرب حاربوا الترك المسلمين لأنهم كانوا طائشاً ، وأصموا إلى صفوف الخلفاء لاعتد دم أسهم بحاربون دفاعاً عن الحق والعدل ولا نظر إلى الأديان ، وطول حاربت التعصب في كل زمان ومكان مدة الحرب ، فاجتمع العرب حول من كل صوب ودين وكان اتحاداً وطنياً لا دينياً ، وعدد كبير من العاملين معي الآن في سبيل الوطن ليسوا من ديني ، هذا كاف ليبرهن لكم مقدار أسنى إذا انحلت هذه الفكرة الوطنية ، وتحولت إلى نزاع ديني بسب سوء التعميم والتدبير . يبيى يد أن توافقني على قول : إن من مصلحة الجميع حفظ السكينة التامة في الزمن القصير السابق قبل القرار النهائي في المؤتمر لإثارة الفتنة لسبب غير مقبول . وأرى أنه يجب أن تعلم الدول العظمى حظوة الموقف ليتخذ الخلفاء أصحاب المصالح وإخواننا في الحرب التدبير اللازم للنظر في مصلحة كل حكومة على مقتضى مبادئ العدل التي اشتركتا في الدفاع عنها . وأمر على طلبي : أن أعرض بنسبي يدياً وإيفاً عن قضيتي التي تهتم بلادي أكثر من سواها ، لأن نتائج كل عمل يقام به ، تقع على وطني بلادي ، سواء كان ذلك شراً أو خيراً .

التوقيع ، (فيصل)

قرار

إشغال كليسيا وسورية العسكرية

لقد قبل موسيو كلنصو باسم الحكومة الفرنسية اقتراحات موسيو لويد جورج بملاحه الجيش البريطاني عن سورية وكليسيا ، واستبدال هذه القوى بمجود فرنسية في كليسيا ، وفي غرب خط سابكس — بيكوف سورية . ومن المفهوم الصريح : أن الحكومة الفرنسية بقبولها هذه الاقتراحات لم تتعهد بقبول أي قسم آخر من الاتفاقات المقترحة في مذكرة لويد جورج

المؤرخة في ١٣ أيلول سنة ١٩١٩ والمتعلقة باحتلال سورية وفلسطين والعراق لجبا يصدر القرار بقضية الانتداب .

فلنؤتمرن درن هذا الاتفاق النوء صه بصفة امان مؤقت لاعبر ، تسوية الاحتلال العسكري فقط . وهو لا يؤثر على حل قضايا الانتداب والحدود التي يجب رؤيتها بصفتها جزءاً من قضية الصلح العامة مع تركيا

صورة البرقية المرسلة إلى جلالة الملك حسين في مكة

٢٢ نوفمبر سنة ١٩١٩ .

الحكومة الفرنسية رفضت اقتراحي باسم حلاتكم بشأن سورية ، مع أن إنجلترا قبله . وهي مصرة على إشغال أقدام مهمة من مقاطعات دمشق وحلب تمسكا بكرة لويد جورج التي قدمها للمؤتمر في أيلول . وأخبرت جلاتكم عنها . ولما كان هذا محلاً بالمقوق واليهود بين بريطانيا وجلاتكم عزمتم على تبليغ الدول بأن جيشكم في سورية سيقاوم كل تمأوز يخل بمحدود المناطق الحاضرة . وإلى حررت لحكومة بريطانيا اليوم أوكد لها عظيم ثقتنا بإخلاصها ، وأدكرها بيهودها جلاتكم في ٢٤ أكتوبر . أننا لا نريد إلا أن نكون على وفاق تام مع حليفتنا الأولى بريطانيا ، التي هي سد محاحنا ، ومع سائر الحلفاء ، ومرسا أيضاً إذا رضيت باقتراحي الأخير الذي للاحياة بدمره الآن . وهو إبقاء الحدود الحاضرة كما هي ، وتأييف لجنة تحفظ وحدة الإدارة بين المناطق الثلاث ، حتى قرار المؤتمر النهائي ؟

* * *

الموضوع : احتجاج على الاحتلال البقاع

من : سمو الأمير فيصل العظم

إلى : رئيس وزارة فرنسا السيد كليمنصو

التاريخ : ١٩ ديسمبر سنة ١٩١٩

(النص)

غفامة الوزير:

أخبرني السيوفورود اليوم شعبياً ، الساعة الثالثة بعد الظهر : أنه على إثر حادثة صاحب الارتباط الفرنسي ، ورحل جاويش ، بتاريخ ١٤ ديسمبر ، شت الجنود الإيرانية في اليوم الذي لحادثة نحو بعلبك ، بحجة تأمين النظام والأمن . وامرني إن هذا القرار الذي اتخذته الخبرال عو.و دون أن يدع للحكومة دمشق فرصة لاتخاذ التدابير اللازمة بهذا الشأن مما يحارب الانتق المفقود بيننا ، والذي ينطق صراحة بأن القوة الموحدة في تلك الجهات إذا كانت غير كافية بؤتي المندد من دمشق ، تأميناً للنظام ، وإعادة الأمن الذي نسل عنه الحكومة العربية دون سواها . إن وثق بأن الحكومة لإيرانية لايمكنها أن ترضى عن مثل هذا العمل الذي يماضى علماً نص اعتمها ، وإن لا أشك أبداً أن الحكومة لإيرانية لايد أن تعمل بما يوحى إياها شرف تعهدا . وأن تصدر لأراسر اللارمة للجبرال غورو يسحب هذه الجنود من الأماكن المحتلة حلاًلاً لاتعديما السابق ، وحباً بالحفاظة على مواده . ومع أي أرجو أن تطلبوني من هذا الأمر ، على الشرف أن أقدم لفضاحتكم فائق تحياتي

الطبي

فيصل

صورة كتاب

من السيوفورود إلى سمو الأمير فيصل

باريس — بلاتاريخ

أخذ يوم الجمعة ٢٨ نوفمبر سنة ١٩١٩

مولاي .

أريد أولاً أن أبين لكم السرور الذي خاسر رئيس مجلس الوزارة عند ما أخذ علماً

بالاتفاق الذي أوصلتنا إليه روح التآلف ، المتبادل بشأن اللجنة المكلفة التي ينبغي أن تنصل في الاختلافات التي قد تحدث بين مناطق الاحتلال المحتلة ، وشأن الموقف المؤقت في البقاع . أما من حيث هذه النقطة الأخيرة : فإن اعتبر أن الصراحة التامة التي ينبغي أن تكون رائد محادثاتنا تقتضي أن يكون معلوماً فيما بيننا : أنه مقابلة لرغبة شخصية أظهرتموها ، واحتراماً لمواطنكم الودية الخاصة التي أبدتكموها ، تنازلت الحكومة الفرنسية مؤقتاً عن حقها الذي صادق عليه المؤتمر بخصوص احتلال أراضي البقاع بمحود فرسوية .

وإذا لم يؤكد هذا الاتفاق المؤقت الذي وصلنا إليه باتفاق مرص وقاطع إلى ثلاثة أشهر . فليكن معلوماً أن الفريقين يتألفان حرية العمل . ومع هذا فإن لا أشك في أن روح الاختلاف التي بشر بها الفريقان لا تسمح لهذا الاتفاق القاطع إلا أن يرم تلخير منافع الجميع قبل انتهاء هذه المدة .

وأرجو أن تمتدوا بامولاي شعائر الاحترام العالي ، والعاطف المحيية التي أدبنا بها لسوكم للمكسي ؟

برنلو

صورة كتاب

من سمو الأمير إلى السيد برنلو مدير الأمور السياسية العام

في مظارة الخارجية الفرنسية — باريس ٢٦ نوفمبر سنة ١٩١٩

عزيزي حضرة المدير .

أنشرف بإبلاغكم عليه نص الرقيقة التي أرفع إرسالها إلى الأمير زيد ، وفقاً لمنطوق اتفاقنا .

وإن أشكركم على المساعي التي بذلتموها في سبيل الوصول إلى ائتلاف ميمم بين فرنسا وسوريا . وفي هذا الصدد لا يسعني إلا أن أرحوكم بأن تنفضلوا وتمحروا حضرة رئيس مجلس الوزارة باعتراضي بحيله لقبوله اقتراحاتي بخصوص قضية الاستبدال .

وإنك يا عزيزي المدير لا تشك بأنني سعيد لمكسي بفضل معاونتكم الناجمة من

الوصول لهذا الائتلاف الأول ، الذي أوصل أن ينتمى في القريب الساحل ائتلاف أمم ، ومع أعظم لخبير الجميع . وإن لم أر مد وصولي إلى باريس أصر — كما هو معلوم لديكم — على هذه النقطة . وهي أن تصدى كان وصول إلى عقد ائتلاف مع الحكومة الفرنسية التي مع قبول ما يصيب للشعب لسوري سيؤيده لوضعية ستمسح ببلاد — بطاب منى — معونتها لمالية ومستشارين . فهدد التعاون المؤدى مع الحكومة الوطنية المؤسسة من قبل الأمازيغ وتقبل بإحضرة الرئيس بيان احترامى العالي ؟

فيصل

صورة البرقية

المرحلة بتاريخ ٢٧ نوفمبر سنة ١٩١٩

إلى سمو الأمير زيد في دمشق

أحبركم بكل ارتياح وسرور أن الحكومة الفرنسية قبالت بتأليف اللجنة التي طلبتها والتي ستكون مؤلفة من فرنسي وإيطالي وعربي لأجل تسوية المشاكل التي قد تحدث بين الماطق ، وانتماء لطعين أهلى سورية أن الاتفاق الأخير هو عسكري محض ومؤقت ، فالحمود الفرنسية لا تعمل البتة ، ولا بحلا آخر من منطقنا الحاضرة ، والحمود العربية سوف تنسحب من البقاع دليلاً على نفسا المتبادلة . ويبقى الدرك العربي هناك مكملاً بمعظم النظام والأمن تحت أوامر القامقام . وبعد الزوم وفي معمرات دركية من دمشق ، هذا إذا كانت انتهى الموجودة غير كافية .

وسيمهد إلى هيئة مؤلفة من ثلاثة ضباط فرنسيين وثلاثة عرب مما أن تلاحظ بالاتفاق حسن تعييد وطائف الشرطة وللدرك في تلك المهمة ، وترفع تقريرها إلى القامقام . المدوصات جارية مع الحكومة الفرنسية بإحلاص وثقة متبادلة . فليطمئن الأهليون وليبدأ بالمهم . وقد تلقت الحكومة الفرنسية هذا الاتفاق إلى الجندل غورو ؟

فيصل

صورة كتاب

من سمو الأمير إلى السيد برتلو مدير الأمور السياسية العام

في نظارة الخارجية الفرنسية

باريس ٢٨ نوفمبر سنة ١٩١٩

حضرة المدير العام

نشرت بإعرائي أسكن في كتابي الأخير بتاريخ ٢٦ الجاري من امتاني وشكري على الاتفاق الذي مكنتنا — بفصل وساطتكم السميذة — من حل المشكلة التي نَحمت عن انسحاب الجيش البريطاني . وقد بعثت إليكم بصورة الرقبة المحتوية على الطيات التي أرسلتها لأخي زيد واقترحت بمواقضكم .

وإني بهذه المناسبة أسمح لنفسي بتذكيركم بأن الرقيات التي أرسلت إلى سورية لم يرد فيها مسألة سحب المفزة للدمية الفرنسية التي يجب أن تفسح مع الجيوش البريطانية من دمشق في وقت واحد .

وعلى كل أكون شاكرًا إذا بلغتم الجنرال غورو معتمد الجمهورية العالي كي يأمر بتنفيذ هذا الانسحاب .

إن هذا كله لمو في الحقيقة فال خير ، يؤملني بأن الائتلاف الذي ألهم إليهِ في برقيتكم للرسلة إلى الجنرال غورو ، وإن لم تعرض له حتى الآن ، فإنه لا يلبث أن يتجلى بفضل مذاكرات تؤدي بنا إلى اتفاق مبنى على صافتنا المشتركة .

وتفضلوا إحضرة المدير بقبول فائق احترامي ؟

فيصل

صورة كتاب

من سمو الأمير فيصل إلى السيد برنار

باريس في ٤ ديسمبر سنة ١٩١٩ .

حضرة المدير العام .

إني الشرف أن أقدّم لكم على هذا الكتاب برقية لأخي الأمير زيد . فأرجوكم أن تطلّعوا بإرسالها إلى الشام . وأن توصوا بإبلاغني جوابها سريعاً .

وإني مع الانتظار أكون لكم شاكرًا إذا تفصّلتم بإعطائي ما لديكم من المعلومات التي تهني بشأن الحالة الحاضرة في سورية .

وتفصلوا يا حضرة المدير العام بقبول فائق احترامي ؟

فيصل

صورة البرقية

الأمير زيد — دمشق .

إن خير إسماء الخدمال المشايخي استوجب عظيم استغرائي . انتظر بكل سرعة المعلومات المفصلة ؟

فيصل

صورة كتاب

من سمو الأمير إلى السيد كلنكو

باريس في ٢٢ ديسمبر سنة ١٩١٩ .

يا حضرة الرئيس :

لازال تحت حسن تأثير الاستقبال الجميل الذي تلطفتم به عليّ ، وإني أحسب من أحر واجباتي أن أشكركم على ذلك .

وقد رافقت - امتثالاً لرغبة حضرتكم - على تأخير سمرى إلى أن يعود الملبو رتلجو، وذلك أملاً أن يحل في هذه البرهة مسألة حدود لبنان . وإن كنت سعيداً جداً لتسكى من أن أقدم في هذه المسألة دليلاً جديداً على رغبة القوية في الوصول إلى اتفاق حقيق . ولا شك أن المعطف والاهتمام اللذين أظهرنوهما لى مشأى جسارة على أن أعرض بكل إحلاص على سعادتكم ما يدور من التلقى الذى لم تسكى وصية الجيرال فوروى القناع إلا لتريده شدة ، ودرعاً من محاذرتى في إضاعة وقتكم ، الذين فانى لا أرى مددوحة عن أن أخلص ل حضرتكم الموقف الحاضر كما هو :

إنه من مقتضى الاتفاق الذى عقدناه فى الخامس والعشرين من الشهر المنصرم أن « لا تحتل الجيود الفرنسية القلاع ، وأن تسحب منه الجيود العربية . ولا يبقى محتلاً وخاصة فى طابك وحاصبيا وراشيا ، إلا الدرك التابع لأوامر القنصلين ، وستؤلف بعثة تفتيشية من ثلاثة صباط عرب وثلاثة ضباط فرنسيين يرسلون معاً إلى تلك التواحي كى يلاحظوا بالاتفاق حسن تنفيذ وظائف الدرك والشرطة المستولين عن الأمن . وإذا وجد صباط العرب والفرنسيون قوة الدرك الموجودة هناك غير كافية فتتدرج تخطت دركية أخرى يؤتى بها من دمشق »

فهل التحاوز الذى وقع على الصباط الفرنسى وجاوشه يبرر الإحلال هذا الاتفق ويحبر لقرار الذى اتخذ الجيرال فوروى خصوصاً أن السلطة المحلية هى المشؤلة وحدها عن إرجاع الأمن ، وأن حلب القري من دمشق عند الضرورة منصوص عنه فى الاتفاق ! لذلك فانى أرى من واجبى أن أصر على لزوم الاحاطة بهذا الاتفق الذى هو أول اتفاق عند يسا لىكون له وقع حسن فى نفوس الأعبى ، ويسهل لى التقيم بهنقى ، ويريد فى الثقة المبادلة بيننا ، اللازمة لتنمية مقاماتنا المستقبلية .

وقبل أن نظرفى فصل مسألة حدود لبنان التى نصل الآن على حلها ، فإن حضرتكم إذا أعطينتم أسراً سحب الجنود من المخلات التى احتلتها خلافاً لاتفاقنا نكون قد أظهرتم دليلاً جديداً على اهتمامكم العالى بنجاح مذكرتنا ، وخفضتم بذلك عى عبتنا أثقيلاً . وأرجو بأن يجد طلبى هذا قبولاً حسنًا لدى سعادتكم . فانى أرحوكم أن يعضوا بقول فائق شائرا احترامانى الخاصة

مشروع المعاهدة الهاشمية — الانكليزية

بسم الله الرحمن الرحيم

لما كان صاحب الجلالة الهاشمية الملك حسين الهاشمي بأقوامه العرب مؤسس الدولة العربية الهاشمية ومليكها ، حامى حتى ولد الله لأمين ، ومدينة حده سيد المرسلين ، وحلالة ملك الملاد المتحدة بريطانيا العظمى وإيرلند والأملاك البريطانية فيما وراء البحار وإمبراطور الهند ، بالإحالة عن نفسيهما ، وبالبيعة عن وراثتهما وجميعهما — مدفوعين بالرغبة الخاصة لتوطيد وتقوية عرى الصداقة ولولاء المؤسسة بين ملادهما أثناء الحرب التي اقمهاها معاً على الدول الجرمانية وتركيا ، محولين أيضاً رغبة تمكين مصالحهما وتأييد السلام الدائم والاعتماد بين الشعوب العربية .

ولما كان صاحب الجلالة الهاشمية قد سمي وعين صاحب السمو الملكي الأمير زيد وحضرة صاحب الإقبال الشيخ فؤاد الخطيب وكيل خارجية جلالة الهاشمية مفوضين من قبل جلالة لفقد معاهدة مع صاحب الجلالة البريطانية للوصول إلى هذه الأغراض .

ولما كانت صاحب الجلالة البريطانية قد سمي وعين جناب الميجر و ١. مرشال M E R A M C. معتمد وقمصل جلالة بمجدة مفوضاً من قبل جلالة لفقد معاهدة للوصول إلى هذه الأغراض مع صاحب الجلالة الملك حسين .

قد اتفق صاحب السمو الملكي الأمير زيد والشيخ فؤاد الخطيب وجناب الميجر و ١. مرشال على المواد الآتية وتمتدوا عليها :

المادة الأولى — سيكون السلام والودّة دائمين بين صاحب الجلالة الهاشمية وصاحب الجلالة البريطانية وورثتهما وخلفائهما . وقد اتفق كل من الفريقين العالين المتعاقدين على استعمال جميع الوسائل التي تبيحها قوانينه لمنع استعمال بلاده كقاعدة لحركات موحدة ضد مصالح الآخر الحامية أو المستقبلة وقد وعدوا بذلك .

المادة الثانية — تعهد الحكومة البريطانية العالية بأن تستعمل نفوذها في المساعدة على تسوية أى خلاف على الحدود يحدث بين صاحب الجلالة الملك حسين وأحد جيرانه

الذين بينهم وبين صاحب الجلالة البريطانية صلات معاهدة ، وسيكون صاحب الجلالة الهاشمية الملك حسين حراً في كل الأوقات أن يطلب وساطة صاحب الجلالة البريطانية في حالة حدوث مثل هذا الخلاف .

المادة الثالثة - تتعهد الحكومة البريطانية العالمة بأن تمنع جميع الوسائل الحدية المتيسرة لديها - وخصوصاً بإتاف الإعانات من أى نوع كان - كل تد على بلاد صاحب الجلالة الهاشمية من الانفصالات المخاورة التى بينهم وبين صاحب الجلالة البريطانية صلات معاهدة .

المادة الرابعة - قد قامت جلالة الملك حسين بالمعاهدات المودولة لها لأن بين الحكومة البريطانية العالمة والسيد عبد الميزير بن عبد الرحمن بن فيصل السعود

يمتد هذا جلالة الملك حسين بالمعاهدات المذكورة الوحيدة لأن بين الحكومة البريطانية العالمة والسيد محمد بن عبد الرحمن بن فيصل السعود . وكما بين الحكومة البريطانية العالمة والسيد عبد الميزير بن عبد الرحمن بن فيصل السعود . ويتعهد جلالاته بأن يمنع عن الإتيان أى عمل يفرق - أو يمكن أن يفرق - تنفيذ هذه المعاهدات السكلى بواسطة الطرفين المتعاقدين .

المادة الخامسة - يتعهد جلالة الملك حسين بأن يحافظ بكل ما فى وسعه وقوته على السلام والصلات الودية مع حيران جلالاته الذين بينهم وبين صاحب الجلالة البريطانية صلات معاهدة ، وأن يمنع عن التمدى بدون موجب دلا أو شكلا على هذه البلدان المخاورة ، وأن يراض ويمتنع بقدر استطاعته أى مؤامرة أو دسيسة داخل بلاد جلالاته الهاشمية تكون موجهة ضد هذه البلدان أو ضد مصالح حكامها .

في السائل الهامة التى تحدث بين حكومة صاحب الجلالة الهاشمية والانفصالات المخاورة يكون لصاحب الجلالة الملك حسين الخيار في طلب وساطة صاحب الجلالة البريطانية كما ذكر في المادة الثانية .

المادة السادسة - اتفق وتواعد كل من الفريقين المتعاقدين السابقين على قبول ممتد الآخر والاعتراف به ، فيحوز جلالة الملك حسين أن يعين ممتداً للحكومة العربية الهاشمية

في لندن ، ولصاحب الجلالة البريطانية أن يعين معتمداً بريطانياً يقيم في جدة ، أو أى مدينة أخرى على ساحل بلاد صاحب الجلالة الهاشمية . ولا يعين صاحب الجلالة البريطانية معتمداً بريطانياً بمكة المكرمة والمدينة المنورة احتراماً لصفتهما المأثورة .

وكذا سيكون لخلافة الملك حسين إذا أراد ذلك أن يعين وكيلاً تمصلياً في إنجلترا والنظر المصري والمند ، ولصاحب الجلالة البريطانية أن يعين وكيلاً تمصلياً في حدة وفي موانى أخرى لصاحب الجلالة الهاشمية التى تراها الحكومة البريطانية من آن لآخر مناسبة وسبب مع هؤلاء المندوبين والوكلاء التمسليين بالامتيازات السياسية والتمصلية المتبادلة .

المادة السابعة — يمتد هذا جلاله الملك حسين بالاحتياطيات المؤقتة للذكور رتبياً التى اعتمدتها الحكومة البريطانية العالية فى القرآن ، كما تقتضيه شروط الاحتياطيات الطبية المسنونة فى العقد الدولى الصحى لعام ١٩١٢ أو أى عقد صحى آخر يكون مقيداً للحكومة المذكورة :

ومن جهة أخرى فإن بريطانيا توافق على الاعتراف بالاحتياطيات التكميلية التى يلزم اتخاذها فى حدة ، وفي موانى أخرى من بلاد صاحب الجلالة الهاشمية ، تطبيقاً لمصوص الطبية الواردة فى الاعاق أو الاتفاقيات المذكورة ، وذلك بمقتضى لوائح يصدرها جلاله الملك حسين .

المادة الثامنة — تتعهد الحكومة البريطانية العالية بأن لا تتدخل بأي حال من الأحوال فى الإجراءات التى يتخذها جلاله الملك حسين لراحة الحجاج والاعتناء بهم داخل بلاد حلالته الهاشمية ، مع مراعاة ما جاء فى المادة العاشرة .

ويتعهد جلاله الملك حسين من جهته بأن يساعد كل مجهود يذله الرعايا البريطانيون المسلمون ، والأشخاص أو الجمعيات المشمولون بحماية صاحب الجلالة البريطانية للاشتراك فى سبيل رعاية الحجاج فى الحجاز ، وصحتهم وتمويهم ، كما يفعل جلالاته فيما يختص بعين ريذة .

المادة التاسعة — قد اتفق كل من الفريقين العاليين المتماثلين على أن يحدد مبلغ معين على كل حاج بصحة رسوم ، وأن يعين مقداره لغاية أول يوم من جمادى الأولى من

كل سنة ، وذلك للاحتياطات الصحية التي يتخذها كل منها . وستكون هذه الرسوم شاملة لاصروفات جميع الاحتياطات الصحية لحين يوم دخول الحاج إلى البر . وتكون داخلة في ثمن تذكرة السفر التي تصرف من شركات الملاحة الحرة .

ويسئول ملك حسين على الرسوم المفروضة للاحتياطات التي تضع في مواضع جلالة الهاشمية ، وذلك لتتولى الحكومة البريطانية العناية على الرسوم المفروضة للاحتياطات التي تتخذ في القمران .

المادة العاشرة — وافقت الحكومة البريطانية العانية على أن تعترف بالتمنية الهاشمية لجميع رعايا جلالة الملك حسين الذين يوجدون في أي وقت كان داخل بلاد صاحب الجلالة البريطانية ، أو البلاد المشمولة بالحماية البريطانية ، أو التهمة تحت الانداب البريطاني شرطاً أن يكون هؤلاء الرعايا الهاشميون حائرين على أوراق صادرة من جلالة الملك حسين تحت التسمية الهاشمية لحاملها .

ووافق جلالة الملك حسين من جهته على أن يعترف بالتمنية البريطانية لجميع رعايا البريطانيين أو الأشخاص المشمولين بحماية صاحب الجلالة البريطانية الذين يوجدون في أي وقت داخل بلاد صاحب الجلالة الهاشمية . مادامت أسماء هؤلاء البريطانيين — أو الأشخاص المشمولين بحماية بريطانيا العظمى — مسجلة في قنصلية بريطانية في البلاد الهاشمية

ومع ذلك فإن أحكام هذه المادة لا تنسرى على الرعايا البريطانيين أو الأشخاص المشمولين بحماية صاحب الجلالة البريطانية الذين يقيمون عادة في بلاد صاحب الجلالة الهاشمية خارج جدة وغيرها من المواضع التي يمكن أن يبين صاحب الجلالة البريطانية وكلاء قنصليتها فيها .

المادة الحادية عشرة — وافق جلالة الملك حسين على أن تمتلك الرعايا البريطانيون أو الأشخاص المتمتعين بحماية صاحب الجلالة البريطانية تسليماً في حالة موتهم في بلاد صاحب الجلالة الهاشمية إلى الممثل البريطاني فيها ، أو إلى أي سلطة يعينها لهذا الغرض ليتصرف حسب القوانين التي تطبق على الحالة . ويرعى ممثل بريطانيا في البلاد المذكورة أن الرسوم والاهتباآت الواجبة على تلك الممتلكات تعفى انشراعت الهاشمية تسد في حينها

المادة الثانية عشرة — وافق بهذا صاحب الجلالة الملك حسين على أنه في جميع القضايا التي تنشأ في البلاد الهاشمية ، ويكون أحد الرعايا البريطانيين أو الأشخاص المشمولين بحماية صاحب الجلالة البريطانية مدعياً فيها أو مدعى عليه يحضر ممثل قسوى بريطاني في المحاكم الهاشمية أثناء سماع القضايا ، وفي الأحوال التي يظهر فيها الاعتماد البريطاني رغبة في إحراء محادثات سياسية مع صاحب الجلالة الهاشمية ، فلا تذاع الأحكام . ولا تنفذ خلال مدة المحادثات المذكورة ، ولا تسرى أحكام هذه المادة على الرعايا البريطانيين ، أو الأشخاص المشمولين بحماية صاحب الجلالة البريطانية ، الذين يقيمون عادة في بلاد صاحب الجلالة الهاشمية خارج جدة وغيرها من الموانئ التي يمين صاحب الجلالة البريطانية وكيلا قسالياً فيها .

المادة الثالثة عشرة — وافق جلالة الملك حسين على أن يأمر بتسليم الرعايا البريطانيين أو الأشخاص المشمولين بحماية صاحب الجلالة البريطانية المتدوس عليهم بأمر من الحكومة الهاشمية إلى السلطة القسولية البريطانية في الأحوال التي تنص فيها السلطة المذكورة استحضارهم متى طلبتهم منها الحكومة الهاشمية .

ولا تسرى أحكام هذه المادة على الرعايا البريطانيين أو الأشخاص المشمولين بحماية صاحب الجلالة البريطانية الذين يقيمون عادة في بلاد صاحب الجلالة الهاشمية خارج جدة وغيرها من الموانئ التي يمكن أن يعين صاحب الجلالة البريطانية وكيلا قسالياً فيها .

المادة الرابعة عشرة — وافق جلالة الملك حسين على أن تنظر السلطة القسولية البريطانية في القضايا التي تقع بين الرعايا البريطانيين أو الأشخاص المشمولين بحماية صاحب الجلالة البريطانية ، والتي لا تمس مصالح الرعايا الهاشمين .

ولا تسرى أحكام هذه المادة في الأحوال التي يرغب فيها الترتيبان المتفصيلان أن يرهما القضية إلى المحاكم الهاشمية ، كالمصوص في المادة الثانية عشرة ، وكذا لا تسرى أحكام هذه المادة على الرعايا البريطانيين أو الأشخاص المشمولين بحماية صاحب الجلالة البريطانية الذين يقيمون عادة في البلاد الهاشمية خارج جدة أو الموانئ التي يمكن أن يعين فيها صاحب الجلالة البريطانية وكيلا قسالياً .

المادة الخامسة عشرة — وافق جلالة الملك حسين على أن يشعر المعتقل البريطاني في جميع الأحوال التي يحتاج فيها إلى أحد الرعايا البريطانيين — أو شخص منتم عناية صاحب الجلالة البريطانية — من بلاد جلالة الهاشمية ، وأن المعتقل البريطاني يكون مسئولاً عن تقي الشخص المعين في مدة معقولة .

المادة السادسة عشرة — وافق صاحب الجلالة البريطانية على أن يتصرف في بلاد صاحب الجلالة الهاشمية عن جميع الامتيازات والامتيازات التي يتمتع بها الرعايا البريطانيون ، أو لأشخاص مسؤولون بحماية صاحب الجلالة البريطانية بمقتضى الامتيازات الأجنبية بين بريطانيا العظمى والحكومة الهاشمية ، إلا ما ذكر في هذه المادة .

المادة السابعة عشرة — يعترف جلالة الملك حسين بموجب صاحب الجلالة البريطانية المخصوص في العراق وفلسطين . ويتعهد أنه في المسائل الواقعة تحت نفوذ جلالة الهاشمية في تلك البلاد يفرج استطاعه لمساعدة صاحب الجلالة البريطانية .

المادة الثامنة عشرة — سنت بهذا الحكومة البريطانية العامة اعترافها بصاحب الجلالة الهاشمية ، شرط أن المراكب غير مراكب الحكومة الهاشمية التي ترعى العلم المذكور تكون مجهزة في حدة أو يسع أو في أي ميناء محدد معلوم من بلاد صاحب الجلالة الهاشمية وأن تكون حائزة على أوراق صادرة من جلالة الملك حسين . وتطبق صفة عامة على الشهادات والأوراق الرسمية التي تعطىها عادة الممالك البحرية لرئيسية لمراكبها .

ويست جلالته الملك حسين من حتمه بهذا اعترافه ، والأعلام التي ترعى المراكب التجارية العامة لأي قسم من أملاك صاحب الجلالة البريطانية ، أو البلاد الشوالة بالبحرية البريطانية ، أو الواقعة تحت الانقذاب البريطاني ، شرط أن المراكب التي ترعى هذه الأعلام تكون حائزة على الشهادات والأوراق الرسمية التي تعطىها عادة الدول البحرية الرئيسية إلى مراكبها .

المادة التاسعة عشرة — يصرح بهذا كل من الفريقين المتعاقدين العاينين أنه أمام مدة هذه المعاهدة لا بدخل في أية معاهدة أو تفاهات أو عدم مع فريق ثالث يكون العرض منه موحهاً ضد مصالح الفريق الآخر المتعاقدين العاينين .

المادة العشرون — لا يتطلب أى شرط من الشروط الواردة في هذه المعاهدة على أى قيود تكون قيدت بها ، أو ستقيد في المستقبل أحد الفريقين المتعاقدين الماليين بأحكام عهد عصاة الأمم ، أو نأى عهد آخر يكون لمصلحة الأمم أن تتخذ ويدخل فيه أحد الفريقين .

المادة الحادية والعشرون — يعمل بهذه المعاهدة من تاريخ التوقيع عليها . ونقى نافذة المفعول مدة سبع سنوات من ذلك التاريخ . وإذا لم يجر أحد الفريقين الماليين المتعاقدين الآخر قبل مضي السبع السنوات المذكورة بسبعة شهور سره على منسوخ المعاهدة فيستمر معمولاً بها لحين مضي ستة شهور من اليوم الذى يرسل فيه أحد الفريقين الماليين المتعاقدين إعلاناً كهذا .

حررت هذه المعاهدة الحادية والعشرين بالعنتين العربية والإنجليزية ، وستحفظ صورة من كل منهما في سجلات الحكومة الهاشمية . وأيضاً صورة من كل منهما في سجلات حكومة صاحب الجلالة البريطانية ، وقد وقع عليها بمحمة المفوضون المذكورون بماليه في اليوم الحادى والعشرين من شهر أكتوبر سنة ألف وتسعمائة واحد وعشرين ميلادية الموافق ليوم التاسع عشر من شهر صفر سنة ألف وثلاثمائة وأربعين من التاريخ الهجرى

بسم الله الرحمن الرحيم

بمجد الله وتوفيقه :

نحن الحسين بن على الدهش نأتمناه العرب ، مؤسس الدولة العربية الهاشمية وليكها ، حامي حمى «شاهه» لأمن ومدينة حده سيد المرسلين ، سدى السلام على من يقرأ هذه الوثيقة . لما كان قد عقدت معاهدة بيننا وبين دولة بريطانيا العظمى تشمل على إحدى وعشرين مادة . ووقع عاينها في مدينة حدة في اليوم التاسع عشر من شهر صفر عام ألف وثلاثمائة وأربعين هجرى الموافق ليوم الحادى والعشرين من شهر أكتوبر عام ألف وتسعمائة وواحد وعشرين ميلادى حصرة صاحب السمو الملكى الأمير زيد وحصرة صاحب الإقبال الشيخ فؤاد الحبيب وكيل الخارجية للذان خولناهما الإذن بذلك .

نحن سعد إيمان النظر فيها تؤكد التوقيع عليها بالأصالة عن أنفسنا وبالمباينة عن وراثتنا ، وقد أننا سنفرغ بكل إخلاص وأمانة الأمور للدولة في تلك المعاهدة ، وأتينا

لا تتحمل أن ينقضها أحد أو يعتدى عليها بأي حال من الأحوال مادام ذلك في مصلتنا .
وزكية لجميع ذلك وتأكيذاً لقانونيته ، قد أسرنا بإعطاء هذه الوثيقة بمحتمتنا ووقعا عليها
بيدنا الملوكية .

حرر في ديوان الملوك في جدة في اليوم التاسع عشر من شهر صفر سنة ألف وثلاثمائة
وأربعين هـ . الموافق لليوم الحادي والعشرين من شهر أكتوبر سنة ألف وتسعمائة واحد
وعشرين ميلادية ؟

نمرة ١٥٢١ م — ١٥

الوكالة البريطانية .

سري .

جدة في ١٣ ديسمبر سنة ١٩٢١ م

إلى صاحب السعادة الشيخ فؤاد الخطيب وزير الخارجية بمكة .

سيدى :

أتشرف بأن أرسل لكم على هذا نسخة عربية من المعاهدة كما حضرها نحن ، ونسوة
إمبارية من كتابكم إلى السكولونيل ت . ا . لورنس حسب طلبكم .

ولي الشرف أن أكون ياسيدى خادمكم للطبع ؟

و . ا . مارشال

وكيل بريطانيا وقصلاها

من وزير الخارجية بمكة .

إلى السكولونيل ت . ا . لورنس .

أتشرف بأن أرسل لكم للاطلاع نسخة من محاضر المناقشات التي حثت بين الأمير

عل : نائباً عن الملك حسين وبينكم في ٧ سبتمبر سنة ١٩٢١ م

نجد :

أقام الأمير على البرهان على أن رانية وخزينة وتربة ويثشة وما حولها تابعة لمقاطعة

الحجاز ، ونقل الكولونيل لورس هذه الحجج ، ووافق على عرضها على وزارة الخارجية ووزارة المستعمرات لإرسالها لأن سمود لإبداء ملاحظاته ، وإذا سلم صحة هذه الحجج لإعلاؤه أن هذه لأما كن كانت ناسية وتقع الآن للحجاز ، وأنه إذا كان لا يزال له مثلها هناك فيسحبهم ، وبعد ذلك دعى السكان أبى الطاعة للحكومة الهاشمية فيعامل كثر ، وإذا رمس ابن سمود أن يقل هذه الحجج فالحكومة البريطانية تمنع رده لذلك حينئذ ليمد ملاحظاته عما يرى اتخاذ من الخطط .

اليمين :

أما الكولونيل لورس الموقف الحالي في اليمن وشاطئ البحر لأحمر بين عدن والحجاز ، والطروب التي احتل فيها السيد الإدريسي الحديثة وأن احتلاله الحديثة مؤقت كوصى على حقوق الهند ، إلى أن يقرر مصيرها لأخير بماهدة الصلح مع تركيا ، وأن الحكومة البريطانية تكون سميده أن ترى حداً مشتركاً بين الحمر ولين بالطرق الدبلوماسية ، وقال لأمير على : إنه يعتقد أن هذه النتيجة تم متى احتلت الحكومة العربية الهاشمية ثانية : حرمة وروانية ويشة .

وأوضح الكولونيل لورس أن بريطانيا العظمى لم تعترف ولن تعترف الآن بأى سيادة في عسير ، وايت منطقة بأى شيء يحدد حريتها في هذا الصدد سوى مادة واحدة في الماهدة مع السيد الإدريسي ، تقرر على كل أرض أخذها من الأتراك في أثناء الحرب وقال لأمير على . إن هذا التأخير سيهمل الحكومة العربية الهاشمية الفرصة لمنفوذها جنوباً بالطرق السلمية .

بلاد العرب :

وقال الأمير على : إنه ليس هناك مسائل متعلقة بشاطئ بلاد العرب من عدن إلى أعلى الخليج الفارسي ، لأن معظم هذه الأما كن تشملها معاهدات عقدت مع حليفته بريطانيا العظمى تضمن لها استقلالها .

فلسطين :

أنار الأمير على مسألة أهلى فلسطين العرب ، فأصابه الكولونيل لورنس بأن الوفد الإسلامى السبى يناقش فى هذه اللحظة مع الحكومة البريطانية فى مصيرهم السياسى ، وأنه لا يمكن أن يعمل أى تصريح عن فلسطين إلى أن تظهر نتيجة هذه المناقشات . فإذا حصل الوفد على من سرهم لم فلا تبقى مسئولية على الملك حسين ، فوافق الأمير على ذلك ، وقال : وإذا أحمق الوفد فإلك حسين يتألف الدفاع عن مطالب العرب القومية فى تلك البلاد . لأن أهلى فلسطين طلبوا منه المساعدة ، ومبدأه هو تأييد رغبات الأهلى بصرف النظر عن الأشخاص .

ابن رشيد :

قال الأمير على : إن أمير جبل شمر الجديد — محمد بن رشيد — قد دخل فى علاقات ودية مع الحكومة الهاشمية . فأشار عليه الكولونيل لورنس بأنه إذا كان قد حصل اعتراف أو اتفاق رسمى فيجب على الحكومة العربية الهاشمية أن تبلمه الدول مباشرة .

الوحدة :

قال الكولونيل لورنس : إن الحكومة البريطانية ترحب بأى خطوات يتخذها العرب لتوحيد البلاد العربية ، ولكن يجب أن يكون القائم بهذه المسألة هم العرب أنفسهم . أكد الأمير على أهمية عقد معاهدة تسليم المجرمين بين الحكومة العربية الهاشمية وابن سعود بمجرد تقرير حدودها .

العلاقات النجدية - الحجازية

نمرة ٢٣٤ م - ١/٧/١٩

جدة في ٢ مارس سنة ١٩٢٣

حضرة صاحب الجلالة الهاشمية الملك الحسين المعلم أبده الله

بعد أداء فاتق التحية وعظيم التوقير ، فقد وصلى يامولاي خطاب حلالكم نمرة ٧٤ رقم ٨ رجب سنة ١٣٤١ الموافق ٢٤ فبراير سنة ١٩٢٣ ، ووردت إلى أيضاً مكانة وكيل الخارجية وضمنها البرقية المرسلة إلى اعتناكم من قبل أمير جبهة . وها أنا ذا أبلغ بحوى الاثنين للجهات الاحتصاصية . وإني أشكر حلالكم على تفصلكم بإعادتى عما وقع وعما تحشون أن يقع في المستقبل . وأما عن أولئك الذين كانوا يمتدون على بل ، فألحد لله على ما رجحوا مفهوبين حاسرين ، ولكن اعذرني يامولاي إن قلت : إن ذلك ليس بصداء بريطاني ، كما يصح وكيال الخارجية إن بريطانيا العظمى لا ترجح من أى اعتداء في شبه الجزيرة ولكن بالعكس ، فإنه من صالح بريطانيا العظمى أن يسود السلام في جميع بقاعها ، وأن نلتزم تلك المراكز التي فرقتها التراجع في الوقت الحاضر بفضل العلاقات الودية . وإني لا أبحث على جلالكم مقدار شدة الاهتمام ورغبة حكومة جلالة الملك بأن ترى أن مسائل الخلاف فيها بين حلالكم ومحمد قد انحلت ، وأن صحيفة جديدة في التاريخ العربي قد اسدأت ، فهل تمى ذلك شيء . سخيف ، أو غير مرغوب فيه ، أو هل من المستحيل إنجازه ؟

إن هناك بعض أشخاص يتكروا أن مصالح شبه الجزيرة وسلامها وحيرها أهم بكثير جداً من هذا الشرط أو ذلك الشرط ، وإن أولئك الذين يتكروا ذلك لا يسمهم إلا للأسف عند ما يرون أن الآمال من المفاوضات والمباحثات التي قد نشأت منها قائمة عمية نهائية تتعطل دائماً عند عقبة الشروط . وتذكرون حلالكم ما قيل وكتب حينما أعطى لحاجهم امتياز زيارة مكة في العام الماضي . وإني لا أريد أن أذكر أن ليس لجلالكم الحرية في التمسك بالرأى بأن إنشاء الشروط التي تضعونها أهم بكثير من أى شيء ينتج من المفاوضات بين الحجاز ومحمد ، بل إن لجلالكم الحرية التامة في التمسك بهذا الرأى

أو استنكار التسليم بعيره ، إلا أن جلالكم تصعون ثقة في نتيجة البحث مع ابن سعود في مصالح شبه الجزيرة وحدود البلاد وحلافه ، وأن تضعوا ثقة في عدالة الحكم الذي إن احتاج الأمر إليه . فإن حكومة جلالة الملك يكون لها السرور والفرح بإيمانه ، وأن تكون هذه المناقشات أو هذا الحكم العرفي بسيطة ومباشرة . وايسر موافقة على الإصرار بإجراء هذا الشيء . أودك أولاً ، ومحيث أن تقدم سلام وخير الجزيرة على كل اعتبار آخر . هل في ذلك عدم ايانة بالكرامة أو حق ؟ أو هل هو عرصة انذابات لأعداء ؟ أما عن الأولى والثانية فلا ، وأما عن الثالثة فمهم . ولكن جميع الأعمال العطية عرصة لتذليلات ، وفي لأعتقد أن عملاً كهذا من حلافكم يكون له . ظم شأن وأجل وأدع مكالمة من أعلم الأعمال العربية في الحرب . وفضلوا يا مولاي بقول حاصر احتراي وعظيم اشواق ؟

نائب معتمد وقنصل بريطانيا

وكيل قنصل

جرفي سميت

العلاقات النجدية — الحجازية

نمرة ٥٤٧ م — ٢/٢

(متبجل)

جدة في ٧ يونيو سنة ١٩٢٣ م

حضرة صاحب الاقبال وكيل الخارجية بمكة المحترم .

سلاماً واحتراماً . وبعد ، أشرف بأن أخبركم بوصول تافراكم نمرة ٦٧ الذي وصلني ليلة أمس عن موضوع حجاج نهد . إن هذه المسألة المهمة كانت موضوع خطاب المير مارشال نمرة ٨٤ بتاريخ ٢٨ يناير سنة ١٩٢٣ م الذي فيه قد تلتم إقبالكم بأنه خارج عن الموضوع . إن حكومة جلالة الملك تضغط بأي كيفية على ابن سعود لتخفيض عدد الحجاج البعدين حتى إلى سنة أخرى . فكلم سنة الآن منمت أهالي نجد من أداء هذه الفريضة المقدسة بناء على الطلب الشخصي من صاحب الجلالة الهاشمية . وإن لا أحتاج

أن أجل شرح للسامع والمباحث التي همتها حكومة جلالة الملك لتشجيع على تنمية
حية في المسائل العامة بين حكومتكم وحكومة ابن سعود ، وأن هذه الجهود التي كانت
لترقية الصلات السلية في شبه الجزيرة لم تحرم من ملاقة عقبة من جراء إصدار حكومتكم
بأن المسائل التي تحت البحث يجب الحكم فيها مقدماً قبل أن تصير موضع تحكيم ما وليس
في ذلك مباينة بأن يقال : إن الإرجاء المستمر لأي سعى للمفاوضات الحلية مباشرة مع ابن سعود
من أئد علامتهم تثبط العزم بالأمور السياسية العربية الحاضرة . وإلى أذكر هذه النظرة
السياسية في الموضوع . لأنها هي التي يظهر أنها تضيف على هذا البحث — بحث الحج
المحدي — إحساسات واعتبارات حارحة عن صغته الدينية المستثناة . وإن أرحمكم أن تعتقدوا
بأنى لست أكتب هذه الأسطر بروح المعارضة الصرفة ، أو كنصيحة ووعظ . فإن الموضوع
أكبر من أن يكون موضوع شجار . وأهم من أن يحمل في كلمات خفيفة الوزن . وهل هناك
برهان على عودج السكك في الاعتماد العربي أعظم من أنه يفوق ويسو كل إدراك ،
وأنه يحصل في الطرقة تشبه الجزيرة ليست تقصر على أقاليم . وهل هناك حدود
صارمة جداً بحيث تحول بين السلم وتأدية فريضة الحج المقدسة ؟

وتقبلوا عظيم التوقير ؟ نائب معتمد وتصل بريطانيا في جدة

وكيل قنصل

جرائق صبيح

الخاتمة

لكل أجل كتاب . ولكل بداية نهاية . وقصة كل امرئ بما يحسن . في ربيع الأول سنة ١٣٧٣ هـ ٩٥ نوفمبر ١٩٥٣ فارق هذا العالم إلى دار الخلود المرحوم الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل السعود فقدا مفقده رجلا عظيما مدد رواق مملكته المتراصة الأطراف وبنى صرحها الشامخ لينة فوق لينة بعد كفاح صعب وحروب دامية وصل سياسى . وثق مات عهد الميرز ، كما يموت كل شر فان أعماله الخالدة ستبقى حية في صفحات التاريخ .

وإنما المرء حديث مده فكن حديثا حسنا لمن وعى

لقد أدى عبد العزيز وأخوه في الحياة على خير وجه يمكن أن يؤديه رجل عظيم مثله . وترك الأمانة لأكبر أسائه الملك «سعود» وهو خير من يحملها . وإيه ليس حبيب عن ملاده . فقد رافق ولده في كثير من حروبه ، كما حمل كثيرا من الأعباء والمسئوليات السياسية والإدارية بالنيابة عن والده .

ولقد أبدى في السمة الأولى من حكمه نشاطا عظيما فرار شمال ملاده في الشتاء القارس وجنوبها في القيق الشديد للوقوف على حاجة البلاد وأهلها ، غير عانى بما يلاقى من مشقة وتعب في سبيل خدمة ملاده ، ورفع مستوى شعبه ، وتوفير جميع أسباب الرفاهية والرفق الأمة العربية من جميع النواحي الصحية والاجتماعية والعلمية .

والعالم العربي والإسلامي ينتهل إلى الله أن يمد خطاه . ويحمل التوفيق حليمة . وأن يحمل عهده عهد سعادة ورخاء ، وسعادة وهناك . وأن يحقق في أيامه ما يصبو إليه العرب من اتحاد وعزة وتقدم . والله الموفق المبين ، ثم المولى ونعم النصير

(د)

(خ)

وأش الحية : ٢٢٢

وأبع : ٢١٣ ، ٢١٠ ، ٢١٠ ، ٢١٠

الزيج الخالي : ٢٢١ ، ٢٢٠ ، ٢٢٠ ، ٢٢٠

الزس : ٦٢

الزعاية : ٢٨٩

زعة : ١٩

زطاع الفرق : ٩٠

زطاع الفرق : ٩٠

الزعة : ٢٩ ، ٧٠

روسيا : ٨٤ ، ٢٢٢

الروسة : ١٩ ، ١٩ ، ١٩ ، ١٩

الرياش : ٢٢٠ ، ٢٢٠ ، ٢٢٠ ، ٢٢٠ ، ٢٢٠ ، ٢٢٠

١١٨ ، ١٠٦ ، ٨٠ ، ٨٤ ، ٧٠ ، ٦١

٢٢٩ ، ٢٢٨ ، ٢١٦ ، ٢١٥ ، ١٢٩

٢٢٣ ، ٢٢٣ ، ٢٢٣ ، ٢٢٣ ، ٢٢٣

٢٠٤ ، ٢٢٢ ، ٢٢٠ ، ٢٢٩ ، ٢٢٧

٢٢١ ، ٢٢٩ ، ٢٢٧ ، ٢٢٧ ، ٢٢٥ ، ٢٢٤

٢٢٣ ، ٢٢٢ ، ٢٢١ ، ٢٢٠ ، ٢٢٠ ، ٢٢٠

٢٠٦ ، ٢٠٦ ، ٢٠٦

٢٠٦ ، ٢٠٦ ، ٢٠٦

٢٠٦ ، ٢٠٦ ، ٢٠٦

٢٠٦ ، ٢٠٦ ، ٢٠٦

٢٠٦ ، ٢٠٦ ، ٢٠٦

٢٠٦ ، ٢٠٦ ، ٢٠٦

٢٠٦ ، ٢٠٦ ، ٢٠٦

٢٠٦ ، ٢٠٦ ، ٢٠٦

٢٠٦ ، ٢٠٦ ، ٢٠٦

٢٠٦ ، ٢٠٦ ، ٢٠٦

٢٠٦ ، ٢٠٦ ، ٢٠٦

٢٠٦ ، ٢٠٦ ، ٢٠٦

٢٠٦ ، ٢٠٦ ، ٢٠٦

٢٠٦ ، ٢٠٦ ، ٢٠٦

٢٠٦ ، ٢٠٦ ، ٢٠٦

٢٠٦ ، ٢٠٦ ، ٢٠٦

٢٠٦ ، ٢٠٦ ، ٢٠٦

٢٠٦ ، ٢٠٦ ، ٢٠٦

٢٠٦ ، ٢٠٦ ، ٢٠٦

٢٠٦ ، ٢٠٦ ، ٢٠٦

٢٠٦ ، ٢٠٦ ، ٢٠٦

٢٠٦ ، ٢٠٦ ، ٢٠٦

خباري واسعة : ٢٩٨

المبرا : ٦٢ ، ٦١

الخرج : ٢٠٢ ، ٢٠١ ، ٢٠٠ ، ٢٠٠ ، ٢٠٠ ، ٢٠٠

٢٢٣ ، ٢٢٣ ، ٢٢٣ ، ٢٢٣

الخرمة : ٢١٦ ، ٢٠٩ ، ٢٦٣

المطاة : ٥٩

خيس شيط : ٣٩

خورستان : ٨٢

حر : ٢٠ ، ٢٠ ، ٢٠ ، ٢٠ ، ٢٠ ، ٢٠

٢٠٩ ، ٢١١

(د)

الفاحة : ٥٩

دار الحرا : ١٨ ، ٥٧

داروش : ٧٥

دام : ٥٦ ، ٥٥

الفاحة : ٥٧

دلي : ١٥٦

الدبية : ٢٠٣ ، ٧٢ ، ٥٠ ، ١٩ ، ١٨

٢١٩ ، ٢١٨ ، ٢١٧ ، ٢١٦ ، ٢١٥

٢٢٨ ، ٢٢٧ ، ٢٢٦ ، ٢٢٥ ، ٢٢٤ ، ٢٢٣

٢٠٨ ، ٢٠٧ ، ٢٠٦

٢٢٩ ، ٢٢٨ ، ٢٢٧

القام : ٧٥ ، ٩٤

دمشق : ٣١ ، ٣٠ ، ٢٩ ، ٢٨ ، ٢٧ ، ٢٦

١٨٢ ، ١٨١ ، ١٨٠ ، ١٧٩ ، ١٧٨ ، ١٧٧

١٨٣ ، ١٨٢ ، ١٨١ ، ١٨٠ ، ١٧٩ ، ١٧٨

٢٢٢

دعلا : ٥٤

الدعاء : ١٠ ، ٣ ، ٦٨

الدواير : ٦ ، ٥٧ ، ٥٥

الدورة : ٢٢٨

دومة الجندل (انظر الحروف) : ٦٧ ، ٦٧

الدير : ٩٧

(ز)

الزاهر (الشهداء) : ٢٨٩

الزارة : ٨٢ ، ٨٢ ، ٨٢ ، ٨٢ ، ٨٢ ، ٨٢

زيب : ٢١٨

الزبير : ١٩٣ ، ١٩٣

الزحمة : ٢٩

الزلاق : ٩٦ ، ٩٨

الزواني : ٧٠ ، ٦٠ ، ٦٠ ، ٦٠ ، ٦٠ ، ٦٠

وزم : ٢٤ ، ٢٠ ، ٢٩ ، ٢٨ ، ٢٥ ، ٢٤

الزور : ٢٩

(س)

سامري : ٢٢٣

سان ديمو : ١٨٤ ، ١٩٨

عبرة : ٣٠ ، ١٧ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٦١ ، ٦٢ ،
٣٢٨ ، ٣٢٧ ، ٣٢٧ ، ٣٢٤
العواصم : ٢٥
العودة : ٥٩
الدورس : ١٤ ، ١٥ ، ١٩
عن ربه : ٣١
عن لربنا : ١٧
عن مثل : ٩٣
عن الوزيرية : ٢٢
الميون : ٦٣
المية : ٤٩ ، ٥١ ، ٢١٥ ، ٢٢٧ ، ٣٠٦ ،
٣٠٧

(غ)

الطاط : ٥٩ ، ٦٠
الغزاة : ٦٦
عكة : ٥٧
المصبة : ٤

(ف)

فارس : ٧٣ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ١٠٣ ، ٢٢٤ ،
١٥ : ذلك
فرزان : ٤٠ ، ٥١ ، ٥٢
فرجة : ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٧
فرسا : ١٥٩ ، ١٦١ ، ١٦٩ ، ١٧١ ، ١٧٦ ،
١٨٢ ، ١٨٣ ، ١٨٥ ، ١٩٦ ، ١٩٧ ،
٢٠١ ، ٢٥٢ ، ٢٨٤ ، ٣٢٢ ، ٣٢٣ ،
٣٢٤
فرواق : ٣٢٧
فريتان : ٣٢٧
فلطين : ٦ ، ٩ ، ١٦٨ ، ١٧١ ، ١٧٢ ،
١٨١ ، ١٨٢ ، ١٩٣ ، ١٩٤ ، إلى ١٩٩ ،
٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٢٧٦
فتيس : ٨٣
فيد : ٣ ، ٦٤ ، ٦٥
فيلكا : ٨٠

عنية : ٦٠ ، ١٥١ ، ٢٠٥ ، ٢٦٣ ، ٣٢٥ ،
٣٢٦
الطاف : ٧٩
عفن : ١٦٨ ، ١٦٥ ، ٤٣ ، ٣٨ ، ٤٤ ، ٧٠ ،
٣٢٤ ، ٣٢١ ، ٣٢٠
عراة : ٩٦ ، ١٠٢
المرافق : ٧ ، ٩ ، ٣٤ ، ٥٨ ، ٦٩ ، ٦٥ ،
٧٦ ، ٨٦ ، ٩٢ ، ١١٣ ، ١٢٥ ، ١٢٧ ،
١٢٦ ، ١٦٨ ، ١٧٢ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ،
١٨١ ، ١٩٢ ، ١٩٣ ، ١٩٤ ، ٢٠٨ ،
٢١٠ ، ٢١١ ، ٢١٥ ، ٢٣١ ، ٢٥٤ ،
٢٦٠ ، ٢٦٢ ، ٢٦٤ ، ٢٦٥ ، ٢٨٨ ،
٢٩٣ ، ٢٩٤ ، ٢٩٦ ، ٢٩٩ ، ٣٠٠ ،
٣١٠
عربة : ٤٨
المروض : ٤٨
عسكر : ٩٤
عصير : ٣٦ ، ٣٨ ، ٣٢ ، ٣١ ، ١٥ ، ٤٠ ،
٤٤ ، ٤٧ ، ٤١ ، ٣٩ ، ٣٨ ، ٣٧ ،
٤٤ ، ٤٧ ، ١٦٨ ، ١٥٢ ، ١٢٣ ، ٥٤ ،
٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢٣١ ، ٢٣٥ ، ٢٧٦ ،
٢٨٤ ، ٢٨٥
عبرة : ٥٩
المطار : ٥٩
التيبة : ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٩ ، ٦٧ ،
١٨٦ ، ١٩٠
عمدة : ٦٥ ، ٦٦
الطير : ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٦ ، ٩١ ، ٩٢ ،
٢٥٥
عكا : ٣٢٢
الملا : ١٥ ، ٢٠ ، ٦٦
محارة : ١٨٧
المارية : ٤٨
ممان : ٢٠ ، ٢١ ، ٢٦ ، ٦٨ ، ٧٣ ، ٩٠ ،
٩١ ، ١٠٦ ، ١١٢ ، ١١٣ ، ١٢٨ ،
١٣٠ ، ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤٢ ، ١٤٣ ،
١٤٦ ، ٢١٥ ، ٢١٨ ، ٢٢٥ ، ٢٣١ ،
٢٣٢ ، ٢٠٨ ، ٢١٨ ،
٧٥ ، ٧٣ : ذلك

(ث)

تركى بن عبد الله : ٢٢٨ ، ٢٢٧
تيتوفى (النبور) : ١٧٤

(ج)

جابر بن عبد الله (الشيخ) : ٨٧ ، ٨٥ ، ٨٤ ، ١٣١
جابر بن مبارك الصالح (الشيخ) : ١٤٢ ، ١٣٨ ، ٢٥١ ، ٢٥٠ ، ١٤٣
جابر النضى : ٨٧
الماشكير (السلطان) : ٣٠٣
الحريق : ٢٢٢
جراح بن صاح : ٢٣٨ ، ١٤٠ ، ٨٥
حمير بن محمد بن الحس : ١٤٨
حلال السلطة : ٢٧٠
حزيت كلايتون (السير) : ٢٩٣ ، ٢٥٣
جلوبه (السر) : ٣٠٠
جلوى بن تركى : ٢٢٩
جمال باشا : ١٧٢ ، ١٧٠ ، ١٥٧

(ح)

الحارث بن كلدة : ١٢٢
الحارث بن مقاس : ٢٩ ، ٢٨
الحجاج : ٢٦
حداد باشا (الحرفال) : ١٣٥
حسن بن عبة الله (السيد) : ٢١٦
حسن الإدريسي (السيد) : ٤٤ ، ٤٣
حسين بن علي (للك) : ١٨٠ ، ٣٣ ، ٣٩ ، ٤٤٢ ، ١٤٣ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٥٠ ، ١٥١ ، ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٥٩ ، ١٦١ ، ١٦٥ ، ١٦٥ ، ١٦٦ ، ١٧٠ ، ١٧١ ، ١٧٢ ، ١٧٣ ، ١٧٤ ، ١٧٥ ، ١٧٨ ، ١٨٥ ، ١٨٧ ، ١٨٨ ، ١٨٩ ، ١٩١ ، ١٩٢ ، ١٩٣ ، ١٩٧ ، ١٩٨ ، ١٩٩ ، ٢٠١ ، ٢٠٢ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢١٣ ، ٢١٤ ، ٢١٥ ، ٢٥١

أبو طاهر القرمطى : ٢٢

أحمد بن جابر (الشيخ) : ٨٧

أحمد بن حبل (الاعلم) : ١٢٩ ، ٣٠٩ ، ٣١١

أحمد بن سعيد (الشريف) : ٢٠٧ ، ٢٠٢

أحمد بن عتيق (الشيخ) : ٣١٤

أحمد بن عيسى (الشيخ) : ١٠٠

أحمد السديري : ٢٢٢

أحمد المنوسى : (السيد) : ٢٨ ، ٤٢ ، ١٦٢

الإدريسي : ٤٦ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ١٥٦ ، ٢٠٥

٣٢٨ ، ٣٢١ ، ٣٢٠

أرثر مكاهون (السير) : ١٥٨ ، ١٦١ ، ١٦٣

١٦٤

الأزرق : ٢٧ ، ٣٤

استورس (السر) : ٢٣١

امكويث (متر) : ١٩٥

إسماعيل : ٢٨ ، ٣١٥

أمين الحبيبي (السيد) : ٢٧٤

(ب)

باست (الكولونيل) : ٣٢٩

البخارى : ٧٤ ، ٢٥

برنلو (مسيو) : ١٧٩ ، ١٨٠

برسي كوكس (سير) : ٧٤ ، ٢٥٠ ، ٢٥١

٢٥٢ ، ٢٥٣ ، ٢٥٤ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦

٢١٨ ، ٢٥٧

بركات بن السيد حسن اعلان : ١٤٩

بركهوت : ١٤٩ ، ٢٢٥

روس (متر) : ١٠١ ، ١٠٣

طهريف (الرحالة) : ٢٣٠ ، ٢٣١ ، ٢٣٢

بللور (الورد) : ١٩٦ ، ١٩٨ ، ١٩٩

بلى (الكولونيل) : ٨٤ ، ٢٣١

بنيت (الكنتور) : ١٢٤

جرام : ٩٩

الوصيري : ٣١٣

ياسكو (الكولونيل) : ٢٩٨

بيكهوت : ٢١٥

رمحله ونيث (البر) : ٢٥٢
الرمحاني (الأستاذ) : ٢٦٧

(ز)

رامل السليم : ٢٣٤ ، ٢٣٧
الزهرأوى (السيد) : ١٥٤ ، ١٥٥
زيد بن حسين (الأمير) : ١٧٨ ، ١٨٦ ، ١٨٨
٢٢٥ ، ٢٥٩ ، ١٩٠
زيد بن الخطاب : ٣٠٥

(س)

سارة : ٢٤
سالم بن مبارك (الشيخ) : ٨٧ ، ١٤٢ ، ١٤٣
٢٥١
سالم حدأوى (الدكتور) : ١٢٦
ستوكيه (السيد) : ٨٣
سرور (الشريف) : ١٤٩ ، ٢٠٣
محمد بن عبد الرحمن : ٢٠٥ ، ٢٤٣
سمود بن إبراهيم : ٢١٥
سمود بن سعيد (الشريف) : ٢٠٣
سمود (الأمير) : ١١٦ ، ١٢٧ ، ٢٩١ ، ٢٢٥
سمود بن عبد العزيز (الإمام) : ٢١٦ ، ٢١٨
٢١٩ ، ٢٢٠ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣
٢٢٤ ، ٢٢٥
سمود بن فيصل : ٢٣٩ ، ٢٤٢ ، ٢٤٣ ، ٢٤٤
٢٢٥
سميد بن سحان (الشيخ) : ٢٨٤
سكر لبح (سكرولوس) : ١٧٠
سكرولوف : ١٩٧
سلطان بن محمد : ٢١١
سلطان الدوش : ٢٣٤
سليم (السلطان) : ١٤٨ ، ٢٢٣
سليمان : ٦٦
سليمان آل محمد : ٣٠٧
سليمان أزم (الشيخ) : ١٨٧
سليمان بن أحمد (الشيخ) : ٨٢ ، ١٠٠
سليمان المرأوى بك : ١٥٢

٢٥٢ ، ٢٥٣ ، ٢٥٧ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠
٢٦٢ ، ٢٦٣ ، ٢٦٤ ، ٢٦٥ ، ٢٦٨
٢٦٩ ، ٢٧٤ ، ٢٢٥ ، ٢٢٧ ، ٢٣٠

سحق النظم بك : ١٥٣

سحد بن عيسى (الشيخ) : ١٠٤

سزة : ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩٣

سود (الشريف) : ٢٩

سواء : ٢١ ، ٢٢

(خ)

خالد بن سمود : ٢٢٩
خالد بن لؤى (الشريف) : ١٠٦ ، ١٠٧
٢٦٥ ، ٢٦٠
خديجة : ٣٠
خرميل (الشيخ) : ٢٤٩ ، ٢٥١
خلعة بن محمد : ٨٢
خليل صادق باشا : ١٥٢

(د)

داود الأطاكي : ١٢١
دحلان (السيد) : ١٤٩ ، ٢٠٣ ، ٢٢٢
٢٢٣
الدوق أف أرجيل : ١٦٨
الدوش : ٨٧ ، ٢٦٠ ، ٢٩٣ ، ٢٩٥ ، ٢٩٦
٢٩٨ ، ٢٩٩ ، ٣٠٠ ، ٣٠١
ديكون (الكولونيل) : ٢٥٥ ، ٢٩٨ ، ٢٩٩
ديم (الدكتور) : ١٢١

(ر)

راكان بن حشاش : ٢٢٣
ريفة بن مابع : ٢١٥
رجب الزبيب (السيد) : ٨٦ ، ١٢٢ ، ٢٣٨
رحمة بن يابر : ١٠٩
الرشيد : ٨٥ ، ٢٣٩ ، ٢٥٩ ، ٢٧٨ ، ٢٩٢
رعيد رضا (السيد) : ١٥٣ ، ١٦٦
رفيق النظم بك : ١٥٣

محمد علي باشا : ٢٢ ، ٣٩ ، ١٤٩ ، ١٥٠ ،
٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٢٩ ،
محمد علي (مولانا) : ١٦٦
محمد علي زين العابدين : ١٢٤
محمد بن موسى (المصري) : ١٥ ، ٢٠٤
محمد بن فيصل بن تركي : ٢٢٩ ، ٢٣٣ ، ٢٣٧
محمد بن وهابي : ٢٢٧
محدث فاشا : ٧٢ ، ٢٣٤
محدث شكري ملك : ١٥
المرامي (الشيخ) : ٢٦٨
محمي الإدريسي (السيد) : ٤٤
مسعود (المصري) : ٢٠٣ ، ٢١٠
مسلم بن ريمان : ٢٣٥
مسلم بن المصباح صاحب الصحيح : ٢٥
مشاري بن سمود : ٢٢٧
مشاري بن عبد الرحمن : ٢٢٨
مصطفى بن السيد عبد الله : ٢٢١
مصطفى بن عبد الرحمن (السيد) : ٢٢٠
سطير : ٨٧
مطوية بن أبي سفيان : ٢٢٨
النعم بن أبيه : ١٧
النفرة بن مخزوم : ٢٦
مقرن بن إبراهيم : ٢١٥
مالك كولم (السمرقند) : ١٩٧
المنصور (الخليفة العباسي) : ٢٨
مور (الختال) : ١٦٧ ، ٢٥٥
المهدي : ١٧ ، ٢٦ ، ٢٨ ، ٢٩
موسى بن نافع : ٢١٥

(ن)

ناصر الأصيل (الدكتور) : ١٩٣ ، ١٩٤
الناصر (الملك) : ٣٠٤
ناصر السعدون فاشا : ٢٣٤
ناصر مبارك (الفيج) : ١٤٣
النجيب : ٢٥٥
نوكس (السكولونيل) : ٢٥٨
نيجر القديس : ٣٠٨

كودبوليس (السكولونيل) : ١٧٥ ، ٢٥٥
كيدزون (الورد) : ٨٧ ، ١٥٥

(ل)

لانسدون (الورد) : ١٦٩
اللي (الورد) : ١٨٧
لوتر : ٣٠٥
لورانس (السكولونيل) : ١٩٢ ، ٢٠٨
لويد جورج (الورد) : ١٧٢ ، ١٧٦ ، ١٧٧
١٧٧ ، ١٩٥

(م)

ماجد بن حنيفة : ٢٩٥
مارك ساينكس يكو : ١٩٦ ، ١٩٧ ، ٢٢٠ ،
٣٢٤
مالك (الإمام) : ٢٦ ، ٢٤
مبارك الصباح (الشيخ) : ٧١ ، ٧٩ ، ٨٤ ،
٨٥ ، ٨٦ ، ٨٧ ، ١٢٤ ، ١٣١ ، ١٣٨ ،
١٤١ ، ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٣٨ ،
٢٤٤ ، ٢٤٣
محسن الحرم : ٢٩٨
محمد الإدريسي (السيد) : ٢٠١ ، ٢٧٤ ، ٢٧٦
محمد بن حليفة (الشيخ) : ١٠٠ ، ١٠٣
محمد الرشيد : ٥٧ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ ،
٢٣٧ ، ٢٣٨
محمد بن سمود (الإمام) : ١١٦ ، ٢١٥ ، ٢١٦ ،
٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ٢٠٨

محمد الصباح : ٨٥ ، ٨٦ ، ١٤٠ ، ٢٣٨
محمد بن طارق : ١٦٠
محمد بن عبد الرحمن : ٢٤٠
محمد بن عبد العزيز (الأمير) : ٣٢٥
محمد بن عبد الوهاب (الشيخ) : ٤٩ ، ١٢٩ ،
٢٠٢ ، ٢١٥ ، ٢١٦ ، ٢١٨ ، ٢٢١ ،
٢٣١ ، ٢٣٢ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧ ،
٢٣٨ ، ٢٣٩

(هـ)

هارونج : ٣٣١

هارون الرشيد : ٢٦٦ ، ٢٨٤

هاسم بك الأتاسي : ١٨٦

هاسنون : ٢٥٢

هربرت صوبيل : ١٩٨

هرنزل : ١٠٦

هشام بن عبد الملك : ٩٩

هوجلوت (الكومانفور) : ٢٥٣ ، ٣٣١

(و)

و . ج . و . دن (السيد) : ١٠٣

ولسن : ١٧٠ ، ٢٨٤

الوليد بن عبد الملك : ١٧٧ ، ٢٨٤

وهيب بك : ١٥٦

ويزن (الدكتور الصهيوني) : ١٩٥ ، ١٩٦ ، ١٩٧

(ي)

ياقوت : ٥٩١ ، ٥٩٣ ، ٥٩٤ ، ٥٩٥ ، ٥٩٦

يجي (إمام الجين) : ٤٣ ، ٧٠٧ ، ٧٧٦ ، ٧٢٠

يزيد بن معاوية : ٢٦

يوسف بن إبراهيم (الشيخ) : ٨٦ ، ٢٣٨

الأمم والقبائل والبطون والفرق

(١)

الإخوان : ٧٨٠ ، ٧٠٠ ، ٨٧٠ ، ٩٠٧ ، ٩٠٩ ،

٧٥١ ، ٧٥٣ ، ٧٥٤ ، ٧٥٧ ، ٧٥٨ ،

٧٦٠ ، ٧٦٣ ، ٧٦٥ ، ٧٦٦ ، ٧٨١ ،

٧٨٤ ، ٧٨٥ ، ٧٨٦ ، ٧٨٧ ، ٧٨٨ ،

٧٨٩ ، ٧٩٠ ، ٧٩١ ، ٧٩٣ ، ٧٩٤ ،

٧٩٥ ، ٧٩٦ ، ٧٩٧ ، ٧٩٨ ، ٨٠٠ ،

٨٠١ ، ٨٢٧ ،

الأهلوسنة : ٢٠ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٢٧٦ ،

الأرطاوية : ٢٨٥ ،

الأرمين : ١٩٦ ، ١٩٧ ،

الأشراف : ١٤ ، ٢٢ ، ٣١ ، ٣٦ ، ٣٨ ،

٤٣ ، ٩٠ ، ٩٠٦ ، ٩٠٧ ، ٩٠٩ ،

١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٤٤ ، ١٤٨ ،

١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٥١ ، ١٧٣ ، ٢٠٢ ،

٢٠٤ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨ ،

٢١١ ، ٢١٢ ، ٢١٣ ، ٢١٤ ، ٢٤٠ ،

٢٥١ ، ٢٥٤ ، ٢٥٥ ، ٢٥٧ ، ٢٦٠ ،

٢٦١ ، ٢٦٣ ، ٢٦٤ ، ٢٦٧ ، ٢٦٨ ،

٢٧٠ ،

الألمان : ٧٦ ، ١٨٥ ، ١٥٦ ، ١٥٨ ، ١٦٢ ،

١٦٤ ، ١٦٨ ، ١٨٨ ، ٢٥٢ ،

الأمريكان : ٨١ ، ١١٨ ، ١٢٣ ، ١٧٤ ،

الإنجليز : ٤٣ ، ٨٦ ، ١٠٠ ، ١٠٦ ، ١١٨ ،

١٤٧ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٦٠ ، ١٦٦ ،

١٦٩ ، ١٧١ ، ١٧٨ ، ١٨٧ ، ١٩٨ ،

١٩٩ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ٢٠٩ ،

٢٦٣ ، ٢٦٩ ، ٢٨١ ، ٢٨٣ ،

٢٩٤ ،

الأنصار : ٢٨٥ ،

الأوس : ٢٨٥ ،

الإيطاليون : ٤١ ، ٤٣ ،

آل إبراهيم : ١٤١ ،

آل خليفة : ٨٢ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ٢١٢ ،

آل سعود (السعوديون) : ٤٧ ، ٤٩ ، ٥٠ ،

٥١ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٧٢ ، ٧٥ ، ٨٥ ، ٨٣ ،

١٤٩ ، ٢٠٤ ، ٢٠٦ ، ٢١٤ ، ٢١٥ ،

٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٣٢ ،

٢٣٧ ، ٢٣٩ ، ٣٠٧ ، ٣٠٨ ، ٣١٢ ،

٣١٣ ، ٣١٥ ،

آل الشيخ : ٩٩ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ،

آل صباح : ٨٢ ، ٨٣ ، ٩٨ ، ١٠٢ ،

آل طايض : ٤٤ ، ١٣٢ ،

آل ميان : ٢٧ ،

آل مبارك : ٧١ ،

آل مية : ٤٦ ، ٧١ ، ٧١ ، ٢٢٣ ، ٢٢٧ ،

٢٩٠ ،

آل مصر : ٢١٥ ، ٣٠٧ ،

الأتراك : ١٤ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢٨ ، ٣٠ ، ٣٦ ،

٣٩ ، ٤١ ، ٤٣ ، ٨٠ ، ٨٣ ، ٨٥ ،

٨٦ ، ٨٧ ، ١١٨ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ،

١٢٣ ، ١٢٨ ، ١٥٠ ، ١٥١ ، ١٥٣ ،

١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ،

١٦٠ ، ١٦٢ ، ١٦٤ ، ١٦٦ ، ١٦٨ ،

١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٧١ ، ١٨٠ ، ١٨٦ ،

١٨٧ ، ١٨٨ ، ١٩٧ ، ٢٠٠ ، ٢٠٦ ،

٢٠٧ ، ٢٠٩ ، ٢١٢ ، ٢١٦ ، ٢٢٠ ،

٢٢٢ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ ،

٢٣٠ ، ٢٣١ ، ٢٣٥ ، ٢٣٧ ، ٢٣٨ ،

٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٥١ ، ٢٥٢ ، ٢٦٥ ،

٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٤١ ، ٢٤٢ ،

٢٢٦ ، ٢٢٨ ،

(ب)

البخارة : ٩٤ ، ٩٥ ، ٩٧

البرتاليون : ٨٣ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٨

البروكستان : ٣٠٨

البريطانيون : ١٥٦ ، ١٦٥ ، ١٧٤ ، ١٨٢ ، ١٩١

بكر : ٧٢

بنو بركات : ١٤٩

بنو تميم : ١٧ ، ٥٧ ، ٦١ ، ٦٥ ، ٦٦

بنو حاد : ٢١٥

بنو خالد : ٤٦ ، ٤٧ ، ٥١ ، ٧٢ ، ٧٥ ، ٧٧

٨٣ ، ٩٠ ، ١١٥ ، ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٢٤

٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧

بنو شهر : ١١ ، ٢٥٩

بنو عبد شمس : ٧٢

بنو غنم : ٨٣ ، ٩٠ ، ٩٥ ، ٩٧ ، ٩٨

١٠٣ ، ١٠٤

بنو علي : ٩٧

بنو محيط : ٤١

بنو هاجر : ٧١ ، ٧٢ ، ٧٧

بنو ياس : ٩٧ ، ١٠١

البيوسيد : ٢١٥

بو حنين : ٧٤ ، ٩٤

(ت)

التن : ٣٠٢

تميم : ٧٢

(ث)

ثيف : ٣٥

(ج)

الجاويون : ٢٧٣

جرم : ٢٥

الجلامة : ٨٢ ، ٩٨ ، ١٠٠

جهينة : ٢٠

الجوسم : ١٠١

(ح)

حرب : ٢٠ ، ٤٦ ، ٢٨٥

الحديون (انظر الأشراف) : ١٤٨

حنابلة : ٣٧ ، ٣٠٢

حولة : ٧٣ ، ٩٠ ، ٩٧

الحويطات : ١٩

(خ)

الخروج : ٢٨٥

(د)

الدواسر : ٤٧ ، ٥٦ ، ٧١ ، ٧٥ ، ٩٠

٩٤ ، ٩٦ ، ١٢٢ ، ٢٣٥

(ذ)

ذوو زيد : ١٤٩

(ر)

الرافضة : ٧٣ ، ٢٩٢ ، ٢٩٣

ريضة : ٢١٥

الرجبان : ٥٦

الرشادة (آل رشيد) : ٧١ ، ٧٥ ، ٧٦

٢٢٢ ، ٢٢٧ ، ٢٣٩

الروس : ٨١ ، ٨٦ ، ١٧٠ ، ١٧١ ، ١٧٣

الرولة : ٢١

الروم : ٣٤

(ز)

الزبانية : ٩٧

(س)

السادة : ٩٠ ، ٩٧ ، ٢١٥

الساميون : ٩

سليم : ٧١ ، ٦٠ ، ٧٠٧ ، ٢٢٤ ، ٢٢٧

السدون : ٧٤٤ ، ٣٠٧

(ف)

الفاطميون : ١٤٨
الفرس : ٢٩ ، ٧٢ ، ٨٧ ، ٨٣ ، ٩٨ ، ١٠٢
الفرنج : ١
الفراسيون : ١٦٦ ، ١٦٨ ، ١٧١ ، ١٧٤ ،
١٧٥ ، ١٧٨ ، ١٨٠ ، ١٨١ ، ١٨٢ ، ١٨٤

(ق)

القبط : ٣٤
قنادة : ١٤٨
قسطان : ١١ ، ١٦ ، ٤٧ ، ٧١ ، ٢٩٥
قريش : ٢٦

(ك)

الكتايبك : ٣٠٨
الكتايبون : ٩

(م)

المالنج (نشد) : ٢١٥
المصريون : ٥٥ ، ٧٢ ، ٨٣ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ،
١٥٠ ، ٢٠١ ، ٢١٥ ، ٢٢٠ ، ٢٢٢ ،
٢٢٩ ، ٢٣١ ، ٢٦٢
مطير : ١٦ ، ٧١ ، ٧٧ ، ٢٢٠ ، ٢٣٤ ، ٢٦٠ ،
٢٨٥ ، ٢٩١ ، ٢٩٤ ، ٢٩٥ ، ٢٩٧ ، ٢٩٨
مناذبة : ٢٢٢
الماليك : ٢٦ ، ٢٨ ، ٢٢٣
المنامة : ٩٧
المنتفق : ٢٣٤ ، ٢٥٤ ، ٢٥٥
الموالي : ٧١ ، ٦٦

(ن)

النصارى : ٣٢ ، ٣٤ ، ٩٣

النوسية : ٤١

المجول : ٧١ ، ٣٢٧

(ش)

شمر : ٩ ، ١٦ ، ١٧ ، ٦٢ ، ٦٥ ، ٢٥٤ ،
٣٨٥
شهران : ٤٩
الشيمة : ٧٠ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٩٠ ، ٩٣

(ص)

الصلبة : ٧٧
الصوريون : ١٧١ ، ١٩٥ ، ١٩٦ ، ١٩٧ ،
١٩٨
الصرفية : ٣٠٢ ، ٣٠٣ ، ٣٠٥

(ض)

الضفير : ٢٥٤ ، ٢٥٥

(ع)

عبد القيس : ٧٢
المراتبون : ٩
عنبة : ٣٥ ، ٤٦ ، ٧١ ، ٢٠٦ ، ٢٣٥ ،
٢٨٥ ، ٢٩١ ، ٢٩٤ ، ٢٩٥ ، ٢٩٧
الميمان : ٤٦ ، ٧١ ، ٧٤ ، ٧٧ ، ٢١٥ ،
٢٣٣ ، ٢٣٤ ، ٢٥٠ ، ٢٩١ ، ٢٩٢ ،
٢٩٧ ، ٢٩٦ ، ٢٩٤
العائر : ٧٤
عمر : ٤٦ ، ٢١٥ ، ٢٥٤ ، ٢٥٥
منيرة : ٩ ، ١٧ ، ١٧ ، ١٨ ، ٥٧
الموارد : ٧١ ، ٧٧ ، ٨٠

(غ)

غامد : ٤١

(هـ)	(د)
الهكوس : ٩ الهنود : ٩٠ ، ٩٣ ، ١٢٤ ، ١٤٣ ، ١٤٧ ، ٢٣١ ، ٢٦٢ ، ٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣ الهرامم : ١٤٨	(ج) الرحايون (انظر الإذوان) : ١٠٧ ، ٢٢٢ ، ٢٥٤ ، ٣١٤
(ح)	(ب)
اليهود : ٣١ ، ٣٣ ، ٣٨ ، ٦١ ، ١٧٠ ، ١٨١ ، ١٩٠ اليونان : ١٢٥	(أ) الآلهة : ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١٠ ، ١١١ ، ١١٢ ، ١١٣ ، ١١٤ ، ١١٥ ، ١١٦ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٦٠ ، ١٦١ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٦٦ ، ١٦٧ ، ١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٧١ ، ١٧٢ ، ١٧٣ ، ١٧٤ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٧٩ ، ١٨٠ ، ١٨١ ، ١٨٢ ، ١٨٣ ، ١٨٤ ، ١٨٥ ، ١٨٦ ، ١٨٧ ، ١٨٨ ، ١٨٩ ، ١٩٠ ، ١٩١ ، ١٩٢ ، ١٩٣ ، ١٩٤ ، ١٩٥ ، ١٩٦ ، ١٩٧ ، ١٩٨ ، ١٩٩ ، ٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢١٣ ، ٢١٤ ، ٢١٥ ، ٢١٦ ، ٢١٧ ، ٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢٢٠ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ٢٣١ ، ٢٣٢ ، ٢٣٣ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٤١ ، ٢٤٢ ، ٢٤٣ ، ٢٤٤ ، ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٢٥١ ، ٢٥٢ ، ٢٥٣ ، ٢٥٤ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ٢٦١ ، ٢٦٢ ، ٢٦٣ ، ٢٦٤ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٢٦٧ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٢٧٦ ، ٢٧٧ ، ٢٧٨ ، ٢٧٩ ، ٢٨٠ ، ٢٨١ ، ٢٨٢ ، ٢٨٣ ، ٢٨٤ ، ٢٨٥ ، ٢٨٦ ، ٢٨٧ ، ٢٨٨ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، ٢٩١ ، ٢٩٢ ، ٢٩٣ ، ٢٩٤ ، ٢٩٥ ، ٢٩٦ ، ٢٩٧ ، ٢٩٨ ، ٢٩٩ ، ٣٠٠ ، ٣٠١ ، ٣٠٢ ، ٣٠٣ ، ٣٠٤ ، ٣٠٥ ، ٣٠٦ ، ٣٠٧ ، ٣٠٨ ، ٣٠٩ ، ٣١٠ ، ٣١١ ، ٣١٢ ، ٣١٣ ، ٣١٤ ، ٣١٥ ، ٣١٦ ، ٣١٧ ، ٣١٨ ، ٣١٩ ، ٣٢٠ ، ٣٢١ ، ٣٢٢ ، ٣٢٣ ، ٣٢٤ ، ٣٢٥ ، ٣٢٦ ، ٣٢٧ ، ٣٢٨ ، ٣٢٩ ، ٣٣٠ ، ٣٣١ ، ٣٣٢ ، ٣٣٣ ، ٣٣٤ ، ٣٣٥ ، ٣٣٦ ، ٣٣٧ ، ٣٣٨ ، ٣٣٩ ، ٣٤٠ ، ٣٤١ ، ٣٤٢ ، ٣٤٣ ، ٣٤٤ ، ٣٤٥ ، ٣٤٦ ، ٣٤٧ ، ٣٤٨ ، ٣٤٩ ، ٣٥٠ ، ٣٥١ ، ٣٥٢ ، ٣٥٣ ، ٣٥٤ ، ٣٥٥ ، ٣٥٦ ، ٣٥٧ ، ٣٥٨ ، ٣٥٩ ، ٣٦٠ ، ٣٦١ ، ٣٦٢ ، ٣٦٣ ، ٣٦٤ ، ٣٦٥ ، ٣٦٦ ، ٣٦٧ ، ٣٦٨ ، ٣٦٩ ، ٣٧٠ ، ٣٧١ ، ٣٧٢ ، ٣٧٣ ، ٣٧٤ ، ٣٧٥ ، ٣٧٦ ، ٣٧٧ ، ٣٧٨ ، ٣٧٩ ، ٣٨٠ ، ٣٨١ ، ٣٨٢ ، ٣٨٣ ، ٣٨٤ ، ٣٨٥ ، ٣٨٦ ، ٣٨٧ ، ٣٨٨ ، ٣٨٩ ، ٣٩٠ ، ٣٩١ ، ٣٩٢ ، ٣٩٣ ، ٣٩٤ ، ٣٩٥ ، ٣٩٦ ، ٣٩٧ ، ٣٩٨ ، ٣٩٩ ، ٤٠٠ ، ٤٠١ ، ٤٠٢ ، ٤٠٣ ، ٤٠٤ ، ٤٠٥ ، ٤٠٦ ، ٤٠٧ ، ٤٠٨ ، ٤٠٩ ، ٤١٠ ، ٤١١ ، ٤١٢ ، ٤١٣ ، ٤١٤ ، ٤١٥ ، ٤١٦ ، ٤١٧ ، ٤١٨ ، ٤١٩ ، ٤٢٠ ، ٤٢١ ، ٤٢٢ ، ٤٢٣ ، ٤٢٤ ، ٤٢٥ ، ٤٢٦ ، ٤٢٧ ، ٤٢٨ ، ٤٢٩ ، ٤٣٠ ، ٤٣١ ، ٤٣٢ ، ٤٣٣ ، ٤٣٤ ، ٤٣٥ ، ٤٣٦ ، ٤٣٧ ، ٤٣٨ ، ٤٣٩ ، ٤٤٠ ، ٤٤١ ، ٤٤٢ ، ٤٤٣ ، ٤٤٤ ، ٤٤٥ ، ٤٤٦ ، ٤٤٧ ، ٤٤٨ ، ٤٤٩ ، ٤٥٠ ، ٤٥١ ، ٤٥٢ ، ٤٥٣ ، ٤٥٤ ، ٤٥٥ ، ٤٥٦ ، ٤٥٧ ، ٤٥٨ ، ٤٥٩ ، ٤٦٠ ، ٤٦١ ، ٤٦٢ ، ٤٦٣ ، ٤٦٤ ، ٤٦٥ ، ٤٦٦ ، ٤٦٧ ، ٤٦٨ ، ٤٦٩ ، ٤٧٠ ، ٤٧١ ، ٤٧٢ ، ٤٧٣ ، ٤٧٤ ، ٤٧٥ ، ٤٧٦ ، ٤٧٧ ، ٤٧٨ ، ٤٧٩ ، ٤٨٠ ، ٤٨١ ، ٤٨٢ ، ٤٨٣ ، ٤٨٤ ، ٤٨٥ ، ٤٨٦ ، ٤٨٧ ، ٤٨٨ ، ٤٨٩ ، ٤٩٠ ، ٤٩١ ، ٤٩٢ ، ٤٩٣ ، ٤٩٤ ، ٤٩٥ ، ٤٩٦ ، ٤٩٧ ، ٤٩٨ ، ٤٩٩ ، ٥٠٠ ، ٥٠١ ، ٥٠٢ ، ٥٠٣ ، ٥٠٤ ، ٥٠٥ ، ٥٠٦ ، ٥٠٧ ،